الكاتب الأكثر مبيعًا

توماس هاريس



باعت
أكثر من
١٠ ملايين
نسخة

مكتبة

رواية



ترجمة: سها السباعي



صمت الحملان

توماس هاريس



رواية



ترجمتها عن الإنجليزية

سها السباعي





alkarmabooks.com
facebook.com/alkarmabooks
twitter.com/alkarmabooks
instagram.com/alkarmabooks

الطبعة الأولى ٢٠٢٤

العنوان الأصلي: The Silence of The Lambs



هاريس، توماس.
صمت الحملان: رواية / توماس هاريس؛ ترجمتها عن الإنجليزية سها السباعي - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠٢٤.

تدمك: 9789779603049
١- القصص الأمريكية.
أ- السباعي، سها (مترجمة).
ب- العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٥٣٤٢ / ٢٠٢٤

٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ٩ ٧ ٥ ٣ ١

تصميم الغلاف: أحمد فرج

إلى ذكرى أبي.

«إن كنتُ كإنسانٍ قد حاربت وحوشًا في أفسس، فما المنفعة لي إن كان الموتى لا يقومون؟».

- الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس،
الإصحاح ١٥، الآية ٣٢

«هل أحتاج إلى التفكُّر في رأس الموت في رنين جرس، لديَّ واحد في وجهي؟»[١].

- جون دُن، «الولاءات»

(١) «Need I look upon a death's head in a ring, that have one in my face?»: تعني «death's head» «رأس الموت»، وهو رمز الموت المتمثل في جمجمة وعظمتين متقاطعتين. ويقول الشاعر هنا إنه لا يحتاج إلى رؤيته في رنين جرس الكنيسة الذي يُقرَع للجنائز لتذكيره بالموت، لأنه يحمل جمجمة يراها في وجهه لتذكره أنه ميت بالفعل لأنه ميت لا محالة. الاقتباس يعكس تقابلًا مع عثة رأس الموت بشكلها المميز، والتي سيرد ذكرها لاحقًا في النص. (المترجمة).



١

يقع قسم العلوم السلوكية، القسم الذي يتعامل مع جرائم القتل المتسلسل في مكتب التحقيقات الفدرالي، في الطابق السفلي في مبنى الأكاديمية ببلدة كوانتِكو، نصف مدفون في الأرض. وصلت كلاريس ستارلِنج إليه محتقنة بعد مشي سريع من «هوجانز آلي»[١] في ميدان الرماية. عشب عالق بشعرها، وعلى سترتها الواقية الخاصة بأكاديمية مكتب التحقيقات الفدرالي بقع عشب من الزحف على الأرض تحت خط إطلاق النار في عملية اعتقال تدريبية في ميدان الرماية.

لم يكن أحد في المكتب الخارجي، لذا رتبت نفسها في عجلة، مستعينة بانعكاس صورتها على الأبواب الزجاجية. عرفت أنها يمكن أن تبدو على ما يرام من دون تبرج. فاحت يداها برائحة دخان السلاح، لكن لم يكن لديها وقت للاغتسال. قال أمْر الاستدعاء الذي أرسله كروفورد، رئيس القسم، أن تتوجه إلى مكتبه \الآن، من دون إبطاء.

وجدت جاك كروفورد وحيدًا في جناح من المكاتب المبعثرة. كان يقف عند

---

(١) «Hogan's Alley»: منشأة تدريب تكتيكية، تبلغ مساحتها أكثر من ٤٠ ألف متر مربع، تديرها أكاديمية تدريب مكتب التحقيقات الفدرالي. افتُتحت في عام ١٩٨٧، وصُممت لتوفير بيئة مدنية واقعية لتدريب وكلاء مكتب التحقيقات الفدرالي، وإدارة مكافحة المخدرات، وغيرهم من وكلاء إنفاذ القانون المحليين والفدراليين والدوليين. ويُستخدم مصطلح «Hogan's Alley» أيضًا بشكل عام للإشارة إلى أي ميدان رماية مخصص للتدريب التكتيكي. (المترجمة).

مكتب شخص آخر يتحدث عبر الهاتف، وسنحت لها فرصة لإلقاء نظرة عليه لأول مرة منذ عام. ما رأته أزعجها.

عادة، بدا كروفورد كأنه مهندس يتمتع باللياقة، في منتصف العمر، ربما شق طريقه خلال الدراسة الجامعية بلعب البيسبول، ملتقط كرة بارع، متين حين يسد القاعدة الرئيسية. الآن صار نحيفًا، وياقة قميصه كبيرة جدًّا، ولديه انتفاخات داكنة تحت عينيه المحمرتين. كل مَن استطاع قراءة الصحف عرف أن قسم العلوم السلوكية كان يتعرض للنقد. أمَلت ستارلِنج ألا يكون كروفورد تحت تأثير الإفراط في شرب الخمر. بدا هذا بعيد الاحتمال هنا.

أنهى كروفورد محادثته الهاتفية بـ«لا» حادة. أخذ ملفها من تحت ذراعه وفتحه. قال:

- ستارلِنج، كلاريس م.، صباح الخير.

كانت ابتسامتها مهذبة فحسب:

- مرحبًا.

- لا شيء على غير ما يرام. أتمنى أن الاستدعاء لم يفزعكِ.

- لا.

فكرت ستارلِنج أن هذا ليس صحيحًا تمامًا.

- أخبرني مدربوك بأنكِ تحسنين صنعًا، من المتفوقين في صفك.

- آمل ذلك، لم ينشروا أي شيء.

- أسألهم من حين إلى حين.

فاجأ ذلك ستارلِنج. كانت قد أسقطت كروفورد من حسبانها على اعتبار أنه ضابط تجنيد ابن عاهرة ذو وجهين.

سبق لها أن التقت العميل الخاص كروفورد عندما كان محاضرًا زائرًا في جامعة فرجينيا. شكَّلت نوعية ندواته في علم الجريمة عاملًا في مجيئها إلى مكتب التحقيقات الفدرالي. كتبت إليه رسالة عندما تأهلت إلى الأكاديمية، لكنه لم يرد عليها، وطوال الأشهر الثلاثة التي قضتها متدربة في كوانتِكو، تجاهلها.

انتمت ستارلِنج إلى الأشخاص الذين لا يطلبون خدمات أو يضغطون من أجل الصداقة، لكنها شعرت بالحيرة والندم تجاه سلوك كروفورد. الآن، في حضوره، راق لها مرة أخرى، شعرت بالأسف لملاحظة ذلك.

من الواضح أن خطبًا ما يجري معه. تمتع كروفورد بدهاء فريد، بصرف النظر عن ذكائه، وقد لاحظته ستارلِنج لأول مرة في إحساسه بألوان ملابسه وأنسجتها، حتى ضمن معايير استنساخ مكتب التحقيقات الفدرالي لكيفية ارتداء العميل ملابسه. الآن كان أنيقًا لكنه باهت، كما لو كان ينسلخ من جلده.

قال:

- طرأت وظيفة وفكرت فيكِ. إنها ليست وظيفة حقًّا، أقرب ما تكون إلى مهمة مثيرة للاهتمام. أزيحي أغراض بيري من على هذا الكرسي واجلسي. دوَّنتِ هنا أنك تريدين المجيء مباشرة إلى قسم العلوم السلوكية عندما تنتهين من التدريب في الأكاديمية.

- فعلًا.

- لديكِ دراية كبيرة بالعلوم الجنائية، لكن ليست لديك خلفية لتطبيق القانون. نحن نبحث عن خبرة ست سنوات حدًّا أدنى.

- والدي كان مارشالًا، وأعرف طبيعة الحياة.

ابتسم كروفورد قليلًا:

- ما لديك بالفعل تخصص مزدوج في علم النفس وعلم الجريمة، وكم عدد فصول الصيف التي قضيتِها في العمل في مركز للصحة العقلية... اثنان؟

- اثنان.

- رخصتكِ بوصفك مستشارة نفسية، هل هي سارية؟

- إنها صالحة لمدة عامين آخرين. لقد حصلت عليها قبل أن تعقد الندوة في جامعة فرجينيا... قبل أن أقرر الخضوع لهذا التدريب.

- لقد علقتِ في فترة إيقاف التعيين.

أومأت ستارلِنج:

- كنت محظوظة على الرغم من ذلك، وجدت وقتًا للتأهل لمنحة دراسية لزمالة الطب الشرعي النفسي. ثم تمكنت من العمل في المختبر حتى أتاحت الأكاديمية فرص التدريب.
- لقد كتبتِ إليَّ بخصوص المجيء إلى هنا، أليس كذلك، ولا أعتقد أنني رددت على خطابكِ... أعلم أنني لم أفعل. كان يجب أن أفعل.
- كنت مشغولًا بأمور كثيرة أخرى.
- هل تعرفين «في-كاب»؟
- أعرف أنه برنامج تحليل جرائم القتل المتسلسل والجرائم الجنسية. تقول نشرة إنفاذ القانون إنك تنشئ قاعدة بيانات، لكنك لم تدخل حيز التشغيل بعد.

أومأ كروفورد:

- لقد طورنا استبيانًا. إنه ينطبق على جميع القتلة المتسلسلين المعروفين في العصر الحديث.

سلمها رزمة سميكة من الأوراق مربوطة برباط واهٍ.

- هناك قسم للمحققين، وآخر للضحايا الباقين على قيد الحياة، إن وُجِدوا. اللون الأزرق للقاتل ليجيب عن الأسئلة فيه إذا أراد، واللون الوردي عبارة عن سلسلة من الأسئلة التي يطرحها الفاحص على القاتل، للحصول على ردود أفعاله وكذلك إجاباته. قدر كبير من الأعمال المكتبية.

أعمال مكتبية. اندفع شعور كلاريس ستارلِنج بالمصلحة الذاتية متشممًا مثل كلب بيجل متحمس. اشتمت عرض عمل قادم، ربما كان سُخرة تغذية البيانات في نظام كمبيوتر جديد. من المغري دخول قسم العلوم السلوكية بأي صفة ممكنة، لكنها كانت تعلم ما يحدث للمرأة إذا رُبطت في وظيفة سكرتيرة، يستمر الأمر حتى نهاية الزمن. كان أمامها اختيار، وأرادت أن تحسن الاختيار.

كان كروفورد ينتظر شيئًا... لا بد أنه سألها سؤالًا. يجب على ستارلِنج أن تجاهد لتذكره:

- ما الاختبارات التي أجريتِها؟ اختبار مينيسوتا لتقييم الشخصية متعددة الأطوار، هل سبق لكِ إجراؤه؟ اختبار رورشاخ؟

- نعم، اختبار مينيسوتا لتقييم الشخصية متعددة الأطوار، لم أُجرِ اختبار رورشاخ قَطُّ. نفذت اختبار الإدراك الموضوعي، وأجريت اختبار بِندر-جِشتالت للأطفال.

- هل يخيفكِ شيء بسهولة يا ستارلِنج؟

- ليس بعد.

- أترين، لقد حاولنا أن نجري مقابلة وفحصًا لجميع القتلة المتسلسلين المعروفين الذين نحتجزهم، وعددهم اثنان وثلاثون، لبناء قاعدة بيانات للتنميط النفسي في القضايا التي لم تُحَل بعد. وافق أغلبهم على ذلك، أعتقد أنهم مدفوعون بالتباهي، كثير منهم. أبدى سبعة وعشرون منهم استعدادًا للتعاون. أربعة منهم محكوم عليهم بالإعدام مع دعاوى استئناف مُعلقة مسكوت عنها، لأسباب مفهومة. لكن القاتل الذي أردناه أكثر من غيره، لم نتمكن من الحصول عليه. أريدكِ أن تسعي للحصول على تعاونه غدًا في المصحة.

شعرت كلاريس ستارلِنج بنبضٍ سعيد في صدرها، وبشيء من التوجس أيضًا.

- مَن الشخص موضوع البحث؟

قال كروفورد:

- الطبيب النفسي، الدكتور هانيبال لِكتر.

صمت قصير يتبع الاسم دائمًا في أي تجمع مهذب.

نظرت ستارلِنج إلى كروفورد بثبات، لكنها كانت هادئة تمامًا. قالت:

- هانيبال آكل لحوم البشر.

- نعم.

- نعم، حسنًا، لا بأس. أنا سعيدة بهذه الفرصة، لكن عليك أن تعرف أنني أتساءل، لماذا أنا؟

قال كروفورد:

- بالأساس، لأنكِ متاحة. لا أتوقع منه أن يتعاون. لقد رفض بالفعل، لكن حدث ذلك من خلال وسيط، مدير المستشفى. لا بد أن أستطيع القول بأن الفاحص المؤهل ذهب إليه وطلب منه شخصيًّا. هناك أسباب لا تتعلق بكِ. لم يتبقَّ لديَّ أي شخص في هذا القسم لأداء المهمة.

قالت ستارلِنج:

- أنت مضغوط بالمهام - بافالو بيل - والأمور في نيفادا.
- لقد فهمتِ. إنها القصة القديمة، ليس لدينا ما يكفي من العاملين.
- قلتَ غدًا، أنت في عجلة من أمرك. هل هناك أي صلة بقضية حالية؟
- لا، أتمنى لو كانت هناك صلة.
- إذا رفض التعاون معي، فهل ما زلت تريد تقييمًا نفسيًّا؟
- لا. أنا غارق في تقييمات المريض المتعذر الوصول إليه الخاصة بالدكتور لِكتر، وجميعها مختلفة.

هز كروفورد قرصين من فيتامين سي في راحة يده، وخلطهما بقرص من مسكن ألكا-سلِتزر عند مبرد الماء لابتلاعها.

- إنه أمر سخيف، كما تعلمين. لِكتر طبيب نفسي وهو يكتب للمجلات النفسية بنفسه - أمور استثنائية - لكنه لا يكتب أبدًا عن أوجه اختلاله الصغيرة. لقد تظاهر بمجاراة مدير المستشفى، تشيلتون، ذات مرة في بعض الاختبارات - الجلوس وحزام جهاز قياس ضغط الدم على قضيبه، والنظر إلى صور حطام - ثم نشر لِكتر أولًا ما تعلمه عن تشيلتون، وجعله موضع سخرية. إنه يستجيب لمراسلات جادة من طلاب الطب النفسي في مجالات غير متعلقة بقضيته، وهذا كل ما يفعله. إذا لم يتحدث إليكِ، فأريد فقط تقارير مباشرة. كيف يبدو، كيف تبدو زنزانته، وماذا يفعل. الخصائص المميزة، إذا جاز التعبير. احترسي من الصحفيين في أثناء دخولك وخروجك. ليست الصحافة الحقيقية، الصحافة الاستهلاكية. إنهم يحبون لِكتر أكثر من الأمير أندرو.

قالت ستارلِنج:

- ألم تقدم له مجلة قذرة خمسين ألف دولار مقابل بعض وصفات الطهي؟ يبدو أنني أتذكر ذلك.

أومأ كروفورد برأسه:

- أنا متأكد أن صحيفة ناشونال تاتلر قد رشَت شخصًا ما داخل المستشفى، وربما يعرفون أنكِ قادمة بعد أن أحدد الموعد.

انحنى كروفورد إلى الأمام حتى واجهها على مسافة قدمين. شاهدت نظارته ثنائية البؤرة تغشي الانتفاخات تحت عينيه. كان قد تغرغر مؤخرًا بغسول ليسترين للفم.

- الآن. أريد انتباهكِ الكامل يا ستارلِنج. هل تستمعين إليَّ؟

- نعم سيدي.

- التزمي غاية الحذر مع هانيبال لِكتر. سيراجع الدكتور تشيلتون، رئيس مستشفى الأمراض العقلية، الإجراءات الجسدية التي تستخدمينها للتعامل معه. لا تحيدي عنها. لا تحيدي عنها مقدار ذرة واحدة لأي سبب من الأسباب. إذا تكلم لِكتر معكِ بأي حال من الأحوال، فسيحاول فقط أن يسبر غورك. إنه نوع الفضول الذي يجعل ثعبانًا ينظر إلى عش طائر. كلانا يعلم أنه يجب عليكِ الأخذ والعطاء قليلًا في المقابلات، لكن لا تخبريه بأي تفاصيل عن نفسك. أنت لا تريدين أيًّا من حقائقك الشخصية في رأسه. أنت تعرفين ما فعله مع ويل جراهام.

- قرأت عن الأمر حين حدوثه.

- انتزع أحشاء ويل بسكين قص مشمع الأرضيات عندما تبسَّط معه ويل في الحديث. إنها أعجوبة أن ويل لم يمت. تتذكرين التنين الأحمر؟ حوَّل لِكتر اهتمام فرانسيس دولارهايد إلى ويل وعائلته. وجه ويل يبدو كما لو أن اللعين بيكاسو رسمه، بفضل لِكتر. لقد مزَّق ممرضة في المصحة. احرصي على أداء مهمتكِ، فقط لا تنسي ما طبيعته.

- وما طبيعته؟ هل تعرف؟

- أعرف أنه وحش. ما وراء ذلك، لا أحد يستطيع الجزم. ربما ستكتشفين ذلك، لم أختركِ عشوائيًّا يا ستارلِنج. سألتِني أسئلة عديدة مثيرة للاهتمام عندما كنتُ في جامعة فرجينيا. سيرى المدير تقريرك المذيل بتوقيعك، إذا كان واضحًا ومحكمًا ومنظمًا. أنا أقرر ذلك. وسأحصل على التقرير بحلول الساعة التاسعة يوم الأحد. حسنًا يا ستارلِنج، حافظي على اتباع الطريقة المقررة.

ابتسم لها كروفورد، لكن عينيه كانتا ميتتين.



٢

الدكتور فريدريك تشيلتون، في الثامنة والخمسين من العمر، مدير مستشفى بالتيمور الحكومي للمجرمين المختلين نفسيًّا، لديه مكتب طويل عريض، ليست عليه أشياء صلبة أو حادة. بعض الموظفين يُسمُّون المكتب «الخندق». بعض الموظفين الآخرين لا يعرفون معنى كلمة خندق. ظل الدكتور تشيلتون جالسًا خلف مكتبه عندما دخلت كلاريس ستارلِنج إلى غرفة مكتبه.

قال تشيلتون من دون أن ينهض:

- لقد جاءنا كثير من المحققين هنا، لكنني لا أتذكر أن أحدهم كان على هذا القدر من الجاذبية.

عرفت ستارلِنج من دون أن تفكر في الأمر أن اللمعان على يده الممدودة كان دُهن صوف الخراف الذي علق بها من التربيت على شعره. تركت يده قبل أن يفعل هو ذلك.

- الآنسة ستيرلِنج، أليس كذلك؟

- ستارلِنج يا دكتور، بحرف الألف. شكرًا لك على وقتك.

- إذن فمكتب التحقيقات الفدرالي يتجه إلى الفتيات مثل أي شيء آخر، ها، ها.

أضاف الابتسامة الملتوية التي يستخدمها لفصل جمله.

- المكتب يتحسن يا دكتور تشيلتون. إنه يتحسن بالتأكيد.

- هل ستبقين في بالتيمور عدة أيام؟ كما تعلمين، يمكنكِ أن تقضي وقتًا

ممتعًا هنا بقدر ما يمكنك في واشنطن أو نيويورك، إذا كنت تعرفين البلدة.

أشاحت ببصرها لتعفي نفسها من ابتسامته، وعرفت على الفور أنه لاحظ نفورها.

- أنا متأكدة أنها بلدة رائعة، لكن تعليماتي أن أرى الدكتور لِكتر، وأقدم التقرير بعد ظهر اليوم.

- هل هناك مكان في واشنطن يمكنني الاتصال بكِ فيه للمتابعة، فيما بعد؟

- بالتأكيد. إنه لطف منك أن تفكر في الأمر. العميل الخاص جاك كروفورد مسؤول عن هذا المشروع، ويمكنك دائمًا الوصول إليَّ من خلاله.

قال تشيلتون:

- فهمت.

التحم خداه، المبرقشان باللون الوردي، بلون تصفيفة شعره البني الأحمر الذي لا يُطاق.

- أعطيني بطاقتكِ التعريفية من فضلك.

تركها واقفة في أثناء فحصه بطاقتها التعريفية بتأنٍّ. ثم أعادها ونهض.

- لن يستغرق هذا كثيرًا من الوقت. تعالي معي.

قالت ستارلِنج:

- فهمت أنك ستطلعني على معلومات يا دكتور تشيلتون.

- يمكنني أن أفعل ذلك في أثناء سيرنا.

دار حول مكتبه ناظرًا إلى ساعته.

- لديَّ غداء بعد نصف ساعة.

اللعنة، كان يجب أن تفهمه بشكل أفضل، أسرع. قد لا يكون مغفلًا تمامًا. قد يعرف شيئًا مفيدًا. لم يكن ليضيرها أن تبتسم بتكلف مرة واحدة، حتى إذا لم تكن جيدة في ذلك.

- دكتور تشيلتون، لديَّ موعد معك الآن. لقد حُدد بناءً على الظروف المناسبة

لك، أي عندما يمكنك منحي بعض الوقت. يمكن أن تطرأ أمور في أثناء المقابلة... قد أحتاج إلى مراجعة بعض ردوده معك.

- أنا حقًّا، حقًّا أشك في ذلك. أوه، عليَّ إجراء مكالمة هاتفية قبل أن نذهب. سألحق بكِ في المكتب الخارجي.

- أود أن أترك معطفي ومظلتي هنا.

قال تشيلتون:

- هناك. أعطيهما لآلان في المكتب الخارجي. سيحفظهما من أجلك.

ارتدى آلان الزي الشبيه بالمنامة التي تُمنح لنزلاء المستشفى. كان يمسح منافض السجائر بذيل قميصه.

دوَّر لسانه حول باطن خده وهو يأخذ معطف ستارلِنج.

قالت:

- شكرًا.

سأل آلان:

- مرحبًا بكِ دائمًا. كم مرة تتبرزين؟

- ماذا قلت؟

- هل يخرج طويييييلًا؟

- سأعلق هذه في مكان ما بنفسي.

- ليس لديكِ أي شيء يعوق رؤيتك... أيمكنكِ الانحناء ومشاهدته يخرج ومعرفة هل يتغير لونه عندما يلفحه الهواء، هل تفعلين ذلك؟ هل يبدو كما لو أن لديكِ ذيلًا بنيًّا كبيرًا؟

لن يترك المعطف.

قالت ستارلِنج:

- دكتور تشيلتون يريدك في مكتبه الآن.

قال الدكتور تشيلتون:

- لا، أنا لا أريدك. ضع المعطف في الخزانة يا آلان، ولا تخرجه في أثناء

غيابنا. افعل ذلك. كانت لديَّ فتاة للأعمال المكتبية بدوام كامل، لكن تخفيضات الإنفاق سلبتني إياها. الآن الفتاة التي سمحت لك بالدخول تكتب على الآلة الكاتبة ثلاث ساعات في اليوم، ثم لديَّ آلان. أين ذهبت جميع فتيات الأعمال المكتبية يا آنسة ستارلِنج؟

ومضت نظارته في وجهها.

- هل أنتِ مسلَّحة؟

- لا، أنا لست مسلَّحة.

- هل يمكنني رؤية حقيبتَي يدك وأوراقك؟

- رأيت أوراق اعتمادي.

- وهي تقول إنكِ طالبة. دعيني أرَ أغراضكِ، من فضلك.

أجفلت كلاريس ستارلِنج عندما صفقت أولى البوابات الفولاذية الثقيلة منغلقة خلفها، ودخل المزلاج في مكانه. سار تشيلتون إلى الأمام قليلًا، في الممر المؤسساتي الأخضر المفعم بأجواء مطهر ليسول وصفق الأبواب البعيدة. كانت ستارلِنج غاضبة من نفسها، لأنها تركت تشيلتون يضع يده في حقيبتَي يدها وأوراقها، وكبحت غضبها بقوة حتى تتمكن من التركيز. لا بأس. شعرت بقدرتها على السيطرة صلبة تحتها، مثل قاع متين من الحصى في تيار مائي سريع.

قال تشيلتون من فوق كتفه:

- لِكتر مصدر هائل للإزعاج. يستغرق الأمر عشر دقائق على الأقل يوميًّا لإزالة الدبابيس السلكية من المنشورات التي يتلقاها. حاولنا إلغاء اشتراكاته أو تقليلها، لكنه كتب مذكرة دعوى وأبطلت المحكمة قرارنا. لطالما كان حجم بريده الشخصي ضخمًا. من حسن الحظ، فقد تضاءل منذ غطت عليه مخلوقات أخرى في الأخبار. لفترة من الوقت بدا أن كل طالب صغير يعد أطروحة للماجستير في علم النفس يريد فيها شيئًا من لِكتر. ما زالت

المجلات الطبية تنشر له، لكن لمجرد القيمة الشاذة التي تضفيها صفته بوصفه كاتب المقال.

قالت ستارلِنج:

- كتب مقالًا جيدًا عن الإدمان الجراحي في مجلة الطب النفسي الإكلينيكي، أعتقد ذلك.

- تعتقدين ذلك، أليس كذلك؟ حاولنا دراسة لِكتر. اعتقدنا أن «هذه فرصة لإجراء دراسة تاريخية»... فمن النادر جدًّا الحصول على واحدٍ منهم حيًّا.

- واحد ممَّن؟

- معتل اجتماعي محض، من الواضح أن هذا ما هو عليه. لكنه منيع، وشديد التطور بالنسبة إلى الاختبارات القياسية. و، يا إلهي، هل يكرهنا. يعتقد أنني نقمته. كروفورد ذكي جدًّا - أليس كذلك؟ - للاستعانة بكِ على لِكتر.

- ماذا تقصد يا دكتور تشيلتون؟

- امرأة شابة «كي تثيره»، أعتقد أنكم هكذا تُسمُّون الأمر. لا أعتقد أن لِكتر رأى امرأة منذ عدة سنوات، ربما لمح إحدى عاملات النظافة. بوجه عام نبقي النساء خارج هذا المكان. يشكِّلن مصدرًا للمتاعب في مكان الاحتجاز.

حسنًا اللعنة عليك يا تشيلتون.

- تخرجت مع مرتبة الشرف في جامعة فرجينيا يا دكتور. ليست كلية ساحرة.

- إذن لا بد أنكِ قادرة على تذكر القواعد: لا تمدي يدك خلال القضبان، لا تلمسي القضبان. لا تمرِّري له شيئًا إلا الورق المرن. لا أقلام، لا أقلام رصاص. لديه أقلامه الخاصة ذات السنون المصنوعة من اللباد لبعض الوقت. يجب أن تكون الورقة التي تمررينها له خالية من الدبابيس السلكية أو مشابك الورق أو الدبابيس. تُمرر الأغراض إليه فقط من خلال حامل الطعام المنزلق. تعود الأغراض من خلال حامل الطعام المنزلق. لا استثناءات. لا تقبلي أي شيء يحاول أن يمسكه لكِ عبر الحاجز. هل تفهمينني؟

- أفهم.

مرًّا عبر بوابتين أخريين، وتركا الضوء الطبيعي خلفهما. الآن تجاوزا أقسام المستشفى حيث يمكن للنزلاء الاختلاط معًا، إلى أسفل في المنطقة حيث لا نوافذ ولا اختلاط. أضواء الردهة مغطاة بشبكات ثقيلة، مثل الأضواء في غرف محركات السفن. تردد الدكتور تشيلتون تحت أحدها. عندما توقف وقع أقدامهما، تمكنت ستارلِنج أن تسمع في مكان ما وراء الجدار نهاية ممزقة لصوت أفسده الصراخ.

قال تشيلتون:

- لا يخرج لِكتر أبدًا من زنزانته من دون أن يرتدي قيودًا كاملة وأداة لغلق الفم. سأريكِ السبب. لقد كان نموذجًا للتعاون في السنة الأولى بعد إيداعه المصحة. تراخى الأمن من حوله قليلًا... كان هذا في ظل الإدارة السابقة، كما تفهمين. بعد ظهيرة يوم ٨ من يوليو، عام ١٩٧٦، اشتكى ألمًا في الصدر ونُقل إلى المستوصف. أُزيلت قيوده لتسهيل إجراء مخطط كهربائي للقلب. حين انحنت الممرضة عليه، فعل بها ذلك.

ناول تشيلتون كلاريس ستارلِنج صورة ثُنيت إحدى زواياها.

- تمكن الأطباء من إنقاذ إحدى عينيها. كان لِكتر متصلًا بشاشات الأجهزة طوال الوقت. كسر فكها ليصل إلى لسانها. لم يتجاوز نبضه خمسة وثمانين، حتى عندما ابتلعه.

لم تعرف ستارلِنج أيهما أسوأ، الصورة أم انتباه تشيلتون وهو يجمع قسمات وجهها بعينين سريعتين جشعتين. فكرت في دجاجة عطشى تلتقط الدموع من على وجهها.

قال تشيلتون:

- أحتفظ بلِكتر هنا.

وضغط زرًّا بجانب أبواب مزدوجة ثقيلة من الزجاج الآمن. سمح معاون مستشفى ضخم الحجم لهما بالدخول إلى المجمَّع الذي وراءه.

اتخذت ستارلِنج قرارًا صعبًا، وتوقفت داخل الأبواب تمامًا:

- دكتور تشيلتون، نحن حقًّا بحاجة إلى نتائج هذا الاختبار. إذا كان الدكتور

لِكتر يشعر بأنك عدوه - إذا اتخذ قراره بشأنك، كما قلت - فقد يكون لدينا مزيد من الحظ إذا توجهت إليه بمفردي. ما رأيك؟

اختلج خد تشيلتون:

- هذا يناسبني تمامًا. ربما كان عليكِ اقتراح ذلك في مكتبي. كان بإمكاني إرسال معاون معكِ وتوفير الوقت.

- كان بإمكاني اقتراح ذلك هناك إذا أطلعتني على الأمر هناك.

- لا أتوقع أنني سأراكِ مرة أخرى يا آنسة ستارلِنج. بارني، عندما تنتهي من لِكتر، اتصل بشخصٍ ما ليخرجها.

غادر تشيلتون من دون أن ينظر إليها مرة أخرى.

الآن لم يكن هناك إلا المعاون الضخم جامد الملامح، والساعة الصامتة خلفه، وخزانته المصنوعة من سلك متشابك، وبها بخاخة الدفاع عن النفس من إنتاج مايس، والأغلال، وقطعة غلق الفم، وبندقية التخدير. رف على الحائط يحمل جهازًا على شكل أنبوب طويل مع حرف «U» في نهايته لتكبيل الشخص العنيف إلى الحائط.

كان المعاون ينظر إليها:

- هل أخبركِ الدكتور تشيلتون، ألا تلمسي القضبان؟

كان صوته مرتفعًا وأجشَّ. ذكَّرها بالممثل ألدو راي.

- نعم أخبرني.

- حسنًا. إنها بعد الزنازين الأخرى، آخر زنزانة على اليمين. ابقي في منتصف الممر في أثناء مسيرك، ولا تأبهي لأي شيء. بوسعكِ أن تأخذي بريده، ابدئي ببادرة حسنة.

بدا المعاون مستمتعًا بينه وبين نفسه.

- فقط ضعيه في الصينية واتركيه ينزلق خلالها. إذا كانت الصينية بالداخل، فيمكنك سحبها مرة أخرى بالحبل، أو يمكنه إرسالها مرة أخرى. لا يمكنه الوصول إليكِ حيث تتوقف الصينية بالخارج.

أعطاها المعاون مجموعتين من المجلات، خرجت صفحاتهما التي فُكت من دبابيسها من مكانها، وثلاث صحف وكثيرًا من الرسائل المفتوحة.

بلغ طول الممر نحو ثلاثين ياردة، تحفُّه زنازين على كلا الجانبين. كان بعضها عبارة عن زنازين مبطنة لها نافذة مراقبة، طويلة وضيقة مثل شق الرماية في جدار قلعة، في وسط الباب. وبعضها الآخر عبارة عن زنازين عادية، لها جدار من القضبان يفتح على الممر. كانت كلاريس ستارلِنج واعية للأجسام في الزنازين، لكنها حاولت ألا تنظر إليها. وصلت إلى منتصف الطريق عندما هسهس صوت: «أستطيع أن أشم رائحة فرجكِ». لم تُعطِ أي إشارة إلى أنها سمعت ذلك، ومضت.

كانت الأنوار مضاءة في الزنزانة الأخيرة. تحركت نحو الجانب الأيسر من الممر لتنظر إليه وهي تقترب، عالمة أن كعبيها أعلنا عنها.

٣

كانت زنزانة الدكتور لِكتر أبعد بكثير من الزنازين الأخرى، لا تواجهها إلا خزانة عبر الممر، كما أنها فريدة من نواحٍ أخرى. الواجهة جدارٌ من القضبان، لكن داخل القضبان، على مسافة أكبر مما قد تمتد إليه يد الإنسان، حاجز ثانٍ، شبكة متينة من حبال النايلون تمتد من الأرض إلى السقف ومن الجدار إلى الجدار. خلف الشبكة، تمكنت ستارلِنج من رؤية طاولة مثبتة بالأرض تكدست عليها كومة عالية من الكتب والأوراق ذات الأغلفة المرنة، وكرسي منتصب الظهر مثبت أيضًا.

الدكتور هانيبال لِكتر بنفسه مضطجعًا على سريره الضيق، يطالع النسخة الإيطالية من مجلة فُوج. أمسك الصفحات التي فُكت منها الدبابيس في يده اليمنى ووضعها بجانبه واحدة تلو واحدة بيده اليسرى. لدى الدكتور لِكتر ست أصابع في يده اليسرى.

توقفت كلاريس ستارلِنج على مسافة قصيرة من القضبان، بطول ردهة مدخل صغيرة.

- دكتور لِكتر.

بدا صوتها على ما يرام بالنسبة إليها.

رفع بصره من قراءته.

لثانية مرهقة ظنت أن نظرته همهمت، لكنها لم تسمع إلا صوت دمها.

- اسمي كلاريس ستارلِنج. هل يمكنني التكلم معك؟

كانت اللباقة ضمنية في تباعدها وفي نبرتها.

تفكر الدكتور لِكتر، إصبعه ضاغطة على شفتيه المزمومتين. ثم قام بعد أن أخذ وقته وتقدم بسلاسة في قفصه، وتوقف على مسافة قصيرة من شبكة النايلون من دون أن ينظر إليها، كأنه اختار التباعد.

استطاعت أن ترى أنه صغير الحجم، أملس. رأت في يديه وذراعيه قوة شبيهة بقوتها.

قال:

- صباح الخير.

كأنه رد بعد فتح الباب. صوته الراقي مبطن بنبرة معدنية طفيفة، ربما من عدم الاستعمال.

عينا الدكتور لِكتر كستنائيتان، وتعكسان الضوء في نقاط دقيقة من اللون الأحمر. في بعض الأحيان تبدو نقاط الضوء كأنها تطير مثل الشرر إلى مركزه. استوعبت عيناه ستارلِنج بالكلية.

اقتربت أكثر من القضبان بمسافة محسوبة. انتصب شعر ساعديها وضغط على كمَّيها.

- دكتور، نحن نعاني مشكلة صعبة في التنميط النفسي. أريد أن أطلب منك المساعدة.

- «نحن» تعني قسم العلوم السلوكية في كوانتِكو. أنتِ واحدة من عملاء جاك كروفورد، كما أتوقع.

- نعم.

- هل يمكنني رؤية أوراق اعتمادك؟

لم تكن تتوقع هذا.

- أريتهم إياها في... المكتب.

- تقصدين أنك أريتها لفريدريك تشيلتون، حامل الدكتوراه؟

- نعم.

- هل رأيت أوراق \اعتماده؟

- لا.
- الأكاديميون لا ينخرطون في قراءة مكثفة، بوسعي أن أقول لكِ ذلك. هل قابلت آلان؟ أليس فاتنًا؟ أيٌّ منهما تفضلين التكلم معه؟
- بوجه عام، كنت لأقول آلان.
- يمكن أن تكوني مراسلة صحفية سمح لك تشيلتون بالدخول من أجل المال. أعتقد أنه يحق لي الاطلاع على أوراق اعتمادك.
- حسنًا.
رفعت بطاقة هويتها المغلفة.
- لا أستطيع قراءتها على هذه المسافة، مرريها من فضلك.
- لا يمكنني ذلك.
- لأنها صلبة.
- نعم.
- اطلبي من بارني.
جاء المعاون وفكر في الأمر.
- دكتور لِكتر، سأمرر هذه لك. لكن إذا لم تعِدها عندما أطلب منك ذلك - إذا كان علينا إزعاج الجميع وتأمينك للحصول عليه - فسأشعر بالضيق. إذا ضايقتني، عليك أن تبقى ملتفًّا بالأربطة حتى أشعر بتحسن تجاهك. وجبات الطعام خلال الأنبوب، حفاضات البالغين تُغيَّر مرتين في اليوم، أي جميع الإجراءات المتبعة. وسأعلق بريدك لمدة أسبوع. فهمت؟
- بالتأكيد، بارني.
تدحرجت البطاقة على الصينية المنزلقة، وأمسكها الدكتور لِكتر معرضة للضوء.
- متدربة؟ مكتوب «متدربة». أرسل جاك كروفورد متدربة لمقابلتي؟
نقر البطاقة بأسنانه البيضاء الصغيرة واستنشق رائحتها.
قال بارني:
- دكتور لِكتر.

- بالطبع بكل تأكيد.

أعاد البطاقة إلى حامل الصينية وسحبها بارني إلى الخارج.

قالت ستارلِنج:

- ما زلت تحت التدريب في الأكاديمية، نعم، لكننا لا نناقش مكتب التحقيقات الفدرالي، نحن نتكلم عن علم النفس. هل يمكنك أن تقرر بنفسك ما إذا كنت مؤهلة لما نتحدث عنه؟

قال الدكتور لِكتر:

- امممم. في الواقع... هذا مكرٌ منكِ. بارني، هل تعتقد أنه يمكن تقديم كرسي للضابطة ستارلِنج؟

- لم يخبرني الدكتور تشيلتون بأي شيء عن كرسي.

- ماذا يقول لك تهذيبك يا بارني؟

سألها بارني:

- هل ترغبين في كرسي؟ كان بوسعنا وضع كرسي، لكنه لم... حسنًا، عادة لا يحتاج أحد إلى البقاء فترة طويلة.

قالت ستارلِنج:

- نعم، شكرًا لك.

أحضر بارني كرسيًّا قابلًا للطي من الخزانة المقفلة عبر الردهة، نصبه، وغادرهما.

قال لِكتر، وهو يجلس إلى طاولته بالجنب ليواجهها:

- الآن، ماذا قال لك ميجز؟

- مَن؟

- «ميجز المتعدد»[1]، في الزنزانة هناك. هسهس لكِ، ماذا قال؟

- قال: «أستطيع أن أشم رائحة فرجكِ».

---

(١) «Multiple Miggs»: عُرف ميجز بهذا الاسم داخل المصحة لإصابته باضطراب تعدُّد الشخصية. (المترجمة).

- فهمت. أنا نفسي لا أستطيع. أنتِ تستخدمين كريم إيفيان للبشرة، وفي بعض الأحيان تضعين عطر «لير دو تان»، لكن ليس اليوم. اليوم أنتِ غير متعطِّرة عن قصد. ما شعوركِ تجاه ما قاله ميجز؟

- إنه عدائي لأسباب لم أستطع معرفتها. هذا سيئ للغاية. إنه عدائي تجاه الناس، والناس عدائيون تجاهه. إنها حلقة.

- هل أنتِ عدائية تجاهه؟

- أنا آسفة لأنه مضطرب. فيما عدا ذلك، فهو عنصر غير مرغوب فيه. كيف عرفت بمسألة العطر؟

- فاح من حقيبتك عندما أخرجتِ بطاقتك. حقيبتك جميلة.

- شكرًا لك.

- أحضرتِ أفضل حقيبة لديكِ، أليس كذلك؟

- بلى.

كان الأمر صحيحًا. لقد ادخرت لشراء حقيبة اليد الكلاسيكية غير الرسمية، وكانت أفضل شيء امتلكته.

- إنها أفضل بكثير من حذائك.

- ربما سيواكبها.

- ليس لديَّ شك في ذلك.

- هل أنت مَن رسم الرسومات على جدرانك يا دكتور؟

- هل تعتقدين أنني استدعيتُ مصمم ديكور؟

- اللوحة فوق الحوض لمدينة أوروبية؟

- إنها فلورنسا. هذا مبنى البلدية بلاتزو فيكيو والكاتدرائية، كما يُشاهدان من حصن بِلفِدير.

- هل فعلت ذلك من الذاكرة، كل التفاصيل؟

- الذاكرة يا ضابطة ستارلِنج، هي ما لديَّ بدلًا من منظر أطل عليه.

- اللوحة الأخرى تمثل عملية صلب؟ الصليب الأوسط فارغ.

- إنها تمثيل فني للجلجثة بعد إنزال المسيح من الصليب. قلم تلوين وقلم لباد على ورق تغليف اللحم. هذا ما حصل عليه اللص الذي وُعد بالجنة حقًّا، عندما أخذوا حَمَل الرب بعيدًا.

- وماذا كان ذلك؟

- كُسرت ساقاه للتعجيل بموته بالتأكيد، تمامًا مثل رفيقه الذي سخر من المسيح. هل أنتِ غافلة تمامًا عن إنجيل القديس يوحنا؟ انظري إلى رسم دوتشيو، إذن، إنه يرسم عمليات صلب دقيقة. كيف هو ويل جراهام؟ كيف يبدو؟

- أنا لا أعرف ويل جراهام.

- أنتِ تعرفين مَن هو. تلميذ جاك كروفورد المقرَّب. الشخص الذي سبقكِ. كيف يبدو وجهه؟

- لم أرَه قطُّ.

- هذا ما يُسمَّى «تذكر بعض اللمسات القديمة»[1] يا ضابطة ستارلِنج، لا تمانعين، أليس كذلك؟

---

(١) «cutting up a few old touches» و«touch up a few old cuts»: التعبير الأول يمكن ترجمته إلى «تشريح بعض الإنجازات القديمة»، وهو تعبير عامي من ثقافة النشالين، ويعني الحديث عن إنجازاتهم القديمة وعملياتهم البارعة الماضية وكيفية أدائها. وكلمة «touch» تعني المبلغ الذي حصل عليه النشال في عملية واحدة. تقوم عملية النشل على إلهاء الضحية بحدوث شيء آخر في وقت حدوث العملية نفسه. انظر كتاب *Cutting Up Touches: A Brief History of Pockets and the People Who Pick Them*، تأليف David Avadon، الصادر عن Squash Publishing، ٢٠٠٧، وقد ظهر مؤلف الكتاب في عروض تلفزيونية لشرح أساليب النشل على سبيل الترفيه عن المشاهدين. والتعبير الثاني يمكن ترجمته إلى «تنقيح بعض الثغرات القديمة»، محاولة من ستارلِنج للتذاكي والتلاعب بألفاظ عبارة لِكتر بالتبديل بين مواقع كلمات مكررة في الجملة لتغيير الموضوع والوصول إلى هدف زيارتها له، ولتحقيق هذا المقابل فضلت العبارتين المذكورتين في متن الترجمة على المعنى الصرف لتحقيق المقابل في اللغة العربية: «تذكر بعض اللمسات القديمة» باعتبار أن لِكتر يرى عمله لمسة إبداعية، ورد ستارلِنج عليه: «لمس بعض الذكريات القديمة». (المترجمة).

نبضات من صمت وغاصت في مكانها.

- أفضل من ذلك، يمكننا «لمس بعض الذكريات القديمة» هنا. أحضرتُ...

- لا، لا، هذا غباء وخطأ. لا تستخدمي التطرُّف أبدًا في الانتقال من موضوع إلى آخر. اسمعي، فهم الدعابة والرد عليها يجعلان الشخص موضوع بحثك يُجري مسحًا سريعًا، منفصلًا يجافي المزاج. إن «جسر المزاج»[1] هو ما نحرز عليه تقدمًا. كنتِ تحسنين صنعًا، لقد كنت لبقة ومتقبِّلة للباقة، كنت قد أرسيت دعائم الثقة بقول الحقيقة المحرجة بشأن ميجز، ثم غيرت الموضوع بطريقة خرقاء إلى استبيانك. لن يفلح هذا.

- دكتور لِكتر، أنت طبيب نفسي إكلينيكي متمرس. هل تعتقد أنني غبية بما يكفي لمحاولة إجراء نوع من خدع المزاج عليك؟ أعطني بعض التقدير. أطلب منك الإجابة عن الاستبيان، وستفعل ذلك أو لن تفعله. هل يضر أن تنظر في الأمر؟

- ضابطة ستارلِنج، هل قرأتِ أيًّا من الأوراق التي صدرت عن قسم العلوم السلوكية مؤخرًا؟

---

(١) «on the plank of mood»: عبارة فريدة، بالبحث لم أقف على ذكرها إلا في هذه الرواية، ويُعتقد أنها تلاعب بمجاز مستوحى من الأدبيات المسيحية وفقًا لكتاب *Religious Emblems*، تأليف William Holmes and John Warner Barber الصادر عام ١٨٥١، والذي رشحه المؤلف في مقاله (١٩٩٤) «An Ideal English Class Syllabus for 9th Graders»، وهي عبارة «plank of faith» (جسر الإيمان) التي تلاعبت بها الشاعرة إيميلي ديكنسون، التي يذكرها المؤلف في رواياته وفي المقال السابق، في قصيدتها «I felt a funeral in my brain» بقولها في المقطع الأخير: «And then a plank in reason, broke»، وتُفسر أن «إيميلي ديكنسون بعد أن نقضت الإيمان وضعت محله العقل الذي ينكسر لوحه لأنه لا يوجد تفسير منطقي يمكن أن يكون كافيًا لعبور جسر الهاوية بين الأرض والسماء» (وفقًا لسينثيا جرين وولف Cynthia Griffin Wolff في كتابها *Emily Dickinson*، ١٩٨٨، Da Capo Press، وبحسب المعجم الخاص بمفردات إيميلي ديكنسون، من معاني كلمة «plank»: الجسر الضيق). يستبعد لِكتر هنا جسر الإيمان وجسر العقل، ويضع محلهما جسر المزاج مجازًا يعتمد على حس اللباقة بينه وبين محاوره. جسر المزاج، لباقة لِكتر، هي ما تجعل القارئ يتفاعل معه. المصدر: موقع «A Connoisseur's Guide to The Silence of the Lambs». (المترجمة).

- نعم.
- وكذلك أنا. يرفض مكتب التحقيقات الفدرالي بغباء إرسال نشرة إنفاذ القانون إليَّ، لكنني أحصل عليها من تجار الأغراض المستعملة، ولديَّ الأخبار من كلية جون جاي للعدالة الجنائية والمجلات النفسية. إنهم يقسِّمون الأشخاص الذين يمارسون القتل المتسلسل إلى مجموعتين: منظمين وغير منظمين. ما رأيك في ذلك؟
- إنه... أوَّلي، من الواضح أنهم...
- سُذَّج هي الكلمة التي تريدينها. في الحقيقة، أغلب علم النفس صبياني يا ضابطة ستارلِنج، وما يُمارس في قسم العلوم السلوكية في مستوى علم الفراسة. لا يحصل علم النفس على مادة جيدة ليبدأ بها. اذهبي إلى أي قسم علم نفس في أي كلية وانظري إلى الطلاب وأعضاء هيئة التدريس: هواة مولعون بالتخاطب عبر اللاسلكي وغيرهم من المتحمسين مضطربو الشخصية. بالتأكيد ليست أفضل العقول في الحرم الجامعي. منظمون وغير منظمين - حقًّا فكرة نابعة من كائنات «تقتات على الرِّمم»[1] في هذا الصدد.
- كيف كنت لتغير التصنيف؟
- لم أكن لأغيره.
- بالحديث عن المنشورات، قرأت مقالاتك عن الإدمان الجراحي وتعبيرات الوجه على الجانبين الأيسر والأيمن.

قال الدكتور لِكتر:
- نعم، كانت من طراز رفيع.

---

(١) «bottom-feeder»: كائن في أدنى السلسلة الغذائية، يتغذى على القاذورات، مثل الأسماك التي تنظف قاع الحوض. التشبيه الحرفي متعمد لتوضيح الفرق، لأن الدكتور لِكتر آكل لحوم بشر. المعنى المجازي للمصطلح: كائنات منحطة وضيعة. (المترجمة).

- اعتقدت ذلك، وكذلك فعل جاك كروفورد. لقد نوَّه بها إليَّ. وهذا أحد أسباب قلقه لأنك...

- كروفورد الرواقي قلق؟ لا بد أنه مشغول إذا كان يجند المساعدة من الهيئة الطلابية.

- إنه مشغول، ويريد...

- مشغول مع بافالو بيل.

- أفترض ذلك.

- لا. ليس «أفترض ذلك». ضابطة ستارلِنج، أنتِ تعرفين جيدًا أنه بافالو بيل. اعتقدت أن جاك كروفورد قد أرسلكِ ليسألني عن ذلك.

- لا.

- إذن أنتِ لا تتحايلين للوصول إلى ذلك.

- لا، لقد أتيت لأننا نحتاج منك أن...

- ماذا تعرفين عن بافالو بيل؟

- لا أحد يعرف الكثير.

- هل نُشر كل شيء في الصحف؟

- أعتقد ذلك. دكتور لِكتر، لم أرَ أي مادة سرية حول هذه القضية، مهمتي هي...

- كم عدد النساء اللاتي استخدمهن بافالو بيل؟

- عثرت الشرطة على خمس.

- كلهن منتزَعات الجلد؟

- جزئيًّا، نعم.

- لم توضح الصحف اسمه قَطُّ. هل تعرفين لماذا سُمِّي بافالو بيل؟

- نعم.

- أخبريني.

- سأخبرك إذا كنت ستلقي نظرة على هذا الاستبيان.
- سألقي نظرة، هذه نهاية الموضوع. الآن، لماذا؟
- بدأ الأمر على أنه مزحة سيئة في قسم جرائم القتل في كانساس سيتي.
- نعم...؟
- يُسمُّونه بافالو بيل لأنه يسلخ حدبة ظهور ضحاياه[١].

اكتشفت ستارلِنج أنها قايضت الشعور بالخوف بالشعور بالرُّخص. من بين الاثنين، فضلت الشعور بالخوف.

- مرري الاستبيان.

مررت ستارلِنج الجزء الأزرق خلال الصينية المنزلقة. جلست ثابتة بينما تصفحه لِكتر سريعًا.

أسقطه مرة أخرى في الصينية الناقلة.

- أوه، يا ضابطة ستارلِنج، هل تعتقدين أن بإمكانك تشريحي بهذه الأداة الصغيرة الثَّلِمة؟
- لا، أعتقد أن بإمكانك تقديم بعض الرؤى وتحسين هذه الدراسة.
- وما السبب المحتمل الذي قد يدفعني إلى فعل ذلك؟
- الفضول.
- بشأن ماذا؟
- بشأن سبب وجودك هنا. بشأن الذي حدث لك.
- لم يحدث لي شيء يا ضابطة ستارلِنج. أنا الذي حدثت. لا يمكنكِ اختزالي إلى مجموعة من التأثيرات. لقد تخليتِ عن مفهوم الخير والشر في سبيل المقاربة السلوكية يا ضابطة ستارلِنج. لقد ألبستِ كل شخص حفاضات أخلاقية - لا شيء على الإطلاق نتيجة خطأ أي شخص. انظري إليَّ يا ضابطة ستارلِنج. هل أنتِ على استعداد لقول إنني شرير؟ هل أنا شرير يا ضابطة ستارلِنج؟

---

(١) بافالو بيل اسم شهرة لشخصية حقيقية في الغرب الأمريكي الأوسط، اشتهر ببراعته في صيد قطعان كاملة من جاموس البيسون الأمريكي البري محدب الظهر. (المترجمة).

- أعتقد أنك كنت مدمِّرًا. بالنسبة إليَّ إنه الشيء نفسه.
- الشر مدمِّر فقط؟ إذن العواصف شريرة، إذا كان الأمر بهذه البساطة. ومن ثَمَّ لدينا النار، وبعد ذلك هناك الوابل. يُجمِل متعهدو التأمين ضد المخاطر كل هذا تحت عنوان «أفعال الرب».
- تعمُّد...
- أجمع أخبار انهيارات الكنائس، على نحو ترفيهي. هل رأيت أحدثها في صقلية؟ مذهل! سقطت الواجهة على خمس وستين جَدَّة في قداس خاص. هل كان هذا شرًّا؟ إذا كان الأمر كذلك، فمَن الذي فعله؟ إذا كان **هو** هناك بالأعلى، **فهو** يحب الأمر فحسب يا ضابطة ستارلِنج. حُمَّى التيفوئيد والبجع، كل هذا يأتي من المكان نفسه.
- لا أستطيع أن أفسِّرك يا دكتور، لكني أعرف مَن يستطيع.

أوقفها بيده المرتفعة. كانت اليد بهية، كما لاحظت، والإصبع الوسطى مستنسخة على نحو مثالي. إنها أندر أشكال حالة كثرة الأصابع.

عندما تحدَّث مرة أخرى، كانت نبرة صوته ناعمة وسارَّة.

- تريدين تحديدي كمِّيًّا يا ضابطة ستارلِنج. أنتِ شديدة الطموح، أليس كذلك؟ هل تعرفين كيف تبدين لي، بحقيبتك الجيدة وحذائك الرخيص؟ تبدين مثل شخص ريفي ساذج. أنتِ ريفية ساذجة نُظِّفت جيدًا، وتسعى لتحقق أغراضها بالاحتيال، وتتمتع بقليل من الذوق. عيناك تشبهان الأحجار الرخيصة المرتبطة بالأبراج الفلكية، كل ما على السطح يلمع عندما تلاحقين إجابة صغيرة. وأنتِ ذكية خلفهما، أليس كذلك؟ يائسة كي لا تكوني مثل والدتك. لقد أعطتك التغذية الجيدة بعض الطول في العظام، لكنكِ لست أكثر من جيل واحد لا ينتمي إلى طبقة العمَّال يا ضابطة ستارلِنج. هل أنتِ من عائلة ستارلِنج المنحدرة من وِست فرجينيا أم من عائلة ستارلِنج المهاجرة من أوكلاهوما، يا ضابطة؟ كان الأمر قرعة بين الدراسة الجامعية والفرص في فيلق الجيش النسائي، أليس كذلك؟ دعيني أخبرك بشيء

محدد عن نفسك يا طالبة ستارلِنج. هناك في غرفتك، لديك سلسلة ذهبية من الخرزات التي يمكن زيادة عددها[1] وتشعرين بصدمة صغيرة بشعة عندما تنظرين إلى مدى ابتذالها الآن، أليس كذلك؟ كل عبارات الشكر المملة تلك، السماح بكل هذا التحسس الأخرق المحض، كل خرزة تعبر عن التلطخ بممارسة الجنس مرة واحدة. مضجر. مضجر. مملللللللل. كونكِ ذكية يفسد كثيرًا من الأمور، أليس كذلك؟ والذوق الراقي ليس لطيفًا. عندما تفكرين في هذه المحادثة، ستتذكرين الألم البادي على وجه الحيوان الغبي عندما تخلصتِ منه.

إذا أصبحت حبات الإضافة مبتذلة، ما الذي سيصبح مبتذلًا أيضًا وأنتِ تجارين الأمور؟ هكذا تتساءلين أليس كذلك، في الليل؟

ألقى الدكتور لِكتر السؤال بأنعم نبرات صوته.

رفعت ستارلِنج رأسها لمواجهته.

- أنت ترى الكثير يا دكتور لِكتر. لن أنكر أي شيء قلتَه. لكن ها هو ذا سؤال تجيبني عنه الآن، سواء أكنت تقصد ذلك أم لا: هل أنت قوي بما يكفي لتوجيه بصيرتك عالية القدرة إلى نفسك؟ من الصعب مواجهة الأمر. لقد اكتشفتُ ذلك في الدقائق القليلة الماضية. ما رأيك في ذلك؟ انظر إلى نفسك واكتب الحقيقة. أيمكنك أن تجد موضوعًا أكثر ملاءمة وتعقيدًا؟ أو ربما تخاف نفسَك.

- أنتِ جبارة، أليس كذلك يا ضابطة ستارلِنج؟

- إلى حدٍّ معقول، بلى.

- وأنت تكرهين الاعتقاد بأنكِ رخيصة. ألن يؤلم هذا؟ يا للعجب! حسنًا، أنتِ بعيدة عن أن تكوني رخيصة يا ضابطة ستارلِنج. كل ما لديكِ هو

---

(١) «Add-a-bead»: قلادة الخرزات المضافة، كانت شائعة في أوائل الثمانينيات، وهي سلسلة تضاف إليها خرزات ذهبية أو لآلئ، وكل خرزة تعبر عن الاحتفال بمناسبة ما أو ذكرى سنوية أو تكريم. (المترجمة).

الخوف من ذلك. ما قياس خرزات سلسلتك القابلة للزيادة، سبعة ملليمترات؟

- سبعة.

- دعيني أقدم اقتراحًا. احصلي على بعض الخرزات من حجر عين النمر السائبة المثقوبة، وأدخليها في السلسلة بالتناوب مع الخرزات الذهبية. قد ترغبين في وضع اثنتين من هذه وثلاث من تلك أو واحدة واثنتين، أيًّا ما يبدو أفضل بالنسبة إليك. ستلتقط خرزات عين النمر لون عينيك والخصل ذات اللون المميز في شعرك. هل أرسل إليك أحد من قبل هدية عيد الحب؟

- نعم.

- نحن بالفعل في الصوم الكبير. عيد الحب بعد أسبوع فقط، همم، هل تتوقعين الحصول على هدية ما؟ مكتبة سُر مَن قرأ

- أنت لا تعرف أبدًا.

- لا، أنتِ لا تحصلين على هدية أبدًا... كنت أفكر في عيد الحب. إنه يذكرني بشيء مضحك. الآن وأنا أفكر في الأمر، بوسعي أن أجعلك سعيدة للغاية في عيد الحب، كلاريس ستارلِنج.

- كيف يا دكتور لِكتر؟

- بأن أرسل إليكِ هدية رائعة في عيد الحب. عليَّ أن أفكر في الأمر. الآن من فضلك اسمحي لي. وداعًا يا ضابطة ستارلِنج.

- والدراسة؟

- أحد مندوبي الإحصاء حاول قياسي كمِّيًّا ذات مرة. أكلت كبده مع بعض الفول الأخضر ونبيذ أماروني به نسبة عالية من الكحول. عودي إلى المدرسة يا ستارلِنج الصغيرة.

هانيبال لِكتر، مهذب حتى النهاية، لم يدِر لها ظهره. تراجع عن الحاجز قبل أن يستدير إلى سريره الضيق مرة أخرى، وباستلقائه عليه، أصبح متباعدًا عنها مثل محارب صليبي حجري ممدد على قبر.

شعرت ستارلِنج بالخواء فجأة، كما لو كانت قد تبرعت بالدم. استغرقت وقتًا أطول مما ينبغي لإعادة الأوراق إلى حقيبة أوراقها لأنها لم تثق بساقيها على الفور. كانت ستارلِنج مشبَّعة بالإخفاق الذي كرهته. طوت كرسيها وأسندته إلى باب خزانة الأدوات. كان عليها أن تمر بميجز مرة أخرى. من بعيد، بدا بارني يقرأ. بإمكانها مناداته ليأتي من أجلها. اللعنة على ميجز. لم يكن الأمر أسوأ من المرور بطواقم عمَّال البناء أو عمَّال التوصيل الأغبياء كل يوم في المدينة. بدأت العودة إلى الممر.

قريبًا إلى جانبها، هسهس صوت ميجز:

- عضضت معصمي حتى أستطيع دييييييي - أترين كيف ينزف؟

كان ينبغي لها أن تنادي بارني، لكنها نظرت، مشدوهة، إلى الزنزانة، ورأت ميجز ينفض أصابعه وشعرت بالرذاذ الدافئ على خدها وكتفها قبل أن تتمكن من الالتفات بعيدًا.

ابتعدت عنه، وأدركت أنه منيٌّ وليس دمًا، وكان لِكتر يناديها، أمكنها سماعه. صوت الدكتور لِكتر من ورائها، والنبرة المعدنية فيه أكثر وضوحًا.

- ضابطة ستارلِنج.

كان قد نهض مناديًا عليها في أثناء سيرها. فتشت في حقيبتها بحثًا عن مناديل.

من خلفها:

- ضابطة ستارلِنج.

استعادت قدرتها الباردة على التحكم الآن، وتقدمت بثبات نحو البوابة.

- ضابطة ستارلِنج.

نداء جديد بصوت لِكتر.

توقفت. لماذا بحق الرب أريد هذا إلى هذه الدرجة؟ هسهس ميجز شيئًا لم تستمع إليه.

وقفت مرة أخرى أمام زنزانة لِكتر ورأت المشهد النادر للطبيب منفعلًا. عرفت أن بإمكانه أن يشم المنيَّ عليها. بإمكانه شم كل شيء.

- لم أكن لأسمح أن يحدث هذا لكِ. الجلافة بالنسبة إليَّ فظيعة بما يستعصي على الوصف.

كان الأمر كما لو أن ارتكاب جرائم قتل قد طهره من فظاظة أقل. أو ربما، كما اعتقدت ستارلِنج، كان من دواعي سروره أن يراها مميزة بهذه الطريقة الخاصة. لم يكن بوسعها أن تعرف. تطايرت الشرارات في عينيه إلى أعماق ظلامه مثل اليراعات في أعماق كهف.

أيًّا كان الأمر، استفيدي منه، بحق يسوع! رفعت حقيبة أوراقها.

- من فضلك افعل هذا من أجلي.

ربما تأخرَت كثيرًا. كان هادئًا مرة أخرى.

- لا، لكني سأجعلكِ سعيدة لأنك أتيت. سأمنحكِ شيئًا آخر. سأمنحك ما تحبينه أكثر مما عداه، كلاريس ستارلِنج.

- ما هو يا دكتور لِكتر؟

- التقدم بالتأكيد. إنه مُرضٍ بكل ما تحمله الكلمة من معنى. أنا سعيد للغاية. جعلني عيد الحب أفكر فيه.

قد تكون الابتسامة التي لاحت على أسنانه البيضاء الصغيرة ناجمة عن أي سبب. تحدث بهدوء شديد إلى درجة أنها بالكاد سمعت:

- ابحثي في سيارة راسبايل عن هديتكِ لعيد الحب. هل سمعتِني؟ ابحثي في سيارة راسبايل عن هديتكِ لعيد الحب. من الأفضل أن تذهبي الآن، لا أعتقد أن بوسع ميجز أن ينجح في فعلها مرة أخرى قريبًا، حتى إذا كان مجنونًا، هل تعتقدين ذلك؟

٤

كانت كلاريس ستارلِنج ثائرة، مستنزَفة، تستمد طاقتها من إرادتها. كانت بعض الأمور التي قالها لِكتر عنها صحيحة، وبعضها متشبثًا بالحقيقة فحسب. لبضع ثوانٍ شعرت بوعي غريب طليق في رأسها، يلطم الأشياء من على الرفوف مثل دب في عربة تخييم.

كرهت ما قاله عن والدتها، وكان عليها أن تتخلص من الغضب. كان هذا عملًا.

جلست في سيارتها القديمة من طراز «بِنتو» عبر الشارع من المستشفى، وتنفست بعمق. عندما تضبَّبت النوافذ، حصلت على قليل من الخصوصية التي حجبتها عن الرصيف.

راسبايل. تذكرت الاسم. كان أحد مرضى لِكتر وأحد ضحاياه. لديها أمسية واحدة فقط مع المراجع التي تشكِّل خلفية لِكتر. الملف ضخم وراسبايل واحد من كثير من الضحايا. يجب عليها قراءة التفاصيل.

أرادت ستارلِنج أن تُهرَع متحمسة لفعل ذلك، لكنها علمت أن الحاجة الملحة كانت من اختلاقها. أُغلقت قضية راسبايل منذ سنوات. لم يكن أحد مُعرَّضًا للخطر. ما زال لديها وقت. من الأفضل أن تُطلع على الأمر جيدًا وأن تُزوَّد بنصائح مفيدة قبل أن تمضي إلى أبعد من ذلك.

قد يأخذ كروفورد المهمة منها ويعطيها إلى شخص آخر. كان عليها أن تغتنم هذه الفرصة.

حاولت الاتصال به من كشك الهاتف، لكنها اكتشفت أنه كان يتسول الميزانية من وزارة العدل أمام اللجنة الفرعية للاعتمادات بمجلس النواب.

كان بوسعها أن تحصل على تفاصيل القضية من قسم جرائم القتل بإدارة شرطة بالتيمور، لكن القتل ليس جريمة فدرالية، وعرفت أنهم سينتزعونها بعيدًا عنها فورًا، من دون شك.

قادت السيارة عائدة إلى كوانتِكو، عائدة إلى قسم العلوم السلوكية بستائره المنزلية ذات المربعات البنية وملفاته الرمادية المليئة بالعذاب. جلست هناك حتى حل المساء، بعد مغادرة آخر سكرتيرة، لاختراق الميكروفيلم الخاص بلِكتر. توهج جهاز العرض القديم العاكس مثل يقطينة الهالوين في الغرفة المعتمة، الكلمات والصور السلبية تتوالى عبر وجهها المُصر. كان راسبايل، بِنجامِن رينيه، ذكرًا أبيض، ٤٦ عامًا، عازف الفلوت الأول في أوركسترا بالتيمور الفيلهارموني، أحد مرضى عيادة الدكتور هانيبال لِكتر للطب النفسي.

في ٢٢ من مارس عام ١٩٧٥، تخلف عن الظهور في إحدى الحفلات الموسيقية في بالتيمور. في ٢٥ من مارس، اكتُشفت جثته جالسة في مقعد في كنيسة ريفية صغيرة بالقرب من مدينة فولز تشيرتش بولاية فرجينيا، مرتديًا فقط ربطة عنق بيضاء وسترة سهرة رسمية طويلة الذيل. وكشف التشريح عن ثقب في قلب راسبايل، وأن جثته خالية من الغدة الزعترية والبنكرياس.

كلاريس ستارلِنج، التي عرفت منذ بدايات حياتها أكثر بكثير مما كانت ترغب في معرفته عن تجهيز اللحوم، تعرَّفت على الأعضاء المفقودة على أنها «فواكه اللحوم»[1].

يعتقد قسم جرائم القتل في بالتيمور أن هذه العناصر ظهرت في قائمة العشاء

(١) «sweetbreads» (الخبز الحلو): الاسم المذكور في قائمة الطعام في المطاعم أو في المطبخ بدلًا من الاسم الحقيقي أو العلمي للطعام. هذا الاسم يعبر عن أجزاء البلعوم والحلق والرقبة، وأيضًا عن البنكرياس أو المعدة أو الأحشاء. يمكن أن يقابله الاسم العربي «فواكه اللحوم» أو «حلويات اللحوم». (المترجمة).

الذي قدمه لِكتر لرئيس أوركسترا بالتيمور الفيلهارموني وقائدها: في الأمسية التي أعقبت اختفاء راسبايل.

صرح الدكتور هانيبال لِكتر بأنه لا يعرف شيئًا عن هذه الأمور. شهد رئيس الأوركسترا الفيلهارموني وقائدها أنهما لا يستطيعان تذكر الأطعمة في عشاء الدكتور لِكتر، على الرغم من أن لِكتر كان معروفًا بامتياز طاولة طعامه، وأسهم بكثير من المقالات في مجلات الذواقة.

بعد ذلك، عولج رئيس الأوركسترا الفيلهارموني من فقدان الشهية والمشكلات المتعلقة بإدمان الكحول في مصحة للعلاج الشامل للأعصاب في بازل.

كان راسبايل الضحية التاسعة المعروفة للِكتر، وفقًا لشرطة بالتيمور.

توفِّي راسبايل من دون ترك وصية، وتابعت الصحف الدعاوى القضائية بين أقاربه بشأن التركة لعدد من الأشهر قبل أن تبرز المصلحة العامة.

انضم أقارب راسبايل أيضًا إلى عائلات الضحايا الآخرين في عيادة لِكتر في دعوى قضائية ناجحة لتدمير ملفات وأشرطة الحالات التي يعالجها الطبيب النفسي المنحرف. لا يمكن التنبؤ بالأسرار المحرجة التي قد يثرثر بها، فاز منطقهم، واعتُبرت الملفات وثائق.

عينت المحكمة إيفريت ياو، محامي راسبايل، قيِّمًا على ممتلكاته.

سيتعين على ستارلِنج التقدم إلى المحامي للوصول إلى السيارة. قد يكون المحامي وقائيًّا تجاه ذكرى راسبايل، وقد يدمر، مع إشعار سابق كافٍ، الأدلة للتستر على موكله الراحل.

فضلت ستارلِنج أن تنقض، واحتاجت إلى المشورة والتأهيل. كانت وحيدة في قسم العلوم السلوكية ولديها حرية التحرك في المكان. وجدت رقم منزل كروفورد في أداة مكتبية دوارة لحفظ البطاقات من طراز «رولودكس».

لم تسمع رنين الهاتف بالمرة، لكن فجأة كان صوته هناك شديد الهدوء والثبات:

- جاك كروفورد.

- أنا كلاريس ستارلِنج. أرجو أنك لم تكن تتناول العشاء...
كان عليها أن تواصل ردًّا على الصمت.
- ... أخبرني لِكتر شيئًا عن قضية راسبايل اليوم، أنا في المكتب أتابع الأمر. أخبرني بأن هناك شيئًا ما في سيارة راسبايل. سأضطر إلى الوصول إليها من خلال محاميه، ولأن غدًا السبت - لا دراسة - أردت أن أسألك إذا...
- ستارلِنج، هل تتذكرين ما أخبرتك بأن تفعليه بمعلومات لِكتر؟
كان صوت كروفورد هادئًا للغاية.
- أعطيك تقريرًا بحلول الساعة التاسعة يوم الأحد.
- افعلي ذلك يا ستارلِنج. افعلي ذلك بالضبط.
- نعم سيدي.
لدغت النغمة التي تلت إغلاق الخط أذنها. انتشرت اللدغة على وجهها، وجعلت عينيها تحترقان.
قالت: «حسنًا أيها المقرف اللعين. أيها الخائف العجوز. يا ابن العاهرة المذعور. دع ميجز يقذف عليك ولنرَ إلى أي مدى سيعجبك ذلك».

كانت ستارلِنج، بعد أن نظفت نفسها تمامًا وارتدت ملابس النوم المخصصة لأكاديمية مكتب التحقيقات الفدرالي، تعمل على المسودة الثانية لتقريرها عندما جاءت زميلتها في السكن، أرديليا ماب، من المكتبة. كان محيًّا ماب العريض والبني وفائق العقلانية أحد أكثر المشاهد التي ترحب بها في يومها.
رأت أرديليا ماب التعب في وجهها.
- ماذا فعلتِ اليوم يا فتاة؟
لطالما طرحت ماب الأسئلة كما لو أن الإجابات لا يمكن أن تحدِث فرقًا محتملًا.
- تملقت رجلًا مجنونًا والمنيُّ يغطيني.
- أتمنى لو أنني امتلكت وقتًا لحياة اجتماعية، لا أعرف كيف تتدبرين الأمر، والمدرسة أيضًا.

اكتشفت ستارلِنج أنها كانت تضحك. ضحكت أرديليا ماب معها، بقدر ما استحقت النكتة الصغيرة الضحك. لم تتوقف ستارلِنج، وسمعت نفسها من بعيد تضحك وتضحك. من خلال دموع ستارلِنج، بدت ماب عجوزًا على نحو غريب، وضمت ابتسامتها حزنًا بداخلها.

٥

جاك كروفورد، البالغ من العمر ثلاثة وخمسين عامًا، يقرأ على كرسي مريح بجانب مصباح منخفض في غرفة النوم بمنزله. يواجه زوجين من الأسِرَّة، رُفع كلاهما على قوالب إلى ارتفاع أسِرَّة المستشفى. واحد له، والآخر ترقد فيه زوجته بيلَّا. بوسع كروفورد سماع صوتها وهي تتنفس خلال فمها. لقد مر يومان منذ آخر مرة تمكنت فيها من الحركة أو الحديث معه.

فوَّتت نفَسًا. يرفع كروفورد بصره عن كتابه، فوق نظارته. يضع الكتاب جانبًا. تتنفس بيلَّا مرة أخرى، رفرفة ثم نفَسًا كاملًا. ينهض ليضع يده عليها، ليقيس ضغط دمها ونبضها. على مدى الأشهر أصبح خبيرًا في جهاز قياس ضغط الدم.

لأنه لن يتركها في الليل، وضع سريرًا لنفسه بجانبها. ولأنه يمد يده إليها في الظلام، فسريره مرتفع مثل سريرها.

باستثناء ارتفاع السريرين والحد الأدنى من الترتيبات الجسمانية اللازمة لراحة بيلَّا، تمكن كروفورد من منع المكان أن يبدو كأنه غرفة مريض. هناك زهور، لكن ليست كثيرة. لا أقراص دواء ظاهرة للعيان، فقد أفرغ كروفورد خزانة البياضات في الردهة وملأها بأدويتها وأجهزتها قبل أن يحضرها إلى المنزل من المستشفى. (كانت هذه المرة الثانية التي يحملها فيها عبر عتبة ذلك المنزل، وكادت الفكرة تسلبه شجاعته وقوته).

هبت كتلة هوائية دافئة من الجنوب. النوافذ مفتوحة وهواء فرجينيا عليل ومنعش. تنقُّ الضفادع الصغيرة لبعضها في الظلام.

الغرفة شديدة النظافة، لكن السجادة بدأت تزغب، فلن يُشغل كروفورد المكنسة الكهربائية الصاخبة في الغرفة، ويستخدم مكنسة سجاد يدوية ليست جيدة بالقدر نفسه. يتجه نحو الخزانة ويضيء النور. لوحان مشبكيَّان معلقان على الجهة الداخلية من الباب. على أحدهما، دوَّن نبض بيلَّا وضغط دمها. تتناوب أرقامه وأرقام الممرضة النهارية في عمود يمتد على كثير من الصفحات الصفراء، عدة أيام وليالٍ. على اللوح المشبكي الآخر، وقعت ممرضة النوبة النهارية على أدوية بيلَّا.

كروفورد قادر على إعطاء أي دواء قد تحتاج إليه في الليل. وفقًا لتوجيهات الممرضة، تدرب على إعطاء الحقن على ثمرة ليمون ثم على فخذيه قبل أن يحضرها إلى المنزل.

وقف كروفورد مشرفًا عليها ربما لمدة ثلاث دقائق، وهو ينظر إلى وجهها. وشاح جميل من نسيج متموج حريري يغطي شعرها مثل عمامة. أصرت على ذلك، للمدة التي تمكنت فيها من الإصرار. الآن هو يصر على ذلك. يرطب شفتيها بالجلسرين، ويزيل قذاة من زاوية عينها بإبهامه العريضة. إنها لا تتحرك. لم يحِن الوقت بعد كي يقلبها.

في المرآة، أكد كروفورد لنفسه أنه ليس مريضًا، وأنه ليس مضطرًّا إلى الذهاب إلى باطن الأرض معها، وأنه هو نفسه بصحة جيدة. يضبط نفسه يفعل هذا ويخجله الأمر.

بعد العودة إلى كرسيه لا يستطيع أن يتذكر ما كان يقرأه. يتحسس الكتب التي بجانبه ليعثر على الكتاب الدافئ.

٦

في صباح الاثنين، وجدت كلاريس ستارلِنج هذه الرسالة من كروفورد في صندوق بريدها:

ك. س:

تابعي أمر سيارة راسبايل. في وقتك الخاص. سيوفر لك مكتبي رقم بطاقة ائتمان للمكالمات بعيدة المدى. تشاوري معي قبل التعامل مع أي تركة أو الذهاب إلى أي مكان. قدمي تقريرًا يوم الأربعاء في الساعة ١٦٠٠.

حصل المدير على تقريرك عن لِكتر ممهورًا بتوقيعك. أحسنتِ صنعًا.

ج. ك

العميل الخاص المسؤول/ القسم ٨

تحسن شعور ستارلِنج كثيرًا. عرفت أن كروفورد كان يعطيها فأرًا منهكًا لتضربه

في سبيل التدريب. لكنه أراد أن يعلمها. أراد لها أن تحسن صنعًا. بالنسبة إلى ستارلِنج، يتفوق هذا على اللباقة في كل مرة.

لقد كان راسبايل ميتًا منذ ثمانية أعوام. ما الدليل الذي قد يستمر في السيارة كل هذا الوقت؟

عرفت من تجربة عائلية أنه بسبب انخفاض قيمة السيارات بسرعة كبيرة، فإن محكمة الاستئناف ستسمح للورثة ببيع السيارة قبل إثبات صحة الوصايا، وتذهب الأموال إلى حساب مجمد في عهدة الوصي. بدا من غير المحتمل أنه حتى تركة متشابكة ومتنازع عليها مثل ملكية راسبايل، ستحتفظ بالسيارة هذه المدة الطويلة.

هناك أيضًا مشكلة الوقت. باحتساب استراحة الغداء، لدى ستارلِنج ساعة وخمس عشرة دقيقة يوميًا حرة لاستخدام الهاتف خلال ساعات العمل. عليها أن تقدم تقريرًا إلى كروفورد بعد ظهر الأربعاء. لذا كان لديها ما مجموعه ثلاث ساعات وخمس وأربعون دقيقة لتتبع السيارة، موزعة على ثلاثة أيام، إذا استخدمت فترات دراستها وتعوض الدراسة في الليل.

احتفظت بملاحظات جيدة من فصول دراسة إجراءات التحقيق، وستكون لديها فرصة لطرح أسئلة عامة على مدربيها.

خلال غداء يوم الاثنين، وضع الموظفون في محكمة مقاطعة بالتيمور اتصال ستارلِنج على الانتظار ونسوها ثلاث مرات. خلال فترة دراستها، وصلت إلى كاتب ودود في المحكمة، أخرج سجلات الوصاية على تركة راسبايل.

أكد الكاتب أن الإذن مُنح لبيع سيارة، وأعطى ستارلِنج طراز السيارة ورقمها التسلسلي، واسم المالك اللاحق من سند نقل الملكية.

يوم الثلاثاء، ضيعت نصف الساعة المخصص لغدائها في محاولة مطاردة هذا الاسم. كلفها الأمر بقية فترة الغداء لتكتشف أن إدارة السيارات في ماريلاند غير مجهزة لتتبع مركَبة برقم تسلسلي، بل تتتبع المركبات فقط من خلال رقم التسجيل أو رقم اللوحة الحالية.

بعد ظهر يوم الثلاثاء، دفعت الأمطار الغزيرة المتدربين إلى الدخول من ميدان الرماية. في غرفة اجتماعات مشبعة ببخار ملابس رطبة وعرق، اختار جون بريجهام، مدرب الأسلحة النارية سابقًا بالبحرية، اختبار قوة يد ستارلِنج أمام الفصل بمعرفة كم مرة يمكنها جذب الزناد على مسدس سميث أند وِسُن طراز ١٩ في ستين ثانية.

تمكنت من ذلك أربعًا وسبعين مرة بيدها اليسرى، ونفخت خصلة من الشعر بعيدًا عن عينيها، وبدأت من جديد بيدها اليمنى بينما تولى طالب آخر العد. اتخذت وقفتها أسلوب ويفر لإطلاق النار، حسنة التأهب، تركيزها حاد على مدى الرؤية الأمامية، مدى الرؤية الخلفية وهدفها المؤقت غائمان وفقًا للأصول. في منتصف دقيقتها، تركت عقلها يهيم للتخلص من الألم. أصبح الهدف الموجود على الحائط واضحًا. لقد كانت شهادة تقدير من قسم إنفاذ التجارة بين الولايات مقدمة إلى مدربها، جون بريجهام.

طرحت الأسئلة على بريجهام بجانب فمها بينما أحصى الطالب الآخر طقطقات المسدس.

- كيف يمكنك تتبع رقم التسجيل الحالي...
- ... خمسة وستون ستة وستون سبعة وستون ثمانية وستون...
- ... لسيارة عندما يكون لديك فقط الرقم التسلسلي...
- سبعة وسبعون ثمانية وسبعون تسعة وسبعون ثمانون واحد وثمانون...
- ... والطراز؟ ليس لديك رقم لوحة حالي.
- ... ثمانية وتسعون. انتهى الوقت.

قال المدرب:

- حسنًا يا جماعة، أريدكم أن تسجلوا ذلك. قوة اليد عامل رئيسي في قتال بإطلاق النار. بعضكم أيها السادة قلقون من أنني سأنادي اسمه للدور التالي. مخاوفكم مبررة، ستارلِنج أعلى بكثير من المتوسط بكلتا يديها. هذا لأنها تتدرب على الأمر. إنها تتدرب مع الأشياء الصغيرة القابلة للضغط

التي يمكنكم جميعًا الوصول إليها. معظمكم ليس معتادًا الضغط على أي شيء أقسى من...

ولأنه دائم اليقظة تجاه مصطلحاته الأصلية من مشاة البحرية، بحث عن تشبيه مهذب:

- بثوركم.

كما قال أخيرًا:

- اعملوا بجدية. يا ستارلِنج، أنتِ لست جيدة بما يكفي أيضًا. أريد أن أرى تلك اليد اليسرى تطلق أكثر من تسعين قبل تخرجك. شكِّلوا مجموعات من الأزواج، وسجلوا الوقت لبعضكم بعضًا - أسرعوا.

ليس أنتِ يا ستارلِنج، تعالي إلى هنا. ماذا لديكِ أيضًا بشأن السيارة؟

- فقط الرقم التسلسلي والطراز، هذا كل شيء. مالك سابق منذ خمس سنوات.

- حسنًا، اسمعي. حيث يفـ... يقع معظم الأشخاص في الخطأ بمحاولة القفز خلال سجلات التسجيل من مالك إلى المالك التالي. ستقعين في الأخطاء بين الولايات. أعني، حتى رجال الشرطة يفعلون ذلك أحيانًا. وأرقام التسجيل وأرقام اللوحات هي كل ما تحصل عليه أجهزة الكمبيوتر. اعتدنا جميعًا استخدام أرقام اللوحات أو أرقام التسجيل، وليست الأرقام التسلسلية للمركبة.

كان صوت طقطقة مسدسات التدريب ذات المقبض الأزرق مرتفعًا في جميع أنحاء الغرفة، وكان عليه أن يرعد في أذنيها.

- هناك طريقة واحدة سهلة. شركة ر. ل. بولك وشركاه، التي تنشر سجلات الأدلة المفهرسة للمدينة، كما أنها تضع قائمة بأرقام التسجيلات الحالية للسيارات بالطراز والرقم التسلسلي المتتالي. إنه المكان الوحيد. يوجه تجار السيارات إعلاناتهم معهم. كيف عرفتِ أن بإمكانكِ أن تسأليني؟

- لقد كنت مسؤولًا تنفيذيًا لدى لجنة التجارة بين الولايات، توقعت أنك تتبعت كثيرًا من المركبات. شكرًا.
- ردي إليَّ الخدمة. ارفعي تلك اليد اليسرى إلى حيث يجب أن تكون، ودعينا نخجل من بعض هذه الأصابع الرقيقة.

بالعودة إلى كشك هاتفها في أثناء فترة الدراسة، ارتعشت يداها حتى أصبحت ملاحظاتها بالكاد مقروءة. كانت سيارة راسبايل من طراز «فورد». بالقرب من جامعة فرجينيا تاجر يتعامل في سيارات فورد فعل ما في وسعه بصبر مع سيارتها البِنتو لسنوات. الآن، وبالصبر نفسه تمامًا، بحث التاجر في قائمته الخاصة من إصدار بولك من أجلها. عاد إلى الهاتف باسم وعنوان آخر شخص سُجلت ملكيته لسيارة بِنجامِن راسبايل.

كلاريس على طريق النجاح، كلاريس بيدها السيطرة. كفي عن السخافة واتصلي بالرجل في منزله في، دعيني أرَ، منطقة نمبر ناين ديتش، ولاية أركنساس. لن يسمح لي جاك كروفورد بالذهاب إلى هناك أبدًا، لكن على الأقل يمكنني أن أؤكد مَن الذي حصل على المركبة.

لا إجابة، ومرة أخرى لا إجابة. بدا رنين الاتصال غريبًا وبعيدًا، إيقاع مزدوج كسول مثل خطوط الخدمة الهاتفية المشتركة في الريف. حاولت في الليل ولم تحصل على إجابة.

في فترة الغداء يوم الأربعاء، رد رجل على اتصال ستارلِنج:
- راديو دابليو بي أو كيو يُشغل الأغنيات القديمة.
- مرحبًا، أنا أتصل بـ...
- أنا غير مهتم بأي ألومنيوم لكساء الجدران، ولا أريد أن أعيش في أي ساحة مقطورات في فلوريدا، ماذا لديكِ أيضًا؟

سمعت ستارلِنج كثيرًا من أصداء تلال أركنساس في صوت الرجل.
باستطاعتها التحدث مع أي شخص إذا أرادت ذلك، وكان وقتها قصيرًا.

- نعم يا سيدي، إذا كان بوسعك مساعدتي فسأكون ممتنة جدًّا. أحاول التواصل مع السيد لوماكس باردْوِل... هذه كلاريس ستارلِنج...

صرخ الرجل لبقية الأفراد في منزله:

- إنها ستارلِنج، شخصٌ ما.

ماذا تريدين من باردْوِل؟

- هنا المكتب الإقليمي للمنطقة الجنوبية الوسطى لقسم استعادة فورد؟ يحق له الحصول على بعض أعمال الضمان على سيارته من طراز «LTD» معفاة من المصاريف؟

- أنا باردْوِل. اعتقدت أنكِ كنت تحاولين بيع شيء لي على هذه المكالمة الهاتفية الرخيصة بعيدة المدى. لقد فات الأوان لإجراء أي ضبط، أحتاج إلى سيارة بأكملها. كنت أنا وزوجتي في ليتل روك، نخرج من ساوثلاند مول هناك...

- نعم يا سيدي.

- يخرج القضيب اللعين من خزان الزيت. سال الزيت في كل مكان وشاحنة شركة أوركِن لمكافحة الآفات تلك التي تعلوها حشرة كبيرة؟ ضرب السائق هذا الزيت وانحرفت الشاحنة إلى الجانب.

- الرب رحيم.

- صدمت كشك فوتومات لتحميض الصور على الكتل الخرسانية فسقط الزجاج. خرج رجل فوتومات وهو يترنح مشوشًا. كان لا بد من إبقائه بعيدًا عن الطريق.

- حسنًا، كنت لأفعل ذلك. ماذا حدث لها بعد ذلك؟

- ماذا حدث لماذا؟

- للسيارة.

- أخبرتُ بادي سيبِر في ساحة الخردة بأن بوسعه الحصول عليها مقابل خمسين دولارًا إذا كان سيأتي لأخذها. أتوقع أنه قد حولها إلى أجزاء.

- هل يمكن أن تخبرني برقم هاتفه يا سيد باردْوِل؟
- ماذا تريدين من سيبِر؟ إذا حصل أي شخص على شيء منها، فلا بد أن يكون أنا.
- أفهم ذلك يا سيدي. أنا فقط موظفة أفعل ما يقولونه لي حتى الساعة الخامسة، وقالوا اعثري على السيارة. هل لديك هذا الرقم، من فضلك؟
- لا يمكنني العثور على دفتري الخاص بأرقام الهاتف. لقد اختفى منذ فترة طويلة الآن. تعرفين كيف هي الحال مع هؤلاء الأحفاد الصغار. يجب على السنترال أن يعطيكِ الرقم، إنه سيبِر سالفاج.
- ممتنة كثيرًا يا سيد باردْوِل.

أكدت ساحة الخردة أن السيارة قد جُرِّدت وضُغطت في مكعب لإعادة تدويرها. قرأ كبير العمَّال على ستارلِنج الرقم التسلسلي للسيارة من سجلاته.

ذلك المختل المخبول، فكرت ستارلِنج، من دون أن تتخلص تمامًا من اللهجة. طريق مسدود. يا لها من هدية لعيد الحب.

أراحت ستارلِنج رأسها على صندوق العملات المعدنية البارد في كشك الهاتف. أرديليا ماب، حاملة كتبها مقابل وركها، نقرت على باب الكشك وناولتها مشروب أورانج كراش.

- ممتنة كثيرًا يا أرديليا. يجب أن أُجري مكالمة أخرى. إذا تمكنتُ من الانتهاء من ذلك في الوقت المناسب، فسألحق بكِ في الكافيتريا، حسنًا؟

قالت ماب:

- كنت آمل بشدة أن تتغلبي على تلك اللهجة المروعة. الكتب متاحة لمساعدتك. أنا لم أعد أستخدم قَطُّ اللهجة المميزة لمشروع الإسكان الذي عشت فيه. إذا تكلمتِ بهذه الطريقة المتلعثمة، فسيقول الناس إنكِ تستمتعين بصحبة الأغبياء، أيتها الفتاة.

أغلقت ماب باب كشك الهاتف.

شعرت ستارلِنج بأنه كان عليها محاولة الحصول على مزيد من المعلومات

من لِكتر. لو أن الأمر ما زال مسندًا إليها بالفعل، فربما يسمح لها كروفورد بالعودة إلى المصحة. اتصلت برقم الدكتور تشيلتون، لكنها لم تتجاوز سكرتيرته.

قالت المرأة:

- الدكتور تشيلتون مع الطبيب الشرعي ومساعد المدعي العام. لقد تحدث بالفعل إلى المشرف عليكِ وليس لديه ما يقوله لكِ. وداعًا.

٧

قال كروفورد:

- صديقكِ ميجز مات. هل أخبرتِني بكل شيء يا ستارلِنج؟

كان وجه كروفورد المتعب حساسًا للإشارات مثل حلقة الريش حول وجه مقعر لبومة، وعديم الرحمة مثلها.

- كيف؟

شعرَت بالخدر، وكان عليها التعامل مع الأمر.

- ابتلع لسانه قبل بزوغ النهار بقليل. أوحى لِكتر إليه بذلك، كما يعتقد تشيلتون. سمع المعاون الليلي لِكتر يتكلم بهدوء مع ميجز. عرف لِكتر الكثير عن ميجز. تكلم معه بعض الوقت، لكن المعاون الليلي لم يستطع سماع ما قاله لِكتر. كان ميجز يبكي فترة، ثم توقف. هل أخبرتِني بكل شيء يا ستارلِنج؟

- نعم يا سيدي. بين التقرير ومذكرتي، هناك كل شيء، بالحرف تقريبًا.

- اتصل تشيلتون ليشتكيكِ...

انتظر كروفورد، وبدا سعيدًا عندما لم تسأل.

- أخبرته بأنني وجدت سلوكك مُرضيًا. يحاول تشيلتون الحيلولة دون إجراء تحقيق بشأن الحقوق المدنية.

- هل سيُجرى تحقيق؟

- بالتأكيد، إذا أرادت عائلة ميجز ذلك. من المحتمل أن يجري قسم الحقوق المدنية ثمانية آلاف تحقيق هذا العام. سيكونون سعداء بإضافة ميجز إلى القائمة.

تأملها كروفورد.

- هل أنتِ بخير؟

- لا أعرف كيف أشعر حيال ذلك.

- لستِ مضطرة إلى الشعور على نحو معين حيال ذلك. لقد فعل لِكتر ذلك لتسلية نفسه. يعرف أنهم لا يستطيعون المساس به حقًّا بشأن الأمر، فلمَ لا؟ أخذ تشيلتون كتبه ومقعد المرحاض الخاص به فترة من الوقت ليس أكثر، ولا يحصل على حلوى الجيلي.

وضع كروفورد أصابعه فوق معدته وقارن إبهاميه.

- سألكِ لِكتر عني، أليس كذلك؟

- سأل إذا كنتَ مشغولًا. قلتُ نعم.

- أهذا كل شيء؟ ألم تغفلي عن أي شيء شخصي لأنني لن أود رؤيته؟

- بلى، لقد قال إنك رواقي، لكني ذكرت ذلك في التقرير.

- نعم فعلتِ. لا شيء آخر؟

- لا، أنا لم أغفل عن أي شيء. أنت لا تعتقد أنني قايضتُ نميمة من نوعٍ ما، ولهذا تكلمَ معي.

- لا.

- لا أعرف أي شيء شخصي عنك، وإذا فعلتُ فلن أناقشه. إذا كانت لديك مشكلة في تصديق ذلك، فلنكن صريحين بشأن الأمر الآن.

- أنا راضٍ. الموضوع التالي.

- ظننتَ شيئًا ما، أو...

- تابعي إلى الموضوع التالي يا ستارلِنج.

- تلميح لِكتر حول سيارة راسبايل طريق مسدود. هُرست بتحويلها إلى مكعب قبل أربعة أشهر في منطقة نمبر ناين ديتش، ولاية أركنساس، وبيعت لإعادة التدوير. ربما إذا عدتُ وتكلمت معه، فسيخبرني بالمزيد.

- هل استنفدتِ الدليل؟

- نعم.
- لماذا تعتقدين أن السيارة التي قادها راسبايل كانت سيارته الوحيدة؟
- كانت السيارة الوحيدة المسجلة، كان أعزب، افترضتُ أن...
- آها، توقفي.

أشارت سبابة كروفورد إلى مبدأ غير مرئي في الهواء بينهما.

- افترضتِ. افترضتِ يا ستارلِنج. انظري هنا.

كتب كروفورد \افترض على مفكرة من ورق أصفر مسطر. التقط كثير من مدربي ستارلِنج هذا من كروفورد واستخدموه، لكن ستارلِنج لم تكشف أنها شاهدته من قبل.

بدأ كروفورد في التأكيد:

- إذا \افترضتِ حين أرسلكِ في مهمة يا ستارلِنج، فيمكنك أن تستخلصي أن كلينا \أنا و\أنتِ أحمقان.

استند إلى الخلف، في رضا.

- جمع راسبايل السيارات، هل تعلمين ذلك؟
- لا، هل ما زالت في التركة؟
- لا أعرف. هل تعتقدين أن بإمكانك معرفة ذلك؟
- نعم أستطيع.
- من أين ستبدئين؟
- من الوصي على التركة.

قال كروفورد:

- على ما أتذكر أنه محامٍ في بالتيمور، صيني.

قالت ستارلِنج:

- إيفريت ياو. إنه مسجل في دليل هاتف بالتيمور.
- هل فكرتِ في مسألة الحصول على مذكرة تفتيش سيارة راسبايل؟

في بعض الأحيان، كانت نبرة كروفورد تذكِّر ستارلِنج باليرقة التي تعرف كل شيء في كتاب لويس كارول.

لم تجرؤ ستارلِنج على إعادة الأمر، كثيرًا. تلت درسها:

- نظرًا إلى أن راسبايل ميت ولا يُشتبه فيه بشأن أي شيء، إذا حصلنا على إذن من الوصي على تركته بتفتيش السيارة، فهذا تفتيش سليم، وثمرة التفتيش دليل مقبول في مسائل أخرى قانونًا.

قال كروفورد:

- بالضبط. سأخبركِ بشيء: سأُخطر المكتب الميداني في بالتيمور بأنكِ ستكونين هناك. السبت، يا ستارلِنج، في وقتكِ الخاص. اذهبي واستشعري الثمرة، إن وُجدت.

بذل كروفورد جهدًا صغيرًا وناجحًا لعدم تتبعها ببصره في أثناء مغادرتها. من سلة مهملاته، رفع بين أصابعه لفيفة من ورق رسائل بنفسجي ثقيل. نشرها على مكتبه. كانت بشأن زوجته، كُتبت بخطٍّ جذاب:

أيها المتجادلون، الباحثون في طبيعة النار
التي ستحرق هذا العالم، تعوزكم الفطنة
حتى تطمحوا إلى بلوغ هذه المعرفة
أن الحُمَّى التي أصابتها قد تكون تلك النار؟[١]

أنا آسف جدًّا بشأن بيلَّا يا جاك.

هانيبال لِكتر

(١) من قصيدة «The Fever» (الحُمَّى) لجون دُن. ويستند فيها الشاعر إلى لغة إنجيلية مستوحاة من رسالة بولس الثانية، الإصحاح الثالث، الآية السابعة: «وأما السماوات والأرض الكائنة الآن، فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار». (المترجمة).

٨

قاد إيفريت ياو سيارة بوِيك سوداء على زجاجها الخلفي ملصق جامعة دي بول. أضفى وزنه على السيارة البوِيك ميلًا طفيفًا جهة اليسار بينما تبعته كلاريس ستارلِنج خارج بالتيمور تحت المطر. حلَّ الظلام تقريبًا. كاد يوم ستارلِنج بوصفها محققة يوشك على الانتهاء، ولم يكن لديها يوم آخر لتعويضه. تعاملت مع نفاد صبرها، بنقر عجلة القيادة مع إيقاع المساحات الأمامية بينما كانت حركة المرور تزحف على الطريق ٣٠١.

كان ياو ذكيًّا، بدينًا ويعاني مشكلة في التنفس. خمنت ستارلِنج أنه في الستين من عمره. كان متعاونًا حتى الآن. اليوم الضائع لم يكن خطأه، بعد عودته في وقت متأخر بعد الظهر من رحلة عمل لمدة أسبوع إلى شيكاغو، جاء محامي بالتيمور مباشرة من المطار إلى مكتبه لمقابلة ستارلِنج.

أوضح ياو أن سيارة راسبايل الباكار الكلاسيكية قد خُزنت قبل وفاته بوقت طويل. لم تكن مرخصة ولم يقُدها أحد قَطُّ. رآها ياو مرة واحدة، مغطاة وفي المخزن، لتأكيد وجودها في جرد التركة الذي قام به بعد فترة وجيزة من مقتل موكله. قال إن المحققة ستارلِنج إذا وافقت على «الكشف في الحال» عن أي شيء تجده قد يضر بمصالح موكله الراحل، فإنه سيريها السيارة. لن تكون هناك ضرورة لمذكرة ولضجة المرافقة.

كانت ستارلِنج تستمتع باستخدام واحدة من أسطول سيارات بليموث التابع لمكتب التحقيقات الفدرالي يومًا واحدًا مع هاتف محمول، كما حصلت على

بطاقة هوية جديدة وفرها كروفورد. كُتب عليها ببساطة **محقق فدرالي** - وانتهت صلاحيتها بعد أسبوع، كما لاحظت.

كانت وجهتهما مخازن شركة سبلِت سيتي للمخازن الصغيرة، على بُعد نحو أربعة أميال من حدود المدينة. زحفًا مع حركة المرور، استخدمت ستارلِنج هاتفها لمعرفة ما يمكنها فعله بشأن منشأة التخزين. بحلول الوقت الذي رصدت فيه اللافتة البرتقالية المرتفعة، **سبلِت سيتي للمخازن الصغيرة - أنت الذي تحتفظ بالمفتاح**، كانت قد عرفت بعض الحقائق.

حصلت شركة سبلِت سيتي على رخصة وكيل شحن من لجنة التجارة بين الولايات، باسم برنارد جاري. أفلت جاري بصعوبة من هيئة محلفين فدرالية كبرى لنقله البضائع المسروقة بين الولايات قبل ثلاث سنوات، وكانت رخصته قيد المراجعة.

انعطف ياو أسفل اللافتة، وأظهر مفاتيحه لشاب تكسو البثور وجهه ويرتدي زيًّا موحدًا للعاملين عند البوابة. سجل حارس البوابة أرقام رخصتيهما، فتح البوابة ولوَّح بنفاد صبر، كما لو أن لديه أمورًا أهم ليفعلها.

مخازن سبلِت سيتي مكان موحش تهب الرياح في أنحائه. تشبه رحلة الأحد التي تحمل الراغبين في الطلاق السريع يوم الأحد من مطار لا جوارديا إلى مدينة خواريز[1]، فهي صناعة خدمات للحركة البراونية العشوائية الطائشة بين سكاننا، معظم أعمالها قائمة على تخزين منقولات الطلاق المقسمة. وحداتها مكدسة بأثاث غرف المعيشة، وأطقم المائدة للإفطار، والمراتب المبقعة،

---

(١) يمكن الحصول على الطلاق أسرع من أي مكان آخر في بعض مدن وولايات أمريكا. فبدلًا من الانتظار أسابيع أو شهورًا، يمكن الحصول على الطلاق في غضون يومين أو حتى في اليوم نفسه. لكن منذ أكثر من ٥٠ عامًا، كان بوسع الراغبين في الطلاق السفر إلى مدينة خواريز بالمكسيك، والحصول على الطلاق ليس فقط في اليوم نفسه ولكن بثمن بخس جدًّا، ولا يهم أنهم ليسوا على أرض الولايات المتحدة. تغير هذا القانون عام ١٩٧٠، لكنه لا يزال ماثلًا في الذاكرة جيدًا. لذا فإن رحلة الطلاق يوم الأحد هي طائرة خاصة تأخذ أزواجًا للطلاق في مدن بعيدة. المصدر: صحيفة نيويورك تايمز. (المترجمة).

والألعاب، وصور علاقات لم تنجح. من المعتقد على نطاق واسع بين ضباط مقاطعة بالتيمور أن مخازن سبلِت سيتي تخفي أيضًا تعويضات جيدة وقيِّمة من محاكم الإفلاس.

إنها تشبه منشأة عسكرية: ثلاثون فدانًا من المباني الطويلة مقسمة بجدران عازلة للحريق إلى وحدات بحجم مرأب كبير لسيارة واحدة، لكلٍّ منها باب يرتفع بالدوران فوق مستوى الرأس. المعدلات معقولة وبعض الممتلكات ظلت هناك سنوات. الأمن جيد. المكان محاط بصف مزدوج من سياج الصلب المتشابك، ودوريات الكلاب بين الأسوار على مدى أربع وعشرين ساعة في اليوم.

تكدست ست بوصات من أوراق الشجر الرطبة، مختلطة بأكواب ورقية ونفايات صغيرة، على قاع باب وحدة تخزين راسبايل، رقم ٣١. أمَّن قفل ضخم كل جانب من الباب. كما أن رتاج الجانب الأيسر عليه ختم. انحنى إيفريت ياو بمشقة فوق الختم. حملت ستارلِنج المظلة ومصباحًا يدويًا، والظلام في بداياته.

قال:

- لا يبدو أنه فُتح منذ أن كنت هنا قبل خمس سنوات. ترين انطباع ختم موثق العقود الخاص بي هنا في الغلاف البلاستيكي. لم تكن لديَّ أي فكرة في ذلك الوقت أن الأقارب سيكونون مشاكسين إلى هذا الحد وسيطيلون أمد الوصاية سنوات عديدة.

حمل ياو المصباح اليدوي والمظلة بينما التقطت ستارلِنج صورة للقفل والختم.

قال:

- كان لدى السيد راسبايل مكتب-استوديو في المدينة، وقد أغلقته لإنقاذ التركة من دفع الإيجار. أحضرت المفروشات هنا وخزنتها مع سيارة راسبايل وأشياء أخرى كانت موجودة بالفعل. أحضرنا بيانو قائمًا وكتبًا وتسجيلات موسيقية وسريرًا، على ما أعتقد.

جرب ياو مفتاحًا. قال:

- ربما تجمدت الأقفال. على الأقل هذا القفل صلب جدًّا.

كان من الصعب عليه الانحناء والتنفس في الوقت نفسه. عندما حاول أن يجلس القرفصاء، طقطقت ركبتاه.

سَرَّ ستارلِنج أن ترى أن الأقفال المنفصلة كبيرة ومصنوعة من الكروم بمعايير أمريكية. بدت رائعة، لكنها عرفت أن بإمكانها إخراج الأسطوانات النحاسية بسهولة بواسطة مسمار لولبي معدني ومطرقة مجهزة لنزع المسامير، أراها والدها كيف يفعل اللصوص ذلك عندما كانت طفلة. تكمن المشكلة في إيجاد المطرقة والمسمار، لم تستفِد حتى من الخردة المقيمة في سيارتها البِنتو.

فتشت في حقيبتها ووجدت رذاذ مزيل الجليد الذي استخدمته على أقفال باب سيارتها البِنتو.

- هل تود أن تستريح ثانية في سيارتك يا سيد ياو؟ لماذا لا تستدفئ بضع دقائق، وسأحاول العمل على تلك الأقفال. خذ المظلة، المطر مجرد رذاذ الآن.

حركت ستارلِنج السيارة البليموث الخاصة بمكتب التحقيقات الفدرالي بالقرب من الباب لاستخدام مصابيحها الأمامية. سحبت عصا قياس عمق الزيت من السيارة، وقطَّرت الزيت في فتحات مفاتيح الأقفال، ثم رشَّت مزيل الجليد لتخفيف الزيت. ابتسم السيد ياو وأومأ برأسه من سيارته. سُرَّت ستارلِنج لأن ياو كان رجلًا ذكيًّا. بإمكانها أداء مهمتها من دون أن تبعده.

حلَّ الظلام الآن. شعرت بأنها مكشوفة في وهج المصابيح الأمامية للسيارة البليموث وصرير سيْر المروحة في أذنيها بينما ظل محرك السيارة يعمل. لقد أغلقت السيارة وهي في وضع التشغيل. بدا السيد ياو غير مؤذٍ، لكنها لم ترَ أي سبب لترك فرصة لإمكانية هرسها على الباب.

قفز القفل في يدها مثل الضفدع واستقر بها مفتوحًا، ثقيلًا ودهنيًّا. القفل الآخر، بعد تشرُّبه بالزيت، كان أسهل.

لم يرتفع الباب. رفعت ستارلِنج المقبض حتى تراقصت النقاط المضيئة أمام عينيها. جاء ياو للمساعدة، لكن ما بين المقبض الصغير غير الملائم للباب والفتق الذي يعانيه، لم يبذلا إلا قليلًا من القوة الإضافية.

اقترح السيد ياو:

- قد نعود الأسبوع المقبل مع ابني أو مع بعض العمَّال. أود كثيرًا أن أعود إلى المنزل قريبًا.

لم تكن ستارلِنج متأكدة تمامًا أنها ستعود إلى هذا المكان. ستكون متاعب كروفورد أقل إذا التقط الهاتف وحسب وجعل مكتب بالتيمور الميداني يتعامل معه.

- سيد ياو، سأكون سريعة. هل لديك منصة رافعة في هذه السيارة؟

مع وجود الرافعة أسفل مقبض الباب، استخدمت ستارلِنج وزنها أعلى مفتاح الربط الذي استُخدم كمقبض رافعة. صرَّ الباب بفظاعة وارتفع نصف بوصة. بدا أنه ينثني إلى أعلى في المنتصف. ارتفع الباب بمقدار بوصة ثانية وثالثة حتى تمكنت من إدخال الإطار الاحتياطي تحته لتثبيته، بينما حركت رافعة السيد ياو ورافعتها على جانبَي الباب، ووضعتهما تحت الحافة السفلية، بالقرب من المسارين اللذين يمر الباب بهما.

بالتناوب عند الرافعتين على كل جانب، حركت الباب ببطء إلى أعلى بمقدار قدم ونصف القدم، حيث حُشِر متصلبًا ولم يكن ليرفعه وزنها الكامل على مقابض الرافعة.

جاء السيد ياو ليلقي نظرة معها تحت الباب. يمكنه الانحناء بضع ثوانٍ فحسب في كل مرة.

قال:

- الرائحة بالداخل مثل رائحة الفئران. لقد تأكدت أنهم استخدموا سم القوارض هنا. أعتقد أن ذلك مذكور تحديدًا في العقد. قالوا إن القوارض غير مألوفة تقريبًا. لكنني أسمعها، ألا تسمعينها؟

قالت ستارلِنج:

- أسمعها.

باستخدام مصباحها اليدوي، أمكنها التقاط صناديق كرتونية وإطار سيارة عريض أسود بواجهة بيضاء تحت حافة غطاء من القماش. كان الإطار فارغًا من الهواء.

ناورت بالسيارة البليموث حتى أضاء جزء من نسق ضوء المصباح ما تحت الباب، وأخرجت فرشًا مطاطيًّا من أرضيتها.

- هل ستدخلين إلى هناك يا ضابطة ستارلِنج؟

- يجب أن ألقي نظرة يا سيد ياو.

أخرج منديله.

- هل لي أن أقترح عليك ربط أصفادكِ على نحو مريح حول كاحليكِ؟ لمنع تطفل الفئران.

- شكرًا لك يا سيدي، هذه فكرة جيدة جدًّا. سيد ياو، إذا نزل الباب، هاها، أو حدث شيء آخر، فهل ألتمس لطفك للاتصال بهذا الرقم؟ إنه مكتبنا الميداني في بالتيمور. إنهم يعلمون أنني هنا معك الآن، وسينزعجون إذا لم يسمعوا خبرًا مني بعد قليل، هل تفهمني؟

- نعم، بالطبع. أفعل ذلك بالتأكيد.

أعطاها مفتاح السيارة الباكار.

وضعت ستارلِنج الفرش المطاطي على الأرض المبتلة أمام الباب واستلقت عليه، ضمت يدها عبوة من أكياس الأدلة البلاستيكية فوق عدسة كاميرتها وأصفادها مربوطة على نحو مريح بمنديل ياو ومنديلها. سقطت غشاوة من المطر على وجهها، ورائحة العفن والفئران كانت قوية في أنفها. كان ما خطر لستارلِنج، بسخافة، عبارة لاتينية.

كتبها على السبورة مُحاضر الطب الشرعي الذي درَّس لها في أول أيامها في التدريب، كان شعار الطبيب الروماني: *Primum non nocere*. أولًا لا تُحدث ضررًا.

لم يقل ذلك في مرأب مليء بالفئران اللعينة.
فجأة صوت والدها يتحدث إليها ويده على كتف شقيقها:
- إذا كنتِ لا تستطيعين اللعب من دون صراخ يا كلاريس، فاذهبي إلى المنزل.
أحكمت ستارلِنج زر الياقة في بلوزتها، وضغطت كتفيها حول رقبتها وانزلقت تحت الباب.
كانت تحت مؤخرة السيارة الباكار، التي صُفَّت بالقرب من الجانب الأيسر للمخزن، تكاد تلامس الحائط.
تكدست الصناديق الكرتونية عاليًا على الجانب الأيمن من المكان، مما ملأ الفراغ بجانب السيارة. تلوَّت ستارلِنج على ظهرها حتى خرج رأسها من الفجوة الضيقة المتبقية بين السيارة والصناديق. سلطت مصباحها اليدوي على الواجهة المنحدرة للصناديق. نسجت كثير من العناكب شباكها في الفضاء الضيق. عناكب غازلة مدارية، في الغالب، كانت الشِّباك منقطة بجثث ذاوية صغيرة مربوطة بإحكام.
حسنًا، عنكبوت الناسك البني هو النوع الوحيد الذي يستدعي القلق، وهو لن يبني في مساحة مفتوحة، هكذا قالت ستارلِنج لنفسها. الباقي لا يسبب تورُّمًا كبيرًا.
ستكون هناك مساحة للوقوف بجانب الرفرف الخلفي. تلوَّت في المكان حتى خرجت من تحت السيارة، ووجهها قريب من إطار السيارة العريض الأسود ذي الواجهة البيضاء. كان مخضبًا بالعفن الجاف. يمكنها أن تقرأ على الإطار الكلمات «GOODYEAR DOUBLE EAGLE» التي ترمز إلى طراز الإطار والشركة المصنعة له. توخت الحذر مخافة إصابة رأسها؛ وقفت على قدميها في المساحة الضيقة، يدها أمام وجهها لتمزيق شباك العنكبوت. هل كان هذا شعور ارتداء طرحة العروس؟
صوت السيد ياو من الخارج:
- هل أنت بخير يا آنسة ستارلِنج؟
قالت:



- بخير.

اتسمت نبرة صوتها باندفاعات متعجلة، وتسلق شيء ما داخل البيانو فوق بضع نغمات عالية. أضاءت أنوار السيارة من الخارج ساقيها حتى الربلتين. قال السيد ياو:

- إذن وجدتِ البيانو يا ضابطة ستارلِنج.

- لم يكن هذا أنا.

- أوه.

كانت السيارة كبيرة وطويلة وممتدة. ليموزين باكار طراز ١٩٣٨، وفقًا لجرد ياو. غُطيت بسجادة، وجهها المخملي إلى أسفل. وجهت مصباحها اليدوي فوقها.

- هل غطيت السيارة بهذه السجادة يا سيد ياو؟

صرخ ياو تحت الباب:

- لقد وجدتها على هذه الحال ولم أكشفها قَطُّ، لا يمكنني التعامل مع سجادة مغبرة. هكذا تركها راسبايل. تأكدتُ فحسب من وجود السيارة هناك. وضع عمَّال النقل الذين استعنت بهم البيانو على الحائط وغطوه وكدسوا مزيدًا من الصناديق بجانب السيارة وغادروا. كنت أدفع لهم بالساعة. الصناديق بها نوتات موسيقية وكُتب، على الأغلب.

كانت السجادة سميكة وثقيلة وحين جذبَتها انتشر الغبار في شعاع مصباحها. عطست مرتين. وقفت على رؤوس أصابعها، تمكنت من طي السجادة حتى منتصف السيارة القديمة الطويلة. شُدَّت الستائر في النوافذ الخلفية. اكتسى مقبض الباب بالغبار. كان عليها الانحناء إلى الأمام فوق الصناديق الكرتونية للوصول إليه. بلمس طرف المقبض فقط، حاولت قلبه إلى أسفل. مقفل. لم يكن هناك ثقب مفتاح في الباب الخلفي. يجب عليها نقل كثير من الصناديق للوصول إلى الباب الأمامي، وكان هناك مكان صغير لعين لوضعها. تمكنت من رؤية فجوة صغيرة بين الستارة وقائم النافذة الخلفية.

اتكأت ستارلِنج على الصناديق لتضع عينها على مقربة من الزجاج وتسلط

ضوءها من خلال الشق. لم تتمكن من رؤية شيء سوى انعكاسها حتى ضمت يدها فوق الضوء. تحرك جزء رفيع من الشعاع، مشتتٌ بفعل الزجاج المترب، عبر المقعد. أُلقي ألبوم مفتوح على المقعد. كانت الألوان باهتة في الإضاءة الضعيفة، لكنها تمكنت من رؤية بطاقات عيد الحب ملصقة على الصفحات. بطاقات عيد الحب القديمة المخرمة، رقيقة على الصفحة.

«شكرًا جزيلًا يا دكتور لِكتر». عندما تحدثت، أثارت أنفاسها زغب الغبار على عتبة النافذة وضبَّبت الزجاج. لم ترغب في مسحها، لذا كان عليها الانتظار حتى انقشعت. تحرك الضوء، فوق دثار لتغطية الحِجر متدلٍّ على أرضية السيارة وعلى لمحة متربة لحذاء سهرة رجالي من الجلد اللامع. فوق الحذاء جوارب سوداء وفوقها سروال بدلة توكسيدو بداخله ساقان.

لم يدخل أحد من هذا الباب منذ خمس سنوات، اهدئي، اهدئي، انتظري يا عزيزتي.

- أوه، يا سيد ياو. أقول، يا سيد ياو؟
- نعم يا ضابطة ستارلِنج؟
- يا سيد ياو، يبدو أن شخصًا ما يجلس في هذه السيارة.
- يا إلهي. ربما من الأفضل لكِ أن تخرجي يا آنسة ستارلِنج.
- ليس بعد يا سيد ياو. فقط انتظر هناك، إذا سمحت، من فضلك.

الآن هو الوقت حين يكون التفكير مهمًّا. الآن أهم من كل الهراء الذي تبثينه وسادتك لبقية حياتك. تحمَّلي الأمر وافعلي هذا بشكل صحيح. لا أريد تدمير الأدلة. أريد بعض المساعدة. لكن الأهم من ذلك كله أنني لا أريد الاستنجاد من دون داعٍ. إذا جعلت مكتب بالتيمور ورجال الشرطة يتدافعون هنا من أجل لا شيء، فلن أتحمل ذلك. أرى ما يبدو كأنه ساقان. لم يكن السيد ياو ليصطحبني إلى هنا إذا كان يعلم بوجود شخص رائع في السيارة. تمكنت من الابتسام لنفسها. «شخص رائع» كان تظاهرًا بالشجاعة. لم يكن أحد هنا منذ آخر زيارة لياو. حسنًا، هذا يعني أن الصناديق وُضعت هنا بعد أيٍّ كان الشيء

الذي في السيارة. وهذا يعني أنه يمكنني تحريك الصناديق من دون فقدان أي شيء مهم.

- حسنًا يا سيد ياو.

- نعم. هل علينا الاتصال بالشرطة أم أنكِ كافية يا ضابطة ستارلِنج؟

- لا بد أن أكتشف ذلك. فقط انتظر هناك من فضلك.

كانت مشكلة الصندوق مثيرة للغيظ مثل مكعب روبِك. حاولت العمل والمصباح اليدوي تحت ذراعها، وأسقطته مرتين، وأخيرًا وضعته فوق السيارة. كان عليها أن تضع الصناديق خلفها، وتزحلق بعض كراتين الكتب الأقصر تحت السيارة. تسببت لدغة من نوع ما أو شظية في حكة بحدبة إبهامها.

الآن بوسعها أن ترى عبر الزجاج المغبر لنافذة باب كرسي الراكب المجاور للسائق في المقصورة الأمامية. نسج عنكبوت شباكه بين عجلة القيادة الكبيرة وذراع نقل السرعة. الحاجز بين المقصورتين الأمامية والخلفية مغلق.

تمنت لو أنها فكرت في تزييت مفتاح الباكار قبل أن تدخل من تحت الباب، لكن عندما وضعته في القفل، نجح الأمر.

لا مجال لفتح الباب أكثر من ثلث سعته بالكاد في الممر الضيق. تأرجح على الصناديق بارتطامٍ أرسل الفئران للخدش وإصدار نغمات إضافية من البيانو. خرجت من السيارة رائحة واهنة من عفن ومواد كيميائية. أثار هذا ذاكرتها في مكان لم تستطع تسميته.

انحنت بالداخل، وفتحت الحاجز خلف مقعد السائق، وسلطت مصباحها في المقصورة الخلفية للسيارة. كان قميص رسمي للسهرة مرصع بأزرار الزينة أول شيء لامع عثر عليه الضوء، بسرعة إلى أعلى من واجهة القميص إلى الوجه، لا يوجد وجه يمكن رؤيته، ثم إلى أسفل مرة أخرى، فوق أزرار القميص المتلألئة وطيات الساتان إلى حِجر به سحَّاب مفتوح، ومرة أخرى إلى أعلى إلى ربطة عنق أنيقة على شكل فراشة وياقة، حيث تبرز العنق البيضاء لدمية عرض الأزياء. لكن فوق العنق شيء آخر عكس قليلًا من الضوء. قماش،

غطاء رأس أسود حيث يجب أن يكون الرأس، كبير كأنه يغطي قفص ببغاء. مخمل، فكرت ستارلِنج. استقر على رف من الخشب الرقيق يمتد فوق عنق الدمية من الرف الخلفي للسيارة.

التقطت صورًا عديدة من المقعد الأمامي، مع تركيز المصباح اليدوي وإغماض عينيها عن بريقه الوامض. ثم استقامت خارج السيارة. واقفة في الظلام، مبتلة، عليها شباك عنكبوت، فكرت فيما يجب أن تفعله.

ما لم تكن ستفعله هو استدعاء العميل الخاص المسؤول عن المكتب الميداني في بالتيمور لينظر إلى دمية عرض أزياء ذات سحَّاب مفتوح وألبوم بطاقات عيد الحب.

بمجرد أن قررت الدخول إلى المقعد الخلفي وإزالة غطاء الرأس عن الشيء، لم تفكر في القرار طويلًا. مدت يدها عبر مقصورة السائق، فتحت قفل الباب الخلفي، وأعادت ترتيب بعض الصناديق لفتحه. يبدو أن الأمر كله استغرق وقتًا طويلًا. كانت الرائحة من المقصورة الخلفية أقوى بكثير عندما فتحت الباب. مدت يدها إلى الداخل ورفعت ألبوم عيد الحب بحرص من الزوايا، ووضعته في أحد أكياس الأدلة أعلى السيارة. بسطت كيس أدلة آخر على المقعد.

أنَّت نوابض السيارة عند دخولها وتحرك التمثال قليلًا عندما جلست بجانبه. انزلقت اليد اليمنى في قفازها الأبيض من الفخذ واستقرت على المقعد. لمست القفاز بإصبعها. كانت اليد بداخله صلبة. دفعت القفاز إلى أسفل عن المعصم بحذر شديد. كان المعصم من مادة صناعية بيضاء من نوع ما. في السروال كتلة ذكرتها للحظة سخيفة بأحداث معينة في المدرسة الثانوية.

صدرت أصوات هرولة صغيرة من تحت المقعد.

بلطف مثل المداعبة، لمست يدها غطاء الرأس. تحرك القماش بسهولة فوق شيء صلب وأملس تحته. عندما شعرت بالمقبض الدائري في الأعلى، عرفت. عرفت أنها كانت جرة عينات معملية كبيرة، وعرفت ما الذي سيكون بداخلها. بتهيُّب، لكن بقليل من الشك، نزعت الغطاء.

كان الرأس داخل الجرة مقطوعًا بدقة قرب أسفل الفك. واجهها، احترقت العينان لتصبحا بلون الحليب منذ فترة طويلة بسبب الكحول الذي يحفظها. كان الفم مفتوحًا واللسان بارزًا قليلًا، رماديًّا تمامًا. على مر السنين، تبخر الكحول إلى الحد الذي استقر فيه الرأس في قاع الجرة، قمته بارزة خلال سطح السائل صانعة غطاءً متحللًا. حدق الرأس، الملتفت بزاوية مثل نظرة البومة إلى الجسم بالأسفل وهو فاغر الفم، بغباء إلى ستارلِنج. حتى في تلاعب الضوء على الملامح، ظلت غبية وميتة.

تأملت ستارلِنج نفسها في هذه اللحظة. كانت مسرورة. كانت مبتهجة. تساءلت للحظة ما إذا كانت تلك المشاعر تستحق. الآن، في هذه اللحظة، وهي جالسة في هذه السيارة القديمة بصحبة رأسٍ وبعض الفئران، بإمكانها التفكير بوضوح، وشعرت بالفخر بذلك.

قالت: «حسنًا يا توتو، لم نعد في كانساس». لطالما أرادت أن تقول ذلك تحت الضغط، لكن فعل ذلك جعلها تشعر بالزَّيف، وشعرت بالسرور لأن أحدًا لم يسمع. لديها عمل للقيام به.

جلست إلى الوراء بحذر شديد ونظرت حولها.

كانت هذه بيئة شخصٍ ما، مختارة ومبتكرة، على بعد ألف سنة ضوئية عبر العقل القادم من حركة المرور الزاحفة في الطريق ٣٠١.

تتدلى الزهور المجففة من المزهريات الكريستالية الصغيرة على قوائم السيارة. كانت طاولة الليموزين مطوية إلى أسفل ومغطاة بقطعة قماش من الكتان. عليها، لمع دورق خلال الغبار. نسج عنكبوت شبكته بين الدورق والشمعدان القصير بجانبه.

حاولت تصوُّر لِكتر، أو شخصٍ ما، جالسًا هنا مع رفيقها الحالي ويتناول مشروبًا ويحاول أن يريه بطاقات عيد الحب. وماذا أيضًا؟ عملت بعناية، مزعجة التمثال بأقل قدر ممكن، فتشته للعثور على هوية. لم يكن هناك شيء. وجدت في جيب السترة أشرطة القماش المتبقي من تعديل طول السروال – ربما كانت ملابس العشاء جديدة عندما أُلبست للتمثال.

وكزت ستارلِنج الكتلة التي في السروال. فكرت أنه شديدة الصلابة، حتى بالنسبة إلى المدرسة الثانوية. باعدت السحَّاب بأصابعها وسلطت ضوءها في الداخل، على قضيب من الخشب المصقول والمرصَّع. ينسم بحجم جيد، أيضًا. تساءلت عما إذا كانت سافلة.

أدارت الجرة بحذر وفحصت جانبَي الرأس ومؤخرته بحثًا عن أي جروح. لم يكن هناك أي شيء مرئي. سُبك اسم شركة توريد مستلزمات المختبرات في الزجاج.

بالنظر إلى الوجه مرة أخرى، اعتقدت أنها تعلمت شيئًا قد يجعلها تثبُت. لم يكن النظر إلى هذا الوجه بتصميم، مع تغير لون لسانه حيث لامس الزجاج، بمثل سوء ابتلاع ميجز لسانه في أحلامها. شعرت بأنها تستطيع النظر إلى أي شيء، إذا كان لديها شيء إيجابي تفعله بشأنه. كانت ستارلِنج شابة تفتقر إلى الخبرة.

وضعت جونيتا جونسون قرطيها، ووضعت المساحيق على وجهها البني الجميل، وفحصت الوضع في الثواني العشر التي أعقبت توقف وحدتها الإخبارية المتنقلة من محطة «دبليو بي أي كاي - تيفي». وصلت هي وطاقمها الإخباري، الذين يراقبون راديو شرطة مقاطعة بالتيمور، إلى مخازن سبلِت سيتي قبل ظهور سيارات الدورية.

كانت كلاريس ستارلِنج كل ما شاهده طاقم الأخبار في مصابيحهم الأمامية، واقفة أمام باب المرأب مع مصباحها اليدوي وبطاقة هويتها الصغيرة المغلفة، وشعرها مغطى بالرذاذ. بإمكان جونيتا جونسون اكتشاف الشخص المبتدئ في كل مرة. خرجت وطاقم التصوير الخاص بها خلفها واقتربت من ستارلِنج. ظهرت الأضواء الساطعة.

حتى الآن غاص السيد ياو في سيارته البويك فلم تظهر إلا قبعته فوق عتبة النافذة.

- جونيتا جونسون، أخبار محطة «دبليو بي أي كاي»، هل أبلغتِ عن جريمة قتل؟

لم تبدُ ستارلِنج أنها تشبه العاملين في إنفاذ القانون كثيرًا وكانت تعرف ذلك.

- أنا ضابطة فدرالية، هذا مسرح جريمة. لا بد لي من تأمينه حتى وصول سلطات بالتيمور...

أمسك المصور المساعد بالجزء السفلي من باب المرأب وكان يحاول رفعه.

قالت ستارلِنج:

- توقف. أنا أتحدث إليك يا سيدي. توقف. تراجع، من فضلك. أنا لا أمزح معك. ساعدني هنا.

تمنت بشدة الحصول على شارة أو لباس رسمي أو أي شيء.

قالت مذيعة الأخبار:

- حسنًا، هاري. آه، أيتها الضابطة، نريد أن نتعاون بكل الطرق. بصراحة، هذا الطاقم يكلف مالًا وأريد فقط أن أعرف ما إذا كنت سأبقيهم هنا حتى وصول السلطات الأخرى. هل ستخبرينني إذا كانت هناك جثة بالداخل؟ الكاميرا مغلقة، الأمر فقط بيننا. أخبريني وسننتظر. سنكون صالحين، أعدك. ما رأيكِ في ذلك؟

قالت ستارلِنج:

- كنت سأنتظر لو أنني مكانك.

قالت جونيتا جونسون:

- شكرًا، لن تندمي على ذلك. انظري، لديَّ بعض المعلومات عن شركة سبلِت سيتي للمخازن الصغيرة التي يمكنك على الأرجح الاستفادة منها. هل ستسلطين الضوء على اللوح المشبكي؟ دعينا نرَ ما إذا كان بإمكاني العثور عليها هنا.

قال الرجل المُسمَّى «هاري»:
- انعطفت وحدة محطة «دبليو إي واي إي» الإخبارية المتنقلة للتو عند البوابة يا جوني.
- دعينا نرَ ما إذا كان بإمكاني العثور عليها هنا، أيتها الضابطة، ها هي ذي. كانت هناك فضيحة منذ نحو عاسين عندما حاولوا إثبات أن هذا المكان كان ينقل بالشاحنات ويخزن... هل كانت ألعابًا نارية؟

رنَت جونيتا جونسون فوق كتف ستارلِنج أكثر من مرة.

التفتت ستارلِنج لترى المصور راقدًا على ظهره، رأسه وكتفاه داخل المرأب، والمساعد جالس بجانبه، على استعداد لتمرير الكاميرا الصغيرة أسفل الباب.

قالت ستارلِنج:
- مهلًا!

نزلت على ركبتيها على الأرض الرطبة بجانبه وشدت قميصه.
- لا يمكنك الذهاب إلى هناك. مهلًا! لقد قلت لك ألا تفعل ذلك.

وطوال الوقت كان الرجلان يتكلمان معها، باستمرار، وبلطف.
- لن نلمس أي شيء. نحن محترفان، لا داعي للقلق. سيسمح لنا رجال الشرطة بالدخول على أي حال. كل شيء على ما يرام يا عزيزتي.

استفزها أسلوبهما المحتال المستخدم في مقعد السيارة الخلفي.

ركضت إلى المنصة الرافعة في طرف الباب وضخت المقبض. نزل الباب مقدار بوصتين، بصرير ساحق. ضخته مرة أخرى. لامس الباب الآن صدر الرجل. عندما لم يخرج، سحبت المقبض من التجويف وعادت به إلى المصور المنبطح. كانت هناك أضواء تلفزيونية أخرى ساطعة الآن، وفي وهجها، قرعت الباب فوقه بقوة بمقبض الرافعة، ممطرة عليه التراب والصدأ.

قالت:
- انتبه لي، أنت لا تنصت، أليس كذلك؟ اخرج من هناك. الآن. أنت على بُعد ثانية واحدة من القبض عليك لعرقلة سير العدالة.

قال المساعد:

- هوِّني عليكِ.

وضع يده عليها. التفتت لتهاجمه. كانت هناك أسئلة صارخة من وراء الوهج وسمعت صفارات الإنذار.

- ارفع يديك وتراجع أيها المغفل.

وقفت على كاحل رجل الكاميرا وواجهت المساعد، ومقبض الرافعة معلق بجانبها. لم ترفع مقبض الرافعة. كان الأمر كذلك فحسب. بدت سيئة بما يكفي على التلفزيون على هذا الوضع.

٩

بدت روائح الجناح العنيف أكثر حدة في الظلام الجزئي. ألقى جهاز تلفزيون يعمل من دون صوت في الممر ظِل ستارلِنج على قضبان قفص الدكتور لِكتر.

لم تستطع الرؤية في الظلام خلف القضبان، لكنها لم تطلب من المعاون تشغيل الأنوار من موقعه. كان الجناح بأكمله سيضيء في الحال، وكانت تعلم أن شرطة مقاطعة بالتيمور جعلت الأنوار مضاءة بالكامل ساعات في أثناء صراخهم بالأسئلة في لِكتر. لقد رفض التحدث، لكنه رد بأن طوى لهم دجاجة من الأوريجامي تنقر حين يُتلاعب بالذيل إلى أعلى وإلى أسفل. سحق الضابط الأعلى رتبة، محنقًا، الدجاجة في منفضة سجائر البهو وهو يشير إلى ستارلِنج بالدخول.

– دكتور لِكتر؟

سمعت تنفسها، وتنفسًا في الردهة، لكن من زنزانة ميجز الفارغة، لا تنفُّس. كانت زنزانة ميجز خالية وفسيحة. شعرت بصمتها كأنه تمهيد.

عرفت ستارلِنج أن لِكتر كان يراقبها من الظلام. مرت دقيقتان. آلمتها ساقاها وظهرها بفعل صراعها مع باب المرأب، وكانت ملابسها رطبة. جلست على معطفها على الأرض، بعيدًا عن القضبان، قدماها تحتها، ورفعت شعرها المبتل الرث على ياقتها لإبعاده عن عنقها.

خلفها على شاشة التلفزيون، لوَّح مبشر بذراعيه.

– دكتور لِكتر، كلانا يعرف ما هذا الأمر. يعتقدون أنك ستتحدث إليَّ.

صمت. في الردهة، أطلق أحدهم صفيرًا:

- فوق البحر إلى سكاي[1].
بعد خمس دقائق، قالت:
- كان الدخول إلى هناك غريبًا. في وقت ما أود أن أتحدث معك عن ذلك.
قفزت ستارلِنج عندما انزلق حامل الطعام من زنزانة لِكتر. كانت هناك منشفة نظيفة مطوية في الدرج. لم تسمعه يتحرك.
نظرت إليها، وبإحساس مَن يهوي إلى أسفل، أخذتها وجففت شعرها. قالت:
- شكرًا.
- لماذا لا تسأليني عن بافالو بيل؟
كان صوته قريبًا في مستواها. لا بد أنه جالس على الأرض أيضًا.
- هل تعرف شيئًا عنه؟
- ربما لو رأيت القضية.
قالت ستارلِنج:
- ليست لديَّ هذه القضية.
- لن تكون لديكِ هذه القضية أيضًا، عندما ينتهون من استخدامهم لك.
- أعرف.
- بإمكانكِ الحصول على ملفات بافالو بيل. التقارير والصور. أود أن أراها.
أراهن أنك تود ذلك.
- دكتور لِكتر، لقد بدأتَ هذا. الآن من فضلك أخبرني عن الشخص الموجود في السيارة الباكار.
- وجدتِ شخصًا كاملًا؟ غريب. رأيتُ رأسًا فقط. في ظنك من أين أتى الباقي؟

---

(١) «The Skye Boat Song»: أغنية إسكتلندية من أواخر القرن التاسع عشر تذكر رحلة الأمير تشارلز إدوارد ستيوارت من جزيرة بينبيكولا إلى جزيرة سكاي، حيث أفلت من القوات الحكومية بعد هزيمته في معركة كولودن عام ١٧٤٦. ألَّف السير هارولد بولتون، البارون الثاني، كلمات الأغنية على نغمة جمعتها آن كامبل ماكليود في سبعينيات القرن التاسع عشر، وأصبح البيت «Over the Sea to Skye» (فوق البحر إلى سكاي) الآن حجر الزاوية في صناعة السياحة في جزيرة سكاي. (المترجمة).

- حسنًا. لمَن كان الرأس؟
- ماذا يمكنكِ أن تقولي عنه؟
- لقد استنتجوا الأمور الأولية فقط. ذكر أبيض، في نحو السابعة والعشرين، وفقًا لكلٍّ من طب الأسنان الأمريكي والأوروبي. مَن كان؟
- عشيق راسبايل. راسبايل، عازف الفلوت اللزج.
- ماذا كانت الظروف... كيف مات؟
- لف ودوران يا ضابطة ستارلِنج؟
- لا، سأسأل عن ذلك فيما بعد.
- دعيني أوفر عليكِ بعض الوقت. لم أفعل ذلك، فعله راسبايل. أحب راسبايل البحارة. كان هذا بحَّارًا إسكندنافيًّا يُدعى كلاوس... لم يخبرني راسبايل قَطُّ بالاسم الأخير.

تحركَ صوت الدكتور لِكتر إلى مستوى أكثر انخفاضًا. اعتقدت ستارلِنج أنه ربما استلقى على الأرض.

- هبط كلاوس من على متن سفينة سويدية في سان دييجو. كان راسبايل هناك يدرِّس في فصل الصيف في المعهد الموسيقي. اندفع مهتاجًا إلى الشاب. رأى السويدي شيئًا جيدًا وفرَّ من سفينته. اشتريا سيارة تخييم فظيعة من نوعٍ ما وانطلقا كالكائنات الأثيرية عبر الغابة عاريين. قال راسبايل إن الشاب كان غير مخلص وخنقه.
- راسبايل قال لك هذا؟
- أوه نعم، تحت ختم السرية لجلسات العلاج. أعتقد أنها كانت كذبة. كان راسبايل دائمًا يزين الحقائق. أراد أن يبدو خطيرًا ورومانسيًّا. ربما مات السويدي في نوعٍ من اتفاق مبتذل على الولع الإيروتيكي بالاختناق. كان راسبايل مترهلًا وضعيفًا للغاية لا يمكنه خنقه. لاحظتِ مدى القرب الذي شُذِّب كلاوس به تحت الفك؟ ربما لإزالة علامة رباط الخنق المرتفعة نتيجة التعليق.

- فهمت.
- دُمر حلم راسبايل بالسعادة. وضع رأس كلاوس في حقيبة بولينج وعاد شرقًا.
- ماذا فعل بالباقي؟
- دفنه في التلال.
- أراك الرأس في السيارة؟
- أوه نعم، في أثناء العلاج شعر بأنه يستطيع إخباري بأي شيء. خرج ليجلس مع كلاوس مرات كثيرة ويريه بطاقات عيد الحب.
- ثم راسبايل نفسه... مات. لماذا؟
- بصراحة، سئمت وتعبت من نواحه. أفضل شيء حدث له، حقًّا. لم يكن العلاج يؤدي إلى أي نتيجة. أتوقع أن معظم الأطباء النفسيين لديهم مريض أو مريضان يرغبون في إحالتهما إليَّ. لم أناقش هذا قَطُّ، والآن أشعر بالملل من ذلك.
- والعشاء الذي قدمته لمسؤولَي الأوركسترا.
- ألم يسبق أن كان لديكِ زوَّار ولا وقت للتسوق؟ عليك أن تتدبري أمرك بما في الثلاجة يا كلاريس. هل يمكنني مناداتك كلاريس؟
- نعم، أعتقد أنني سأناديك فقط...
قال:
- دكتور لِكتر، هذا يبدو أنسب ما يكون لعمرك وموقعك.
- نعم.
- ما شعورك عندما دخلتِ المرأب؟
- وجِلة.
- لماذا؟
- الفئران والحشرات.
سأل الدكتور لِكتر:

- هل لديك شيء تستعينين به عندما تريدين استنهاض شجاعتك؟
- لا شيء أعرفه ينجح، ما عدا الرغبة فيما أسعى إليه.
- هل تخطر لك حينها ذكريات أو لوحات حية، سواء أسعيتِ إليها أم لا؟
- ربما. لم أفكر في ذلك.
- أشياء من حياتك المبكرة.
- سيتعين عليَّ أن أراقب وأرى.
- كيف كان شعورك عندما سمعتِ عن جاري الراحل ميجز؟ لم تسأليني عن ذلك.
- كنت سأصل إلى الموضوع.
- هل كنتِ مسرورة عندما سمعتِ بالأمر؟
- لا.
- هل كنتِ حزينة؟
- لا. هل أقنعته بذلك؟
ضحك الدكتور لِكتر بهدوء:
- هل تسألينني يا ضابطة ستارلِنج، إذا كنت قد حرضت على جناية انتحار السيد ميجز؟ لا تكوني سخيفة. يتسم الأمر ببعض الاتساق السار، مع ذلك، ابتلاعه لسانه المهين، هل توافقين؟
- لا.
- ضابطة ستارلِنج، كانت تلك كذبة. أول كذبة تخبرينني بها. مناسبة حزينة، كان ترومان ليقول ذلك.
- الرئيس ترومان؟
- لا تهتمي. لماذا تعتقدين أنني ساعدتك؟
- لا أعرف.
- جاك كروفورد معجب بكِ، أليس كذلك؟
- لا أعرف.

- ربما هذا غير صحيح. هل ترغبين في أن يُعجب بك؟ أخبريني، هل تشعرين بالحاجة إلى إرضائه وهل تقلقك هذه الحاجة؟ هل أنت قلقة من رغبتك في إرضائه؟
- الكل يريد أن يكون محل إعجاب يا دكتور لِكتر.
- ليس الكل. هل تعتقدين أن جاك كروفورد يريدك جنسيًّا؟ أنا متأكد أنه محبط للغاية الآن. هل تعتقدين أنه يتخيل... سيناريوهات، اتفاقات... المضاجعة معك؟
- هذه ليست مسألة فضول بالنسبة إليَّ يا دكتور لِكتر، وهي من نوع الأمور التي كان ميجز ليسأل بشأنها.
- ليس بعد الآن.
- هل أوحيت إليه أن يبتلع لسانه؟
- غالبًا ما تشتمل حالتك الاستجوابية على تلك الصيغة الافتراضية اللائقة. مع لكنتك الريفية، تنبعث منها رائحة المصباح الزيتي. من الواضح أن كروفورد معجب بك ويؤمن بأنك قديرة. من المؤكد أن التقاء الأحداث الغريب لم يفُت عليك يا كلاريس، فقد حصلتِ على مساعدة كروفورد وكنت قد حصلت على مساعدتي. تقولين إنك لا تعرفين لماذا يساعدك كروفورد، هل تعرفين لماذا ساعدتك؟
- لا، أخبرني.
- هل تعتقدين أن السبب في ذلك هو أنني أحب أن أنظر إليك وأفكر في التهامك، كيف سيكون مذاقك؟
- هل هذا هو السبب؟
- لا، أريد شيئًا يمكن أن يعطيني إياه كروفورد وأريد مقايضته به. لكنه لن يأتي لرؤيتي. لن يطلب مساعدتي في قضية بافالو بيل، على الرغم من أنه يعرف أن ذلك يعني أن مزيدًا من الشابات سيمُتن.
- لا أصدق ذلك يا دكتور لِكتر.

- أريد فقط شيئًا بسيطًا جدًّا، ويمكنه الحصول عليه.

رفع لِكتر منظم التيار ببطء في زنزانته. اختفت كتبه ورسوماته. اختفى مقعد المرحاض الخاص به. جرد تشيلتون الزنزانة لمعاقبته على ميجز.

- لقد قضيت في هذه الغرفة ثماني سنوات يا كلاريس. أعلم أنهم لن يسمحوا لي بالخروج أبدًا وأنا على قيد الحياة. ما أريده هو منظر. أريد نافذة يمكنني من خلالها رؤية شجرة، أو حتى ماء.

- هل قدَّم محاميك التماسًا...

- وضع تشيلتون هذا التلفزيون في الردهة، مضبوطًا على قناة دينية. بمجرد مغادرتك سيعيد المعاون رفع الصوت مرة أخرى، ولا يستطيع محاميَّ إيقافه، بالطريقة التي تميل بها المحكمة للشعور تجاهي الآن. أريد أن أكون في مؤسسة فدرالية، وأريد أن تعود كتبي وأريد منظرًا. سأعطي قيمة جيدة مقابل ذلك. يمكن أن يفعل كروفورد ذلك. اطلبي منه.

- يمكنني أن أقول له ما قلتَه.

- سيتجاهل الأمر. وسيستمر بافالو بيل. انتظري حتى يجز فروة رأس واحدة لتري كيف يعجبه ذلك. اممم... سأخبرك شيئًا واحدًا عن بافالو بيل من دون رؤية القضية على الإطلاق، وبعد سنوات من الآن عندما يمسكون به، إذا فعلوا ذلك، سترين أنني كنت على حق، وكانت بإمكاني المساعدة. كان بإمكاني إنقاذ الأرواح. كلاريس؟

- نعم؟

قال الدكتور لِكتر:

- بافالو بيل لديه منزل من طابقين.

وأطفأ نور زنزانته.

لن يتكلم مرة أخرى.

١٠

اتكأت كلاريس ستارلِنج على طاولة نرد في كازينو مكتب التحقيقات الفدرالي، وحاولت الانتباه لمحاضرة عن غسيل الأموال في القمار. مرت ست وثلاثون ساعة منذ أن أخذت شرطة مقاطعة بالتيمور إفادتها (عن طريق كاتبة تدخن بشراهة وتكتب بإصبعين: «انظري إذا كان بإمكانك فتح تلك النافذة لو أن الدخان يضايقك»)، وصرفتها من دائرة اختصاصها القضائية، مع تذكير بأن القتل ليس جريمة فدرالية.

عرضت أخبار الشبكة ليلة الأحد مقتطف ستارلِنج مع مصوري التلفزيون، وشعرت بأنها واثقة بوقوعها في مأزق عميق. خلال كل ذلك، لم ترِد أي كلمة من كروفورد أو من مكتب بالتيمور الميداني. بدا الأمر كما لو أنها أسقطت تقريرها في حفرة.

كان الكازينو الذي وقفت فيه الآن صغيرًا، اشتغل من قبل في شاحنة مقطورة متحركة حتى استولى مكتب التحقيقات الفدرالي عليها وثبتها في المدرسة كوسيلة تعليمية. ازدحمت الغرفة الضيقة بالشرطة من كثير من دوائر الاختصاص القضائية، وكانت ستارلِنج قد رفضت مع الشكر مقعدين قدمهما اثنان من قسم شرطة تكساس رينجرز ومحقق من سكوتلاند يارد.

كان باقي طلاب صفها في الردهة في مبنى الأكاديمية، يبحثون عن الشعر في سجادة النُّزل الأصلية في «غرفة نوم الجرائم الجنسية» ورش المساحيق في «بنك المدينة الفلانية» لرفع بصمات الأصابع. أمضت ستارلِنج ساعات

طويلة في عمليات البحث وبصمات الأصابع بوصفها زميلة في الطب الشرعي فأُرسلت بدلًا من ذلك إلى هذه المحاضرة، وهي جزء من سلسلة محاضرات لرجال القانون الزائرين.

تساءلت عما إذا كان هناك سبب آخر لتفريقها عن الصف: ربما يعزلونكِ قبل أن يفصلوكِ.

أراحت ستارلِنج مرفقيها على خط المرور في طاولة النرد، وحاولت التركيز على غسيل الأموال في القمار. كان ما فكرت فيه بدلًا من ذلك مدى كراهية مكتب التحقيقات الفدرالي لرؤية عملائه على التلفزيون، خارج نطاق المؤتمرات الإخبارية الرسمية.

كان الدكتور هانيبال لِكتر عنصر جذب بالنسبة إلى وسائل الإعلام، وأعطت شرطة بالتيمور اسم ستارلِنج للصحفيين بسعادة. رأت نفسها مرارًا وتكرارًا في أخبار الشبكة ليلة الأحد. كانت هناك «ستارلِنج من مكتب التحقيقات الفدرالي» في بالتيمور، وهي تقرع مقبض الرافعة في باب المرأب بينما كان المصور يحاول الانزلاق تحته. وهنا كانت «العميلة الفدرالية ستارلِنج» تهاجم المساعد بمقبض الرافعة في يدها.

على الشبكة المنافسة، أعلنت محطة «دبليو بي أي كاي»، التي تفتقر إلى فيلم خاص بها، عن دعوى قضائية بسبب الإصابة الشخصية ضد «ستارلِنج من مكتب التحقيقات الفدرالي» والمكتب نفسه، لأن المصور أصيب في عينيه بجزيئات الأوساخ والصدأ عندما قرعت ستارلِنج الباب.

كانت جونيتا جونسون من محطة «دبليو بي أي كاي» تعلن في شرق البلاد وغربها بابتهاج شديد أن ستارلِنج عثرت على البقايا في المرأب من خلال «صلة غريبة برجل وصفته السلطات بأنه... وحش!»، من الواضح أن محطة «دبليو بي أي كاي» كان لديها مصدر في المستشفى.

عروس فرانكنشتين! صرخت صحيفة ناشونال تاتلر من على رفوف السوبرماركت.

لم يصدر تعليق علني من مكتب التحقيقات الفدرالي، لكن كان هناك الكثير داخل المكتب، كانت ستارلِنج متأكدة.

في أثناء وجبة الإفطار، أشار أحد زملائها في الصف، شاب يضع كثيرًا من عطر كانوي بعد الحلاقة، إلى ستارلِنج باسم «مِلفِن بِلفِس»[١]، وهو تلاعب غبي على اسم مِلفِن بورفِس، العميل الفدرالي الشهير صحفيًّا والمفضل لدى هوفر مدير المكتب في الثلاثينيات. ما قالته أرديليا ماب للشاب جعل وجهه أبيض، وترك إفطاره من دون أن يأكله على الطاولة.

الآن، وجدت ستارلِنج نفسها في حالة غريبة إذ لا يمكن لشيء أن يفاجئها. ليوم وليلة شعرت بأنها معلقة في رنين الصمت الذي يسمعه الغواص. عزمت على الدفاع عن نفسها إذا واتتها الفرصة.

لفَّ المُحاضر عجلة الرولِت في أثناء حديثه، لكنه لم يترك الكرة تسقط قَطُّ. بالنظر إليه، اقتنعت ستارلِنج أنه لم يدع الكرة تسقط في حياته قَطُّ. كان يقول شيئًا ما الآن:

- كلاريس ستارلِنج.

لماذا كان يقول: «كلاريس ستارلِنج»؟ هذه أنا.

قالت:

- نعم.

أشار المُحاضر بذقنه إلى الباب خلفها. وقع الأمر. تراجع مصيرها من تحتها مثل حصان مذعور وهي تستدير لترى. لكنه كان بريجهام، مدرب الرماية، يميل داخل الغرفة للإشارة إليها عبر الحشد. عندما رأته، أومأ إليها.

لثانية اعتقدت أنهم يطردونها، لكن هذا لن يكون عمل بريجهام.

قال في الردهة:

- تجهزي للذهاب يا ستارلِنج. أين معداتك الميدانية؟

---

(١) «pelvis»: تعني عظم الحوض في الهيكل العظمي للإنسان. وسيكرر المؤلف الكلمة في تشبيه لاحق. (المترجمة).

- في غرفتي بالجناح سي.

وجب عليها أن تمشي بسرعة حينها لمواكبته.

كان يحمل المجموعة الكبيرة لمعدات أخذ بصمات الأصابع من غرفة الممتلكات - المعدات الجيدة، وليست مجموعة الألعاب المدرسية - وحقيبة قماشية صغيرة.

- ستذهبين مع جاك كروفورد اليوم. خذي أغراضًا لقضاء الليل. قد تعودين، لكن خذيها.

- أين؟

- عثر بعض صيادي البط في ولاية وِست فرجينيا على جثة في نهر إلك قرب مطلع النهار. في وضع من نوع حالات بافالو بيل. ينتشلها نواب المأمور الآن. إنها منطقة ريفية نائية حقًّا، ولا يميل جاك إلى انتظار هؤلاء الرجال للحصول على التفاصيل.

توقف بريجهام عند باب الجناح سي.

- إنه يحتاج إلى شخص ما لمساعدته يمكنه أخذ بصمات جثة طافية، من بين أشياء أخرى. كنت تؤدين المهام الروتينية في المختبر، يمكنك فعل ذلك، أليس كذلك؟

- بلى، دعني أتحقق من الأشياء.

حمل بريجهام مجموعة أدوات أخذ البصمات وأبقاها مفتوحة، بينما رفعت ستارلِنج صواني الأدوات لإخراجها. كانت الأدوات الطبية الدقيقة والقوارير موجودة، لكن الكاميرا لم تكن هناك.

- أحتاج إلى الكاميرا البولارويد «CU-5» مفردة العدسة يا سيد بريجهام، وعبوات أفلام وبطاريات لها.

- من غرفة الممتلكات؟ لكِ هذا.

ناولها الحقيبة القماشية الصغيرة، وعندما شعرت بثقلها، أدركت لماذا جاء بريجهام لاستدعائها.

- ليست لديكِ قطعة سلاح خاصة بالعمل بعد، أليس كذلك؟
- بلى.
- لا بد أن تكون لديك مجموعة كاملة. هذه هي اللوازم التي كنت ترتدينها في ميدان الرماية. المسدس ملكي. إنه من طراز «كيه-فريم سميث» نفسه الذي تدربت عليه، لكن أجزاء التشغيل منظَّفة. تدربي عليه من دون ذخيرة في غرفتك الليلة عندما تسنح لك الفرصة. سأكون في السيارة خلف الجناح سي في غضون عشر دقائق بالضبط مع الكاميرا. اسمعي، لا يوجد مرحاض في بلو كانوي. نصيحتي أن تذهبي إلى الحمَّام بينما الفرصة متاحة لك. أسرعي يا ستارلِنج.

حاولت أن تطرح عليه سؤالًا لكنه كان يرحل عنها.

يجب أن يكون بافالو بيل، إذا كان كروفورد سيذهب بنفسه. ما البلو كانوي بحق الجحيم؟ لكن عليك أن تفكري في تجهيز الأمتعة عندما تجهزين الأمتعة. جهزت ستارلِنج الأمتعة جيدًا وبسرعة.

- إنه...

قاطعها بريجهام وهي تستقل السيارة:

- لا بأس، مؤخرة السلاح تنطبع على سترتك قليلًا إذا كان شخص ما يبحث عنه، لكن لا بأس في الوقت الحالي.

كانت تحمل المسدس ذا الماسورة القصيرة أسفل سترتها في جراب منبسط مستكين على ضلوعها، وملقِّم الذخيرة السريع موازنًا حزامها على الجانب الآخر.

قاد بريجهام السيارة بالضبط عند الحد الأقصى للسرعة إلى مهبط طائرات كوانتِكو.

سعل بخفة:

- أحد الأمور الجيدة في ميدان التدريب يا ستارلِنج، أنه لا سياسة هناك.
- لا؟

- كنتِ محقة في تأمين ذلك المرأب هناك في بالتيمور. هل أنتِ قلقة بشأن التلفزيون؟

- هل يجب أن أكون قلقة؟

- نحن نتكلم فحسب، أليس كذلك؟

- بلى.

رد بريجهام تحية جندي من مشاة البحرية الذي يوجه حركة المرور. قال:

- باصطحابكِ اليوم، يُظهر جاك ثقته بكِ إذ لا يمكن أن يفوت ذلك على أحد. تحسبًا، على سبيل المثال، وجد شخص ما في مكتب المسؤولية المهنية سترتك أمامه وأثار القلق، أتفهمين ما أقوله؟

- امممم.

- كروفورد رجل حازم. لقد أوضح بجلاء حيث يهم الأمر أنه وجب عليكِ تأمين المشهد. لقد سمح لك بالذهاب إلى هناك مجردة، بمعنى، مجردة من جميع الرموز المرئية للسلطة، وقد قال ذلك أيضًا. وكان وقت استجابة شرطة بالتيمور بطيئًا جدًّا. أيضًا، يحتاج كروفورد إلى المساعدة اليوم، وعليه الانتظار لمدة ساعة إلى أن يأتي جيمي برايس بشخص ما إلى هنا من المختبر. لذا فقد صُمم الوضع ليكون ملائمًا لكِ يا ستارلِنج. العمل على جثة طافية ليس نزهة على الشاطئ أيضًا. ليس عقابًا لكِ، لكن إذا احتاج شخص ما من الخارج إلى رؤية الأمر على هذا النحو، فيمكنه ذلك. أترين، كروفورد رجل ذكي جدًّا، لكنه لا يميل إلى شرح الأمور، ولهذا السبب أُخبرك... إذا كنت ستعملين مع كروفورد، فيجب أن تعرفي كيف تجري الأمور معه، هل تعرفين؟

- أنا لا أعرف حقًّا.

- لديه الكثير مما يشغل ذهنه إلى جانب بافالو بيل. زوجته بيلَّا مريضة حقًّا. إنها... في مرحلة أخيرة. يبقيها في المنزل. لولا قضية بافالو بيل، لكان قد أخذ إجازة لأسباب إنسانية.

- لم أكن أعرف ذلك.

- لا يتحدث أحد عن الأمر. لا تخبريه بأنك آسفة أو أي شيء، فهذا لا يساعده... لقد عاشا وقتًا طيبًا.

- أنا سعيدة لأنك أخبرتني.

أشرق وجه بريجهام حين وصلا إلى مهبط الطائرات.

- لديَّ خطابان مهمان لألقيهما في نهاية دورة الأسلحة النارية يا ستارلِنج، حاولي ألا تفوتيهما.

أخذ طريقًا مختصرًا يمر بين بعض حظائر الطائرات.

- سأحاول.

- اسمعي، ما أعلِّمه شيء ربما لن تضطري إلى فعله أبدًا. أتمنى ألا تضطري إلى ذلك. ولكن لديك بعض الكفاءة يا ستارلِنج. إذا كان عليك إطلاق النار، فيمكنك إطلاق النار. مارسي تمارينك.

- تمام.

- لا تضعي المسدس في حقيبتك أبدًا.

- تمام.

- اسحبيه مرات عديدة في غرفتك ليلًا. اجعليه في مكان يمكنك إيجاده.

- سأفعل.

وقفت طائرة بيتشكرافت مهيبة ذات محركين على المدرج في مهبط طائرات كوانتِكو، ومصابيحها المنبهة تعمل وبابها مفتوح. كانت إحدى المراوح تدور وتجعل العشب يرفرف بجانب المدرج الأسفلتي.

قالت ستارلِنج:

- هذه ليست البلو كانوي.

- بلى.

- إنها صغيرة وقديمة.

قال بريجهام بمرح:

- إنها قديمة. استولت إدارة مكافحة المخدرات عليها في فلوريدا منذ وقت

طويل، عندما انهارت في منطقة أراضي إيفرجلايدز الرطبة. ومع ذلك، فهي سليمة من الناحية الميكانيكية الآن. أتمنى ألا يكتشف جرام ورودمان أننا نستخدمها، فمن المفترض أن نركب الحافلة.

توقف بجانب الطائرة وأخرج أمتعة ستارلِنج من المقعد الخلفي. بيدين مرتبكتين بعض الشيء تمكن من إعطائها الأغراض ومصافحتها.

ثم، من دون أن يقصد ذلك، قال بريجهام:

- بوركتِ يا ستارلِنج.

بدت الكلمات غريبة على فمه العسكري البحري. لم يعرف من أين أتت، وشعر بسخونة في وجهه.

- شكرًا... شكرًا لك يا سيد بريجهام.

كان كروفورد في مقعد مساعد الطيار، مرتديًا قميصًا بلا معطف أو سترة ونظارة شمسية. التفت إلى ستارلِنج عندما سمع الطيار يغلق الباب.

لم تستطع رؤية عينيه خلف النظارة الداكنة، وشعرت بأنها لا تعرفه. بدا كروفورد شاحبًا وقويًّا، مثل جذر تقتلعه جرافة.

كل ما قاله:

- اجلسي واقرئي.

استقر ملف قضية سميك على المقعد خلفه. كُتب على الغلاف **بافالو بيل**. ضمته ستارلِنج بشدة بينما كانت البلو كانوي تزمجر وترتجف وتبدأ في الدوران.

١١

بهتت حواف المدرج وتلاشت. إلى الشرق، ومضة من شمس الصباح قبالة خليج تشيسابيك حين ابتعدت الطائرة الصغيرة عن الزحام. بإمكان كلاريس ستارلِنج رؤية المدرسة هناك والقاعدة البحرية المحيطة بها في كوانتِكو. في دورة تعليمية للهجوم، تدافعت أجسام صغيرة من مشاة البحرية وركضت.

هكذا بدا المنظر من أعلى.

ذات مرة بعد تمرين إطلاق النار الليلي، وهي تمشي في الظلام على طول هوجانز آلي المهجور، تمشي لتفكر، سمعت أصوات الطائرات تزأر بالأعلى ثم، في الصمت الجديد، أصواتًا تنادي في السماء السوداء فوقها، أفراد القوات المحمولة جوًّا في القفز الليلي ينادي بعضهم بعضًا في أثناء هبوطهم خلال الظلام. وتساءلت كيف يبدو انتظار ضوء إشارة القفز عند باب الطائرة، وكيف يبدو الغوص في الظلام الخافت.

ربما يبدو كهذا.

فتحت الملف.

لقد فعل الأمر خمس مرات على حد علمهم، بيل. خمس مرات على الأقل، وربما أكثر، خلال الأشهر العشرة الماضية، اختطف امرأة وقتلها وسلخ جلدها. (تسارعت عينا ستارلِنج بين بروتوكولات التشريح إلى اختبارات الهستامين الحر للتأكد أنه قتلهن قبل أن يفعل الباقي).

ألقى كل جثة في المياه الجارية بعد الانتهاء منها. عُثر على كلٍّ منها في نهر

مختلف، في اتجاه مجرى النهر من معبر الطريق السريع بين الولايات، كلٌّ منها في ولاية مختلفة. عرف الجميع أن بافالو بيل كان رجلًا كثير السفر. كان هذا كل ما يعرفه القانون عنه، كل شيء على الإطلاق، باستثناء أن لديه مسدسًا واحدًا على الأقل. ماسورته محزَّزة من الداخل بستة مرتفعات ومنخفضات، ملتفة إلى اليسار، ربما مسدس كولت أو كولت مستنسخ. أشارت علامات الانزلاق على الرصاصات المستعادة إلى أنه يفضِّل إطلاق خراطيش عيار ٣٨ سبيشال في غرف الإطلاق الأطول التي تقبل خراطيش عيار ٣٥٧.

لم تترك الأنهار بصمات أصابع، ولا دليلًا من الشعر أو الألياف.

كان من شبه المؤكد أنه رجل أبيض: أبيض لأن القتلة المتسلسلين يقتلون عادة داخل مجموعتهم العرقية وجميع الضحايا من البِيض، ذكر لأن القاتلات المتسلسلات غير معروفات تقريبًا في عصرنا.

وجد اثنان من كُتَّاب الأعمدة في المدينة الكبرى عنوانًا رئيسيًّا في قصيدة إ. إ. كامينجز الصغيرة القاتلة «بافالو بيل»... كيف تفضِّل ولدك أزرق العينين أيها السيد موْت؟

شخص ما، ربما كروفورد، ألصق الاقتباس داخل غلاف الملف.

لم تكن هناك علاقة واضحة بين المكان الذي اختطف فيه بيل الشابات والمكان الذي ألقاهن فيه.

في الحالات التي عُثر فيها على الجثث خلال وقت قريب بما يكفي لتحديد وقت الوفاة بدقة، علمت الشرطة شيئًا آخر فعله القاتل: احتفظ بهن بيل فترة من الوقت، على قيد الحياة. هؤلاء الضحايا لم يمتن إلا بعد أسبوع إلى عشرة أيام بعد اختطافهن. هذا يعني وجوب أن يكون لديه مكان للاحتفاظ بهن ومكان للعمل في خصوصية. هذا يعني أنه لم يكن هائمًا. كان أشبه بعنكبوت الباب المسحور. بجحوره الخاصة. في مكان ما.

أرعب هذا العامة أكثر من أي شيء آخر، أي احتجازه لهن لمدة أسبوع أو أكثر، مع العلم أنه سيقتلهن.

شُنقت اثنتان، أُطلق الرصاص على ثلاث. ما من دليل على اغتصاب أو اعتداء جسدي قبل الوفاة، ولم تسجل بروتوكولات تشريح الجثة أي دليل على تشويه «الأعضاء التناسلية على وجه التحديد»، على الرغم من أن علماء الأمراض أشاروا إلى أنه سيكون من المستحيل تقريبًا تحديد هذه الأمور في الأجساد الأكثر تدهورًا.

عُثر عليهن جميعًا عاريات. في حالتين، عُثر على قطع من الملابس الخارجية للضحيتين بجانب الطريق بالقرب من منزليهما، مقطوعة الظهر مثل بدلات الجنازة.

تفحصت ستارلِنج الصور متمالكة نفسها. الجثث الطافية أسوأ أنواع الموتى التي يمكن التعامل معها، من الناحية الجسدية. هناك أيضًا نزعة شديدة للشعور بالأسى من أجلها، كما يحدث غالبًا تجاه ضحايا القتل في العراء. المذلة التي تعانيها الضحية، والتعرض للعوامل الجوية والأعين العابرة، أمور تثير غضبك إذا كانت وظيفتك تسمح لك بالغضب.

في أحيان كثيرة، في جرائم القتل في الأماكن المغلقة، تتجمع الأدلة على الممارسات الشخصية غير السارة للضحية، وعلى ضحايا الضحايا: زوجات تعرضن للضرب، وأطفال أُسيئَت معاملتهم، لتهمس أن الميت استحق ذلك، وقد استحقه مرات عديدة.

لكن لا أحد استحق هذا. هنا لم تكن لديهن حتى جلودهن وهن يرقدن على ضفاف الأنهار التي تبعثرت عليها النفايات وسط زجاجات زيت المحركات الخارجية للقوارب وأكياس الشطائر التي هي قذارتنا الشائعة. احتفظت الضحايا في فترة الطقس البارد بوجوههن إلى حدٍّ كبير. تذكّر ستارلِنج نفسها أن أسنانهن لم تكن مكشوفة من الألم، وأن السلاحف والأسماك خلقت ذلك التعبير في أثناء التغذية. قشّر بيل الجذوع وترك الأطراف وشأنها غالبًا.

اعتقدت ستارلِنج أن النظر إليهن لم يكن صعبًا، إذا لم تكن مقصورة هذه الطائرة شديدة الدفء، وإذا لم تكن الطائرة اللعينة تتسم بهذا الترنح المقرف،

لأن إحدى الدعامتين التقطت الهواء بشكل أفضل من الأخرى، وإذا لم تتشظَّ الشمس اللعينة على النوافذ المخدوشة وتلطم مثل صداع.

من الممكن الإمساك به. اعتصرت ستارلِنج هذه الفكرة لتساعد نفسها على الجلوس في هذه الطائرة الأصغر حجمًا على الإطلاق وحجرها ممتلئ بالمعلومات الفظيعة. يمكنها المساعدة في إيقافه. ثم يمكنهم وضع هذا الملف اللزج قليلًا ذي الغلاف الناعم في الدرج وإغلاقه بالمفتاح.

حدقت إلى مؤخرة رأس كروفورد. إذا أرادت إيقاف بافالو بيل، فقد كانت ضمن الزمرة المناسبة. نظم كروفورد عمليات صيد ناجحة لثلاثة قتلة متسلسلين. لكن ليس من دون خسائر. كان ويل جراهام، المتعقب الأشد مثابرة على الإطلاق في مجموعة كروفورد، أسطورة في الأكاديمية، كان أيضًا سكيرًا في فلوريدا الآن بوجه يصعب النظر إليه، كما قالوا.

ربما شعر كروفورد بها تحدق إلى مؤخرة رأسه. نهض من مقعد مساعد الطيار. لمس الطيار عجلة التوازن حين رجع كروفورد إليها وأحكم حزام مقعده بجانبها. عندما طوى نظارته الشمسية ووضع نظارته ثنائية البؤرة، شعرت بأنها تعرفه مرة أخرى.

عندما نظر من وجهها إلى التقرير وعاد إلى وجهها مرة أخرى، مرق شيء خلف وجهه واختفى بسرعة. تكشيرة متحركة أكثر من تكشيرة كروفورد كانت لتُظهر الندم. قال:

- أشعر بالحر، هل تشعرين بالحر؟

نادى الطيار:

- بوبي، الجو حار للغاية هنا.

عدَّل بوبي شيئًا ما ودخل الهواء البارد. تشكَّلت بضع رقاقات ثلجية في هواء المقصورة الرطب واستقرت في شعر ستارلِنج.

ثم عاد جاك كروفورد على طبيعته وهو يصطاد، عيناه تلمعان مثل يوم شتائي مشرق.

فتح الملف على خريطة وسط وشرق الولايات المتحدة. وُضعت علامات على مواقع العثور على الجثث على الخريطة، نثار من النقاط صامت وملتوٍ مثل كوكبة الجوزاء.

أخذ كروفورد قلمًا من جيبه ووضع علامة على الموقع الأحدث، هدفهما. قال:

- نهر إلك، نحو ستة أميال تحت الطريق السريع يو إس ٧٩. نحن محظوظون بشأن هذه الجثة. كانت الجثة عالقة على حبل خطافات - حبل لصيد الأسماك وُضع في النهر. لا يعتقدون أنها كانت في الماء وقتًا طويلًا. إنهم يحضرونها إلى بوتر، مقر المقاطعة. أريد أن أعرف مَن هي حتى نتمكن من البحث عن شهود على عملية الاختطاف. سنرسل البصمات مرة أخرى على خط أرضي بمجرد أن نحصل عليها.

أمال كروفورد رأسه لينظر إلى ستارلِنج من خلال قاع نظارته:

- جيمي برايس يقول إن بإمكانك التعامل مع جثة طافية.

قالت ستارلِنج:

- في الواقع، لم تكن لديَّ قَطُّ جثة طافية كاملة. كنت آخذ بصمات أصابع الأيدي التي تصل إلى السيد برايس في بريده كل يوم. كان عدد كبير منها مأخوذًا من جثث طافية، على الرغم من ذلك.

أولئك الذين لم يعملوا قَطُّ تحت إشراف جيمي برايس يعتقدون أنه رجل محبوب معتل المزاج. مثل معظم معتلِّي المزاج، هو حقًّا رجل مسن لئيم. جيمي برايس مشرف في قسم البصمات في معمل واشنطن. قضت ستارلِنج مدة عمل معه بوصفها زميلة في الطب الشرعي.

قال كروفورد باعتزاز:

- هذا هو جيمي. ماذا يُسمُّون هذه الوظيفة...

- يُطلَق على المنصب اسم «شقي المختبر»، أو يفضِّل بعض الأشخاص «إيجور»، وهذا ما يُطبع على المئزر المطاطي الذي يعطونك إياه.

- هذا كل شيء.

- يقولون لك أن تتظاهر بأنك تشرِّح ضفدعًا.
- أفهم...
- ثم يحضرون لك طردًا من يو بي إس. يشاهدون جميعًا، بعضهم عادوا في عجلة من أمرهم من استراحة القهوة، على أمل أنك ستتقيأ. يمكنني أخذ بصمات جثة طافية على نحو جيد. في الواقع...
- حسنًا، انظري الآن إلى هذا. عُثر على ضحيته الأولى التي نعرفها في نهر بلاكووتر بولاية ميسوري، خارج مدينة لون جاك، في يونيو الماضي. فتاة بيميل، أُبلغ عن اختفائها في بِلفِدير، بولاية أوهايو، في ١٥ من أبريل، قبل ذلك بشهرين. لم نتمكن من معرفة الكثير عنها، استغرق الأمر ثلاثة أشهر أخرى للحصول على هويتها فحسب. الثانية أمسك بها في شيكاغو في الأسبوع الثالث من شهر أبريل. عُثر علبها في نهر واباش في وسط مدينة لافاييت، بولاية إنديانا، بعد عشرة أيام فقط من أخذها، لذا تمكنَّا من معرفة ما حدث لها. بعد ذلك، كانت لدينا أنثى بيضاء، في أوائل العشرينيات، ملقاة في نهر رولِنج فورك بالقرب من طريق «أي ٦٥» السريع، على بُعد نحو ثمانية وثلاثين ميلًا جنوب لويزفيل، بولاية كنتاكي، لم يُتعرَّف عليها من قبل، وامرأة فارنر، أُمسِك بها في إيفانسفيل، بولاية إنديانا، وأُلقي بها في نهر إمباراس أسفل طريق ٧٠ السريع بين الولايات شرق ولاية إلينوي. ثم انتقل إلى الجنوب وألقى واحدة في نهر كوناسوجا أسفل مدينة داماسكس، بولاية جورجيا، نزولًا من الطريق ٧٥ السريع، كانت تلك فتاة كيتريدج من بيتسبرج، ها هي ذي صورة تخرجها. حظه كافر، فلم يرَه أحد قَطُّ. باستثناء أن إلقاء الجثث يحدث بالقرب من طريق سريع، لم نرَ أي نمط.
- إذا تتبعتَ الطرق الأكثر ازدحامًا إلى الخلف من مواقع الإلقاء، فهل تتقارب على الإطلاق؟
- لا.

سألت ستارلِنج، متجنبة بحرص الكلمة المحظورة \افترضتَ.

- ماذا لو... قدَّرتَ... أنه يُنزل ضحية ويختطف واحدة جديدة في الرحلة نفسها؟ كان سيُنزل الجثة أولًا، أليس كذلك، في حال واجه مشكلة في إمساك الضحية التالية؟ ثم، إذا قُبض عليه وهو يمسك شخصًا ما، فقد تنزل التهمة إلى الاعتداء، ويعترف ليصل إلى لا شيء إذا لم تكن لديه جثة في سيارته. إذن ماذا عن رسم المتجهات إلى الخلف من كل موقع اختطاف عبر موقع الإلقاء السابق؟ لقد جربتَه.

- هذه فكرة جيدة، لكنها كانت لديه أيضًا. إذا كان يؤدي كلتا المهمتين في رحلة واحدة، فهو يسلك مسارات متعرجة. لقد أجرينا محاكاة كمبيوتر، أولًا معه باتجاه الغرب على الطرق السريعة، ثم باتجاه الشرق، ثم تراكيب مختلفة مع أفضل التواريخ التي يمكن أن نضعها على مواقع الإلقاء والاختطاف. يضع المرء تلك المدخلات في الكمبيوتر فيعجز عن إخراج نتيجة، ويخرج الدخان. إنه يعيش في الشرق، كما يخبرنا. إنه يخبرنا بأنه لا يعمل وفق دورة القمر، لا ارتباط بين تواريخ متعارف عليها في المدن. لا يخبرنا بشيء له قيمة. لا، لقد رآنا قادمين يا ستارلِنج.

- تعتقد أنه حذر جدًّا من أن يكون انتحاريًّا.

أومأ كروفورد برأسه.

- بالتأكيد حذر جدًّا. لقد اكتشف كيف تكون لديه علاقة ذات معنى الآن، ويريد أن يفعل ذلك كثيرًا. آمالي ليست مرتفعة بشأن انتحار.

مرر كروفورد للطيار كوب ماء من تُرمس. أعطى ستارلِنج كوبًا، وخلط لنفسه كوبًا من مسكن ألكا-سلِتزر.

تقلصت معدتها عندما بدأت الطائرة في الهبوط.

- هناك عدة أمور يا ستارلِنج. أتطلع إلى شغل طب شرعي من الدرجة الأولى منكِ، لكنني بحاجة إلى أكثر من ذلك. أنت لا تقولين الكثير، وهذا جيد، ولا أنا كذلك. ولكن لا تشعري أبدًا بأن من الواجب عليك أن تكون لديك حقيقة جديدة تخبرينني بها قبل أن تتمكني من إثارة نقطة ما. لا توجد أي

أسئلة سخيفة. سترين أشياء لن أراها، وأريد أن أعرف ما هي. ربما لديك موهبة لهذا. فجأة لدينا هذه الفرصة لنرى ما إذا كانت لديك موهبة بالفعل.

بعد الاستماع إليه، وتقلص معدتها وتعبيرها الذاهل، تساءلت ستارلِنج منذ متى عرف كروفورد أنه سيستخدمها في هذه القضية، إلى أي مدى كان جائعًا لفرصة أرادها كي تكون في هذه القضية. لقد كان قائدًا، بما يروج له القائد من هراء الصراحة والانفتاح، حسنًا.

تابع كروفورد:

- فكِّري فيه بما يكفي، انظري أين كان، ولِّدي شعورًا به. لا تكرهيه طوال الوقت حتى، بمثل صعوبة ذلك عليك أن تؤمني. ثم، إذا كنت محظوظة، من بين كل الأشياء التي تعرفينها، فإن جزءًا منها ينتزعك، يحاول جذب انتباهك. أخبريني دائمًا عندما ينتزعك شيء ما يا ستارلِنج.

اسمعيني، الجريمة مربكة بما فيه الكفاية من دون أن تشوِّشها التحقيقات. لا تدعي قطيعًا من رجال الشرطة يربكك. عيشي خلف عينيك مباشرة. استمعي إلى نفسك. حافظي على الجريمة منفصلة عما يحدث حولك الآن، لا تحاولي أن تفرضي أي نمط أو نسق على هذا الرجل، ابقي منفتحة ودعيه يريك.

أمر آخر: تحقيق مثل هذا عبارة عن حديقة حيوانات. إنه ممتد على كثير من دوائر الاختصاص القضائية، وبعضها يديره فاشلون. علينا أن نتوافق معهم كي لا يخفوا معلومات عنا. إننا ذاهبان إلى بوتر، بولاية وِست فرجينيا. لا أعرف بشأن هؤلاء الأشخاص الذين سنذهب إليهم. قد يكونون على ما يرام، أو قد يعتقدون أننا عملاء حكوميون لتحصيل الإيرادات.

رفع الطيار سماعة أذن عن رأسه وتحدث من فوق كتفه:

- مرحلة هبوط الطائرة يا جاك. هل ستبقى هناك؟

قال كروفورد:

- نعم. انتهت المدرسة يا ستارلِنج.

١٢

الآن ها هي ذي دار جنازات بوتر، أكبر منزل بهيكل أبيض في شارع بوتر في بلدة بوتر، بولاية وِست فرجينيا، يعمل كمشرحة لمقاطعة رانكين. الطبيب الشرعي هو طبيب أسرة اسمه الدكتور أكين. إذا حكم أن الوفاة مشكوك في أمرها، تُرسل الجثة إلى مركز كلاكستون الطبي الإقليمي في المقاطعة المجاورة، حيث يوجد لديهم اختصاصي مدرب في علم الأمراض.

اضطرت كلاريس ستارلِنج، وهي راكبة داخل بلدة بوتر من مهبط الطائرات في الجزء الخلفي من سيارة دورية تابعة لإدارة المأمور، إلى الانحناء بالقرب من الحاجز الذي يفصل السجين بالخلف لسماع نائب المأمور الممسك بعجلة القيادة وهو يشرح هذه الأمور لجاك كروفورد.

كانت مراسم قداس على وشك البدء في المشرحة. ملأ المعزون مرتدين أفضل ثيابهم الريفية ليوم الأحد الرصيف بين سيقان أشجار البقس الطويل وتجمعوا على الدرج، في انتظار الدخول. أُقيم المنزل المطلي حديثًا والدرج، كلٌّ في اتجاهه الخاص، بشكل منحرف قليلًا.

في ساحة انتظار السيارات الخاصة خلف المنزل، حيث انتظرت عربات نقل الموتى، وقف نائبان شابان ونائب كبير في السن مع اثنين من قوات شرطة الولاية تحت شجرة دردار جرداء. لم يكن الجو باردًا بما يكفي كي تتحول أنفاسهم إلى بخار.

نظرت ستارلِنج إلى هؤلاء الرجال عندما اندفعت سيارة الدورية إلى ساحة

الانتظار، وعلى الفور عرفت أمورًا عنهم. عرفت أنهم جاءوا من منازل بها دواليب خشبية للملابس بدلًا من الخزانات، وعرفت إلى حدٍّ كبير ما كان في الدواليب الخشبية. عرفت أن لهؤلاء الرجال أقارب علَّقوا ملابسهم في حافظات على حوائط مقطوراتهم. كانت تعلم أن النائب الأكبر سنًّا قد نشأ في وجود مضخة للماء في المدخل المسقوف لمنزله، وأنه خاض في الماء الموحل كي يصل إلى الطريق ويلحق بحافلة المدرسة، وحذاؤه معلق حول رقبته بالأربطة، كما فعل والدها. عرفت أنهم حملوا وجبات الغداء إلى المدرسة في أكياس ورقية عليها بقع دهون بسبب استخدامها مرارًا وتكرارًا، وبعد الغداء طووا الأكياس ووضعوها في جيوب الجينز الخلفية.

تساءلت عن مدى ما يعرفه كروفورد عنهم.

لم يكن الجزء الداخلي من الأبواب الخلفية في سيارة الدورية به مقابض، كما اكتشفت ستارلِنج عندما خرج السائق وكروفورد، وبدآ السير نحو الجزء الخلفي من دار الجنازات. اضطرت إلى الطرق على الزجاج حتى رآها أحد النواب من تحت الشجرة، وعاد السائق ووجهه أحمر ليتيح لها الخروج.

راقبها النواب من الجنب في أثناء مرورها. قال أحدهم:

- سيدتي.

أعطتهم إيماءة وابتسامة بمقدار مضبوط من القوة الخافتة وهي في طريقها للانضمام إلى كروفورد في السقيفة الخلفية.

عندما ابتعدت بما يكفي، حك أحد النائبين الأصغر سنًّا، وهو متزوج حديثًا، أسفل فكه وقال:

- إنها لا تبدو جذابة بنصف قدر ما تعتقد.

قال النائب الشاب الآخر:

- إذا اعتقدَت أنها تبدو شديدة الجاذبية، فسيكون عليَّ أن أوافقها، بنفسي. كنت لأرتديها مثل قناع غاز مارك فايف.

قال النائب الأكبر وهو يكاد يُحدث نفسه:

- سأحصل على بطيخة كبيرة في أقرب وقت، إذا كانت باردة.

كان كروفورد يتحدث بالفعل إلى كبير النواب، رجل صغير مشدود يرتدي نظارة بإطار من الصلب وحذاءً من النوع ذي الجوانب المطاطة الذي تُسمِّيه الكتالوجات «روميوس».

كانوا قد انتقلوا إلى الممر الخلفي المعتم بدار الجنازات، حيث كانت آلة بيع الكولا تهمهم، ووقفت أشياء غريبة عشوائية على الحائط، ماكينة خياطة بدواسة، دراجة ثلاثية العجلات، لفافة من العشب الصناعي، ظُلة من القماش المخطط ملفوفة حول دعائمها. على الحائط كانت هناك صورة مطبوعة بلون بني داكن للقديسة سيسيليا جالسة إلى لوحة مفاتيح الأرغن. كان شعرها مضفرًا حول رأسها، والورد يتساقط على المفاتيح من العدم.

قال كروفورد:

- أنا ممتن لإخبارنا بهذه السرعة أيها المأمور.

لم يكن لدى النائب الرئيسي أي امتنان. قال:

- كان شخص ما من مكتب المدعي العام هو مَن اتصل بكم. أعلم أن المأمور لم يتصل بك، المأمور بيركنز في جولة إرشادية في هاواي في الوقت الحالي مع السيدة بيركنز. لقد تحدثت إليه في مكالمة طويلة المدى هذا الصباح في الساعة الثامنة، أي الساعة الثالثة صباحًا بتوقيت هاواي. سيعيد الاتصال بي في وقت لاحق من اليوم، لكنه أخبرني بأن المهمة الأولى هي معرفة ما إذا كانت هذه إحدى فتياتنا المحليات. يمكن أن يكون شيئًا ألقته علينا عناصر خارجية فحسب. سنميل إلى ذلك قبل أن نفعل أي شيء آخر. سئمنا من نقلهم الجثث إلى هنا على طول الطريق من فينيكس سيتي، ألاباما.

- عند هذه المرحلة يمكننا مساعدتك أيها المأمور. إذا...

- لقد كنت على الهاتف مع قائد الخدمات الميدانية لقوات شرطة الولاية في تشارلستون. سيرسل بعض الضباط من قسم التحقيقات الجنائية، ما يُعرَف بـ«CIS». سوف يقدمون لنا كل الدعم الذي نحتاج إليه.

كان الممر ممتلئًا بنواب المأمور وقوات شرطة الولاية. حظي كبير النواب بعدد كبير من المشاهدين.

- ستتواصل معكم بأسرع ما يمكن، ونقدم لكم كل مجاملة، ونعمل معكم بكل طريقة ممكنة، لكن في الوقت الحالي...

قال كروفورد، مشيرًا إلى وجود ستارلِنج بحركة صغيرة من رأسه:

- أيها المأمور، هذا النوع من الجرائم الجنسية له بعض الجوانب التي أُفضِّل أن أُخبرك بها بيننا فقط نحن الرجال، هل تفهم ما أعنيه؟

دفع الرجل الأصغر حجمًا في مكتب فوضوي خارج الردهة وأغلق الباب. تُركت ستارلِنج لإخفاء استيائها أمام قطيع من النواب. انطبقت أسنانها بقوة، حدقت إلى القديسة سيسيليا وردت ابتسامة القديسة الأثيرية بينما كانت تتنصت عبر الباب. تمكنت من سماع أصوات عالية، ثم مقتطفات من محادثة هاتفية. عادا إلى الردهة بعد أقل من أربع دقائق.

كان فم كبير النواب متوترًا.

- أوسكار، اخرج إلى الجزء الأمامي وأحضر الدكتور أكين. إنه مضطر نوعًا ما إلى حضور تلك الطقوس، لكنني لا أعتقد أنهم بدأوا هناك حتى الآن. أخبره بأن لدينا كلاكستون على الهاتف.

جاء الطبيب الشرعي، الدكتور أكين، إلى المكتب الصغير ووقف واضعًا قدمه على كرسي، وهو ينقر على أسنانه الأمامية بمروحة يدوية عليها الراعي الصالح، بينما كان يعقد مؤتمرًا هاتفيًّا قصيرًا مع اختصاصي علم الأمراض في كلاكستون. ثم وافق على كل شيء.

وهكذا، في غرفة تحنيط يزينها ورد الملفوف في ورق الحائط ولوحة مشكَّلة في قالب تحت سقفها المرتفع، في منزل بهيكل أبيض من النوع الذي تفهمه، التقت كلاريس ستارلِنج بأول دليل مباشر لها على بافالو بيل.

كانت حافظة الجثث ذات اللون الأخضر الفاتح، المغلق سحَّابها بإحكام، الشيء الوحيد المعاصر في الغرفة. تمددت على طاولة تحنيط قديمة من

البورسلين، منعكسة عدة مرات في الألواح الزجاجية للخزائن التي تحتوي على أدوات البزل الجراحية وعبوات من سائل ملء التجاويف لجعلها صلبة كالصخر.

ذهب كروفورد إلى السيارة لإحضار جهاز إرسال بصمات الأصابع، في حين فرَّغت ستارلِنج معداتها على لوح تصريف حوض مزدوج كبير مقابل الحائط.

كانت الغرفة ممتلئة بكثير من الناس. وتجول كثير من النواب، وكبير النواب معهم ولم يبدوا أي ميل إلى المغادرة. لم يكن ذلك سليمًا. لماذا لم يأتِ كروفورد ويتخلص منهم؟

انتفخ ورق الحائط في تيار هوائي، انتفخ للداخل بينما شغَّل الطبيب مروحة التهوية الكبيرة المتربة.

احتاجت كلاريس ستارلِنج الآن، بوقفتها عند الحوض، إلى نموذج أولي من الشجاعة أكثر ملاءمة وقوة من أي جندي بحرية يقفز بالمظلة. خطرت لها الصورة المتخيلة وساعدتها، لكنها اخترقتها أيضًا:

أمها، واقفة عند الحوض، تغسل الدم من قبعة والدها، تترك الماء البارد يسيل فوق القبعة، قائلة: «سنكون بخير يا كلاريس. قولي لإخوتك وأختك أن يغتسلوا ويأتوا إلى الطاولة. علينا أن نتكلم ثم نعد العشاء».

نزعت ستارلِنج وشاحها وربطته على شعرها مثل قابلة جبلية. أخرجت قفازين جراحيين من مجموعتها. عندما فتحت فمها لأول مرة في بوتر، كان في صوتها رنين أكثر من الطبيعي، وجلبت قوته كروفورد إلى الباب كي ينصت إليها.

- أيها السادة، أيها السادة، أيها الضباط والسادة! اسمعوا هنا دقيقة. من فضلكم. الآن دعوني أعتنِ بها.

وضعت يديها أمام وجوههم وهي تلبس القفازين.

- نحتاج إلى أداء بعض الأمور من أجلها. لقد أحضرتموها إلى هنا، وأنا أعلم أن أهلها سيشكرونكم إذا استطاعوا. الآن من فضلكم اخرجوا ودعوني أعتنِ بها.

رآهم كروفورد فجأة يصبحون هادئين ومحترمين ويحث بعضهم بعضًا للخروج في همسات:

- هيَّا يا جِس. دعنا نخرج إلى الفناء.

ورأى كروفورد أن الأجواء قد تغيرت هنا في وجود المتوفاة: إنه أيًّا كان المكان الذي جاءت منه هذه الضحية، ومهما كانت هويتها، فقد حملها النهر إلى الريف، وبينما كانت راقدة بلا حول ولا قوة في هذه الغرفة في الريف، ارتبطت بها كلاريس ستارلِنج بعلاقة خاصة. رأى كروفورد أن ستارلِنج في هذا المكان، كانت وريثة النساء الجدات، والنساء الحكيمات، المعالجات بالأعشاب، النساء الريفيات الحازمات اللاتي كن دائمًا يعملن اللازم، ويواصلن القيام بمهام الرعاية، وحين تنتهي مهام الرعاية يغسلن موتى الريف ويلبسنهم ثيابهم.

ثم لم يبقَ سوى كروفورد وستارلِنج والطبيب في الغرفة مع الضحية. الدكتور أكين وستارلِنج ينظران إلى بعضهما بنوع من التقدير. كان كلاهما مسرورًا على نحو غريب، خجِلًا على نحو غريب.

أخذ كروفورد برطمان فيكس فابوراب من جيبه وقدمه للموجودين. راقبت ستارلِنج لترى ما ينبغي فعله، وعندما دهن منه كروفورد والطبيب حول حواف أنفيهما، فعلت ذلك أيضًا.

أخرجت كاميراتها من حقيبة المعدات الموجودة على لوح الصرف، وظهرها إلى الغرفة. وخلفها سمعت صوت سحَّاب حافظة الجثة ينزل.

رمشت ستارلِنج ناظرة إلى ورد الملفوف على الحائط، أخذت نفسًا وأخرجته. استدارت ونظرت إلى الجثة على الطاولة.

قالت:

- كان يجب أن يضعوا أكياسًا ورقية على يديها. سأضعها عندما ننتهي.

بحرص، بعد إبطال تشغيل الكاميرا الأوتوماتيكية لضبط تعرضها للضوء، التقطت ستارلِنج صور الجثة.

كانت الضحية شابة جسيمة الوركين، طولها سبع وستون بوصة على شريط قياس ستارلِنج. رشح الماء لونها إلى الرمادي في المكان الذي اختفى منه الجلد، لكنه كان ماءً باردًا، ومن الواضح أنها لم تبقَ فيه أكثر من بضعة أيام. سُلخت الجثة بدقة من خط نظيف أسفل الثديين إلى الركبتين، حول المنطقة التي تُغطى بسروال مصارع الثيران وحزامه.

كان ثدياها صغيرين وبينهما، فوق عظم القص، كان السبب الواضح للوفاة، جرح ممزق على شكل نجمة بعرض اليد.

قُشر رأسها المستدير إلى أن ظهرت الجمجمة من فوق الحاجبين والأذنين إلى مؤخرة العنق.

قالت ستارلِنج:

- قال الدكتور لِكتر إنه سيبدأ سلخ فروة الرأس.

وقف كروفورد عاقدًا ذراعيه وهي تلتقط الصور. كان كل ما قاله:

- صوِّري أذنيها بالكاميرا البولارويد.

مضى إلى حد زم شفتيه في أثناء مشيه حول الجثة. نزعت ستارلِنج قفازها لتتبع بإصبعها أعلى ربلة الساق. جزء من حبل الصيد والخطافات الثلاثية التي تشابكت وأمسكت بالجثة في النهر الجاري لا يزال ملفوفًا حول الجزء السفلي من الساق.

- ماذا ترين يا ستارلِنج؟

- حسنًا، إنها ليست من السكان المحليين، أذناها مثقوبتان ثلاث مرات لكلٍّ منهما، وكانت تضع طلاءً لامعًا. تبدو لي كأنها من بلدة ما. ربما مر أسبوعان أو نحو ذلك من نمو الشعر على ساقيها. وانظر مدى نعومة نموه. أعتقد أنها تزيل شعر ساقيها بالشمع.

- ماذا عن الجرح؟

قالت ستارلِنج:

- لا أعرف. كنت سأقول إنه جرح ناتج عن خروج طلق ناري، باستثناء أنه يبدو

كأنه جزء من طوق ناتج عن كشط الجلد المحيط بجرح دخول المقذوفات وختم فوهة السلاح في الأعلى هناك.

- جيد يا ستارلِنج. إنه جرح مدخل رصاصة ملامس فوق عظمة القص. توسع غازات الانفجار بين العظم والجلد وتنفجر بشكل النجمة حول الثقب.

على الجانب الآخر من الجدار، أصدرت آلة أرغن أنبوبي أزيزًا في أثناء بدء القداس في الجزء الأمامي من دار الجنازات.

أسهم الدكتور أكين بإيماء رأسه:

- وفاة جنائية. يجب أن أذهب إلى هناك على الأقل لحضور جزء من هذا القداس. تتوقع العائلة دائمًا مني أن أبذل أقصى جهدي. سيكون لامار هنا لمساعدتك بمجرد أن ينتهي من عزف التقدمة الموسيقية. أنا أثق بكلامك بشأن الحفاظ على الأدلة لاختصاصي علم الأمراض في كلاكستون يا سيد كروفورد.

قالت ستارلِنج عندما ذهب الطبيب:

- لديها ظُفران مكسوران هنا في اليد اليسرى. إنهما مكسوران من النسيج الحي تحت الأظافر، ويبدو أن الأوساخ أو بعض الجسيمات الصلبة دُفعت تحت بعض الأظافر الأخرى. هل يمكننا أخذ أدلة؟

قال كروفورد:

- خذي عينات من الحبيبات، خذي بضع رقائق من الملمع. سنخبرهم بعد أن نحصل على النتائج.

جاء لامار، مساعد هزيل في دار الجنازات مصاب بمرض الوردية الجلدية في منتصف وجهه، جاء في أثناء فعلها ذلك. قال:

- لا بد أنك كنت اختصاصية عناية بالأظافر ذات مرة.

كانوا سعداء لرؤية أن الشابة لا تحمل علامات أظافر في راحتَي يديها، وهو مؤشر على أنها، مثل الأخريات، ماتت قبل أن يُفعل بها أي شيء آخر.

قال كروفورد:

- هل تريدين أخذ بصماتها ووجهها إلى أسفل يا ستارلِنج؟
- سيكون أسهل.
- دعينا نعمل على الأسنان أولًا، وبعد ذلك يمكن أن يساعدنا لامار على قلبها.
- صور فقط أم رسم تخطيطي؟

وصَّلت ستارلِنج مجموعة أدوات فحص الأسنان في الجزء الأمامي من كاميرا بصمات الأصابع، وارتاحت سرًّا لأن جميع الأجزاء كانت في الحقيبة.

قال كروفورد:

- صور فقط. الرسم التخطيطي يمكن أن يضللكِ من دون أشعة إكس. يمكننا استبعاد امرأتين مفقودتين بالصور.

كان لامار مترفقًا للغاية بيديه العازفتين على الأرغن، وهو يفتح فم المرأة الشابة في اتجاه ستارلِنج ويزيح شفتيها بينما وضعت ستارلِنج كاميرا البولارويد مقابل الوجه للحصول على تفاصيل الأسنان الأمامية. كان هذا الجزء سهلًا، لكن كان عليها أن تصور الأضراس بعاكس الحنَك، وأن تراقب من الجانب التوهج من خلال الخد للتأكد من أن الوميض حول العدسة يضيء داخل الفم. كانت قد شاهدت ذلك في صف الطب الشرعي فقط.

راقبت ستارلِنج أول طبعة من صور البولارويد للأضراس وهي تظهر، وضبطت التحكم في السطوع، وحاولت مرة أخرى. كانت هذه الطبعة أفضل. كانت هذه جيدة جدًّا.

قالت ستارلِنج:

- لديها شيء في حلقها.

نظر كروفورد إلى الصورة. أظهرت جسمًا أسطوانيًّا داكنًا خلف الحنك الرخو.

- أعطني المصباح اليدوي.

قال لامار، وهو يساعد كروفورد على النظر:

- عندما تخرج الجثة من الماء، في كثير من الأحيان يكون هناك ما يشبه الأوراق والأشياء في الفم.

أخرجت ستارلِنج ملقطًا من حقيبتها. نظرت إلى كروفورد عبر الجثة. أومأ برأسه. استغرق الأمر منها ثانية فقط للحصول عليه.

قال كروفورد:

- ما هذا؟ جراب بذور من نوع ما؟

قال لامار:

- لا يا سيدي، هذه شرنقة حشرة.

كان محقًّا. وضعتها ستارلِنج في برطمان.

قال لامار:

- قد ترغب في أن يلقي وكيل المقاطعة نظرة على ذلك.

والوجه إلى أسفل، كان من السهل أخذ بصمات الأصابع. تحضرت ستارلِنج للأسوأ، لكن لم تكن أيٌّ من طرق الحقن المملة والحساسة أو الأصابع المطاطية ضرورية. أخذت البصمات على مخزون بطاقات رقيقة في جهاز على شكل أداة ارتداء الحذاء. أخذت مجموعة من بصمات أصابع القدمين أيضًا، تحسبًا لوجود طبعة قدمَي رضيع فقط من المستشفى لأخذها كمرجع.

فُقدت قطعتان مثلثتان من الجلد من أعلى الكتفين. التقطت ستارلِنج الصور.

قال كروفورد:

- خذي القياسات أيضًا. لقد جرح الفتاة من مدينة أكرون عندما قطع ملابسها، ليس أكثر من مجرد خدش، لكنه طابق قطع الجزء الخلفي من بلوزتها عندما وجدوها بجانب الطريق. هذا شيء جديد، مع ذلك. لم أرَ هذا.

قالت ستارلِنج:

- يبدو كأنه حرق في مؤخرة ربلة ساقها.

قال لامار:

- يحدث هذا كثيرًا لكبار السن.

قال كروفورد:

- ماذا؟

- قلت يحدث هذا كثيرًا لكبار السن.
- سمعتك جيدًا، أريدك أن تشرح ذلك. ما شأن كبار السن؟
- يموت كبار السن وهم يضعون وسادة تدفئة، وبعد موتهم تحرقهم، حتى عندما لا تكون ساخنة لهذه الدرجة. أنت تحترق تحت وسادة التدفئة عندما تكون ميتًا. لا توجد دورة دموية تحتها.

قال كروفورد لستارلِنج:

- سنطلب من اختصاصي علم الأمراض في كلاكستون اختباره، ومعرفة ما إذا كان تاليًا للوفاة.

قال لامار:

- شكمان السيارة على الأرجح.
- ماذا؟

قال لامار:

- شكمان السيا.. شكمان السيارة. ذات مرة قُتل بيلي بيتري بالرصاص وألقوه في صندوق سيارته؟ قادت زوجته السيارة يومين أو ثلاثة أيام بحثًا عنه. عندما أحضروه إلى هنا، كان الشكمان قد صار ساخنًا تحت صندوق السيارة وأحرقه بهذه الطريقة، فقط عبر وركه. لا يمكنني وضع البقالة في صندوق سيارتي حتى لا يذوب الآيس كريم.

قال كروفورد:

- هذا تفكير جيد يا لامار، أتمنى لو عملت معي. هل تعرف الأشخاص الذين وجدوها في النهر؟
- جابو فرانكلين وشقيقه بوبا.
- ماذا يعملان؟
- العراك في حانة مووس، والسخرية من الأشخاص الذين لا يضايقونهما، يأتي شخص ما إلى حانة مووس ساعيًا إلى تناول مشروب بسيط، منهكًا من النظر إلى الثكالى طوال اليوم، وهو يقول: «اجلس هناك يا لامار، واعزف

أغنية «فيليبينو بيبي»»». يجعل شخصًا يعزف «فيليبينو بيبي» مرارًا وتكرارًا على بيانو الحانة القديم اللزج ذاك. هذا ما يحبه جابو. يقول: «حسنًا، ابتكر بعض الكلمات اللعينة إذا كنت لا تعرفها، واجعل للأغنية اللعينة قافية هذه المرة». يحصل على راتب من جمعية المحاربين القدامى، ويذهب ليفيق من السُّكْر في فرجينيا في وقت قريب من عيد الميلاد. كنت أتوقع وجوده على هذه الطاولة لمدة خمسة عشر عامًا.

قال كروفورد:

- سنحتاج إلى تحاليل السيروتونين على ثقوب خطاف صيد الأسماك. إنني أرسل ملاحظة إلى اختصاصي علم الأمراض.

قال لامار:

- خطافاتهما قريبة جدًّا من بعضها.

- ماذا قلت؟

- كان الأخوان فرانكلين يمدان حبلًا للصيد خطافاته قريبة جدًّا من بعضها. إنه انتهاك. ربما لهذا السبب لم يبلغا عنها حتى هذا الصباح.

- قال المأمور إنهما كانا صيادَي بط.

قال لامار:

- أتوقع أنهما أخبراه بذلك. سيخبرانك بأنهما صارعا دوك كيوموتا في هونولولو ذات مرة أيضًا، كوَّنا فريقًا ثنائيًّا مع ساتالايت مونرو. يمكنك تصديق ذلك أيضًا، إذا أردت ذلك. احصل على كيس من الخيش وسيأخذانك في رحلة قنص أيضًا، إذا كنت تفضِّل القنص. ويعطيانك نظارات بليباردو بعدسات عالية أيضًا.

- ماذا حدث في رأيك يا لامار؟

- كان الأخوان فرانكلين يمدان حبل خطافات الصيد هذا، إنه حبل الصيد الخاص بهما مع هذه الخطافات غير القانونية، وكانا يسحبانها لمعرفة إذا كانا قد حصلا على أي أسماك.

- لماذا تظن ذلك؟
- هذه السيدة ليست على وشك أن تطفو.
- لا.
- إذن إذا لم يسحبا حبل الخطافات فما كانا ليعثرا عليها قَطُّ. ربما خرجا خائفين وأبلغا أخيرًا. أتوقع أنك سترغب في أن يشارك مراقب الصيد في هذا الأمر.
قال كروفورد:
- أتوقع ذلك.
- في كثير من الأحيان يكون لديهما هاتف بذراع دوارة خلف المقعد في سيارتهما الرام تشارجر، هذا يستوجب غرامة كبيرة، إذا لم يستوجب ذهابك إلى السجن.
رفع كروفورد حاجبيه.
قالت ستارلِنج:
- للاتصال بالأسماك. تُصعق الأسماك بالتيار الكهربائي وأنت تُعلق الأسلاك في الماء وتدير الذراع. تخرج الأسماك إلى السطح وتغرفها إلى الخارج فحسب.
قال لامار:
- صحيح، هل أنتِ من هنا؟
قالت ستارلِنج:
- إنهم يفعلون ذلك في أماكن كثيرة.
شعرت ستارلِنج بالحاجة إلى قول شيء ما قبل أن يغلقوا سحَّاب حافظة الجثة؛ تقديم لفتة أو التعبير عن نوع من التعهد. في النهاية، هزت رأسها وانشغلت في تعبئة العينات في علبتها.
كان الأمر مختلفًا مع بقاء الجثة والمشكلة خارج نطاق الرؤية. في لحظة الركود هذه، استعادت ما كانت تفعله. خلعت ستارلِنج قفازيها وفتحت المياه في الحوض.

وظهرها إلى الغرفة، أجرت الماء على معصميها. لم يكن الماء في الأنابيب باردًا إلى هذا الحد. لامار، بعد مراقبتها، اختفى في الردهة. عاد من آلة بيع الكولا ومعه علبة صودا مثلجة، غير مفتوحة، وقدَّمها لها.

قالت ستارلِنج:

- لا، شكرًا. لا أعتقد أنني سأتناول واحدة.

قال لامار:

- لا، أمسكيها تحت عنقك هناك، وعلى ذلك النتوء الصغير في مؤخرة رأسك. ستجعلك البرودة تشعرين بتحسن. إنها تشعرني بذلك.

بحلول الوقت الذي انتهت فيه ستارلِنج من وضع المذكرة لاختصاصي علم الأمراض في سحَّاب حافظة الجثة، كان جهاز كروفورد لإرسال البصمة ينقر على المكتب.

كان العثور على هذه الضحية بعد وقت قصير من الجريمة ضربة حظ. صمم كروفورد على التعرُّف عليها بسرعة والبدء في المسح حول منزلها لإيجاد شهود الاختطاف. كانت طريقته متعبة جدًّا للجميع، لكنها كانت سريعة.

حمل كروفورد جهاز ليتون بوليسفاكس لإرسال بصمات الأصابع. على عكس أجهزة الفاكس من إصدار فدرالي، جهاز بوليسفاكس متوافق مع معظم أنظمة إدارات شرطة المدن الكبرى. كانت بطاقة طبع بصمات الأصابع التي جمعتها ستارلِنج بالكاد جافة.

- حمِّليها يا ستارلِنج، لديك أصابع رشيقة.

لا تلطخيها، كان هذا ما يقصده، ولم تلطخها ستارلِنج. كان الأمر صعبًا، لف البطاقة المركبة الملتصقة حول الأسطوانة الصغيرة بينما انتظرت ست غرف اتصالات في جميع أنحاء البلاد.

كان كروفورد على الهاتف مع مركز خطوط الهاتف بمكتب التحقيقات الفدرالي وغرفة الاتصالات في واشنطن.

- دوروثي، الجميع حاضرون؟ حسنًا، أيها السادة، سوف نخفضها إلى واحد

وعشرين لنبقيها متقنة وندقق بدقة، واحد وعشرين، الجميع؟ أتلانتا، ماذا عن ذلك؟ حسنًا، أعطني إرسال الصورة... الآن.

ثم كانت الأسطوانة تدور ببطء من أجل الوضوح، وترسل بصمات المرأة الميتة في وقت واحد إلى غرفة الاتصالات في مكتب التحقيقات الفدرالي وغرف الاتصالات الرئيسية في إدارات الشرطة في الشرق. إذا تلقت شيكاغو أو ديترويت أو أتلانتا أو أي من الإدارات الأخرى بصمات الأصابع، فسيبدأ المسح في غضون دقائق.

بعد ذلك، أرسل كروفورد صورًا لأسنان الضحية وصورًا لوجهها، بعد أن لفت ستارلِنج رأسها بمنشفة تحسبًا لحصول صحافة الإثارة على الصور.

وصل ثلاثة ضباط من قسم التحقيقات الجنائية بشرطة ولاية وِست فرجينيا من تشارلستون بينما كانوا في طريقهم للمغادرة. صافحهم كروفورد بشدة، وهو يمدهم ببطاقات رقم الخط الساخن لمركز معلومات الجريمة الوطني. كانت ستارلِنج مهتمة برؤية مدى السرعة التي أوصلهم بها إلى وضع الترابط الذكوري. من المؤكد أنهم سوف يتصلون لإبلاغ أي شيء يتوصلون إليه، من المؤكد سيفعلون ذلك. تأكد من ذلك وممتن كثيرًا. قررت أنه ربما لم يكن ذلك ترابطًا ذكوريًا، نجح معها أيضًا.

لوَّح لامار بأصابعه من السقيفة بينما سار كروفورد وستارلِنج بعيدًا مع النائب باتجاه نهر إلك. ما زالت الكولا باردة جدًّا. أخذها لامار إلى المخزن وأعد لنفسه مشروبًا منعشًا.

١٣

قال كروفورد للسائق:

- أنزلني عند المختبر يا جِف. ثم أريدك أن تنتظر الضابطة ستارلِنج عند متحف السميثسونيان. ستذهب من هناك إلى كوانتِكو.

- نعم سيدي.

كانوا يعبرون نهر بوتوماك في مواجهة حركة المرور المسائية، قادمين إلى وسط مدينة واشنطن من المطار الوطني.

فكرت ستارلِنج أن الشاب الجالس إلى عجلة القيادة بدا في حالة رهبة من كروفورد، وقاد السيارة بحذر شديد. لم تلُمه. كان هناك اعتقاد راسخ في الأكاديمية أن آخر عميل أخفق تمامًا تحت قيادة كروفورد يحقق الآن في سرقة منشآت خط محطات الرادار «دي إي دبليو» على طول الدائرة القطبية الشمالية.

لم يتمتع كروفورد بروح الدعابة. مرت تسع ساعات منذ أن نقل بصمات أصابع الضحية وصورها، وظلت مجهولة الهوية. جنبًا إلى جنب مع قوات شرطة وِست فرجينيا، عمل هو وستارلِنج على الجسر وضفة النهر حتى حلول الظلام من دون نتيجة.

سمعته ستارلِنج على الهاتف من الطائرة، يرتب لوجود ممرضة مسائية في المنزل.

بدت سيارة مكتب التحقيقات الفدرالي الصالون العادية هادئة إلى حدٍّ رائع بعد طائرة بلو كانوي، وكان الكلام أسهل.

قال كروفورد:

- سأرسل إلى الخط الساخن وبرنامج الفهرس الواصف للبصمات الكامنة عندما أُحمِّل البصمات التي رفعتِها إلى قسم تحديد الهوية. أرسلي إليَّ ملحقًا بالملف. ملحقًا، وليس نموذج ٣٠٢ التلخيصي، هل تعرفين كيفية فعل ذلك؟
- أعرف الطريقة.
- مثلًا أنا الفهرس، أخبريني ما الجديد.

استغرق الأمر منها ثانية لتتمالك نفسها، أسعدها أن كروفورد بدا مهتمًّا بالسقالات على نصب جيفرسون التذكاري في أثناء مرورهم به.

يقارن برنامج الفهرس الواصف للبصمات الكامنة في كمبيوتر قسم تحديد الهوية خصائص جريمة قيد التحقيق مع نزعات المجرمين المعروفة في ملف. عندما يجد أوجه تشابه واضحة، يقترح المشتبه فيهم ويخرج بصمات أصابعهم. ثم يقارن عامل بشري بصمات الملف بالبصمات الكامنة الموجودة في مكان الحادث. لم تكن هناك بصمات حتى الآن بشأن بافالو بيل، لكن كروفورد أراد أن يكون جاهزًا.

يتطلب النظام عبارات موجزة ومقتضبة. حاولت ستارلِنج أن تأتي ببعضها.

- أنثى بيضاء، في أواخر سن المراهقة أو أوائل العشرينيات، قتل بالرصاص، الجذع السفلي والفخذان منزوعة الجلد...
- ستارلِنج، الفهرس يعرف بالفعل أنه يقتل الشابات البيض ويسلخ جذوعهن، استخدمي كلمة «مسلوخ»، بالمناسبة، «منزوع الجلد» مصطلح غير مألوف قد لا يستخدمه ضابط آخر، ولا يمكنكِ التأكد من أن البرنامج الملعون سيقرأ مرادفًا للكلمة. إنه يعرف بالفعل أنه يرميهن في الأنهار. لا يعرف ما الجديد هنا. ما الجديد هنا يا ستارلِنج؟
- هذه هي الضحية السادسة، أول ضحية تُنزع فروة رأسها، أول ضحية أُخذت منها قطع مثلثة من ظهر الكتفين، أول ضحية يُطلق عليها النار في الصدر، أول ضحية في حلقها شرنقة.

- نسيتِ الأظافر المكسورة.
- لا يا سيدي، إنها الثانية بأظافر مكسورة.
- أنت محققة. استمعي، في الملحق الذي ستدخلينه إلى الملف، اكتبي أن الشرنقة سرية. سنستخدمها لاستبعاد الاعترافات الكاذبة.

قالت ستارلِنج:

- أتساءل عما إذا كان قد فعل ذلك من قبل، أي وضع شرنقة أو حشرة. سيكون من السهل تفويتها في عملية تشريح الجثة، خصوصًا مع جثة طافية. كما تعلم، يرى الفاحص الطبي سببًا واضحًا للوفاة، الجو حار هناك، ويرغبون في إنهاء الأمر... هل يمكننا التحقق من ذلك مرة أخرى؟
- إذا كان علينا ذلك. يمكنكِ الاعتماد على علماء الأمراض للقول إنهم لم يفوتوا أي شيء، بطبيعة الحال. لا تزال فتاة مدينة سينسيناتي المجهولة في الثلاجة هناك. سأطلب منهم أن يفحصوها، لكن الأربع الأخريات في الأرض، أوامر استخراج الجثث تثير الناس، اضطررنا إلى فعل ذلك مع أربعة مرضى ماتوا تحت رعاية الدكتور لِكتر، فقط للتأكد من سبب مقتلهم. دعيني أخبركِ، إنها مشكلة كبيرة وتزعج الأقارب. سأفعل ذلك إذا اضطررت إليه، لكننا سنرى ما ستكتشفينه في متحف السميثسونيان قبل أن أقرر.
- سلخ فروة الرأس... هذا نادر، أليس كذلك؟

قال كروفورد:

- بلى، غير شائع.
- لكن الدكتور لِكتر قال إن بافالو بيل سيفعل ذلك. كيف عرف بالأمر؟
- لم يعرف.
- قالها، على الرغم من ذلك.
- إنها ليست مفاجأة كبيرة يا ستارلِنج. لم أتفاجأ برؤية ذلك. كان يجب أن أقول إنه كان نادرًا حتى قضية مينجل، أتذكرينها؟ سلخ فروة رأس المرأة؟ كان هناك اثنان أو ثلاثة من المقلدين بعد ذلك. أكدت الصحف

أكثر من مرة، عندما كانت تتلاعب بالعلامة المميزة لبافالو بيل، أن هذا القاتل لا يأخذ فروة الرأس. الأمر ليس مفاجئًا بعد ذلك، من المحتمل أن القاتل بدأ يتابع الصحافة التي تنشر عنه. كان لِكتر يخمن. لم يقل متى سيحدث ذلك، لذا لا يمكن أن يكون مخطئًا أبدًا. إذا أمسكنا بيل ولم يكن هناك سلخ لفروة الرأس، فبوسع لِكتر أن يقول إننا نلنا منه قبل أن يفعل ذلك مباشرة.

- قال الدكتور لِكتر أيضًا إن بافالو بيل يعيش في منزل من طابقين. لم نتطرق إلى ذلك الأمر من قبل. لماذا تفترض أنه قال ذلك؟

- هذا ليس تخمينًا. من المحتمل جدًّا أنه محق، وربما أمكنه أن يخبرك لماذا، لكنه أراد أن يثيرك بالأمر. إنها نقطة الضعف الوحيدة التي رأيتها فيه، يجب أن يبدو ذكيًّا، أكثر ذكاءً من أي شخص آخر. لقد كان يفعل ذلك لسنوات.

- قلت أن أسأل إذا كنت لا أعلم - حسنًا، يجب أن أطلب منك شرح ذلك.

- حسنًا، شُنقت اثنتان من الضحايا، أليس كذلك؟ علامات أربطة عالية، انزياح عنقيٌّ، شنق أكيد. كما يعلم الدكتور لِكتر من تجربة شخصية، ستارلِنج، من الصعب جدًّا على شخص شنق شخص آخر ضد إرادته. الناس يشنقون أنفسهم من مقابض الأبواب طوال الوقت. يشنقون أنفسهم وهم جالسون، هذا سهل. لكن من الصعب شنق شخص آخر، حتى عندما يكون مقيدًا، يتمكنون من وضع أقدامهم تحتهم، إذا كان هناك أي دعم يجدونه بأقدامهم. تهديد السلَّم. لن يتسلق الضحايا السلم معصوبي الأعين وهم بالتأكيد لن يتسلقوه إذا تمكنوا من رؤية المشنقة. والطريقة التي يتم بها ذلك هي في بئر الدرَج. الدرَج مألوف. أخبرهم بأنك ستصطحبهم لاستخدام الحمَّام، أيًّا كان، اصعد بهم ورؤوسهم مغطاة، وأنزل المشنقة عليهم، واركلهم من أعلى الدرج والحبل مربوط بالدرابزين. إنها الطريقة الوحيدة الجيدة في المنزل. شهرها أحد الأشخاص في كاليفورنيا. إذا

لم يكن لدى بيل بئر درَج، كان سيقتلهم بطريقة أخرى. الآن أعطيني هذه الأسماء، النائب الأول من بوتر ورجل شرطة الولاية، الضابط ذو الرتبة العليا.

وجدتهما ستارلِنج في دفتر ملاحظاتها، تقرأ بواسطة مصباح يدوي صغير مثبت في أسنانها.

قال كروفورد:

- حسنًا. حين تتواصلين على خط ساخن يا ستارلِنج، انسبي الفضل دائمًا إلى رجال الشرطة بالاسم. فهم يسمعون أسماءهم، ويصبحون أكثر ودًّا مع الخط الساخن. تساعدهم الشهرة على تذكر الاتصال بنا إذا توصلوا إلى شيء ما. ماذا يقول لك الحرق على ساقها؟

- يعتمد على ما إذا كان لاحقًا للوفاة.

- وإذا كان؟

- إذن لديه شاحنة مغلقة أو سيارة نقل مغلقة أو سيارة صالون عائلية، شيء طويل.

- لماذا؟

- لأن الحروق ممتدة عبر مؤخرة ربلة الساق.

كانوا عند تقاطع الشارع العاشر وشارع بنسلفانيا، أمام مقر مكتب التحقيقات الفدرالي الجديد الذي لا يشير إليه أحد على الإطلاق بمبنى ج. إدجار هوفر.

قال كروفورد:

- جِف، يمكنك أن تدعني أخرج هنا. هنا، لا تذهب إلى أسفل المبنى. ابقَ في السيارة يا جِف، فقط افتح صندوق السيارة. تعالي وأريني يا ستارلِنج.

خرجت مع كروفورد بينما كان يسترد جهاز الفاكس الخاص به وحقيبته من صندوق السيارة.

قالت ستارلِنج:

- لقد نقل الجثة في شيء كبير بما يكفي لتتمدد الجثة على ظهرها. هذه هي

الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تستريح بها ربلة ساقها على الأرض فوق ماسورة العادم. في صندوق سيارة مثل هذه، ستتكور على جانبها و...

قال كروفورد:

- نعم، هكذا أرى الأمر.

أدركت حينها أنه أخرجها من السيارة حتى يتمكن من التحدث معها على انفراد.

- عندما أخبرتُ ذلك النائب بأنه لا يجب أن نتحدث أمام امرأة، أغضبكِ ذلك، أليس كذلك؟

- بلى.

- كان ذلك مجرد تغطية. أردت أن أنفرد به.

- وأنا أعلم ذلك.

- حسنًا.

أغلق كروفورد صندوق السيارة والتفت. لم تستطع ستارلِنج ترك الأمر يمر.

- هذا الأمر مهم يا سيد كروفورد.

كان يعاود الالتفات إليها محملًا بجهاز الفاكس الخاص به وحقيبته، وقد حظيت باهتمامه الكامل.

قالت:

- رجال الشرطة هؤلاء يعرفون مَن أنت. إنهم يتطلعون إليك ليروا كيف تتصرف.

وقفت بثبات، هزت كتفيها، وفتحت راحتيها. ذلك ما كانت عليه الحال، كان ذلك صحيحًا.

قاس كروفورد الأمر بموازينه الباردة.

- عُلم على النحو الواجب يا ستارلِنج. الآن واصلي العمل على موضوع الحشرة.

- نعم سيدي.

راقبته وهو يبتعد، رجل في منتصف العمر محمل بالحافظات وأشعث بفعل الطيران، ثنيتا سرواله موحلتان بفعل ضفة النهر، عائدًا إلى الديار ليفعل ما فعله في الديار.

كانت على استعداد أن تقتل من أجله. كانت تلك إحدى مواهب كروفورد العظيمة.

١٤

كان متحف السميثسونيان الوطني للتاريخ الطبيعي قد أُغلق منذ ساعات، لكن كروفورد اتصل سابقًا، وانتظر أحد الحراس للسماح بدخول كلاريس ستارلِنج من مدخل طريق كونستِتيوشن أفينيو.

كانت الأضواء خافتة في المتحف المغلق والهواء ساكنًا. فقط التمثال الهائل لزعيم قبيلة من بحار الجنوب المواجه للمدخل وقف شامخًا بما يكفي ليتألق ضوء السقف الضعيف على وجهه.

كان دليل ستارلِنج رجلًا أسود ضخمًا مرتديًا التجهيزات الأنيقة لحراس السميثسونيان. ظنت أنه يشبه الزعيم وهو يرفع وجهه إلى أضواء السقف. كانت هناك لحظة من الراحة في صورتها المتخيلة الخاملة، مثل تدليك تشنج عضلي.

المستوى الثاني فوق الفيل الضخم المحشو، طابق شاسع مغلق أمام الجمهور، تشترك فيه أقسام الأنثروبولوجيا وعلم الحشرات. يُسمِّيه علماء الأنثروبولوجيا «الطابق الرابع». يجادل علماء الحشرات أنه الثالث. يقول عدد قليل من علماء الزراعة إن لديهم دليلًا على أنه السادس. لكل فصيل موضع في المبنى القديم بإضافاته وأقسامه الفرعية.

تبعت ستارلِنج الحارس في متاهة كابية من الممرات المحاطة بجدران ارتفعت عليها عاليًا صناديق خشبية من العينات الأنثروبولوجية. فقط الملصقات الصغيرة كشفت عن محتوياتها.

قال الحارس:

- آلاف من الناس في هذه الصناديق. أربعون ألف عينة.

وجد أرقام المكتب على ضوء مصباحه اليدوي، وأخذ يسلط الضوء على الملصقات في أثناء سيرهما.

أفسحت حاملات الرُّضع التي تعود إلى شعب الداياك والجماجم الاحتفالية المجال لحشرات المنِّ، وتركت الإنسان لصالح عالم الحشرات الأكبر والأكثر تنظيمًا. الممر مسدود الآن بصناديق معدنية كبيرة مطلية باللون الأخضر الباهت.

أرشدها الحارس:

- ثلاثون مليون حشرة، والعناكب فوقها. لا نجمع العناكب مع الحشرات. سيوبخك بشدة اختصاصيو العناكب بشأن ذلك. هناك، المكتب المضاء. لا تحاولي الخروج بنفسك. إذا لم يقولوا إنهم سيصطحبونكِ إلى الأسفل، اتصلي بي على هذا الرقم، إنه مكتب الحراسة، سآتي لاصطحابك.

أعطاها بطاقة وتركها.

كانت في قلب علم الحشرات، في رواق معمَّد كبير مستدير مرتفع فوق الفيل الكبير المحشو. كان المكتب مضاءً والباب مفتوحًا.

- الوقت يا بيلتش!

صوت رجل، صاخب بفعل الإثارة.

- لنذهب إلى هنا. الوقت!

توقفت ستارلِنج عند المدخل. جلس رجلان إلى طاولة مختبر يلعبان الشطرنج. كلاهما كان في الثلاثين من عمره، أحدهما أسود الشعر ونحيف، والآخر مكتنز، له شعر أحمر مجعد. يبدو أنهما مستغرقان في رقعة الشطرنج. إذا لاحظا ستارلِنج، لم يبديا أي علامة. إذا لاحظا خنفساء وحيد القرن الهائلة تشق طريقها ببطء عبر الرقعة، وتنسج بين قطع الشطرنج، لم يبديا أي علامة على ذلك أيضًا.

ثم عبرت الخنفساء حافة الرقعة. قال الرجل النحيل على الفور:
- الوقت يا رودِن.

حرك الرجل المكتنز قطعة الفيل، وأدار الخنفساء على الفور، وجعلها تبدأ المشي بتثاقل عائدة في الاتجاه الآخر.

سألت ستارلِنج:
- إذا قطعت الخنفساء عبر الزاوية فهل ينتهي الوقت حينها؟

قال الرجل المكتنز بصوت عالٍ، من دون أن ينظر إلى الأعلى:
- بالطبع ينتهي الوقت. بالطبع ينتهي حينها. كيف تلعبين؟ هل تجعلينها تعبر الرقعة بأكملها؟ تلعبين ضد مَن، حيوان الكسلان؟
- لديَّ العينة التي اتصل العميل الخاص كروفورد بشأنها.

قال الرجل المكتنز:
- لا أستطيع أن أتخيل لماذا لم نسمع صفارة الإنذار الخاصة بكم. نحن ننتظر طوال الليل هنا للتعرُّف على حشرة من أجل مكتب التحقيقات الفدرالي. الحشرات هي كل ما نفعله. لم يقل أحد أي شيء عن عينة العميل الخاص كروفورد. يجب أن يُظهر عينته في خصوصية لطبيب عائلته. الوقت يا بيلتش!

قالت ستارلِنج:
- سأود أن أفهم نشاطكم المعتاد كله في مرة أخرى، لكن هذا أمر عاجل، لذلك دعونا نفعل ذلك الآن. الوقت يا بيلتش.

بحث ذو الشعر الأسود حوله عنها، رآها تستند إلى إطار الباب بحقيبة أوراقها. وضع الخنفساء على خشب متعفن في صندوق وغطاه بورقة خس.

عندما قام، كان طويل القامة.

قال:
- أنا نوبل بيلتشر. هذا ألبرت رودِن. أنت بحاجة إلى التعرُّف على حشرة محددة؟ يسعدنا مساعدتك.

اتسم بيلتشر بوجه طويل ودود، لكن عينيه السوداوين كانتا كأعين السحرة

نوعًا ما، وقريبتين جدًّا من بعضهما، وكان بإحداهما حوَل طفيف جعلتها تلتقط الضوء على نحو مستقل. لم يعرض المصافحة.

- أنتِ...؟

- كلاريس ستارلِنج.

- دعينا نرَ ما لديكِ.

حمل بيلتشر البرطمان الصغير إلى النور.

جاء رودِن للنظر.

- أين وجدتِها؟ هل قتلتِها بمسدسك؟ هل رأيتِ ماما معها؟

خطر ببال ستارلِنج كم سيستفيد رودِن من ضربة كوع في مفصل فكِّه.

قال بيلتشر:

- ششش. أخبرينا أين وجدتِها. هل كانت مرتبطة بأي شيء - غصين أو ورقة - أم أنها كانت في التربة؟

قالت ستارلِنج:

- فهمت. لم يكلمك أحد.

قال بيلتشر:

- طلب منا الرئيس أن نبقى لوقت متأخر، وأن نتعرَّف على حشرة من أجل مكتب التحقيقات الفدرالي.

قال رودِن:

- أخبرنا. أخبرنا بأن نبقى لوقت متأخر.

قال بيلتشر:

- نفعل ذلك طوال الوقت من أجل الجمارك ووزارة الزراعة.

قال رودِن:

- لكن ليس في منتصف الليل.

قالت ستارلِنج:

- عليَّ أن أخبركما بأمرين يتعلقان بقضية جنائية. يُسمح لي بفعل ذلك إذا كنتما

ستبقيان الأمر سرًّا حتى تُحل القضية. هذا مهم. إنه يعني بعض الأرواح، وأنا لا أقول ذلك فحسب. الدكتور رودِن، هل يمكنك أن تخبرني بجدية أنك ستلتزم السرية؟

- لم أحصل على الدكتوراه. هل يجب أن أوقع على أي شيء؟

- ليس إذا كانت لكلمتك أي فائدة. سيتعين عليك التوقيع على العينة إذا كنت تريد الاحتفاظ بها، هذا كل شيء.

- بالطبع سأساعدك. أنا لست متقاعسًا.

- دكتور بيلتشر؟

قال بيلتشر:

- هذا صحيح. إنه ليس متقاعسًا.

- السرية؟

- لن أخبر أحدًا.

قال رودِن:

- لم يحصل بيلتش على الدكتوراه بعد أيضًا. نحن على أساس تعليمي متساوٍ. لكن لاحظي كيف تركتِ تنادينه بذلك.

وضع رودِن طرف سبابته على ذقنه، كما لو كان يشير إلى تعبيره الحكيم.

- أعطينا جميع التفاصيل. ما قد يبدو غير ذي صلة بالنسبة إليكِ يمكن أن يمثِّل معلومات حيوية بالنسبة إلى خبير.

- عُثر على هذه الحشرة خلف الحنك الرخو لضحية جريمة قتل. لا أعرف كيف وصلت إلى هناك. كانت جثتها في نهر إلك في وِست فرجينيا، ولم تمُت منذ أكثر من بضعة أيام.

قال رودِن:

- إنه بافالو بيل، لقد سمعت الأمر في الراديو.

قالت ستارلِنج:

- لم تسمع عن الحشرة في الراديو، أليس كذلك؟

- نعم، لكنهم قالوا نهر إلك، هل أنت قادمة من هناك اليوم، هل هذا سبب تأخرك؟

قالت ستارلِنج:

- نعم.

قال رودِن:

- لا بد أنك متعَبة، هل تريدين بعض القهوة؟

- لا، شكرًا.

- ماء؟

- لا.

- كولا؟

- لا أعتقد ذلك. نريد أن نعرف أين احتُجزت هذه المرأة وأين قُتلت. نأمل أن يكون لهذه الحشرة موطن مميز من نوع ما، أو أن تكون محدودة النطاق، كما تعلم، أو أنها تنام فقط على نوع ما من الأشجار، نريد أن نعرف من أين أتت هذه الحشرة. أطلب التزامك السرية لأن... الجاني وضع الحشرة هناك عمدًا... حينها فقط هو مَن يعرف هذه الحقيقة، ويمكننا استخدامها لاستبعاد الاعترافات الكاذبة وتوفير الوقت. لقد قتل ستًّا على الأقل. الوقت يستنزفنا.

سأل رودِن في وجهها:

- هل تعتقدين أنه يحتجز امرأة أخرى هذه اللحظة، بينما نحن ننظر إلى حشرته؟

كانت عيناه متسعتين وفمه مفتوحًا. بإمكانها أن ترى ما بداخل فمه، وللحظة تذكرت شيئًا آخر.

- لا أعرف.

صيحة حادة، تلك. قالت مرة أخرى لتخفف من حدة الأمر:

- لا أعرف. سيفعل ذلك مرة أخرى بأسرع ما يمكن.

قال بيلتشر:

- لذا سنفعل ذلك بأسرع ما يمكن. لا تقلقي، نحن ماهران في هذا. لا يمكن أن تكوني في أيدٍ أفضل.

أخرج الجسم البني من البرطمان بملقط رفيع ووضعه على ورقة بيضاء تحت الضوء. لف عدسة مكبرة على ذراع مرنة فوقه.

كانت الحشرة طويلة وبدت كأنها مومياء. كانت مغلفة بغطاء شبه شفاف يحد خطوطها العامة مثل التابوت الحجري. كانت الزوائد مقيدة بإحكام على الجسم، وربما نُحتت بتحديد غائر. بدا الوجه الصغير حكيمًا.

قال بيلتشر:

- في البداية، ليست أي شيء يصيب الجسد عادة في مكان مفتوح، ولن يكون في الماء إلا بالمصادفة. لا أعرف مدى درايتكِ بالحشرات أو إلى أي مدى تريدين أن تسمعي.

- دعنا نقُل إنني لا أعرف الكثير. أريدك أن تخبرني بكل شيء.

قال بيلتشر:

- حسنًا، هذه خادرة عذراء، حشرة في طور النمو، في شرنقة، هذه هي الشرنقة التي تحملها بينما تتحول من يرقة إلى بالغة.

جعد رودِن أنفه ليرفع نظارته.

- عذراء مكبَّلة يا بيلتش.

- نعم، أعتقد ذلك. هل تريد أن تسحب مرجع تشو للبحث عن الحشرات اليافعة؟ حسنًا، هذه هي المرحلة العذراء لحشرة كبيرة. معظم الحشرات الأكثر تقدمًا تمر بطور العذراء. كثير منها تقضي الشتاء بهذه الطريقة.

قال رودِن:

- تختار الكتاب أم النظر يا بيلتش؟

- النظر.

نقل بيلتشر العينة إلى منصة المجهر، وانحنى فوقها وفي يده مسبار أسنان.

- ها نحن أولاء: لا توجد أعضاء تنفسية مميزة في منطقة العضلة الظهرية، والفتحات التنفسية على الصدر الأوسط وبعض عضلات البطن، فلنبدأ بذلك.

قال رودِن وهو يقلب الصفحات في دليل صغير:

- امممم. فكوك علوية وظيفية؟

- لا.

- جاليا مزدوجة من الفك العلوي على النصف البطني؟

- نعم، نعم.

- أين المجسات؟

- مجاورة للحاشية الوسطى للأجنحة. زوجان من الأجنحة، الزوج الداخلي مغطى بالكامل. فقط الأجزاء الثلاثة السفلية من البطن خالية. عضلات معلَّقة صغيرة مدببة، سأقول حرشفيات الأجنحة.

قال رودِن:

- هذا المكتوب هنا.

قال بيلتشر:

- إنها العائلة التي تضم الفراشات والعُث. تغطي كثيرًا من المناطق.

قال رودِن:

- سيكون الأمر صعبًا إذا كانت الأجنحة مغمورة. سأسحب المراجع. أعتقد أنه لا توجد طريقة لمنعك من التحدث عني في أثناء غيابي.

قال بيلتشر:

- لا أظن ذلك.

أخبر ستارلِنج بمجرد أن غادر رودِن الغرفة:

- رودِن ماهر.

- أنا متأكدة أنه كذلك.

- أنتِ متأكدة الآن.

بدا بيلتشر مستمتعًا.

- كنا ندرس في الجامعة معًا، ونعمل ونتعلق بأي نوع من منح الزمالة الدراسية التي نتمكن من الحصول عليها. لقد حصل على واحدة حيث كان عليه أن يجلس في منجم فحم في انتظار تحلل البروتون. لقد بقي في الظلام فترة طويلة جدًّا. إنه بخير. فقط. لا تذكري تحلل البروتون.

- سأحاول أن أبتعد عن الكلام عن هذا الموضوع.

ابتعد بيلتشر عن الضوء الساطع.

- إنها عائلة كبيرة، حرشفيات الأجنحة. ربما ثلاثون ألف فراشة ومائة وثلاثون ألفًا من العُث. أود إخراجها من الشرنقة، سأضطر إلى ذلك إذا كنا سنضيق نطاق البحث.

- حسنًا. هل يمكنك فعل ذلك والحفاظ عليها سليمة؟

- أعتقد ذلك. انظري، لقد بدأت هذه الخروج من تلقاء نفسها قبل أن تموت. لقد بدأت كسرًا غير منتظم في الشرنقة هنا. قد يستغرق هذا بعض الوقت.

مدد بيلتشر الانقسام الطبيعي في الجراب، وأخرج الحشرة بسلاسة. كان الجناحان المضمومان مبتلَّين. كان نشرهما أشبه بالعمل على أحد أنسجة الوجه المحشورة والمبتلَّة. ما من نمط يمكن رؤيته.

عاد رودِن ومعه الكتب. قال بيلتشر:

- مستعد؟ حسنًا، فخذ الساق الصدرية مستترة.

- وماذا عن أعضاء السمع الشفوية؟

قال بيلتشر:

- لا توجد أعضاء سمع شفوية. هلَّا أطفأتِ النور يا ضابطة ستارلِنج؟

انتظرت بجانب المفتاح بالحائط حتى اشتغل ضوء مصباح بيلتشر اليدوي الصغير. تراجع عن الطاولة وسلطه على العينة. توهجت عينا الحشرة في الظلام عاكستين الشعاع الضيق.

قال رودِن:

- عُثة بوميَّة.

قال بيلتشر:

- على الأرجح، لكن أي واحدة؟ أشعلي النور من فضلك. إنها عائلة عُثة النُّكتوِد (Noctuid)، يا ضابطة ستارلِنج، عُثة ليلية. كم عدد أنواع النُّكتوِد يا رودِن؟

- ألفان وستمائة، و... وُصف نحو ألفين وستمائة.

- ليس كثير منها بهذا الحجم. حسنًا، دعنا نرَك تتألق يا زميلي.

غطى رأس رودِن الأحمر المجعد المجهر.

قال بيلتشر:

- علينا أن نتجه لفحص ترتيب الشعيرات الآن، دراسة جلد الحشرة لتضييق نطاق البحث إلى نوع واحد. رودِن هو الأفضل في ذلك.

راود ستارلِنج شعور بأن اللطف قد مر في الغرفة. رد رودِن ببدء جدال شرس مع بيلتشر حول ما إذا كانت البثور اليرقانية للعينة مرتبة في دوائر أم لا. احتدم خلال مناقشة ترتيب الشعيرات على البطن.

قال رودِن أخيرًا:

- إريبوس أودورا.

قال بيلتشر:

- دعونا نذهب وننظر.

أخذوا العينة معهم، إلى أسفل في المصعد إلى المستوى الواقع فوق الفيل الكبير المحشو مباشرة، وعادوا إلى ساحة رباعية ضخمة مليئة بالصناديق الخضراء الباهتة. ما كان سابقًا قاعة كبيرة قُسمت إلى مستويين مع أسطح لتوفير مساحة تخزين أكبر لحشرات متحف السميثسونيان. صاروا الآن في المناطق الاستوائية الجديدة، يتحركون إلى عائلة عُثة النُّكتوِد. استشار بيلتشر دفتر ملاحظاته، وتوقف عند صندوق مرتفع إلى مستوى الصدر في كومة الحائط العظيمة.

قال وهو يزحزح الباب المعدني الثقيل عن الصندوق ويضعه على الأرض:

- يجب أن تكوني حذرة مع هذه الأشياء. أسقطي واحدًا على قدمك وستحجلين لأسابيع.

مرر إصبعه على الأدراج المكدسة، اختار واحدًا، وسحبه للخارج.

في الصينية، رأت ستارلِنج البيض الصغير المحفوظ، واليرقة في أنبوب من الكحول، وشرنقة قُشِّرت بعيدًا من عينة مشابهة جدًّا لعينتها، والحشرة البالغة - عُثة كبيرة بنية - سوداء بجناحين مفرودين لنحو ست بوصات، جسم مغطى بالزغب، وقرون استشعار أسطوانية.

قال بيلتشر:

- إريبوس أودورا، عُثة الساحرة السوداء.

كان رودِن يقلب الصفحات بالفعل. قرأ:

- «نوع استوائي أحيانًا تبتعد حتى كندا في الخريف، تأكل اليرقات نباتات الأكاسيا، ومخلب القط، ونباتات مماثلة. موطنها الأصلي جزر الهند الغربية، جنوب الولايات المتحدة، تُعَد آفة زراعية في هاواي».

حقير، فكرت ستارلِنج، قالت بصوت عالٍ:

- هذا جنون، إنها في كل مكان.

- لكنها ليست في كل مكان في كل وقت.

كان رأس بيلتشر إلى أسفل. أخذ يجذب ذقنه:

- هل هي مزدوجة الفقسة يا رودِن؟

- انتظر ثانية... نعم، في أقصى جنوب فلوريدا وجنوب تكساس.

- متى؟

- مايو وأغسطس.

قال بيلتشر:

- عينتكِ متطورة أكثر من تلك التي لدينا قليلًا، وهي غضة. لقد بدأت في شق شرنقتها لتخرج. في جزر الهند الغربية أو هاواي، يمكنني أن أفهم ذلك،

لكنه الشتاء هنا. في هذا البلد ستنتظر ثلاثة أشهر لتخرج، ما لم يحدث ذلك عرضًا في دفيئة، أو رباها شخص ما.

- رباها كيف؟

- في قفص، في مكان دافئ، مع بعض أوراق الأكاسيا كي تأكل اليرقات حتى تصبح جاهزة للكمون في شرانقها. ليس من الصعب فعل ذلك.

- هل هي هواية شائعة؟ بعيدًا عن الدراسة المهنية، هل يمارسها كثير من الناس؟

- لا، في المقام الأول علماء الحشرات الذين يحاولون الحصول على عينات مثالية، وربما عدد قليل من هواة الجمع. هناك صناعة الحرير أيضًا، إنهم يربون العُث، لكن ليس هذا النوع.

قالت ستارلِنج:

- لا بد أن لدى علماء الحشرات دوريات، ومجلات مهنية، وأشخاصًا يبيعون المعدات.

- بالتأكيد، وتأتي معظم المنشورات إلى هنا.

قال رودِن:

- دعيني أعد لك حزمة منها. يشترك عدة أشخاص هنا سرًّا في الرسائل الإخبارية الأصغر، يقفلون عليها ويجعلونك تعطينهم ربع دولار للنظر إلى الأشياء الغبية فحسب. سيتعين عليَّ الحصول عليها في الصباح.

- سأعمل على أن يمر أحدهم لأخذها، شكرًا لك يا سيد رودِن.

صوَّر بيلتشر المراجع عن إريبوس أودورا وأعطاها لها مع الحشرة. قال:

- سأصطحبكِ إلى أسفل.

انتظرا المصعد. قال:

- معظم الناس يحبون الفراشات ويكرهون العُث. لكن العُث أكثر إثارة، للاهتمام، للاستغراق.

- إنها مخرِّبة.

- البعض منها، بل كثير منها، لكنها تعيش بكل أنواع الطرق. تمامًا كما نفعل.
صمت لطابق واحد. عرض قائلًا:
- توجد عُثة، أكثر من واحدة في الواقع، تعيش فقط على الدموع، هذا كل ما تأكله أو تشربه.
- أي نوع من الدموع؟ دموع مَن؟
- دموع ثدييات الأرض الكبيرة، بحجمنا تقريبًا. كان التعريف القديم للعُثة هو «أي شيء يأكل أو يستهلك أو يهدر شيئًا آخر على نحو تدريجي». لقد كانت فعلًا ترمز إلى التخريب أيضًا... هل هذا ما تفعلينه طوال الوقت، ملاحقة بافالو بيل؟
- أفعل كل ما بوسعي.
صقل بيلتشر أسنانه، لسانه يتحرك خلف شفتيه مثل قطة تحت الأغطية.
- هل سبق لكِ أن خرجت لتناول البرجر بالجبن والبيرة أو النبيذ المنزلي المسلِّي؟
- ليس مؤخرًا.
- هل تذهبين معي الآن لتناول بعض منها؟ المكان ليس بعيدًا.
- لا، لكن سيكون على حسابي عندما ينتهي هذا، ويمكن للسيد رودِن أن يأتي أيضًا، من الطبيعي.
قال بيلتشر:
- لا شيء طبيعي في ذلك.
وعند الباب:
- أتمنى أن تنتهي من هذا قريبًا يا ضابطة ستارلِنج.
أسرعت إلى السيارة المنتظرة.
تركت أرديليا ماب بريد ستارلِنج ونصف قطعة من حلوى ماوندز على سريرها. كانت ماب نائمة.
حملت ستارلِنج الآلة الكاتبة المحمولة الخاصة بها إلى غرفة الغسيل،

ووضعتها على رف الملابس ووضعت مجموعة من ورق الكربون. لقد نظمت ملاحظاتها على إريبوس أودورا في رأسها في أثناء رحلة العودة إلى كوانتِكو، وأنجزت ذلك بسرعة.

ثم أكلت الحلوى، وكتبت مذكرة إلى كروفورد تقترح عليه التحقق من القوائم البريدية المحفوظة على الكمبيوتر لمنشورات علم الحشرات، ومقارنتها بملفات مرتكبي الجرائم المعروفين لمكتب التحقيقات الفدرالي والملفات الموجودة في المدن الأقرب إلى عمليات الاختطاف، بالإضافة إلى ملفات الجناة ومرتكبي الجرائم الجنسية في مدن مترو دايد، وسان أنطونيو، وهيوستن، المناطق التي تكثر فيها العُث.

كان هناك شيء آخر، أيضًا، عليها أن تذكره للمرة الثانية: لنسأل الدكتور لِكتر لماذا يعتقد أن الجاني سيبدأ في أخذ فروة الرأس.

سلمت الورقة إلى ضابط المناوبة الليلية، وتهاوت على سريرها المريح، وأصوات النهار ما زالت تهمس، أكثر خفوتًا من أنفاس ماب عبر الغرفة. في الظلام المكتسح رأت وجه العُثة الصغير الحكيم. لقد نظرت هاتان العينان المتوهجتان إلى بافالو بيل.

جاءت أوراق شجر متحف السميثسونيان من آثار السُّكْر الكوني كآخر أفكارها وخاتمة ليومها: فضلاً عن هذا العالم الغريب، هذا النصف من العالم المظلم الآن، عليَّ أن أطارد شيئًا يعيش على الدموع.

١٥

في شرق مدينة ممفيس، بولاية تينيسي، كاثرين بيكر مارتن وصديقها المفضل يشاهدان فيلمًا متأخرًا على شاشة التلفزيون في شقته، ويأخذان عدة أنفاس من أنبوب دورق بونج محمل بالحشيش. صارت فواصل الإعلانات التجارية أطول وأكثر تواترًا.

قالت:

- لديَّ المأكولات الخفيفة، هل تريد بعض الفشار؟

- سأذهب لإحضاره، أعطيني مفاتيحك.

- اجلس مكانك. عليَّ معرفة ما إذا كانت أمي قد اتصلت، على أي حال.

قامت من على الأريكة، امرأة شابة طويلة، ذات عظام عريضة ومكتنزة باللحم، تكاد تكون بدينة، بوجه مليح وشعر كثيف نظيف. عثرت على حذائها تحت طاولة القهوة وخرجت.

كان المساء في فبراير رطبًا أكثر منه باردًا. علق ضباب خفيف مبتعدًا عن نهر مسيسيبي إلى مستوى ارتفاع الصدر فوق الساحة الكبيرة لانتظار السيارات. بوسعها رؤية القمر المحتضر فوق رأسها مباشرة شاحبًا ورقيقًا مثل خطاف عظمي لصيد السمك. جعلها النظر إلى الأعلى تشعر بالدوار قليلًا. بدأت عبور ساحة انتظار السيارات، متنقلة بثبات نحو الباب الأمامي لمنزلها على بعد مائة ياردة.

كانت شاحنة النقل المغطاة البنية متوقفة بالقرب من شقتها، بين بعض السيارات

المجهزة للسكن والقوارب المحمولة على مقطورات. لاحظتها لأنها تشبه شاحنات توصيل الطرود التي كثيرًا ما أحضرت الهدايا من والدتها.

في أثناء مرورها بالقرب من الشاحنة ظهر مصباح في الضباب. كان مصباحًا يوضع على الأرض له ظلة، يقف على الأسفلت خلف الشاحنة. تحت المصباح كرسي ضخم له ذراعان، مكسو بقماش قطني مطبوع بزهور حمراء، تتفتح الزهور الحمراء الكبيرة في الضباب. كانت هاتان القطعتان مثل تشكيلة أثاث في صالة عرض.

رمشت كاثرين بيكر مارتن عدة مرات وتابعت السير. فكرت في كلمة سريالي وألقت اللوم على دورق بونج. لا بأس بذلك. كان أحدهم ينتقل إلى المكان أو منه. إلى. من. كان أحدهم ينتقل دائمًا في فيلَّات ستونْهِنج. تحركت الستائر في شقتها ورأت قطتها على عتبة النافذة، تتقوس وتضغط بجانبها على الزجاج.

جهزت مفتاحها، وقبل أن تستخدمه نظرت إلى الوراء. قفز رجل من مؤخرة الشاحنة. استطاعت أن ترى بفعل المصباح أن لديه جبيرة على يده وذراعه معلقة. ولجت إلى الداخل وأغلقت الباب خلفها.

استرقت كاثرين بيكر مارتن النظر حول الستارة، ورأت الرجل يحاول وضع الكرسي في مؤخرة الشاحنة. أمسكه بيده السليمة وحاول رفعه بركبته. سقط الكرسي. صحح وضعه، ولعق إصبعه وفرك بقعة من وسخ ساحة انتظار السيارات على القماش القطني المطبوع.

خرجت.

- سأساعدك على ذلك.

قالتها بالنبرة الصحيحة، معاونة فقط وهذا كل شيء.

- هل يمكنكِ؟ شكرًا.

صوت غريب، منهك. ليست لهجة محلية.

أضاء المصباح الأرضي وجهه من الأسفل، مشوهًا ملامحه، لكنها كانت

ترى جسده بوضوح. كان يرتدي سروالًا كاكيًّا مكويًّا، وقميصًا من الشمواه من نوع ما، أزراره مفتوحة فوق صدر يكسوه النمش. كان ذقنه ووجنتاه خالية من الشعر، وناعمة مثل ذقن امرأة ووجنتيها، وعيناه فقط تحددان اللمعان فوق عظام وجنتيه في ظلال المصباح.

نظر إليها أيضًا، وكانت حساسة تجاه ذلك. غالبًا ما كان الرجال يُفاجأون بحجمها عندما تقترب منهم، وبعض منهم يخفون مفاجأتهم أفضل من غيرهم.

قال:

- جيد.

فاحت رائحة كريهة حول الرجل، ولاحظت بنفور أن قميصه الشمواه ما زال عليه شعر، شعر مجعد على الكتفين وتحت الذراعين.

كان رفع الكرسي على الأرضية المنخفضة للشاحنة سهلًا. قال:

- دعينا نُزِحه إلى الأمام، هل تمانعين؟

صعد إلى الداخل وحرك بعض المتفرقات، الأحواض المسطحة الكبيرة التي يمكن أن تزيحها أسفل عربة لتصريف الزيت، رافعة يدوية صغير تُسمَّى «رافعة التابوت».

دفعا الكرسي إلى الأمام حتى أصبح خلف المقاعد مباشرة. قال:

- هل قياسكِ أربعة عشر تقريبًا؟

- ماذا؟

- هلَّا ناولتِني هذا الحبل؟ إنه عند قدميك مباشرة.

عندما انحنت لتنظر، أنزل الجبيرة على مؤخرة رأسها. ظنت أنها صدمت رأسها ورفعت يدها إليه عندما نزلت الجبيرة مرة ثانية، مهشمة أصابعها على جمجمتها، ونزلت مرة ثالثة، هذه المرة خلف أذنها، سلسلة من الضربات، لم تكن أيٌّ منها قوية إلى الدرجة، بينما تهاوت على الكرسي. انزلقت على أرضية الشاحنة ورقدت على جانبها.

راقبها الرجل ثانية، ثم نزع جبيرته وعلّاقة ذراعه. أدخل المصباح بسرعة إلى الشاحنة وأغلق الأبواب الخلفية.

سحب ياقتها إلى الخلف، وباستخدام مصباح يدوي، قرأ بطاقة المقاس على بلوزتها.

قال: «جيد».

شق البلوزة من الخلف بمقص ضمادات، ونزع البلوزة، وكبَّل يديها خلفها. بسط لوحًا متحركًا على أرضية الشاحنة، وقلبها على ظهرها.

لم تكن ترتدي حمَّالة الصدر. نكز ثدييها الكبيرين بأصابعه وشعر بثقلهما ومرونتهما.

قال: «جيد».

كانت هناك علامة مص وردية على صدرها الأيسر. لعق إصبعه لفركها كما فعل في القماش القطني المطبوع، وأومأ عندما اختفت الكمدة مع الضغط الخفيف. قلبها على وجهها وفحص فروة رأسها، مباعدًا شعرها الكثيف بأصابعه. الجبيرة المبطنة لم تقطعها.

فحص نبضها بإصبعين على جانب رقبتها ووجده قويًّا.

قال: «جيييد». ما زال لديه طريق طويل للقيادة إلى منزله المكون من طابقين، وكان يفضِّل عدم تجهيزها هنا[1].

شاهدت قطة كاثرين بيكر مارتن من النافذة بينما كانت الشاحنة تبتعد، والمصابيح الخلفية تقترب أكثر فأكثر من بعضها.

---

(١) «Field-dress»: استخدم المؤلف هذا التعبير الذي يعني نزع أحشاء الطريدة بعد صيدها، حيث يفعل الصياد ذلك في موقع الصيد كي يتجنب فساد الذبيحة ونمو البكتيريا. وهذا تعبير لاستكمال أجواء تعامل القاتل مع ضحيته على أنها طريدة للتقطيع والسلخ. التعبير يعني أيضًا «التجهيز الميداني» بارتداء ملابس معينة مناسبة للوضع، وهذا ما سيفعله القاتل بالضحية لاحقًا. ويُستخدم التعبير أساسًا في ميدان القتال ليشمل وضع الضمادات للجنود المصابين وارتداء الملابس النظيفة. (المترجمة).

خلف القطة كان الهاتف يرن. رد المجيب الآلي في غرفة النوم، وضوؤه الأحمر يومض في الظلام.

كان المتصل والدة كاثرين، السيناتور الأحدث في مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية تينيسي.

١٦

في الثمانينيات، العصر الذهبي للإرهاب، وُضعت إجراءات للتعامل مع اختطاف يؤثر في أحد أعضاء الكونجرس:

الساعة ٢:٤٥ صباحًا، أبلغ العميل الخاص المسؤول عن مكتب التحقيقات الفدرالي في ممفيس المقر الرئيسي في واشنطن أن الابنة الوحيدة للسيناتور روث مارتن قد اختفت.

الساعة ٣:٠٠ صباحًا، خرجت شاحنتان لا تحملان أي علامات من مرأب القبو الرطب في مكتب واشنطن الميداني، بمنطقة بازارد بوينت. ذهبت إحدى الشاحنتين إلى مبنى مكتب مجلس الشيوخ، حيث وضع الفنيون معدات المراقبة والتسجيل على الهواتف في مكتب السيناتور مارتن وطبقوا تنصتًا أقره الباب الثالث من القانون الشامل لمكافحة الجريمة وتأمين الشوارع على الهواتف العمومية الأقرب إلى مكتب السيناتور. أيقظت وزارة العدل أحدث عضو في لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ لتقديم إشعار إلزامي بالتنصت.

الشاحنة الأخرى، وهي «شاحنة مقلة العين» بزجاج أحادي الاتجاه ومعدات مراقبة، كانت متوقفة في طريق فرجينيا أفينيو لتغطية الجزء الأمامي من مبنى ووترجيت وِست، مقر إقامة السيناتور مارتن في واشنطن. دخل اثنان من ركاب الشاحنة لتركيب معدات المراقبة على هواتف منزل السيناتور.

قدَّر نظام شركة بيل أتلانتيك للاتصالات متوسط وقت التتبع بسبعين ثانية على أي مكالمة لطلب فدية تُجرى من نظام رقمي محلي لتحويل المكالمات الهاتفية.

عملت الفرقة التفاعلية في بازارد بوينت في نوبتين في حالة توصيل الفدية في منطقة واشنطن. غُيرت إجراءات الاتصالات اللاسلكية الخاصة بهم إلى التشفير الإلزامي لحماية أي توصيل فدية محتمل من التطفل بواسطة مروحيات الأخبار، كان هذا النوع من عدم المسؤولية من جانب قطاع الأخبار نادرًا، لكنه حدث.

اتخذ فريق إنقاذ الرهائن حالة تأهب في مستوى أقل من مستوى الفريق المحمول جوًّا.

كان الجميع يأمل أن يكون اختفاء كاثرين بيكر مارتن اختطافًا محترفًا من أجل الحصول على فدية، قدم هذا الاحتمال أفضل فرصة لبقائها على قيد الحياة.

لم يذكر أحد الاحتمال الأسوأ على الإطلاق.

بعد ذلك، قبل الفجر بوقت قصير في مدينة ممفيس، أوقف شرطي دورية في المدينة يحقق في شكوى متسكع في طريق وينشستر أفينيو، رجلًا مسنًّا يجمع علب الألومنيوم والخردة على طول حارة الطوارئ بالطريق. وجد شرطي الدورية في عربته بلوزة نسائية، ما زالت أزرارها مغلقة من الأمام. شُقَّت من الخلف مثل بدلة الجنازة. كانت علامة تعريف الملابس في المغسلة تخص كاثرين بيكر مارتن.

كان جاك كروفورد يقود سيارته جنوبًا من منزله في أرلينجتون في الساعة ٦:٣٠ صباحًا. عندما رن الهاتف في سيارته للمرة الثانية خلال دقيقتين.

– تسعة اثنان وعشرون أربعون.

– أربعون استعد من أجل ألفا ٤ .

وجد كروفورد منطقة استراحة، دخل إليها وتوقف لإعطاء اهتمامه الكامل للهاتف. «ألفا ٤» هو مدير مكتب التحقيقات الفدرالي.

– جاك، هل أنت على دراية بموضوع كاثرين مارتن؟

– اتصل بي الضابط الليلي للتو.

– إذن فأنت تعرف بشأن البلوزة. تكلم معي.

قال كروفورد:

- المقر في بازارد بوينت في تأهب لحالة اختطاف. أُفضِّل ألا يتنحوا بعد. عندما يتنحون أود الاحتفاظ بمراقبة الهاتف. بلوزة مشقوقة أم لا، لا نعرف على وجه اليقين إذا كان بيل. إذا كان مقلِّدًا فربما يتصل لطلب فدية. مَن الذي يقوم بأعمال التنصت والتتبع في تينيسي، نحن أم هم؟

- هم. شرطة الولاية. إنهم ماهرون للغاية. اتصل فيل أدلر من البيت الأبيض ليخبرني عن «الاهتمام الشديد» الذي يوليه الرئيس للأمر. يمكننا الاستفادة من تحقيق فوز هنا يا جاك.

- لقد خطر لي ذلك. أين السيناتور؟

- في الطريق إلى ممفيس. أوصلتني إلى المنزل منذ دقيقة. يمكنك أن تتخيل.

- نعم.

عرف كروفورد السيناتور مارتن من جلسات الاستماع المتعلقة بالميزانية.

- إنها تنزل بكل ثقلها.

- لا ألومها.

قال المدير:

- ولا أنا. لقد أخبرتها بأننا نعمل بأقصى سرعة، تمامًا كما فعلنا طوال الوقت. إنها... تدرك وضعك الشخصي وقد عرضت عليك طائرة خاصة من شركة لير. استخدمها، عد إلى المنزل ليلًا إذا استطعت.

- جيد. السيناتور صعبة المراس يا تومي. إذا حاولت أن تدير الأمر، فستتناطح رؤوسنا.

- أعرف. افتح مجالًا للتصرف بعيدًا عني إذا اضطررتَ إلى ذلك. كم من الوقت لدينا في أفضل الأحوال، ستة أو سبعة أيام يا جاك؟

- لا أعرف. إذا أصابه الذعر عندما يكتشف هويتها، فقد يفعل بها ما يفعله ويتخلص منها.

- أين أنت؟

- على بعد ميلين من كوانتِكو.
- هل مهبط الطائرات في كوانتِكو يتسع لطائرة لير؟
- نعم.
- عشرون دقيقة.
- نعم سيدي.

ضرب كروفورد أرقامًا في هاتفه وعاد إلى حركة المرور.

١٧

متكدرة بفعل نوم مضطرب، وقفت كلاريس ستارلِنج مرتدية رداء الحمَّام وخُفَّين على شكل أرنب، على كتفها منشفة، في انتظار دخول الحمَّام الذي تشاركه هي وماب مع الطالبات في الحجرة المجاورة. جعلتها الأخبار الواردة من ممفيس على الراديو تتجمد للحظة.

قالت:

- يا إلهي. يا للهول. **حسنًا يا مَن بالداخل! تم الاستيلاء على هذا الحمَّام. اخرجي مرتدية سروالك. هذا ليس تدريبًا!**

صعدت إلى الدش مع طالبة غرفة مجاورة مذهولة:

- حاذري يا جرايسي، وهلَّا مررتِ لي هذا الصابون.

بأذنها المائلة إلى الهاتف، حزمت أمتعتها لقضاء الليل، ووضعت مجموعة الطب الشرعي الخاصة بها بالقرب من الباب. تأكدت أن مركز خطوط الهاتف يعلم أنها في غرفتها وتخلت عن الإفطار لتظل بجوار الهاتف. قبل عشر دقائق من موعد الصف، ومن دون أي كلمة، أسرعت في النزول إلى قسم العلوم السلوكية مع معداتها.

قالت لها السكرتيرة بلطف:

- غادر السيد كروفورد إلى ممفيس قبل ٤٥ دقيقة. ذهب بوروز، وغادر ستافورد من المختبر من مطار ناشونال.

- لقد وضعت تقريرًا له هنا الليلة الماضية. هل ترك أي رسالة لي؟ أنا كلاريس ستارلِنج.

- نعم، أعرف مَن أنتِ. لديَّ ثلاث نسخ من رقم هاتفك هنا، وهناك كثير منها على مكتبه، على ما أعتقد. لا، لم يترك لكِ شيئًا يا كلاريس.

نظرت المرأة إلى أمتعة ستارلِنج.

- هل تريدينني أن أخبره بشيء عندما يتصل؟

- هل ترك رقم هاتف في ممفيس على بطاقته الثلاثية؟

- لا، سيتصل ليبلغنا به. أليست لديك دروس اليوم يا كلاريس؟ ما زلتِ في المدرسة، أليس كذلك؟

- بلى. بلى ما زلت في المدرسة.

لم يكن دخول ستارلِنج، متأخرة، إلى الصف الدراسي يسيرًا بفعل جرايسي بِتمان، الشابة التي أزاحتها في أثناء الاستحمام. جلست جرايسي بِتمان خلف ستارلِنج مباشرة. بدا الطريق طويلًا للوصول إلى مقعدها. كان لدى لسان جرايسي بِتمان الوقت الكافي لعمل دورتين كاملتين في خدها الناعم قبل أن تتمكن ستارلِنج من الانغماس في الصف.

من دون إفطار، جلست لمدة ساعتين في محاضرة «استثناء مسوغ حسن النية من قاعدة الإقصاء في البحث والمصادرة»، قبل أن تتمكن من الوصول إلى آلة بيع المشروبات وفتح علبة كولا.

فحصت صندوقها بحثًا عن رسالة ظهرًا، ولم يكن هناك شيء. خطر لها عند ذلك، كما حدث في عدة مناسبات أخرى في حياتها، أن طعم الإحباط الشديد يشبه إلى حدٍّ كبير دواءً مسجلًا ببراءة اختراع من دون وصفة طبية يُسمَّى «فلييتس»، اضطرت إلى تناوله عندما كانت طفلة.

بعض الأيام تستيقظ فيها متغيرًا. كان هذا اليوم لستارلِنج، بإمكانها قول ذلك. ما شاهدته أمس في دار جنازات بوتر تسبب في تحول مزلزل صغير بداخلها.

درست ستارلِنج علم النفس وعلم الجريمة في كلية جيدة. لقد رأت في حياتها بعض الطرق اللامبالية التي يكسر بها العالم الأشياء ببشاعة. لكنها لم تكن تعرف حقًّا، وقد عرفت الآن: أحيانًا تثمر عائلة الإنسان، خلف وجه بشري، عقلًا تكمن

سعادته فيما هو ممدد على طاولة البورسلين في بوتر، وِست فرجينيا، في غرفة مزينة بورد الملفوف. كان تخوف ستارلِنج الأول من هذا العقل أسوأ من أي شيء يمكن أن تراه على موازين التشريح. ستظل المعرفة جاثمة على جلدها إلى الأبد، وعرفت أنها يجب أن تكوِّن طبقة جلدية سميكة، وإلا فإن تلك المعرفة ستتسبب في تآكلها.

لم يساعدها روتين المدرسة. طوال اليوم راودها شعور بأن الأمور تجري عبر الأفق. بدت كأنها تسمع همهمة هائلة من الأحداث، مثل الصوت من استاد بعيد. أزعجتها إيحاءات الحركة، مجموعات تمر في الردهة، ظلال السحب تتحرك فوقها، صوت طائرة.

بعد الصف ركضت ستارلِنج لفاتٍ كثيرة ثم سبحت. سبحت حتى فكرت في الجثث الطافية ثم لم تعد ترغب في وجود الماء عليها أكثر من ذلك.

شاهدت أخبار الساعة السابعة مع ماب وعشرات الطلاب الآخرين في غرفة الترفيه. لم يكن اختطاف ابنة السيناتور مارتن الخبر الرئيسي، لكنه كان الأول بعد محادثات الأسلحة في جنيف.

كان هناك فيلم من ممفيس، بدأ بلافتة فيلَّات ستونْهِنج، صُوِّر عبر الضوء الدوار لسيارة دورية. كانت وسائل الإعلام تشن غارة على القصة، ومع قلة الأخبار الجديدة، أجرى المراسلون مقابلات مع بعضهم بعضًا في ساحة انتظار السيارات في ستونْهِنج. غطست رؤوس سلطات مقاطعة ممفيس وشيلبي بين ضفاف غير معتادة من الميكروفونات. في جحيم متدافع مزعج من توهج العدسات وارتداد الأصوات، عددوا الأشياء التي لا يعرفونها. انقض مصورو صور الترويج الثابتة وتراجعوا، مبدلين مواقعهم إلى الكاميرات التلفزيونية الصغيرة كلما دخل المحققون شقة كاثرين بيكر مارتن أو غادروها.

علا هتاف مقتضب ساخر في غرفة الترفيه بالأكاديمية عندما ظهر وجه كروفورد فترة وجيزة في نافذة الشقة. ابتسمت ستارلِنج بجانب فمها.

تساءلت عما إذا كان بافالو بيل يشاهد. تساءلت عن رأيه في وجه كروفورد أو إذا كان يعرف حتى مَن هو كروفورد.

بدا أن آخرين يعتقدون أن بيل ربما كان يشاهد أيضًا.

كانت السيناتور مارتن هناك، على الهواء مباشرة مع بيتر جِنِنجز. وقفت بمفردها في غرفة نوم ابنتها، وراية جامعة ساوثْوِسترن وملصقات تناصر وايل إ. كايوتي والتعديل الدستوري من أجل الحقوق المتساوية على الحائط خلفها.

كانت امرأة طويلة ذات وجه قوي وعادي. قالت:

- أنا أتحدث الآن إلى الشخص الذي يحتجز ابنتي.

اقتربت من الكاميرا، مما تسبب في إعادة تركيز غير محسوبة، وتحدثت كأنها لم تكن لتتحدث إلى إرهابي قَطُّ.

- لديك القدرة على أن تدع ابنتي تذهب من دون أن تصاب بأذى. اسمها كاثرين. إنها لطيفة للغاية ومتفهمة. من فضلك دع ابنتي تذهب، من فضلك أطلق سراحها من دون أن تصاب بأذى. لديك سيطرة على هذا الوضع. لديك القوة. أنت المسؤول. أعرف أن بوسعك الشعور بالحب والشفقة. بوسعك حمايتها من أي شيء قد يؤذيها. لديك الآن فرصة رائعة لتظهر للعالم كله أنك قادر على الشعور بطيبة عظيمة، وأنك كبير بما يكفي لمعاملة الآخرين بأفضل مما عاملك به العالم. اسمها كاثرين.

ابتعدت عينا السيناتور مارتن عن الكاميرا، بينما تحولت الصورة إلى فيلم منزلي لطفلة صغيرة تساعد نفسها على المشي بالتعلق بلبدة كلب كبير من نوع كولي.

استمر صوت السيناتور:

- الفيلم الذي تشاهدونه الآن هو كاثرين عندما كانت طفلة صغيرة. أطلق سراح كاثرين. أطلق سراحها من دون أذى في أي مكان في هذا البلد، وستحصل على مساعدتي وصداقتي.

الآن سلسلة من الصور الثابتة، كاثرين مارتن في الثامنة من عمرها، ممسكة بذراع دفة مركب شراعي. كان المركب مرفوعًا فوق قوالب وكان والدها يطلي الهيكل. صورتان شخصيتان حديثتان للشابة، لقطة كاملة ولقطة مقربة لوجهها.

عودة الآن إلى السيناتور في الصورة المقربة:

- أعدك أمام هذا البلد بأكمله، ستحصل على مساعدتي السخية متى احتجت إليها. أنا مجهزة جيدًا لمساعدتك. أنا عضو في مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة. أعمل في لجنة القوات المسلحة، ومشتركة بعمق في مبادرة الدفاع الاستراتيجي، أنظمة أسلحة الفضاء التي يُسمِّيها الجميع «حرب النجوم». إذا كان لديك أعداء، فسأقاتلهم. إذا اعترضك أشخاص ما، فيمكنني إيقافهم. يمكنك الاتصال بي في أي وقت، ليلًا أو نهارًا. كاثرين هو اسم ابنتي. من فضلك، أظهر لنا قوتك.

قالت السيناتور مارتن في الختام:

- أطلق سراح كاثرين سالمة.

قالت ستارلِنج:

- يا للهول، هل هذا ذكاء.

كانت ترتعد مثل كلب من نوع تيرير.

- يا يسوع، هذا ذكاء.

قالت ماب:

- ماذا، حرب النجوم؟ إذا كان الفضائيون يحاولون السيطرة على أفكار بافالو بيل من كوكب آخر، فتستطيع السيناتور مارتن حمايته، هل هذه طريقة الإقناع؟

أومأت ستارلِنج:

- كثير من مرضى الفصام المصابين بالبارانويا لديهم هذه الهلوسة بعينها، سيطرة الفضائيين. إذا كان هذا هو الطريق الذي سلكه بيل، فربما يمكن أن يخرجه هذا النهج. إنها محاولة لعينة جيدة، مع ذلك، وقفت هناك وأطلقتها، أليس كذلك؟ على الأقل قد تشتري لكاثرين بضعة أيام أخرى. ربما يكون لديهم وقت للاشتغال على بيل قليلًا. أو ربما لا، يظن كروفورد أن دورته تصبح أقصر. يمكنهم تجربة هذا، يمكنهم تجربة أشياء أخرى.

- لا يوجد شيء لن أجربه إذا كان لديه شخص يهمني. لماذا استمرت في قول «كاثرين»، لماذا ذُكر الاسم طوال الوقت؟

- إنها تحاول جعل بافالو بيل يرى كاثرين بوصفها شخصًا. يعتقدون أنه سيضطر إلى إلغاء شخصيتها، وسيضطر إلى رؤيتها بوصفها شيئًا قبل أن يتمكن من تمزيقها. يتكلم القتلة المتسلسلون عن ذلك في مقابلات السجن، بعضهم. يقولون إن الأمر أشبه بالعمل على دمية.

- هل ترين أن كروفورد وراء تصريح السيناتور مارتن؟

قالت ستارلِنج:

- ربما، أو ربما الدكتور بلوم، ها هو ذا.

ظهرت على الشاشة مقابلة مسجلة قبل عدة أسابيع مع الدكتور آلان بلوم من جامعة شيكاغو حول موضوع القتل المتسلسل.

رفض الدكتور بلوم مقارنة بافالو بيل بفرانسيس دولارهايد أو جاريت هوبس، أو أيٍّ من الآخرين في تجربته. رفض استخدام مصطلح «بافالو بيل». في الواقع، لم يقل الكثير على الإطلاق، لكن عُرف عنه أنه خبير، ربما \الخبير في الموضوع، وأرادت الشبكة التلفزيونية إظهار وجهه.

استخدموا بيانه الأخير كملاحظة لإعطاء توجه جديد للموقف في نهاية التقرير:

- «لا يوجد شيء يمكننا تهديده به أكثر بشاعة مما يواجهه كل يوم. ما يمكننا\ فعله هو أن نطلب منه أن يأتي إلينا. يمكننا أن نعده بالعلاج برفق وبالراحة، ويمكننا أن نعني ذلك تمامًا وبصدق».

قالت ماب:

- ألا يمكننا جميعًا الاستفادة من بعض الراحة. اللعنة إذا لم أتمكن من الاستفادة من بعض الراحة بنفسي. بلبلة ماكرة وهراء سهل، أحب ذلك. لم يخبرهم بأي شيء، لكن عند ذلك ربما لم يحرك بيل كثيرًا أيضًا.

قالت ستارلِنج:

- يمكنني التوقف عن التفكير في تلك الطفلة في وِست فرجينيا بعض الوقت، تختفي نصف ساعة، مثلًا، ثم تنكزني في حلقي. طلاء لامع على أظافرها، لا تدعيني أخُض في ذلك.

خففت ماب كآبة ستارلِنج على العشاء، بالبحث بين أمورها الكثيرة التي تثير الحماس، وفتنت الأشخاص الذين يستمتعون بمقارنة القوافي ذات الأصوات المتشابهة غير المتطابقة في أعمال ستيفي وندر وإيميلي ديكنسون.

في طريق العودة إلى الغرفة، اختطفت ستارلِنج رسالة من صندوقها وقرأت هذا: يُرجى الاتصال بألبرت رودِن، ورقم هاتف.

أخبرت ماب وهما تتخبطان على سريريهما مع كتبهما:

- هذا يثبت نظريتي فحسب.

- ما هذا؟

- تلتقين شخصين، حسنًا؟ الشخص الخطأ سيتصل بكِ في كل مرة لعينة.

- لقد كنت أعرف ذلك.

رن الهاتف.

لمست ماب نهاية أنفها بقلمها الرصاص. قالت:

- إذا كان هذا لوبي لورنس المثير، فهلَّا أخبرتِه بأنني في المكتبة؟ سأتصل به غدًا، أخبريه.

كان كروفورد يتصل من طائرة، وصوته مشوشًا على الهاتف.

- ستارلِنج، جهزي أمتعتك لمدة ليلتين وقابليني في غضون ساعة.

ظنت أنه أنهى المكالمة، لم يكن هناك سوى أزيز أجوف في الهاتف، ثم عاد الصوت فجأة:

- لن تحتاجي إلى المعدات، فقط الملابس.

- أقابلك أين؟

- السميثسونيان.

بدأ يتحدث إلى شخص آخر قبل أن يغلق الخط.

قالت ستارلِنج وهي تقلب حقيبتها على السرير:

- جاك كروفورد.

ظهرت ماب فوق كتابها القانون الفدرالي للإجراءات الجنائية. شاهدت أمتعة ستارلِنج، وجفن يهبط على إحدى عينيها الداكنتين الواسعتين. قالت:

- لا أريد أن أوحي بأي شيء في ذهنك.

قالت ستارلِنج:

- بل تريدين.

علمت بما هو قادم.

تخصصت ماب في «مراجعة القانون» في جامعة ماريلاند في أثناء عملها ليلًا. كان موقفها الدراسي في الأكاديمية رقم اثنين في الصف، وكان موقفها تجاه الكتب انتحاريًّا خالصًا.

- من المفترض أن تخضعي لاختبار القانون الجنائي غدًا، واختبار التربية البدنية في غضون يومين. عليكِ التأكد من أن كروفورد صاحب أكبر سلطة هنا يعلم أنهم قد يجعلونكِ تعيدين التدريب إذا لم يكن حريصًا. بمجرد أن يقول: «أحسنتِ أيتها المتدربة ستارلِنج»، لا تقولي: «كان ذلك من دواعي سروري». انظري مباشرة في وجه المسن الشبيه بتماثيل جزيرة الفصح وقولي: «أعتمد عليك لتتأكد بنفسك من أنني لن أخضع لإعادة التدريب بسبب التغيب عن المدرسة». هل تفهمين ما أقوله؟

قالت ستارلِنج وهي تفتح مشبك شعر بأسنانها:

- يمكنني إعادة الامتحان في القانون.

- صحيح، وترسبين فيه مع عدم وجود وقت للدراسة، تعتقدين أنهم لن يُخضعوكِ لإعادة التدريب؟ هل تمزحين معي؟ يا فتاة، سوف يلقون بك من السلم الخلفي مثل فرخ عيد الفصح الميت. الامتنان عمره قصير يا كلاريس. اجعليه يقول لا إعادة للتدريب. درجاتكِ جيدة، اجعليه يقول

ذلك. لن أجد أبدًا رفيقة أخرى في الغرفة يمكنها الكي سريعًا كما تفعلين قبل موعد الصف بدقيقة واحدة.

جعلت ستارلِنج سيارتها البِنتو العجوز تتحرك على الطريق ذي الحارات الأربع بسرعة ثابتة، ميل واحد في الساعة أقل من السرعة التي يبدأ فيها التذبذب. روائح الزيت الساخن والعفونة، أصوات الخشخشة بالأسفل، يتردد أنين ناقل الحركة على نحو خافت بذكريات شاحنة أبيها الصغيرة، ذكرياتها عن الركوب بجانبه مع إخوتها وأختها وهم يتلوُّون.

كانت تتولى القيادة الآن، القيادة ليلًا، والشرطات البيضاء تمر تحتها بإيقاع رتيب. كان لديها وقت لتفكر. نفثت مخاوفها أنفاسها عليها من خلف رقبتها، الذكريات الأخرى، الحديثة، تلوَّت بجانبها.

انتاب ستارلِنج خوف شديد من أن تكون جثة كاثرين بيكر مارتن قد وُجدت. عندما اكتشف بافالو بيل مَن تكون، لربما أصيب بالذعر. لربما قتلها وألقى جثتها مع حشرة في الحلق.

لربما كان كروفورد يحضر الحشرة للتعرُّف عليها. وإلا لماذا يريدها في السميثسونيان؟ لكن يمكن لأي عميل أن يحمل حشرة إلى السميثسونيان، ويمكن لرسول مكتب التحقيقات الفدرالي فعل ذلك. وطلب منها أن تحزم أمتعة ليومين.

بإمكانها أن تفهم أن كروفورد لم يفسر لها عبر اتصال لاسلكي غير آمن، ولكن التساؤل كان يؤدي إلى الجنون.

وجدت محطة تذيع الأخبار فقط على الراديو وانتظرت تقرير الطقس. عندما جاء الخبر، لم يفِدها بشيء. كان التقرير من ممفيس إعادة صياغة لأخبار الساعة السابعة. كانت ابنة السيناتور مارتن مفقودة. عُثر على بلوزتها مشقوقة من الخلف بأسلوب بافالو بيل. لا شهود. ما زالت الضحية التي عُثر عليها في ولاية وِست فرجينيا مجهولة الهوية.

وِست فرجينيا. كان من بين ذكريات كلاريس ستارلِنج عن دار جنازات بوتر

شيء صلب وقيِّم. شيء معمِّر، يلمع بصرف النظر عن التجليات المظلمة. شيء للاحتفاظ به. استدعته عمدًا الآن ووجدت أنها تستطيع اعتصاره مثل تميمة. في دار جنازات بوتر، واقفة عند الحوض، استمدت القوة من مصدر فاجأها وأسعدها، ذكرى والدتها. كانت ستارلِنج تنجو كل موسم على نعمة الأغراض المستعملة التي انتقلت من والدها الراحل خلال إخوتها، فوجئت وتأثرت بهذه الجائزة التي وجدتها.

أوقفت البِنتو أسفل مقر مكتب التحقيقات الفدرالي عند تقاطع الشارع العاشر وشارع بنسلفانيا. وقف اثنان من الطواقم التلفزيونية مستعدين على الرصيف، ينظر المراسلون في حالة تأهب مفرط إلى الأضواء. كانوا يترنمون بالتقارير من وضع الوقوف ومبنى ج. إدجار هوفر في الخلفية. تجنبت ستارلِنج الأضواء وسارت مسافة المربعين السكنيين إلى متحف السميثسونيان الوطني للتاريخ الطبيعي.

بوسعها رؤية بعض النوافذ المضيئة بالأعلى في المبنى القديم. توقفت شاحنة مغلقة لشرطة مقاطعة بالتيمور في مدخل سيارات نصف دائري. انتظر سائق كروفورد، جِف، أمام عجلة قيادة شاحنة مراقبة جديدة خلفها. حين رأى ستارلِنج قادمة، تحدث في جهاز لاسلكي محمول.

١٨

أخذ الحارس كلاريس ستارلِنج إلى المستوى الثاني فوق مستوى فيل السميثسونيان المحشو العظيم. انفتح باب المصعد على تلك الأرضية الكابية الشاسعة، وكان كروفورد ينتظر هناك بمفرده، ويداه في جيبَي معطف واقٍ من المطر.

– مساء الخير يا ستارلِنج.

قالت:

– مرحبًا.

تحدثت كروفورد للحارس من فوق كتفها:

– يمكننا أن نتولى الأمر من هنا بأنفسنا أيها الضابط، شكرًا لك.

سار كروفورد وستارلِنج جنبًا إلى جنب على طول ممر بين الصواني المكدسة وصناديق العينات الأنثروبولوجية. كان عدد قليل من مصابيح السقف مضاءً، وليس الكثير. عندما وقعت معه في حالة الشعور الداخلي المتأمل للنزهة في الحرم الجامعي، أدركت ستارلِنج أن كروفورد أراد أن يضع يده على كتفها، وأنه كان سيفعل ذلك إذا كان من الممكن أن يلمسها.

انتظرت أن يقول شيئًا. توقفت أخيرًا، ووضعت يديها في جيبيها أيضًا، وواجه كلٌّ منهما الآخر عبر الممر في صمت العظام.

أسند كروفورد رأسه إلى الوراء على الصناديق، وأخذ نفَسًا عميقًا من خلال أنفه. قال:

– ربما لا تزال كاثرين مارتن على قيد الحياة.

أومأت ستارلِنج برأسها، وأبقت رأسها منخفضًا بعد الإيماءة الأخيرة. ربما سيجد أنه من الأسهل التحدث إذا لم تنظر إليه. كان ثابتًا، لكن شيئًا ما كان مستوليًا عليه. تساءلت ستارلِنج للحظة إذا كانت زوجته قد ماتت. أو ربما قضاء طوال اليوم مع والدة كاثرين المكروبة فعل ذلك.

قال:

- كانت ممفيس سخافة كبيرة. لقد نال منها في ساحة انتظار السيارات، على ما أعتقد. لم يرَه أحد. ذهبت إلى شقتها ثم عادت إلى الخارج لسبب ما. لم تقصد البقاء بالخارج طويلًا، تركت الباب مواربًا وقلبت القفل كي لا يُغلق خلفها. كانت مفاتيحها أعلى التلفزيون. لا شيء به خلل بالداخل. لا أعتقد أنها ظلت في الشقة فترة طويلة. لم تصل قَطُّ إلى جهاز المجيب الآلي في غرفة النوم. كان ضوء الرسالة ما زال يومض عندما اتصل صديقها الأحمق أخيرًا بالشرطة.

ترك كروفورد يده تسقط بتراخٍ في صينية من العظام، وسرعان ما أخرجها مرة أخرى.

- لذا فقد نال منها الآن يا ستارلِنج. وافقت الشبكات على عدم إجراء عد تنازلي في نشرة الأخبار المسائية، يعتقد الدكتور بلوم أن ذلك يحفزه. ستفعل بعض صحف الإثارة ذلك على أي حال.

في إحدى عمليات الاختطاف السابقة، عُثر على ملابس مشقوقة من الظهر قريبًا بما يكفي للتعرُّف على ضحية بافالو بيل، بينما كانت لا تزال محتجزة على قيد الحياة. تذكر ستارلِنج العد التنازلي المسجل على سبورة سوداء على الصفحات الأولى من الصحف التافهة. وصل إلى ثمانية عشر يومًا قبل أن تطفو الجثة.

- لذا تنتظر كاثرين بيكر مارتن في الغرفة الخضراء[1] لدى بيل يا ستارلِنج،

---

(١) «Green room»: المساحة التي ينتظر فيها الممثلون بين مرات صعودهم للأداء على خشبة المسرح. (المترجمة).

وربما يكون لدينا أسبوع. هذا على الأكثر، يعتقد بلوم أن دورة عمله تقصر.

بدا هذا كأنه كلام كثير بالنسبة إلى كروفورد. كانت الإحالة المسرحية: «الغرفة الخضراء» مليئة بالهراء. انتظرت ستارلِنج وصوله إلى هذه النقطة، وحينها فعل ذلك.

- لكن هذه المرة يا ستارلِنج، هذه المرة قد تكون لدينا فرصة صغيرة.

نظرت إليه من تحت حاجبيها، آملة وحذرة أيضًا.

- لدينا حشرة أخرى. زميلاكِ، بيلتشر وذاك... الآخر.

- رودِن.

- إنهما يعملان عليها.

- أين كانت - سينسيناتي؟ - الفتاة في الثلاجة؟

- لا. تعالي وسأريكِ. لنرَ ما رأيكِ في ذلك.

- قسم علم الحشرات في الاتجاه الآخر يا سيد كروفورد.

قال:

- أعلم.

دارا حول المنعطف إلى باب قسم الأنثروبولوجيا. انبعث الضوء والأصوات خلال الزجاج المصنفر. دخلَت.

ثلاثة رجال يرتدون معاطف المختبر يعملون على طاولة في وسط الغرفة تحت ضوء ساطع. لم تتمكن ستارلِنج من رؤية ما كانوا يفعلونه. كان جيري بوروز من قسم العلوم السلوكية ينظر من فوق أكتافهم ويدوِّن الملاحظات على لوح مشبكي. فاحت رائحة مألوفة في الغرفة.

ثم تحرك أحد الرجال الذين يرتدون ملابس بيضاء ليضع شيئًا في الحوض وأمكنها أن ترى جيدًا.

في صينية من الفولاذ المقاوم للصدأ على طاولة العمل كان «كلاوس» الرأس الذي وجدته في مخزن شركة سبلِت سيتي للمخازن الصغيرة.

قال كروفورد:

- كانت لدى كلاوس حشرة في حلقه. انتظري لحظة يا ستارلِنج. جيري، هل تتحدث إلى غرفة الاتصالات؟

كان بوروز يقرأ من لوحه المشبكي في الهاتف. وضع يده على مدخل الصوت.

- نعم يا جاك، إنهم يجففون صور الفن الذي نُفذ على كلاوس.

أخذ كروفورد السماعة منه:

- بوبي، لا تنتظر تقسيم الإنتربول. احصل على خط لنقل الصور وانقل الصور الفوتوغرافية الآن، مع الطبية. الدول الإسكندنافية، ألمانيا الغربية، هولندا. تأكد من القول إن كلاوس قد يكون بحَّارًا تجاريًّا ترك السفينة. اذكر أن سلطات الصحة الوطنية لديهم قد يكون لديها زعم بكسر عظم الوجنة. أطلق عليها اسمًا ما، القوس الوجني. تأكد من تحريك كلٍّ من خريطتَي الأسنان، العامة والخاصة بالاتحاد الدولي لطب الأسنان. إنها تأتي مع التقدم في العمر، لكن أكد أنه تقدير تقريبي، لا يمكنك الاعتماد على خط التحام الجمجمة في ذلك.

أعاد الهاتف إلى بوروز.

- أين معداتك يا ستارلِنج؟

- بمكتب الحراسة في الطابق السفلي.

قال كروفورد وهما ينتظران المصعد:

- وجد مركز جونز هوبكنز للأبحاث الحشرة. كانوا يعملون على الرأس من أجل شرطة مقاطعة بالتيمور. كانت في الحلق، تمامًا مثل الفتاة في وِست فرجينيا.

- تمامًا مثل وِست فرجينيا.

- أنتِ أطلقت النداء. وجدها مركز جونز هوبكنز للأبحاث في نحو الساعة السابعة الليلة. اتصل بي المدعي العام في بالتيمور على الطائرة. أرسلوا كل شيء، كلاوس وكل شيء، حتى نتمكن من رؤيته على الطبيعة. أرادوا أيضًا رأيًا من الدكتور أنجل عن عمر كلاوس، وكم كان عمره عندما أصيب بكسر في عظم وجنته. إنهم يستشيرون السميثسونيان كما نفعل نحن.

- لا بد لي أن أتعامل مع هذا للحظة. أنت تقول ربما بافالو بيل قتل كلاوس؟ منذ سنوات؟

- هل يبدو الأمر بعيد الاحتمال، مصادفة أكثر من اللازم؟

- في هذه اللحظة تحديدًا يبدو كذلك.

- دعي الأمر ينضج قليلًا.

قالت ستارلِنج:

- أخبرني الدكتور لِكتر أين أجد كلاوس.

- نعم لقد فعل ذلك.

- أخبرني الدكتور لِكتر بأن مريضه، بِنجامِن راسبايل، ادعى أنه قتل كلاوس. لكن لِكتر قال إنه يعتقد أن موته ربما كان عرضيًّا نتيجة ولع إيروتيكي بالاختناق.

- هذا ما قاله.

- هل تعتقد أن الدكتور لِكتر يعرف بالضبط كيف مات كلاوس، ولم يكن راسبايل، ولم يكن السبب ولعًا إيروتيكيًّا بالاختناق؟

- كانت لدى كلاوس حشرة في حلقه، الفتاة في وِست فرجينيا كانت لديها حشرة في حلقها. لم أرَ ذلك في أي مكان آخر. لم أقرأ عنه قَطُّ، ولم أسمع به من قبل. ما رأيكِ؟

- أعتقد أنك طلبت مني أن أحزم أمتعتي لمدة يومين. تريد مني أن أسأل الدكتور لِكتر، أليس كذلك؟

- أنتِ الشخص الذي يتكلم معه يا ستارلِنج.

بدا كروفورد حزينًا جدًّا عندما قال:

- أعتقد أن روحكِ محاربة.

أومأت برأسها.

قال:

- سنتكلم في الطريق إلى المصحة.

١٩

قال كروفورد:

- كانت لدى لِكتر خبرة كبيرة في الممارسة النفسية لسنوات قبل أن نقبض عليه بسبب جرائم القتل. أجرى عددًا كبيرًا من التقييمات النفسية لمحاكم ماريلاند وفرجينيا، وبعض المحاكم الأخرى في الشمال والجنوب على الساحل الشرقي. رأى كثيرًا من المجرمين المختلين نفسيًّا. مَن يعرف ما الذي أطلقه، فقط لمجرد التسلية؟ هذه إحدى الوسائل التي يمكنه المعرفة بها. أيضًا، عرف راسبايل اجتماعيًّا، وأخبره راسبايل بأمور في العلاج. ربما أخبره راسبايل بمَن قتل كلاوس.

واجه كروفورد وستارلِنج بعضهما في كراسي تدور حول محورها في الجزء الخلفي من عربة المراقبة المغلقة، متجهين بسرعة شمالًا على طريق يو إس ٩٥ باتجاه بالتيمور، على بعد سبعة وثلاثين ميلًا. من الواضح أن جِف، في مقصورة السائق، كانت لديه أوامر بزيادة السرعة على الطريق.

- عرض لِكتر المساعدة، لم أحصل على أي دور منه. لقد حصلت على مساعدته من قبل. لم يقدم لنا شيئًا مفيدًا، وساعد ويل جراهام بأن تسبب في أن يحشر قاتل آخر سكينًا في وجهه في المرة الأخيرة. من أجل المتعة.

لكن حشرة في حلق كلاوس، حشرة في حلق الفتاة في وِست فرجينيا، لا يمكنني تجاهل ذلك. لم يسمع آلان بلوم عن هذا الفعل المحدد قَطُّ، ولم

أسمع به أيضًا. هل صادفتِ شيئًا مثل هذا من قبل يا ستارلِنج؟ لقد قرأتِ الدراسات بما أنني قرأتها.

- أبدًا. إدخال أشياء أخرى، نعم، لكن ليس حشرة على الإطلاق.

- أمران نبدأ بهما. أولًا، نتبع فرضية أن لِكتر يعرف شيئًا ملموسًا حقًا. ثانيًا، نتذكر أن لِكتر يبحث عن المتعة فقط. لا تنسي المتعة أبدًا. عليه أن يريد القبض على بافالو بيل بينما لا تزال كاثرين مارتن على قيد الحياة. يجب أن تكمن كل المتعة والفوائد في هذا الاتجاه. ليس لدينا ما نهدده به، فقد مقعد مرحاضه وكتبه بالفعل. هذا يجرده من كل شيء.

- ماذا سيحدث إذا قلنا له الموقف للتو وعرضنا عليه شيئًا، زنزانة مطلة على منظر. هذا ما طلبه عندما عرض المساعدة.

- لقد عرض المساعدة يا ستارلِنج. لم يعرض أن يُخبرنا. لم تكن الوشاية لتمنحه فرصة كافية للتباهي. أنت متشككة. أنت تفضلين الحقيقة. اسمعي، لِكتر ليس في عجلة من أمره. لقد تابع هذا كأنه مباراة بيسبول. نطلب منه أن يُخبرنا، سينتظر. لن يفعل ذلك على الفور.

- حتى مقابل مكافأة؟ شيء لن يحصل عليه إذا ماتت كاثرين مارتن؟

- لنفترض أننا قلنا له إننا نعلم أنه حصل على معلومات ونريده أن يشي بها. سيستمتع أكثر بالانتظار والتصرف كما لو أنه يحاول التذكر أسبوعًا بعد أسبوع، رافعًا آمال السيناتور مارتن وتاركًا كاثرين لتموت، ثم تعذيب الأم التالية والأم التي تليها، ورفع آمالهن، ودائمًا على وشك التذكر، سيكون ذلك أفضل من أن يكون لديه منظر. إنه نوع الأمور الذي يعيش عليه، إنه غذاؤه.

لست متأكدًا أنكِ تصبحين أكثر حكمة مع تقدمكِ في السن يا ستارلِنج، لكنك تتعلمين بالفعل تفادي قدر معين من الجحيم. يمكننا تفادي البعض هناك.

قالت ستارلِنج:

- لذا يجب أن يعتقد الدكتور لِكتر أننا نلجأ إليه على نحو قاطع من أجل النظرية والبصيرة.
- صحيح.
- لماذا أخبرتني؟ لماذا لم ترسلني فقط لأسأله بهذه الطريقة؟
- أنا صادق معك. ستفعلين الشيء نفسه عندما تصبحين في موقع القيادة، لا شيء آخر يفلح فترة طويلة.
- إذن لا ذِكر للحشرة في حلق كلاوس، ولا علاقة بين كلاوس وبافالو بيل.
- لا، لقد عدت إليه لأنكِ كنت منبهرة للغاية بأنه استطاع توقع أن يبدأ بافالو بيل في سلخ فروة الرأس. أنا أرفض ذلك رسميًّا وكذلك آلان بلوم. لكنني أتركك تعبثين بالأمر. لديكِ عرض ببعض الامتيازات، أشياء لا يمكن أن يحصل عليها إلا شخص قوي مثل السيناتور مارتن. عليه أن يعتقد أنه يجب أن يسرع لأن العرض ينتهي إذا ماتت كاثرين. تفقد السيناتور الاهتمام به تمامًا إذا حدث ذلك. وإذا فشل، فذلك لأنه ليس ذكيًّا وضليعًا بما يكفي لفعل ما قال إنه يستطيع فعله، ليس لأنه يضللنا كي يذلنا.
- هل ستفقد السيناتور الاهتمام؟
- من الأفضل أن تقدري على القول تحت القسم إنكِ لم تعرفي قَطُّ إجابة هذا السؤال.
- فهمت.

إذن لم تُبلغ السيناتور مارتن. تطلب هذا بعض الجرأة. من الواضح أن كروفورد كان خائفًا من تدخلها، خائفًا من أن السيناتور قد ترتكب خطأ مناشدة الدكتور لِكتر.

- هل تفهمين؟
- نعم. كيف يمكن أن يكون محددًا بما يكفي ليوجهنا إلى بافالو بيل من دون أن يُظهر أنه كان يحظى بمعرفة خاصة؟ كيف يمكنه فعل ذلك بنظرية وبصيرة فقط؟

- لا أعرف يا ستارلِنج. كان لديه وقت طويل للتفكير في الأمر. لقد انتظر وقوع ست ضحايا.

أصدر الهاتف المشفر صوت أزيز في العربة المغلقة، وأومض مع أول مكالمة من سلسلة مكالمات أجراها كروفورد مع مركز خطوط الهاتف بمكتب التحقيقات الفدرالي.

على مدى الدقائق العشرين التالية، تكلم مع ضباط يعرفهم في شرطة الدولة الهولندية والشرطة العسكرية الملكية، وقائد بحرية برتبة مقدم في الشرطة الفنية السويدية درس في كوانتِكو، وهو أحد معارفه الشخصيين الذي كان مساعدًا لمفوض الشرطة الحكومية الدنماركية، وقد فاجأ ستارلِنج بالانتقال إلى اللغة الفرنسية مع مكتب القيادة الليلية للشرطة الجنائية البلجيكية. شدد دائمًا على الحاجة إلى السرعة في تحديد هوية كلاوس ورفاقه. سيكون لكل دائرة اختصاص قضائية الطلب بالفعل على تلكس الإنتربول الخاص بها، لكن مع ازدحام الشبكة القديم، لن يتدلى الطلب من جهاز التلكس قبل ساعات.

استطاعت ستارلِنج أن ترى أن كروفورد قد اختار العربة المغلقة بسبب تجهيزها للاتصالات - كانت تحظى بالنظام الجديد لخصوصية الصوت - لكن المهمة كانت لتصبح أسهل من مكتبه. هنا كان عليه أن يوفق بين دفاتر ملاحظاته على المكتب الصغير في ضوء غير مباشر، وكانا يثبان في كل مرة تصطدم فيها الإطارات بمطب من الأسفلت. كانت خبرة ستارلِنج الميدانية صغيرة، لكنها عرفت كم هو غير عادي أن يتنقل رئيس القسم في عربة مغلقة صغيرة في مهمة كهذه. كان بإمكانه أن يطلعها عبر جهاز الاتصال اللاسلكي. شعرت بالسعادة لأنه لم يفعل.

راود ستارلِنج شعور بأن كلًّا من الهدوء والسكون في هذه العربة المغلقة والوقت المسموح به لهذه المهمة كي تتقدم بطريقة منظمة، قد اشتُري بثمن باهظ. الاستماع إلى كروفورد على الهاتف أكد ذلك.

كان يتحدث مع المدير في المنزل الآن.

- لا يا سيدي. هل امتثلوا لذلك؟... إلى متى؟ لا سيدي. لا. لا تنصت.

تومي، هذه توصيتي، أنا أصر عليها. لا أريدها أن ترتدي جهاز تنصت. يقول الدكتور بلوم الشيء نفسه. لقد أرغمه الضباب على البقاء في مطار أوهير. سيأتي بمجرد أن ينقشع. تمام.

ثم أجرى كروفورد محادثة هاتفية غامضة مع الممرضة الليلية في منزله. عندما انتهى، نظر من نافذة العربة المغلقة ذات الزجاج العاكس لمدة دقيقة ربما. نظارته على ركبته في ثنية إصبعه، ووجهه يبدو متجردًا بينما تعبره الأضواء القادمة. ثم ارتدى النظارة وعاد للالتفات إلى ستارلِنج.

- لدينا لِكتر لمدة ثلاثة أيام. إذا لم نحصل على أي نتائج، فإن بالتيمور سترهقه استجوابًا حتى تجعله يتعرق إلى أن توقفهم المحكمة.

- جعله يتعرق لم ينجح في المرة الماضية. الدكتور لِكتر لا يتعرق كثيرًا.

- ماذا أعطاهم بعد كل ذلك، دجاجة ورقية؟

- دجاجة، نعم.

كانت دجاجة الأوريجامي المتجعدة لا تزال داخل محفظة ستارلِنج. سوَّتها على المكتب الصغير وجعلتها تنقر.

- لا ألوم رجال شرطة بالتيمور. إنه سجينهم. إذا طفت جثة كاثرين، يجب أن يكونوا قادرين على إخبار السيناتور مارتن بأنهم جربوا كل شيء.

- كيف حال السيناتور مارتن؟

- روحها محاربة لكنها تتألم. إنها امرأة ذكية وقوية وتتمتع بقدر كبير من الإحساس يا ستارلِنج. على الأرجح أنكِ مثلها.

- هل سيظل مركز جونز هوبكنز للأبحاث وقسم جرائم القتل في مقاطعة بالتيمور صامتين بشأن الحشرة في حلق كلاوس؟ هل يمكننا إبقاؤها خارج الصحف؟

- ثلاثة أيام على الأقل.

- تطلب ذلك شيئًا من التصرف.

قال كروفورد:

- لا يمكننا الوثوق بفريدريك تشيلتون، أو أي شخص آخر في المستشفى. إذا عرف تشيلتون، فسيعرف العالم. يجب أن يعرف تشيلتون أنكِ هناك، فقط لأنها مجرد خدمة نؤديها لقسم جرائم القتل في بالتيمور، في محاولة لإغلاق قضية كلاوس، لا علاقة لها ببافالو بيل.

- وسأفعل هذا في وقت متأخر من الليل؟

- هذا هو الوقت الوحيد الذي سأمنحكِ إياه. يجب أن أخبرك، أمر الحشرة في وِست فرجينيا سيكون في صحف الصباح. صرح به مكتب الطبيب الشرعي في سينسيناتي، لذا لم يعد هذا سرًّا بعد الآن. إنها تفاصيل داخلية يستطيع لِكتر الحصول عليها منك، ولا يهم حقًّا، ما دام لا يعرف أننا وجدنا واحدة في كلاوس أيضًا.

- ما الذي لدينا لنقايضه به؟

قال كروفورد:

- أنا أعمل على ذلك.

وعاد إلى هواتفه.

٢٠

حمَّام كبير، يقف كل البلاط الأبيض وفتحات الإنارة بالسقف والتركيبات الإيطالية الأنيقة في مواجهة طوب قديم مكشوف. مرآة زينة متقنة تحفها نباتات طويلة وتملؤها مستحضرات التجميل، المرآة مرصعة بالبخار الذي صنعه الدش. من الحمَّام جاءت دندنة بنبرة عالية جدًّا بالنسبة إلى الصوت الغريب. كانت الأغنية لفاتس والر «كاش فور يور تراش» من المسرحية الغنائية أينت ميسبيهيفن. في بعض الأحيان ينفجر الصوت بالكلمات:

«احتفِظ بكل **صحفك** القديمة،
احتفِظ بها وكدِّسها مثل **ناطحة سحاب**
دا دا دا دا دا دا دا دا...».

كلما كانت هناك كلمات، خدشت كلبة صغيرة باب الحمَّام.

في الحمَّام كان جايم جَمب، ذكر أبيض، في الرابعة والثلاثين، طوله ست أقدام وبوصة واحدة، وزنه ٢٠٥ باوندات، بني الشعر وأزرق العينين، لا توجد علامات مميزة. يلفظ اسمه الأول مثل جايمس من دون حرف السين. جايم. يصر على ذلك.

بعد شطف جسده للمرة الأولى، وضع جَمب مستحضر «فريكسيون دي بان»، فركه على صدره وردفيه بيديه وباستخدام ممسحة صحون على الأجزاء التي

لم يرغب في لمسها. كانت ساقاه وقدماه مكسوة بشعر خفيف بعض الشيء، لكنه قرر أنه لا بأس بذلك.

جفف جَمب نفسه بمنشفة وردية ووضع مستحضرًا جيدًا لتطرية الجلد. كانت لمرآته الطويلة ستارة دش معلقة على قضيب أمامها.

استخدم جَمب ممسحة صحون لثني قضيبه وخصيتيه بين ساقيه. أزاح ستارة الحمَّام جانبًا ووقف أمام المرآة، متخذًا وضع خفض إحدى الفخذين عن الأخرى على الرغم مما سببه ذلك من سحق أعضائه الخاصة.

«افعل شيئًا من أجلي يا عزيزي. افعل شيئًا من أجلي قريبًا». استخدم الطبقة الأعلى لصوته العميق طبيعيًّا، واعتقد أنه يتحسن في ذلك. الهرمونات التي كان يتناولها - بريمارين فترة ثم دي إيثيل ستيلبيسترول عن طريق الفم - لم تستطع فعل أي شيء لصوته، لكنها خففت الشعر بعض الشيء عبر ثدييه الناتئين قليلًا. لقد أزال كثير من التحليل الكهربائي لحية جَمب، وشكل منبت شعره على شكل حرف «V»، لكنه لم يكن يبدو كامرأة. بدا كأنه رجل يميل إلى القتال بأظافره وكذلك بقبضتيه وقدميه.

سيكون من الصعب تحديد ما إذا كان سلوكه محاولة جادة وخرقاء للتخنث أو سخرية بغيضة بناءً على معرفة قصيرة، ومعارف الفترة القصيرة هم النوع الوحيد الذي كان لديه.

«ماذا ستفعل من أجلييي؟».

خدشت الكلبة الباب عند سماع صوته. ارتدى جَمب رداءه وسمح للكلبة بالدخول. التقط كلبة البودل الصغيرة بلون الشمبانيا وقبَّل ظهرها الممتلئ.

- تعالييييي، هل أنتِ ميتة من الجوع يا بريشيس؟ أنا أيضًا.

نقل الكلبة الصغيرة من ذراع إلى أخرى لفتح باب غرفة النوم. تلوَّت كي تنزل.

- فقط دقيقة يا حبيبتي.

بيده الحرة التقط بندقية ميني ١٤ من الأرض بجوار السرير ووضعها عبر الوسائد.

- الآن. الآن، إذن. سنتناول عشاءنا بعد دقيقة واحدة.

وضع الكلبة الصغيرة على الأرض، بينما وجد ثياب النوم الخاصة به. تتبعته بلهفة إلى المطبخ في الطابق السفلي. أخذ جَمب ثلاث وجبات عشاء جاهزة من فرن الميكروويف.

كانت هناك وجبتان من نوع هَنْجري مان لنفسه، وواحدة من نوع لين كوزين لكلبة البودل.

أكلت الكلبة بشراهة الصنف الرئيسي والحلوى، تاركة الخضراوات. لم يترك جَمب إلا العظام في صينيتيه.

سمح للكلبة الصغيرة بالخروج من الباب الخلفي، وهو يمسك رداءه ليغلقه من البرد، راقبها وهي تقعى في شريط الضوء الضيق من المدخل.

- أنت لم تتبرزيييي. حسنًا، لن أشاهد.

لكنه أخذ نظرة خاطفة بين أصابعه.

- أوه، رائع، أيتها الماجنة الصغيرة، ألستِ سيدة مثالية؟ تعالي، لنذهب إلى الفراش.

أحب السيد جَمب الذهاب إلى الفراش. فعل ذلك مرات عديدة في الليلة. أحب النهوض أيضًا، والجلوس في غرفة أو أخرى من غرفه الكثيرة من دون إضاءة النور، أو العمل بعض الوقت في الليل، عندما يستثيره شيء إبداعي.

شرع في إطفاء ضوء المطبخ، لكنه توقف، وضم شفتيه في شكل فوهة حصيفة وهو يفكر في فضلات العشاء. جمع صواني الوجبات الجاهزة الثلاث ومسح الطاولة.

أضاء مفتاح في بداية الدرَج الأضواء في القبو. بدأ جايم جَمب في النزول حاملًا الصواني. صاحت الكلبة الصغيرة في المطبخ وفتحت الباب بأنفها خلفه.

- حسنًا أيتها السخيفة.

التقط الكلبة بحركة كالمغرفة وحملها إلى أسفل. تلوَّت ووضعت أنفها في الصواني في يده الأخرى.

- لا، لن تفعلي، لقد أخذتِ كفايتك.

أنزلها وتبعته عن قرب خلال القبو المتلوي ومتعدد المستويات.

في غرفة بالقبو تحت المطبخ مباشرة كانت هناك بئر جافة منذ فترة طويلة. حافتها الحجرية معززة بحلقات الآبار الحديثة والأسمنت، ترتفع بمقدار قدمين فوق الأرضية الرملية. ما زال غطاء الأمان الخشبي الأصلي، الذي كان ثقيلًا جدًّا لا يستطيع طفل رفعه، في مكانه. كان هناك باب مسحور في الغطاء كبير بما يكفي لإنزال دلو من خلاله. كان الباب مفتوحًا، وكشط جَمب صينيتيه وصينية الكلبة بداخله.

تلاشت العظام وقطع الخضراوات عن الأنظار في سواد البئر المطلق. جلست الكلبة الصغيرة وتوسلت.

قال جَمب:

- لا، لا، لقد اختفى كل شيء. أنتِ سمينة[1] جدًّا بالفعل.

صعد درَج القبو، هامسًا إلى كلبته الصغيرة: «خبز دسم، خبز دسم»[2]. لم يبدِ أي إشارة تدل على أنه سمع الصرخة، التي لا تزال قوية وعاقلة إلى حدٍّ ما، التي تردد صداها من الثقب الأسود:

- أرجوووك.

---

(١) كُتبت هذه الرواية في ثمانينيات القرن الماضي، حين كانت لبعض المفاهيم والمسميات أسماء ومصطلحات مختلفة عن تلك المصطلحات التي سادت في الألفية الثانية، التي تميل إلى التلطيف أو الالتزام بوصف أدق أو أكثر انحيازًا إلى العلم والتجريد من دون أن تحمل تلك المصطلحات وصمًا أو تلميحات عنصرية، هذه الصفات مثل: «سمين» بدلًا من «كبير الحجم»، و«شاذ» بدلًا من «مثلي»، وسيلاحظها القارئ في مواضعها. وكان لا بد أن تلتزم الترجمة بزمن الرواية. (المترجمة).

(٢) «Fatty Bread»: أكلة مجرية، تُعَد من شطيرة خبز مدهون بشحم الخنزير وشرائح البصل ورشة من البابريكا. وهي وجبة خفيفة رخيصة في حانات بودابست. (المترجمة).

٢١

دخلت كلاريس ستارلِنج مستشفى بالتيمور الحكومي للمجرمين المختلين نفسيًّا بعد الساعة العاشرة مساءً بقليل. كانت وحيدة. أمَلت ستارلِنج ألا يكون الدكتور فريدريك تشيلتون هناك، لكنه كان ينتظرها في مكتبه.

ارتدى تشيلتون سترة غير رسمية بقصة إنجليزية من قماش منقوش بالمربعات. فكرت ستارلِنج أن فتحتَي الظهر والأجزاء المتدلية أسفل الوسط أعطته تأثير رداء إغريقي. تمنت من الرب ألا يكون قد ارتداها من أجلها.

كانت الغرفة عارية من الأثاث أمام مكتبه، باستثناء كرسي مستقيم مثبت على الأرض. وقفت ستارلِنج بجانبه بينما كانت تحيتها معلقة في الهواء من دون رد. كان بإمكانها أن تشم رائحة الغلايين الباردة المرتبة في الرف بجانب صندوق سيجار تشيلتون.

أنهى الدكتور تشيلتون فحص مجموعته من نماذج قاطرات فرانكلين مِنت والتفت إليها.

- هل ترغبين في فنجان قهوة منزوعة الكافيين؟

- لا، شكرًا. أعتذر لمقاطعة أمسيتك.

قال الدكتور تشيلتون:

- ما زلتِ تحاولين معرفة شيء بشأن ذلك الرأس.

- نعم. أخبرني مكتب المدعي العام لمنطقة بالتيمور بأنهم أعدوا الترتيبات معك يا دكتور.

- أوه نعم. أنا أعمل على نحو مقرب جداً مع السلطات هنا يا آنسة ستارلِنج. بالمناسبة، هل تعدين مقالًا أو أطروحة؟

- لا.

- هل سبق لكِ أن نشرت في أيٍّ من الدوريات المهنية؟

- لا، لم أفعل قَطُّ. هذه مجرد مهمة طلب مني مكتب المدعي العام القيام بها لصالح قسم جرائم القتل بمقاطعة بالتيمور. لقد تركناهم مع قضية مفتوحة، ونحن فقط نساعدهم في ترتيب الأمور العالقة.

وجدت ستارلِنج أن نفورها من تشيلتون جعل الكذب أسهل.

- هل أنتِ موصولة يا آنسة ستارلِنج؟

- هل أنا...

- هل ترتدين جهاز ميكروفون لتسجيل ما يقوله الدكتور لِكتر؟ المصطلح المستخدم في الشرطة هو «موصول»، أنا متأكد أنكِ قد سمعتِه.

- لا.

أخذ الدكتور تشيلتون جهاز تسجيل صغيرًا من طراز «بيرلكوردر» من مكتبه وأدخل فيه شريط كاسيت.

- إذن ضعي هذا في محفظتك. سأنسخه وأُرسل إليكِ نسخة. يمكنك استخدامه لتدعيم ملاحظاتك.

- لا، لا يمكنني فعل ذلك يا دكتور تشيلتون.

- لماذا بحق الجحيم؟ لقد طلبت مني سلطات بالتيمور طوال الوقت تحليلي لأي شيء يقوله لِكتر عن موضوع كلاوس هذا.

قال لها كروفورد التفِّي حول تشيلتون إذا استطعتِ. يمكننا أن ندوس عليه في دقيقة بأمر من المحكمة، لكن لِكتر سيشتم رائحة ذلك. يمكنه أن يرى من خلال تشيلتون مثل أشعة مقطعية.

- فكر المدعي العام الأمريكي أننا سنحاول اتباع نهج غير رسمي أولًا. إذا

سجلت للدكتور لِكتر من دون علمه، واكتشف ذلك، فسيكون ذلك حقًّا نهاية أي نوع من أجواء العمل لدينا. أنا متأكدة أنك تتفق مع ذلك.

- كيف سيكتشف؟

سيقرأ ذلك في الصحيفة مع كل شيء آخر تعرفه أيها الأحمق. لم تُجِب.

- إذا كان ينبغي أن يؤدي هذا إلى أي نتيجة ووجب عليه أن يدلي بإفادة، فستكون أول مَن يطلِع على المادة وأنا متأكدة من أنك ستُدعى للعمل بوصفك شاهدًا خبيرًا. نحن نحاول فقط أن نحصل منه على دليل الآن.

- هل تعرفين لماذا يتحدث معكِ يا آنسة ستارلِنج؟

- لا يا دكتور تشيلتون.

نظر إلى كل عنصر في مجموعة المصفقين المأجورين المكونة من الشهادات والدبلومات على الحائط خلف مكتبه كما لو كان يُجرِي استطلاعًا. الآن التفاتة بطيئة إلى ستارلِنج.

- هل تشعرين حقًّا بأنك تعرفين ما تفعلينه؟

- بالطبع أفعل.

كثير من «الأفعال» هناك. كانت ساقا ستارلِنج مرتعشتين من كثرة التمارين. لم تُرِد أن تتشاجر مع تشيلتون. كان يجب أن يتبقى لديها شيء من الطاقة عندما تصل إلى لِكتر.

- ما تفعلينه هو الدخول إلى مستشفايَ لإجراء مقابلة ورفض مشاركة المعلومات معي.

- أنا أتصرف بناءً على تعليمات موجهة إليَّ يا دكتور تشيلتون. لديَّ رقم الخدمة الليلية للمدعي العام الأمريكي هنا. الآن من فضلك، إما أن تناقش الأمر معه، وإما أن تدعني أؤدي عملي.

- أنا لست حامل مفاتيح السجن هنا يا آنسة ستارلِنج. أنا لا آتي راكضًا هنا ليلًا فقط لأسمح للناس بالدخول والخروج. كانت لديَّ تذكرة لعرض هوليداي أون أيس.

أدرك أنه قال تذكرة. في تلك اللحظة رأت ستارلِنج حياته، وعرف ذلك.

رأت ثلاجته الكئيبة، الفتات على صينية الوجبة الجاهزة حيث أكل بمفرده، الأكوام الساكنة التي ظلت أغراضه فيها أشهرًا حتى نقَلها، شعرت بألم حياته المنعزلة بالكامل ذات الابتسامة الصفراء المنفرجة عن حلوى سِن سِن المعطرة للفم - وبسرعة فتح المدية التلقائية - عرفت أنها لن ترقَّ له، لن تتكلم أو تنظر بعيدًا عنه. حدقت إلى وجهه، وبأقل إمالة من رأسها، منحته مظهرها الجميل وحفرت معرفتها فيه، وطعنته به، مدركة أنه لا يستطيع تحمل استمرار المحادثة.

أرسلها مع معاون مستشفى اسمه «ألونزو».

٢٢

نجحت ستارلِنج في إبعاد كثير من أصوات صفق الأبواب والصراخ وهي تهبط مع ألونزو باتجاه الحجز الأخير، على الرغم من شعورها بأن تلك الأصوات تجعل الهواء يرتعد على جلدها. تعاظم الضغط عليها كأنها تغرق في الماء، أسفل فأسفل.

القرب من المجانين - فكرة أن كاثرين مارتن مقيدة وحيدة، وأحدهم يتشممها، يربت على جيوبه ليؤمِّن على أدواته - أعد ستارلِنج جسديًّا وعقليًّا لمهمتها. لكنها كانت بحاجة إلى ما هو أكثر من العزم. كانت بحاجة إلى أن تكون هادئة، أن تكون ثابتة، أن تكون الأداة الأكثر حرصًا. يجب عليها أن تتحلى بالصبر في مواجهة الحاجة الماسة للإسراع. إذا عرف الدكتور لِكتر الإجابة، فيجب أن تعثر عليها في الأسفل بين أفرع أفكاره المتسلقة.

وجدت ستارلِنج أنها فكرت في كاثرين بيكر مارتن على أنها الطفلة التي رأتها في فيلم الأخبار، الفتاة الصغيرة في المركب الشراعي.

ضغط ألونزو الجرس الطنان عند الباب الثقيل الأخير.

- علِّمنا أن نهتم وألا نهتم، علِّمنا أن نكون ثابتين.

قال ألونزو:

- المعذرة؟

أدركت ستارلِنج أنها تحدثت بصوت عالٍ.

تركها مع معاون المستشفى الضخم الذي فتح الباب. عندما التفت ألونزو بعيدًا، رأته يرشم الصليب على نفسه.

قال المعاون:

- مرحبًا بعودتك.

وأغلق المزاليج وراءها.

- مرحبًا بارني.

التف كتاب بغلاف ورقي حول سبابة بارني الضخمة وهو محتفظ بمكانه. كان كتاب العقل والعاطفة لجين أوستن. كانت ستارلِنج مهيأة لملاحظة كل شيء. قال:

- كيف تريدين الأضواء؟

كان الممر بين الزنازين معتمًا. بالقرب من الطرف البعيد كانت بوسعها رؤية الضوء الساطع من الزنزانة الأخيرة ساطعًا على أرضية الممر.

- الدكتور لِكتر مستيقظ.

- في الليل، دائمًا، حتى عندما تكون أضواؤه مطفأة.

- دعنا نتركها كما هي.

- ابقي في المنتصف حتى تصلي، لا تلمسي القضبان، حسنًا؟

- أريد إغلاق ذلك التلفزيون.

نُقل التلفزيون. كان في الطرف البعيد، مواجهًا منتصف الممر. يمكن لبعض السجناء رؤيته بإمالة رؤوسهم إلى القضبان.

- بالتأكيد، أغلقي الصوت، لكن اتركي الصورة إذا كنت لا تمانعين. يحب بعضهم النظر إليها. الكرسي موجود هناك إذا كنت تريدينه.

مشت ستارلِنج بمفردها في الممر المعتم. لم تنظر إلى الزنازين على كلا الجانبين. بدا لها وقع قدميها صاخبًا. كانت الأصوات الأخرى الوحيدة الشخير الرطب من زنزانة واحدة، ربما اثنتان، وضحكة خافتة من زنزانة أخرى.

حظيت زنزانة الراحل ميجز بشاغل جديد. بإمكانها رؤية ساقين طويلتين ممددتين على الأرض، قمة الرأس مستندة إلى القضبان. نظرت وهي تمر. جلس رجل على أرضية الزنزانة وسط قمامة متناثرة من ورق التصميمات الإنشائية

الممزق. كان وجهه خاويًا. انعكس التلفزيون في عينيه وخيط لامع من اللعاب ربط زاوية فمه وكتفه.

لم تكن تريد أن تنظر إلى زنزانة الدكتور لِكتر حتى تتأكد أنه رآها. تجاوزتها، وشعرت بالحكة بين كتفيها، ومضت إلى التلفزيون وأغلقت الصوت.

ارتدى الدكتور لِكتر منامة المصحة البيضاء في زنزانته البيضاء. كانت الألوان الوحيدة في الزنزانة شعره وعينيه وفمه الأحمر، في وجه بعيد عن الشمس منذ وقت طويل حتى تماهى مع البياض المحيط، بدت ملامحه معلقة فوق ياقة قميصه. جلس إلى طاولته خلف شبكة النايلون التي أبعدته عن القضبان. كان يرسم على ورق تغليف اللحم، مستخدمًا يده نموذجًا. وبينما كانت تراقب، قلب يده، مقوِّسًا أصابعه بتوتر شديد، رسم باطن الساعد. استخدم إصبعه الخنصر كقلم تظليل لتعديل خط الفحم.

اقتربت قليلًا من القضبان ورفع بصره. بالنسبة إلى ستارلِنج طار كل ظل في الزنزانة إلى داخل عينيه وخط منبت شعره المتخذ شكل حرف «V».

- مساء الخير يا دكتور لِكتر.

ظهر طرف لسانه، أحمر مثل شفتيه. لمس شفته العليا في الوسط بالضبط، وعاد إلى الداخل مرة أخرى.

- كلاريس.

سمعت نبرة معدنية طفيفة مبطنة في صوته، وتساءلت عن المدة التي تحدث فيها منذ آخر مرة. نبضات من صمت...

قال:

- أنتِ مستيقظة لوقت متأخر في ليلة مدرسية.

قالت:

- هذه مدرسة ليلية.

متمنية أن يكون صوتها أقوى. تابعت:

- أمس كنت في وِست فرجينيا...

- هل جرحتِ نفسك؟

- لا، أنا...

- تضعين ضمادة حديثة يا كلاريس.

ثم تذكرت.

- أُصبتُ بخدش على جانب المسبح، في أثناء السباحة اليوم.

كانت الضمادة مختفية عن الأنظار، على ربلة ساقها تحت سروالها. لا بد أنه يشمها.

- كنت في وِست فرجينيا أمس. وجدوا جثة هناك، أحدث جثث بافالو بيل.

- ليست أحدث جثثه تمامًا يا كلاريس.

- التالية لأحدث جثثه.

- نعم.

- سُلخت فروة رأسها. تمامًا كما قلت.

- هل تمانعين إذا واصلتُ الرسم بينما نتكلم؟

- لا، تفضَّل.

- هل عاينتِ الرفات؟

- نعم.

- هل رأيتِ جهوده السابقة؟

- لا، صور فقط.

- كيف شعرتِ؟

- وجِلة، ثم أصبحت مشغولة.

- وبعد ذلك؟

- مرتجفة.

- هل استطعتِ أداء العمل على نحو جيد؟

فرك الدكتور لِكتر قلمه الفحمي على حافة ورقته لتغليف اللحم لشحذ قمته.

- جيد جدًّا. لقد أديت العمل على نحو جيد جدًّا.
- لجاك كروفورد؟ أم أنه لا يزال يُجرِي مكالمات منزلية؟
- كان هناك.
- سايريني لحظة يا كلاريس. هلَّا تركتِ رأسك يتدلى إلى الأمام، فقط اتركيه يتدلى إلى الأمام كما لو كنت نائمة. ثانية أخرى. شكرًا لكِ، لقد حصلتُ عليه الآن. اجلسي، إذا أردت. هل أخبرت جاك كروفورد بما قلتُه قبل أن يجدوها؟
- نعم، لقد استخف به إلى حدٍّ كبير.
- وبعد أن رأى الجثة في وِست فرجينيا؟
- تحدث مع سلطته الرئيسية، من جامعة...
- آلان بلوم.
- هذا صحيح. قال الدكتور بلوم إن بافالو بيل كان يرضي الشخصية التي خلقتها الصحف، موضوع سلخ بافالو بيل لفروة الرأس التي كانت الصحف الشعبية تلعب بها. قال الدكتور بلوم إن أي شخص يمكنه أن يتوقع ذلك.
- الدكتور بلوم توقع ذلك؟
- قال إنه فعل.
- لقد توقع ذلك، لكنه احتفظ به لنفسه. أفهم. ما رأيكِ يا كلاريس؟
- لست متأكدة.
- لديك بعض المعرفة في علم النفس، وفي الطب الشرعي. حيث يتدفق الاثنان معًا، تصطادين، أليس كذلك؟ أتلتقطين أي شيء يا كلاريس؟
- الأمر بطيء جدًّا حتى الآن.
- ماذا يخبرك تخصصاكِ عن بافالو بيل؟
- حسب الكتاب، إنه سادي.

- الحياة مخادعة جدًّا بالنسبة إلى الكتب يا كلاريس، الغضب يظهر على أنه شهوة، مرض الذئبة يتراءى على أنه طفح جلدي.

انتهى الدكتور لِكتر من رسم يده اليسرى بيمناه، وبدَّل قلم الفحم وبدأ في رسم يمناه بيسراه، وبالبراعة نفسها.

- هل تقصد كتاب الدكتور بلوم؟

- نعم.

- بحثتِ عني فيه، أليس كذلك؟

- بلى.

- كيف وصفني؟

- معتل نفسي محض.

- هل تقولين إن الدكتور بلوم على حق دائمًا؟

- ما زلت أنتظر الاتصاف بضحالة التأثر.

كشفت ابتسامة الدكتور لِكتر عن أسنانه البيضاء الصغيرة.

- لدينا خبراء في كل مكان يا كلاريس. يقول الدكتور تشيلتون إن سامي، خلفك هناك، مصاب بالفصام الفندي وفي حالة ذهول لا رجعة فيه. لقد وضع سامي في زنزانة ميجز القديمة، لأنه يعتقد أن سامي قد قال وداعًا. هل تعرفين كيف تتطور حالة مرضى الفصام الفندي؟ لا تقلقي، فلن يسمعك.

قالت:

- إنهم الأصعب في العلاج. عادة ما يتطورون إلى الانسحاب النهائي وتفكك الشخصية.

أخذ الدكتور لِكتر شيئًا من بين أوراق تغليف اللحم ووضعه على حامل الطعام المنزلق. سحبته ستارلِنج.

قال:

- أمس فقط أرسل سامي هذا عبر الممر مع عشائي.

كان قصاصة من ورق التصميمات الإنشائية عليها كتابة بقلم تلوين. قرأت ستارلِنج:

I WAN TOO GO TO JESA
I WAN TOO GO WIV CRIEZ
I CAN GO WIV JESA
EF I AC RELL NIZE

SAMMIE

نظرت ستارلِنج إلى الخلف من فوق كتفها اليمنى. جلس سامي خاويَ الوجه إلى جدار زنزانته، ورأسه مستند إلى القضبان.

- هلّا قرأتِها بصوت عالٍ؟ لن يسمعك.

بدأت ستارلِنج بالقراءة:

- أريد الذهاب إلى يسوع، أريد الذهاب مع المسيح، يمكنني الذهاب مع يسوع إن كنتُ حقًّا لطيفًا.

- لا، لا. ضعي بها خاصية تأكيدية مثل أغنية «عصيدة بازلاء ساخنة» (Pease porridge hot). التفاعيل مختلفة لكن الشدة متماثلة.

صفق لِكتر لضبط التوقيت بنعومة:

- «عصيدة البازلاء في الوعاء منذ تسعة أيام». بشدة، كما ترين. بعاطفة متقدة. «أريد الذهاب إلى يسوع، أريد الذهاب مع المسيح».

قالت ستارلِنج:

- أفهم.

وأعادت الورقة إلى الحامل المنزلق.

- لا، أنتِ لا تفهمين أي شيء على الإطلاق.

قفز الدكتور لِكتر على قدميه، جسده الرشيق مشوَّه فجأة، منحنيًا القرفصاء كمسخ ضئيل، وكان يثب، يصفق، صوته يرن مثل السونار:

- أريد الذهاب إلى يسوع...

انفجر صوت سامي خلفها فجأة كسعال نمر مرقط، بصوت أعلى من قرد زاعق. نهض سامي وهرس وجهه في القضبان، مهتاجًا ومنهكًا، والأوتار تبرز في رقبته:

«أريد **الذهاب إلى يسوع**
أريد **الذهاب مع** المسيح
يمكنني الذهاب **مع يسوع** إن كنتُ حقًّا لطيييفًا».

صمت. اكتشفت ستارلِنج أنها كانت واقفة وكرسيها القابل للطي ملقى إلى الخلف. سقطت أوراقها متناثرة من حجرها.

قال الدكتور لِكتر، منتصبًا ورشيقًا كراقصٍ مرة أخرى، داعيًا إياها إلى الجلوس:

- تفضلي.

هوى بسهولة في مقعده وأراح ذقنه على يده. قال مرة أخرى:

- أنتِ لا تفهمين أي شيء على الإطلاق. سامي متدين بشدة. إنه ببساطة محبط لأن يسوع متأخر جدًّا. هل لي أن أخبر كلاريس لماذا أنتَ هنا يا سامي؟

أمسك سامي بالجزء السفلي من وجهه وأوقف حركته.

قال الدكتور لِكتر:

- من فضلك؟

قال سامي بين أصابعه:

- إيييييه.

- وضع سامي رأس أمه في طبق جمع التبرعات في كنيسة الطريق المعمدانية في ترون. كانوا يغنون «أعطِ أفضل ما لديك للسيد»، وكان هذا أجمل شيء لديه.

تحدث لِكتر من فوق كتفها:

- شكرًا لك سامي. كل شيء على ما يرام تمامًا. شاهد التلفزيون.

انخسف الرجل طويل القامة إلى الأرض ورأسه على القضبان، تمامًا كما كان من قبل، وصور التلفزيون تتموج على حدقتيه، ثلاثة خطوط فضية على وجهه الآن، لعاب ودموع.

- الآن. انظري ما إذا كان يمكنك بذل جهدكِ تجاه مشكلته، وربما سأبذل جهدي تجاه مشكلتك. خدمة مقابل خدمة. إنه لا يسمع.

كان على ستارلِنج أن تمعن تركيزها بشدة. قالت:

- تغير البيت من «الذهاب إلى يسوع» إلى «الذهاب مع المسيح». هذا تسلسل منطقي: الذهاب إلى، الوصول عند، الذهاب مع.

- نعم. إنه تقدم خطيٌّ. يسعدني تحديدًا أنه يعرف أن «يسوع» و«المسيح» متماثلان. هذا تقدم. من الصعب التوفيق بين فكرة أن تكون طبيعة الإله في المسيحية واحدة وأيضًا ثالوثًا، خصوصًا بالنسبة إلى سامي، الذي ليس متأكدًا كم شخصًا هو نفسه. يعطينا إلدريدج كليفر تشبيهًا هو زيت ثلاثة في واحد، ونجد ذلك مفيدًا.

قالت ستارلِنج:

- إنه يرى علاقة سببية بين سلوكه وأهدافه، هذا تفكير منظم. وأيضًا تدبير قافية. إنه ليس متبلدًا، إنه يبكي. هل تعتقد أنه مصاب بفصام تخشبي؟

- نعم، هل يمكنكِ شم رائحة عرقه؟ تلك الرائحة الغريبة الشبيهة برائحة الماعز هي حمض trans-3-methyl-2 hexenoic. تذكري أنها رائحة الفصام.

- وهل تعتقد أنه من الممكن علاجه؟

- خصوصًا الآن، عندما يخرج من مرحلة الذهول. كم خداه لامعان!

- دكتور لِكتر، لماذا تقول إن بافالو بيل ليس ساديًّا؟

- لأن الصحف ذكرت أن الجثث بها علامات أربطة على المعصمين، لكن ليس على الكاحلين. هل رأيتِ أي شيء على كاحلَي الشخص في وِست فرجينيا؟

- لا.
- كلاريس، عمليات نزع الجلد الترفيهية تُجرى دائمًا والضحية مقلوبة، بهذا يبقى ضغط الدم فترة أطول في الرأس والصدر، ويظل الشخص الخاضع واعيًا. ألم تعلمي ذلك؟
- نعم.
- عندما تعودين إلى واشنطن، اذهبي إلى المعرض الوطني للفنون وانظري إلى لوحة تيتيان نزع جلد مارسياس (Flaying of Marsyas) قبل إرسالها مرة أخرى إلى تشيكوسلوفاكيا. تيتيان رائع فيما يخص التفاصيل، انظري إلى بان، إله الرعي النافع، وهو يجلب دلو الماء.
- دكتور لِكتر، لدينا بعض الظروف الاستثنائية هنا وبعض الفرص غير العادية.
- لمَن؟
- لك، إذا أنقذنا هذه الضحية. هل شاهدت السيناتور مارتن على التلفزيون؟
- نعم، شاهدت الأخبار.
- ما رأيك في البيان؟
- مُضلل لكنه غير ضار. لقد قُدمت لها مشورة سيئة.
- إن السيناتور مارتن قوية جدًّا، وتتمتع بالعزيمة.
- فلنسمع ما لديكِ.
- أعتقد أن لديك بصيرة غير عادية. أشارت السيناتور مارتن إلى أنه إذا ساعدتنا في إعادة كاثرين بيكر مارتن حية سالمة، فسوف تساعدك على الانتقال إلى مؤسسة فدرالية، وإذا كان هناك منظر متاح، فستحصل عليه. قد يُطلب منك أيضًا مراجعة التقييمات النفسية المكتوبة للمرضى القادمين، أي وظيفة، بمعنى آخر. لا تخفيف للقيود الأمنية.
- لا أصدق ذلك يا كلاريس.
- يجب أن تصدق.
- أوه، أنا أصدقك. لكن هناك مزيدًا من الأشياء التي لا تعرفينها عن السلوك

البشري أكثر من كيفية نزع الجلد بطريقة صحيحة. هل تقولين ذلك بالنيابة عن السيناتور بالولايات المتحدة، أنتِ اختيار غريب لتكوني مرسالًا؟

- لقد كنتُ اختيارك يا دكتور لِكتر. اخترتَ التحدث معي. هل تفضِّل شخصًا آخر الآن؟ أو ربما لا تعتقد أن بإمكانك المساعدة.

- هذا وقح وغير صحيح يا كلاريس. لا أعتقد أن جاك كروفورد سيسمح بأن يصل إليَّ أي نوع من الترضية على الإطلاق... ربما سأخبرك بشيء واحد يمكنك إخبار السيناتور به، لكنني أعمل بصرامة على أساس الدفع عند الاستلام، ربما سأقايض بمعلومة عنكِ. نعم أم لا؟

- لنسمع السؤال.

- نعم أم لا؟ كاثرين تنتظر، أليس كذلك؟ وهي تستمع إلى المِسنِّ؟ ماذا تعتقدين أنها ستطلب منكِ أن تفعلي؟

- لنسمع السؤال.

- ما أسوأ ذكريات طفولتك؟

أخذت ستارلِنج نفَسًا عميقًا.

قال الدكتور لِكتر:

- أسرع من ذلك. أنا لست مهتمًا بأسوأ اختلاقاتك.

قالت ستارلِنج:

- موت والدي.

- احكي لي.

- كان مارشال البلدة. ذات ليلة فاجأ سارقين، مدمنين، وهما يخرجان من الباب الخلفي لمتجر الأدوية. وبينما كان يخرج من شاحنته الصغيرة، لم يتمكن من استخدام بندقية المضخة الخاصة به لحدوث عجز بسبب الحشر، وأطلقا النار عليه.

- عجز بسبب الحشر؟

- لم يُرجع منزلَق الماسورة إلى الخلف على نحو كامل. لقد كانت بندقية

مضخة قديمة، من طراز «ريمنجتون ٨٧٠»، وعلقت المقذوفة في حامل المقذوفات. عندما يحدث ذلك، لن تطلق البندقية، وعليك إنزالها لتنظيفها. أعتقد أنه قد صدم المنزلق على الباب وهو يخرج.

- هل قُتل على الفور؟

- لا، لقد كان قويًّا، تحمَّل شهرًا.

- هل رأيتِه في المستشفى؟

- دكتور لِكتر... نعم.

- أخبريني بإحدى التفاصيل التي تتذكرينها من المستشفى.

أغمضت ستارلِنج عينيها.

- جاءت إحدى الجارات، امرأة كبيرة في السن، سيدة عزباء، وتلت له نهاية قصيدة «ثاناتوبسيس» (Thanatopsis). أعتقد أن هذا كان كل ما عرفته لتقوله. هذا كل شيء. لقد قمنا بالمقايضة.

- نعم فعلنا. لقد كنتِ صريحة جدًّا يا كلاريس. أنا أعرف دائمًا. أعتقد أنه سيكون أمرًا استثنائيًّا أن أعرفك في حياة شخصية.

- خدمة مقابل خدمة.

- في الحياة، هل كانت الفتاة في وِست فرجينيا جذابة جدًّا من الناحية الجسدية، في رأيك؟

- كانت حسنة الاعتناء بمظهرها.

- لا تضيعي وقتي بالولاء.

- كانت بدينة.

- ضخمة؟

- نعم.

- أُطلِق عليها الرصاص في الصدر.

- نعم.

- مسطحة الصدر، كما أتوقع.

- بالنسبة إلى حجمها، نعم.
- لكن جسيمة عند الوركين. ممتلئة.
- كانت كذلك، نعم.
- ماذا أيضًا؟
- أُدخلت حشرة في حلقها عمدًا. لم يُعلن عن ذلك.
- هل كانت فراشة؟

توقفت أنفاسها للحظة. كانت تأمل ألا يسمع ذلك. قالت:

- كانت عُثة. من فضلك قل لي كيف تنبأت بذلك.
- كلاريس، سأخبرك ما الذي يريده بافالو بيل من كاثرين بيكر مارتن، ثم تصبحين على خير. هذه كلمتي الأخيرة بموجب الشروط الحالية. يمكنكِ إخبار السيناتور بما يريده من كاثرين، ويمكنها أن تأتي مع عرض أكثر إثارة للاهتمام بالنسبة إليَّ... أو يمكنها الانتظار حتى تطفو كاثرين على سطح الماء وترى أنني كنت مُحقًّا.
- ماذا يريد منها يا دكتور لِكتر؟

قال الدكتور لِكتر:

- يريد سترة عليها ثديان.

٢٣

رقدت كاثرين بيكر مارتن على ارتفاع سبع عشرة قدمًا تحت أرضية القبو. كان الظلام صاخبًا بتنفسها، صاخبًا بنبض قلبها. في بعض الأحيان كان الخوف يقف على صدرها كما يقتل ناصب الفخاخ الثعلب. أحيانًا كان باستطاعتها أن تفكر: عرفت أنها اختُطفت، لكنها لم تكن تعرف مَن اختطفها. عرفت أنها لم تكن تحلم. في الظلام الحالك، استطاعت سماع النقرات الصغيرة التي تحدثها عيناها عندما ترمشان.

إنها الآن أفضل مما كانت عليه عندما استعادت وعيها لأول مرة. تلاشى كثير من التشوش الذهني المروع، وعرفت أن هناك ما يكفي من الهواء. يمكنها أن تميز بين \الأسفل و\الأعلى، ولديها شيء من الإحساس بوضع جسدها.

آلمتها كتفها ووركها وركبتها من انضغاطها على الأرضية الأسمنتية حيث كانت راقدة. كان هذا الجانب في \الأسفل. بالأعلى كانت الحشية الخشنة الذي زحفت تحتها خلال الفترة الفاصلة الأخيرة من الضوء الساطع المتوهج. هدأ الخفقان في رأسها الآن، وكان ألمها الحقيقي الوحيد في أصابع يدها اليسرى. عرفت أن إصبع البنصر مكسورة.

كانت ترتدي بدلة من قطعة واحدة مبطنة غريبة عليها، نظيفة وتفوح منها رائحة منعم الأقمشة. كانت الأرضية نظيفة أيضًا، باستثناء عظام الدجاج وقطع الخضراوات التي كشطها آسرها في الحفرة. الأشياء الأخرى الوحيدة معها كانت الحشية ودلوًا بلاستيكية للتدابير الصحية رُبط مقبضها بخيط رفيع.

شعرت كأنه خيط مطبخ قطني، ووصل إلى الظلام بقدر ما استطاعت أن تمد يدها.

كانت كاثرين مارتن حرة الحركة، لكن لا مكان لتذهب إليه. كانت الأرضية التي ترقد عليها بيضاوية، نحو ثمانٍ في عشر أقدام، مع مصرف صغير في المنتصف. كان قاع حفرة عميقة مغطاة. مالت الجدران الأسمنتية الملساء إلى الداخل برفق كلما ارتفعت.

الأصوات من فوق الآن أم أنه قلبها؟ الأصوات من فوق. جاءت الأصوات لها بوضوح من فوق. كانت الزنزانة تحت الأرض التي حُبست بها في جزء من القبو أسفل المطبخ مباشرة. خطوات الآن عبر أرضية المطبخ، ومياه جارية. خدش مخالب كلب على مشمع الأرضية. لا شيء بعد ذلك حتى أُضيء قرص ضعيف من الضوء الأصفر عبر الباب السحري المفتوح بالأعلى حين أُضيء نور القبو. ثم نور متوهج في الحفرة، وهذه المرة جلست في الضوء، والحشية على ساقيها، مصممة على النظر حولها، وهي تحاول النظر من خلال أصابعها بينما تتكيف عيناها، وظلها يتأرجح حولها بينما يُنزَل مصباح كاشف إلى الحفرة متأرجحًا على سلكه بالأعلى.

جفلت عندما تحركت دلو المرحاض الخاصة بها، رُفعت، متأرجحة على خيطها الواهي، ملتفة ببطء بينما ترتفع نحو الضوء. حاولت أن تبتلع خوفها، وتنفست معه قدرًا كبيرًا من الهواء، لكنها تمكنت من التحدث.

قالت:

- عائلتي ستدفع. نقدًا. والدتي ستدفع الآن، من دون طرح أي أسئلة. هذا رقمها الخاص... أوه!

نزل عليها ظل يرفرف، مجرد منشفة.

- هذا رقمها الخاص. إنه ٢٠٢...

- اغتسل.

كان الصوت الغريب نفسه الذي سمعته يتحدث إلى الكلب.

دلو أخرى تهبط على سلك رفيع. شمت رائحة ماء ساخن بصابون.
- انزعها واغسل نفسك بالكامل، أو ستحصل على الخرطوم.
ومتوجهًا إلى الكلب حيث تلاشى الصوت:
- نعم سيحصل(١) على الخرطوم، أليس كذلك يا حبيبة القلب، بلى سيفعل!
سمعت كاثرين مارتن وقع الأقدام والمخالب على الأرض فوق القبو.
اختفت الآن الرؤية المزدوجة التي كانت تعانيها عندما أُضيئَت الأنوار للمرة الأولى. بوسعها أن ترى. كم كان ارتفاع القمة؟ هل كان الضوء الكاشف على حبل قوي؟ هل يمكنها أن تجعله يعلق بالبدلة؟ تمسك شيئًا بالمنشفة. افعلي شيئًا ما بحق الجحيم. كانت الجدران ملساء للغاية، عبارة عن أنبوب أملس إلى أعلى.

صدع في الأسمنت على ارتفاع قدم فوق متناول يدها، الخلل الوحيد الذي تمكنت من رؤيته. لفت الحشية الفوتون بإحكام قدر استطاعتها وربطت اللفافة بالمنشفة. وقفت عليها، متذبذبة، تمد يدها إلى الصدع، ووضعت أظافرها فيه للتوازن وأمعنت في النظر إلى الضوء. التحديق إلى الوهج. إنه ضوء كاشف له ظلة، معلق على مسافة قدم فقط في الحفرة، ما يقرب من عشر أقدام فوق يدها الممدودة إلى أعلى، ربما يكون القمر أيضًا، وكان قادمًا، كانت الحشية تتذبذب، وهي تخربش في صدع الجدار للتوازن، تقفز إلى أسفل، شيء ما، قشرة تسقط على وجهها.

شيء ينزل متجاوزًا الضوء، خرطوم. رشة واحدة من المياه الجليدية، تهديد.
- اغسل نفسك. بالكامل.
كانت في الدلو قطعة قماش طافية في الماء وزجاجة بلاستيكية تحتوي على مستحضر لتطرية الجلد غريب وباهظ الثمن.
فعلت ذلك، انتابتها قشعريرة في ذراعيها وفخذيها، آلمتها الحلمتان وذبلتا

---

(١) في مواضع وصف المؤلف لتعامل جَمب مع ضحيته، تعمد الإشارة إليها بضمير غير العاقل «it»، ولا يستخدم أيًّا من ضمائر المذكر أو المؤنث، لأنه يَعُد الضحية شيئًا لا إنسانًا. (المترجمة).

في الهواء البارد، جلست القرفصاء بجانب دلو الماء الدافئ قرب الحائط قدر استطاعتها واغتسلت.

- تجفف الآن وادهن الكريم بالكامل. ادهنه بالكامل.

كان الكريم دافئًا من ماء الاستحمام. رطوبة جسدها جعلت البدلة تلتصق بجلدها.

- الآن التقط القمامة الخاصة بك واغسل الأرض.

فعلت ذلك أيضًا، جمعت عظام الدجاج والتقطت البازلاء الإنجليزية. وضعتها في الدلو، وربتت على بقع الشحوم الصغيرة على الأسمنت. شيء آخر هنا بالقرب من الحائط. القشرة التي رفرفت من الشق بالأعلى. لقد كان ظفرًا بشريًّا مغطى بطلاء لامع، ومنكسرًا من نسيج الجلد الحي.

سُحبت الدلو عاليًا.

قالت كاثرين مارتن:

- أمي ستدفع. من دون طرح أي أسئلة. ستدفع ما يكفي لتكونوا جميعًا أغنياء. إذا كانت قضية، إيران أو فلسطين، أو تحرير السود، ستقدم المال لذلك. كل ما عليك فعله...

انطفأت الأنوار. ظلام مفاجئ وشامل.

جفلت وقالت «آهـ هـ هـ هـ هـ!» عندما استقرت دلو المرحاض بجانبها مربوطة بخيطها. جلست على الحشية، وعقلها يتسابق. اعتقدت الآن أن آسرها بمفرده، وأنه أمريكي أبيض. لقد حاولت أن تعطي انطباعًا بأنها لم تكن تعرف ما كان عليه، ما لونه أو كم العدد، وأن ذكراها عن ساحة انتظار السيارات قد تلاشت بسبب الضربات على رأسها. أملت أن يعتقد أن بإمكانه تركها تذهب بأمان. كان عقلها يعمل ويعمل، وفي النهاية عمل جيدًا:

ظفر، كان هناك شخص آخر. كانت هناك امرأة أو فتاة. أين هي الآن ماذا فعل بها؟

باستثناء الصدمة وفقدان الإحساس بالموقف، لم يمضِ وقت طويل حتى

استوعبت الأمر. ما حدث، أن مستحضر تطرية الجلد جعلها تستوعب. جلد. عرفت حينها مَن آسرها. سقطت المعرفة عليها مثل كل شيء حارق فظيع على الأرض وأخذت تصرخ، وتصرخ، تحت الحشية، إلى أعلى، وتتسلق، تخمش الحائط، تصرخ حتى سعلت شيئًا دافئًا ومالحًا في فمها، يداها على وجهها، لزوجة جافة على ظاهر يديها واستلقت متخشبة على الحشية، متقوسة بعيدًا عن الأرض من الرأس إلى الكعبين، ويداها متشبثتان في شعرها.

٢٤

أصدر ربع الدولار الذي وضعته كلاريس ستارلِنج رنينًا عميقًا خلال الهاتف في صالة معاوني المستشفى المتهالكة. اتصلت برقم شاحنة المراقبة.

- كروفورد.

قالت ستارلِنج:

- أنا أتصل من هاتف عمومي خارج جناح الحراسة المشددة. سألني الدكتور لِكتر عما إذا كانت الحشرة في وِست فرجينيا عبارة عن فراشة. لم يذكر تفاصيل. قال إن بافالو بيل يحتاج إلى كاثرين مارتن لأنه، وأنا أقتبس قوله، «يريد سترة عليها ثديان». يريد الدكتور لِكتر التفاوض، ويريد عرضًا «أكثر إثارة للاهتمام» من السيناتور.

- هل قطع المقابلة؟

- نعم.

- متى تعتقدين أنه سيتحدث مرة أخرى؟

- أعتقد أنه يود فعل ذلك خلال الأيام القليلة المقبلة، لكنني أُفضِّل أن أحاول معه مرة أخرى الآن، إذا استطعتُ الحصول على عرض عاجل نوعًا ما من السيناتور.

- العاجل الآن. تعرفنا على هوية الفتاة في وِست فرجينيا يا ستارلِنج. بطاقة بصمة لشخص مفقود من ديترويت جذبت الانتباه في قسم تحديد الهوية منذ قرابة نصف ساعة. كيمبرلي جين إيمبرِج، في الثانية والعشرين، مفقودة

من ديترويت منذ السابع من فبراير، نحن نمشط حيًّها بحثًا عن شهود. يقول الفاحص الطبي في شارلوتسفيل إنها تُوفيت في موعد لا يتجاوز الحادي عشر من فبراير، وربما في اليوم السابق، العاشر.

قالت ستارلِنج:

- أبقاها على قيد الحياة ثلاثة أيام فقط.
- دورته تصبح أقصر. لا أعتقد أن أيّ شخص فوجئ بالأمر.

كان صوت كروفورد هادئًا.

- لقد احتجز كاثرين مارتن قرابة ست وعشرين ساعة. أعتقد أنه إذا كان بإمكان لِكتر أن يرشد، فمن الأفضل أن يفعل ذلك في محادثتك التالية. لقد عُيِّن لي موقع في المكتب الميداني في بالتيمور، حيث أوصلتك الشاحنة. لديَّ غرفة لك في نُزُل هوجو على بعد مربعين سكنيين من المستشفى إذا كنت بحاجة إلى أخذ قسط من النوم لاحقًا.
- إنه مرتاب يا سيد كروفورد، ليس متأكدًا أنك ستسمح له بالحصول على أي شيء جيد. ما قاله عن بافالو بيل، قايضه بالحصول على معلومات شخصية عني. لا أعتقد أن هناك أي ارتباط نصي بين أسئلته والقضية... هل تريد معرفة الأسئلة؟
- لا.
- هذا هو السبب في أنك لم تجعلني أضع جهاز تنصت، أليس كذلك؟ كنت تعتقد أنه سيكون أسهل بالنسبة إليَّ، سيكون من المرجح أن أخبره بالأشياء وأرضيه إذا لم يسمع أي شخص آخر.
- إليكِ احتمالًا آخر: ماذا لو وثقت بحكمكِ يا ستارلِنج؟ ماذا لو اعتقدت أنك أفضل فرصة لديَّ، وأردت إبعاد كثير من المنتقدين عن كاهلك؟ هل سأجعلك حينها ترتدين جهاز تنصت؟
- لا سيدي.

أنت مشهور بحسن التعامل مع العملاء، أليس كذلك يا سيد كروفورد؟

- ماذا يمكننا أن نقدم للدكتور لِكتر؟
- سأرسل شيئين. سيكونان هناك خلال خمس دقائق، إلا إذا كنت ترغبين في الراحة قليلًا أولًا.

قالت ستارلِنج:

- أُفضِّل أن أفعل ذلك الآن. قل لهم أن يسألوا عن ألونزو. أخبر ألونزو بأنني سألتقيهم في الممر خارج القسم ٨.

قال كروفورد:

- خمس دقائق.

سارت ستارلِنج ذهابًا وإيابًا على مشمع الصالة المتهالك تحت الأرض. كانت هي الإشراق الوحيد في الغرفة.

نادرًا ما نجهز أنفسنا في المروج أو في الدروب المرصوفة بالحصى، بل نفعل ذلك في غضون مهلة قصيرة في أماكن من دون نوافذ، ممرات المستشفى، غرف مثل هذه الصالة بأريكة بلاستيكية متصدعة ومنافض سجائر سينزانو، حيث تغطي ستائر المقهى النصفية الخرسانة الفارغة. في غرف مثل هذه، مع القليل من الوقت، نجهز إيماءاتنا، ونحفظها عن ظهر قلب حتى نتمكن من أدائها عندما نشعر بالخوف من مواجهة يوم الدينونة الأخير. كانت ستارلِنج كبيرة بما يكفي لمعرفة ذلك، لم تدع الغرفة تؤثر فيها.

مشت ستارلِنج ذهابًا وإيابًا. أومأت إلى الهواء. قالت بصوت عالٍ: «اصمدي يا فتاة». قالت ذلك لكاثرين مارتن، وقالت ذلك لنفسها. قالت بصوت عالٍ: «نحن أفضل من هذه الغرفة. نحن أفضل من هذا المكان اللعين. نحن أفضل من أي مكان وضعكِ به. ساعديني. ساعديني. ساعديني». فكرت للحظة بوالديها الراحلين. تساءلت عما إذا كانا سيخجلان منها الآن - هذا السؤال فقط، ليس صلته، ليس ظروفه - بالطريقة التي نسأل بها دائمًا. كان الجواب لا، لن يخجلا منها.

غسلت وجهها وخرجت إلى الردهة.

كان المعاون ألونزو في الممر مع طرد مختوم من كروفورد. احتوى على خريطة وتعليمات. قرأتها بسرعة على ضوء الممر، وضغطت الزر ليسمح لها بارني بالدخول.

٢٥

كان الدكتور لِكتر جالسًا إلى طاولته، يتفقد مراسلاته. وجدت ستارلِنج أن من الأسهل الاقتراب من القفص إذا كان لا ينظر إليها.

- يا دكتور.

رفع إصبعه في إشارة إلى الصمت. عندما انتهى من قراءة رسالته، جلس يتأمل، وإبهام يده ذات الأصابع الست تحت ذقنه، وإصبع السبابة بجانب أنفه. قال:

- ما رأيك في هذا؟

وضع المستند في حاملة الطعام.

كانت رسالة من مكتب براءات الاختراع الأمريكي.

قال الدكتور لِكتر:

- هذا يتعلق بساعة الصلب الخاصة بي. لن يمنحوني براءة اختراع، لكنهم ينصحونني بتأمين حقوق الطبع والنشر للواجهة. انظري هنا.

وضع رسمًا بحجم منديل العشاء في حامل الطعام، وسحبته ستارلِنج من خلاله.

- ربما لاحظتِ أنه في معظم عمليات الصلب تشير اليدان، على سبيل المثال، إلى الثالثة إلا الربع، أو الثانية إلا عشر دقائق على أقل تقدير، في حين أن القدمين عند السادسة. على وجه الساعة هذا، يسوع على الصليب، كما ترين هناك، والذراعان تدوران للإشارة إلى الوقت، تمامًا مثل الأذرع في

ساعات ديزني الشهيرة. تظل القدمان عند السادسة، وفي الجزء العلوي يدور عقرب صغير للثواني في الهالة. ما رأيك؟

كانت جودة الرسم التشريحي جيدة جدًّا. كان الرأس رأسها.

قالت ستارلِنج:

- ستفقد كثيرًا من التفاصيل عندما تُقلص إلى حجم ساعة المعصم.

- صحيح، من سوء الحظ، لكن فكري في ساعات الحائط. هل تعتقدين أن هذا آمن من دون براءة اختراع؟

- كنت ستشتري آليات كوارتز لحركة الساعة - أليس كذلك؟ - وهي بالفعل محمية ببراءة اختراع. لست متأكدة، لكنني أعتقد أن براءات الاختراع تنطبق فقط على الأجهزة الميكانيكية الفريدة، وتنطبق حقوق النشر على التصميم.

- لكنكِ لست محامية، أليس كذلك؟ إنهم لا يتطلبون ذلك في مكتب التحقيقات الفدرالي بعد الآن.

قالت ستارلِنج، وهي تفتح حقيبة أوراقها:

- لديَّ عرض لك.

كان بارني قادمًا. أغلقت الحقيبة مرة أخرى. حسدت هدوء بارني الهائل. تبدو عيناه خاويتين كشخص مخدَّر وكان خلفهما ذكاء كبير.

قال بارني:

- معذرة. إذا كان لديكِ كثير من الأوراق التي تحتاجين إلى حملها، فهناك مكتب بذراع واحدة، مكتب دراسي، في الخزانة هنا يستخدمه الأطباء النفسيون. هل تريدينه؟

صورة المدرسة. نعم أم لا؟

- هل يمكننا أن نتكلم الآن يا دكتور لِكتر؟

رفع الطبيب كفًّا مفتوحة.

- نعم يا بارني. شكرًا لك.

جالسة الآن وبارني بعيدًا بأمان:

- دكتور لِكتر، السيناتور لديها عرض رائع.

- سأقرر ذلك. هل تحدثتِ معها بهذه السرعة؟

- نعم. إنها لا تكبح أي شيء. هذا كل ما لديها، لذا فالأمر ليس موضوع مساومة. هذا كل شيء، كل شيء، عرض واحد.

رفعت بصرها عن حقيبتها.

الدكتور لِكتر، قاتل تسعة أشخاص، اتخذت أصابعه شكل برج تحت أنفه وكان يراقبها. كان خلف عينيه ليل لا نهاية له.

- إذا ساعدتنا في العثور على بافالو بيل في الوقت المناسب لإنقاذ كاثرين مارتن من دون أن تُصاب بأذى، فستحصل على ما يلي: الانتقال إلى مستشفى وزارة شؤون المحاربين القدامى بأونيدا بارك، نيويورك، إلى زنزانة مطلة على الغابة المحيطة بالمستشفى. التدابير الأمنية القصوى لا تزال سارية. سيُطلب منك المساعدة في تقييم الاختبارات النفسية المكتوبة على بعض السجناء الفدراليين، لكن ليس بالضرورة أولئك الذين يشاركون المؤسسة التي أنت نزيلها. ستؤدي التقييمات على نحو مجهَّل. لا هويات. ستكون لديك حرية وصول معقولة إلى الكتب.

رفعت بصرها.

بمقدور الصمت أن يسخر.

- أفضل شيء، الشيء الرائع: أسبوع واحد في السنة، ستغادر المستشفى وتذهب إلى هنا.

وضعت خريطة في حامل الطعام. لم يسحبه الدكتور لِكتر.

واصلت:

- جزيرة بلوم. بعد ظهيرة كل يوم من ذلك الأسبوع، يمكنك المشي على

الشاطئ أو السباحة في المحيط من دون مراقبة أقرب من ٧٥ ياردة، لكنها ستكون مراقبة فريق التدخل السريع. هذا كل شيء.

- إذا رفضت؟

- ربما يمكنك تعليق بعض ستائر المقهى النصفية بالداخل هناك. قد يساعد ذلك. ليس لدينا أي شيء نهددك به يا دكتور لِكتر. ما حصلتُ عليه هو طريقة يمكنك من خلالها رؤية ضوء النهار.

لم تنظر إليه. لم تكن تريد مسابقة في التحديق الآن. لم تكن هذه مواجهة.

- هل ستأتي كاثرين مارتن وتتكلم معي - عن آسرها فقط - إذا قررتُ النشر؟ تتكلم معي حصريًّا؟

- نعم، يمكنك أن تأخذ ذلك كأمر مسلم به.

- كيف تعرفين؟ مَن الذي سلَّم به؟

- سأحضرها بنفسي.

- إذا كانت ستأتي.

- علينا أن نسألها أولًا، أليس كذلك؟

سحب حامل الطعام.

- جزيرة بلوم.

- انظر إلى طرف لونج آيلاند، الإصبع الشمالية هناك.

- بالم آيلاند. «مركز بالم آيلاند لبحوث أمراض الحيوانات. (الفدرالي. بحوث أمراض الحافر والفم)» كما هو مكتوب. يبدو ساحرًا.

- هذا مجرد جزء من الجزيرة. بها شاطئ جميل وأماكن إقامة جيدة. تعشش طيور الخرشنة هناك في الربيع.

- طيور الخرشنة.

تنهد الدكتور لِكتر. أمال رأسه قليلًا، ولمس وسط شفته الحمراء بلسانه الأحمر.

- إذا تكلمنا عن هذا الأمر يا كلاريس، فيجب أن يكون لديَّ شيء تحت الحساب. خدمة مقابل خدمة. أخبركِ بأشياء، وتخبرينني بأشياء.

قالت ستارلِنج:

- ابدأ.

كان عليها أن تنتظر دقيقة كاملة قبل أن يقول:

- اليرقة تصير خادرة في شرنقة. ثم تبزغ، وتخرج من غرفة تغيير الملابس السرية الخاصة بها إيماجو جميلة. هل تعرفين ما الإيماجو يا كلاريس؟

- حشرة مجنحة يافعة.

- لكن ماذا أيضًا؟

هزت رأسها.

- إنه مصطلح من دين التحليل النفسي الميت. إيماجو هي صورة الوالد المدفونة في اللاوعي منذ الطفولة والمرتبطة بالتأثر الطفولي. تأتي الكلمة من التماثيل النصفية الشمعية لأسلاف الرومان القدماء حملوها في مواكب الجنازات... حتى كروفورد صاحب المزاج البارد يجب أن يرى بعض الأهمية في شرنقة الحشرة.

- لا شيء للقفز عليه سوى التحقق من قوائم الاشتراك في دوريات علم الحشرات ضد مرتكبي الجرائم الجنسية المعروفين في برنامج الفهرس الواصف للبصمات الكامنة.

- أولًا، دعينا نتخلَّ عن بافالو بيل. إنه مصطلح مضلل ولا علاقة له بالشخص الذي تريدينه. للتيسير، سنطلق عليه اسم بيلي. سأعطيكِ شرحًا دقيقًا لما أعتقده. مستعدة؟

- مستعدة.

- أهمية الشرنقة هي التغيير. دودة إلى يرقة، أو عُثة. يعتقد بيلي أنه يريد التغيير. إنه يصنع لنفسه بدلة فتاة مكونة من فتيات حقيقيات. ومن ثَمَّ تأتي الضحية الضخمة، فيجب أن تكون لديه أشياء متلائمة. عدد الضحايا يوحي بأنه قد

يرى الأمر على أنه سلسلة من عمليات انسلاخ الجلد. إنه يفعل ذلك في منزل من طابقين، هل اكتشفتِ سبب وجود طابقين؟

- لفترة من الوقت كان يعلقهن على الدرَج.

- صحيح.

- دكتور لِكتر، لم أرَ ارتباطًا من قبل بين المتحولين جنسيًّا والعنف، المتحولون جنسيًّا من النوع السلبي، عادةً.

- هذا صحيح يا كلاريس. في بعض الأحيان ترين ميلًا إلى الإدمان الجراحي - من الناحية التجميلية، يصعب إرضاء المتحولين جنسيًّا - لكن هذا كل شيء. بيلي ليس متحولًا جنسيًّا حقيقيًّا. أنت قريبة جدًّا يا كلاريس من الطريقة التي ستمسكينه بها، هل تدركين ذلك؟

- لا يا دكتور لِكتر.

- جيد. إذن لن تمانعي في إخباري بما حدث لكِ بعد وفاة والدك.

نظرت ستارلِنج إلى سطح المكتب الدراسي المليء بالتشوهات.

- لا أتخيل أن الجواب في أوراقك يا كلاريس.

- أمي أبقتنا معًا لأكثر من عامين.

- ماذا تعمل؟

- العمل خادمة نُزُل نهارًا، والطهي في مقهى ليلًا.

- وبعد ذلك؟

- ذهبتُ إلى ابنة عم والدتي وزوجها في مونتانا.

- أنتِ فقط؟

- كنت الأكبر.

- لم تفعل البلدة شيئًا لعائلتك؟

- شيك بخمسمائة دولار.

- من الغريب أنه لم يكن هناك تأمين. كلاريس، قلتِ إن والدك ضرب منزلق البندقية على باب شاحنته الصغيرة.

- نعم.
- لم تكن لديه سيارة دورية؟
- نعم.
- حدث ذلك في الليل.
- نعم.
- ألم يكن لديه مسدس؟
- نعم.
- كلاريس، كان يعمل ليلًا، في شاحنة صغيرة، مسلحًا فقط ببندقية... أخبريني، هل تصادف أنه ارتدى ساعة على حزامه لتسجيل الوقت؟ أحد الأشياء حيث كانت لديهم مفاتيح مثبتة في الأعمدة في جميع أنحاء البلدة وعليك أن تقود سيارتك إليها وتضعها في ساعتك؟ بذلك يعلم المسؤولون في البلدة أنك لم تكن نائمًا. أخبريني إذا كان يرتدي واحدة يا كلاريس.
- نعم.
- لقد كان حارسًا ليليًّا، أليس كذلك يا كلاريس؟ لم يكن مارشالًا قَطُّ. سأعرف إذا كنتِ تكذبين.
- كُتب في وصف الوظيفة مارشال ليلي.
- ماذا حدث لها؟
- ماذا حدث لماذا؟
- ساعة تسجيل الوقت. ماذا حدث لها بعد إطلاق النار على والدك؟
- لا أتذكر.
- إذا كنت تتذكرين، هل ستخبرينني؟
- نعم. انتظر، جاء رئيس البلدية إلى المستشفى وسأل والدتي عن الساعة والشارة.

لم تكن تعرف أنها عرفت ذلك. رئيس البلدية ببدلته غير الرسمية وحذائه من مخازن فائض القوات البحرية. المتملق الحقير.

- خدمة مقابل خدمة يا دكتور لِكتر.
- هل فكرتِ ثانية أنك قد اختلقت ذلك؟ لا، لو أنكِ اختلقت ذلك ما كان ليؤلم. كنا نتحدث عن المتحولين جنسيًّا. قلتِ إن العنف والسلوك الشاذ المدمر لا يرتبطان إحصائيًّا بالتحول الجنسي. صحيح. هل تتذكرين ما قلناه عن الغضب الذي يُعبر عنه على أنه شهوة، ومرض الذئبة الذي يتراءى على أنه طفح جلدي؟ بيلي ليس متحولًا جنسيًّا يا كلاريس، لكنه يظن أنه كذلك، إنه يحاول أن يكون كذلك. إنه يحاول أن يكون أشياء كثيرة، كما أتوقع.
- قلتَ إن هذا كان قريبًا من الطريقة التي سنقبض بها عليه.
- هناك ثلاثة مراكز رئيسية لجراحة المتحولين جنسيًّا: جونز هوبكنز وجامعة مينيسوتا ومركز كولومبوس الطبي. لن أتفاجأ إذا تقدم بطلب لتغيير الجنس في واحد منها أو جميعها ورُفض.
- على أي أساس سيرفضونه، ما الذي كان سيظهر؟
- أنت سريعة جدًّا يا كلاريس. السبب الأول سيكون السجل الإجرامي. هذا يستبعد مقدم الطلب، ما لم تكن الجريمة غير ضارة نسبيًّا وتتعلق بمشكلة الهوية الجنسية. ارتداء ملابس الجنس الآخر في العلن، شيء مثل هذا. إذا كذب بنجاح بشأن سجل إجرامي خطير، فستنال منه اختبارات تقييم الشخصية.
- كيف؟
- عليكِ أن تعرفي كيف كي تعملي على تصفيتهم، أليس كذلك؟
- بلى.
- لماذا لا تسألين الدكتور بلوم؟
- أُفضِّل أن أسألك.
- ما الذي ستحصلين عليه من هذا يا كلاريس، الترقية والعلاوة؟ مَن أنتِ، عبقرية؟ ما الذي يحصل عليه صغار العباقرة هذه الأيام؟

- مفتاح لوسيلة مشروعة للحصول على وظيفة، كأحد الأمثلة. كيف سيظهر في التشخيص؟
- هل أعجبتكِ مونتانا يا كلاريس؟
- مونتانا لا بأس بها.
- هل أعجبكِ زوج ابنة عم والدتك؟
- كنا مختلفين.
- كيف كانا؟
- متهالكين من العمل.
- هل كان هناك أطفال آخرون؟
- لا.
- أين كنتِ تعيشين؟
- في مزرعة.
- مزرعة أغنام؟
- أغنام وخيول.
- كم من الوقت بقيتِ هناك؟
- سبعة أشهر.
- كم كان عمرك؟
- عشرة.
- إلى أين ذهبتِ من هناك؟
- إلى دار لوثرية في مدينة بوزمان.
- أخبريني بالحقيقة.
- أنا أخبرك بالحقيقة.
- أنتِ تتواثبين حول الحقيقة. إذا كنت متعبة، فيمكننا التحدث في نهاية الأسبوع. أنا نفسي أشعر بالملل أيضًا. أو هل تفضِّلين التكلم الآن؟
- الآن يا دكتور لِكتر.

- حسنًا. أُرسلت طفلة بعيدًا عن أمها إلى مزرعة في مونتانا. مزرعة للأغنام والخيول. لأنها تفتقد الأم، تتحمس للحيوانات...

دعا الدكتور لِكتر ستارلِنج إلى الكلام بيديه المفتوحتين.

- كان الأمر رائعًا. كانت لديَّ غرفتي الخاصة بها سجادة هندية على الأرض. سمحا لي بركوب فرس - قاداني في الأنحاء على هذه الفرس - فرس لم تستطع الرؤية جيدًا. كان هناك خطب يتعلق بكل الخيول. عرجاء أو مريضة. لقد نشأ بعضها مع أطفال، وكانت، كما تعلم، تصهل لي في الصباح حين أخرج إلى حافلة المدرسة.

- لكن بعد ذلك؟

- وجدت شيئًا غريبًا في الحظيرة. كانت لديهما غرفة صغيرة للسروج بالخارج. اعتقدت أن هذا الشيء كان نوعًا من خوذة قديمة. عندما أنزلتها، كانت مدموغة بـ«قاتل الخيول الإنساني من شركة دبليو دبليو جرينر»، كانت غطاءً معدنيًّا من نوع ما على شكل جرس، وكان بها مكان في الأعلى لوضع خرطوشة. بدت كأنها من عيار ٣٢ تقريبًا.

- هل سمَّنوا خيول الذبح في هذه المزرعة يا كلاريس؟

- نعم فعلوا.

- هل قتلوها في المزرعة؟

- فعلوا ذلك بالخيول المخصصة لصناعة الصمغ والسماد. يمكنك تكديس ستة منها في شاحنة إذا كانت ميتة. تلك التي كانت مخصصة لطعام الكلاب نقلوها حية.

- الفرس التي ركبتِها حول الفناء؟

- هربنا معًا.

- إلى أي مدى وصلتِ؟

- ذهبتُ بعيدًا قدر ما أنا ذاهبة إلى أن تحلل الشخصيات من أجلي.

- هل تعرفين إجراءات اختبار المتقدمين الذكور لجراحة المتحولين جنسيًّا؟

- لا.
- قد يكون من المفيد إذا أحضرتِ لي نسخة من النظام المتبع من أيٍّ من المراكز، لكن للبداية: مجموعة الاختبارات عادة ما تتضمن مقياس وِكسلر لذكاء البالغين، واختبار رسم منزل-شجرة-شخص، واختبار رورشاخ، واختبار رسم مفهوم الذات، واختبار الإدراك الموضوعي، واختبار مينيسوتا لتقييم الشخصية متعددة الأطوار بالطبع، وعددًا من الاختبارات الأخرى... اختبار جِنكنز، على ما أعتقد، ذلك الذي طوَّرته جامعة نيويورك. أنتِ بحاجة إلى شيء يمكنك رؤيته بسرعة، أليس كذلك؟ أليس كذلك يا كلاريس؟
- سيكون ذلك أفضل، شيء سريع.
- دعينا نرَ... فرضيتنا هي أننا نبحث عن ذَكر سيؤدي الاختبار بشكل مختلف عن الطريقة التي سيؤدي بها متحول جنسي حقيقي الاختبار. حسنًا، في اختبار رسم منزل-شجرة-شخص، ابحثي عن شخص لم يرسم الشكل الأنثوي أولًا: الذكور المتحولون جنسيًّا في أغلب الأحيان يرسمون الأنثى أولًا، وعلى نحو نموذجي، يُولون كثيرًا من الاهتمام للزينة على الإناث اللاتي يرسمونهن. رسوماتهم من الذكور عبارة عن صور نمطية بسيطة - هناك بعض الاستثناءات الملحوظة حيث يرسمون بطلًا في كمال الأجسام - لكنها ليست كثيرة بين الحالتين.
ابحثي عن رسم لمنزل من دون زخارف المستقبل الوردية، ليست في الخارج عربة أطفال، ولا ستائر، ولا زهور في الفناء.
تحصلين على نوعين من الأشجار مع متحول جنسي حقيقي: الصفصاف المتهدل الوافر وموضوعات الإخصاء. الأشجار المقطوعة بحافة الرسم أو حافة الورقة، صور الإخصاء مفعمة بالحياة في رسومات المتحولين جنسيًّا الحقيقيين. الجذوع المزهرة والمثمرة. هذا تمييز مهم. تختلف تمامًا عن الأشجار المخيفة، الميتة والمشوهة التي ترينها في رسومات الأشخاص

الذين يعانون اضطرابات عقلية. هذا تمييز جيد، شجرة بيلي ستكون مخيفة. هل أتكلم بسرعة كبيرة؟

- لا يا دكتور لِكتر.

- في رسم المتحول جنسيًّا لنفسه، لن يرسم نفسه عاريًا تقريبًا. لا تنخدعي بقدر معين من توهم جنون الارتياب في بطاقات اختبار الإدراك الموضوعي، فهذا أمر شائع إلى حدٍّ ما بين المتحولين جنسيًّا الذين يرتدون ملابس الجنس الآخر بكثرة، لطالما كانت لهم تجارب سيئة مع السلطات. هل ألخص الأمر؟

- نعم، أريد ملخصًا.

- يجب أن تحاولي الحصول على قائمة بالأشخاص المرفوضين من جميع مراكز تغيير الجنس الثلاثة. تحققي أولًا من الأشخاص المرفوضين بسبب سجل جنائي، وبين أولئك الذين ينظرون بقسوة إلى اللصوص. بين أولئك الذين حاولوا إخفاء السجلات الجنائية، ابحثي عن اضطرابات خطيرة في الطفولة مرتبطة بالعنف. ربما الاحتجاز في مرحلة الطفولة. ثم انتقلي إلى الاختبارات. أنتِ تبحثين عن ذكر أبيض، ربما أقل من خمسة وثلاثين عامًا وضخم البنية. إنه ليس متحولًا جنسيًّا يا كلاريس. إنه يعتقد ذلك فحسب، وهو متحير غاضب لأنهم لن يساعدوه. هذا كل ما أريد قوله، على ما أعتقد، حتى أقرأ القضية. ستتركينها معي.

- نعم.

- والصور.

- إنها مرفقة.

- إذن من الأفضل أن تجري مع ما لديكِ يا كلاريس، وسنرى كيف ستعملين.

- أريد أن أعرف كيف...

- لا. لا تكوني جشعة وإلا سنناقش الأمر الأسبوع المقبل. عودي إذا حققتِ بعض التقدم. أو لا. وكلاريس؟

- نعم.

- في المرة المقبلة ستخبرينني بأمرين. ما حدث مع الفرس، الأمر الأول. والأمر الآخر الذي أتساءل بشأنه هو... كيف تتعاملين مع سخطكِ؟

جاء ألونزو من أجلها. كانت تمسك أوراقها على صدرها، وتمشي ورأسها منحنٍ، وتحاول الاحتفاظ بكل شيء في ذهنها. متلهفة على الهواء بالخارج، لم تنظر حتى إلى مكتب تشيلتون وهي تسرع في الخروج من المستشفى.

كان نور مكتب الدكتور تشيلتون مضاءً. بإمكانك رؤيته تحت الباب.

٢٦

بعيدًا تحت فجر بالتيمور صدئ اللون، تحركات في جناح الحراسة القصوى.

إلى الأسفل حيث لا يكون الظلام أبدًا، يشعر المعذَّب باليوم الذي يبدأ كما تشعر حيوانات المحار في برميل مفتوح أمام المد الذي فوَّته. مخلوقات الرب التي بكت حتى نامت جاشت بالبكاء مرة أخرى، والمعربدون يسعلون بخفة.

وقف الدكتور هانيبال لِكتر بتصلب في نهاية الممر، ووجهه على بُعد قدم من الحائط. ربطه حزام من قماش ثقيل بإحكام إلى عربة نقل يدوية طويلة كما لو كان ساعة أرضية طويلة. تحت الحزام كان يرتدي سترة تقييد المرضى العنيفين وقيودًا للساق. منعه قناع الهوكي على وجهه من العض، كان فعّالًا كقطعة لغلق الفم، وليس شديد البلل، حتى يستطيع معاون المستشفى التعامل معه.

خلف الدكتور لِكتر، مسح معاون صغير الحجم مستدير الكتفين قفصه. أشرف بارني على التنظيف ثلاث مرات في الأسبوع وبحث عن المهرَّبات في الوقت نفسه. نزع عمَّال النظافة إلى الإسراع، لأنهم يجدون مقر الدكتور لِكتر مثيرًا للفزع. فحص بارني المكان وراءهم. فحص كل شيء ولم يهمل شيئًا.

بارني هو فقط الذي أشرف على التعامل مع الدكتور لِكتر، لأن بارني لم ينسَ قَطُّ ما كان يتعامل معه. شاهد مساعداه لقطات مسجلة لأبرز أحداث الهوكي على التلفزيون.

سلَّى الدكتور لِكتر نفسه، فلديه مصادر داخلية شاسعة ويمكنه الترفيه عن

نفسه لسنوات في كل مرة. لم تكن أفكاره مقيدة بالخوف أو اللطف أكثر مما كانت أفكار ميلتون مقيدة بالفيزياء. كان حرًّا داخل رأسه.

يتمتع عالمه الداخلي بألوان وروائح كثيفة، وليس به كثير من الأصوات. في الواقع، كان عليه أن يجهد نفسه قليلًا لسماع صوت الراحل بِنجامِن راسبايل. كان الدكتور لِكتر يتأمل في الكيفية التي سيعطي بها جايم جَمب إلى كلاريس ستارلِنج، وكان من المفيد تذكر راسبايل. ها هو ذا عازف الفلوت السمين في اليوم الأخير من حياته، مستلقيًا على أريكة العلاج النفسي لدى لِكتر، يخبره عن جايم جَمب:

«كان لدى جايم أبشع غرفة يمكن تخيلها في هذا الفندق الرخيص في سان فرانسيسكو، جدران بلون الباذنجان مع مسحات هنا وهناك من دهانات داي-جلو بألوان الفلورسنت المسببة للهلوسة منذ فترة سنوات الهيبيين، التي ضربت كل شيء على نحو شنيع.

جِايم - كما تعلم، هذه طريقة تهجئة اسمه بالفعل في شهادة ميلاده، حيث حصل عليه وعليك أن تنطقه جِايم كما تنطق «*name*»، وإلا أصبح مهتاجًا، على الرغم من أنه كان خطأ في المستشفى - كانوا يوظفون موظفين برواتب هزيلة للمساعدة في ذلك الحين لا يستطيعون حتى كتابة اسم صحيح. الحال أسوأ هذه الأيام، يكلفك دخول مستشفى حياتك. على أي حال، هنا كان جايم جالسًا على سريره ممسكًا رأسه بين يديه في تلك الغرفة الفظيعة، وقد طُرد من متجر التحف وفعل الشيء السيئ مرة أخرى.

أخبرته بأنني ببساطة لا أستطيع تحمل سلوكه، وكان كلاوس قد دخل حياتي، بالتأكيد. جايم ليس مثليًّا حقًّا، كما تعلم، هذا مجرد شيء التقطه في السجن. إنه ليس أي شيء، حقًّا، مجرد نقص تام من نوع ما يريد أن يملأه، وشديد الغضب. تشعر دائمًا بأن الغرفة أصبحت أكثر خواءً إلى حدٍّ ما إذا دخل. أعني أنه قتل جَدَّيه عندما كان في الثانية عشرة من عمره، كنت لتعتقد أن شخصًا هوائيًّا كهذا سيكون له وجود من نوع ما، أليس كذلك؟

وها هو ذا، من دون عمل، لقد فعل الشيء السيئ مرة أخرى لشخص داعر منحوس. كنتُ قد رحلتُ. كان قد مرَّ على مكتب البريد واستلم بريد صاحب عمله السابق، على أمل أن يكون هناك شيء يمكنه بيعه. وكان هناك طرد من ماليزيا، أو من مكان ما هناك. فتحه بلهفة، وكانت حقيبة مليئة بالفراشات الميتة، سائبة هناك فحسب.

أرسل رئيسه أموالاً إلى مديري مكاتب البريد في جميع تلك الجزر، وأرسلوا إليه صناديق وصناديق من الفراشات الميتة. وضعها في مادة الأكريليك الشفافة وصنع أرخص حلي يمكن تصورها، وكان وقحًا إلى درجة تسميتها **كائنات**. كانت الفراشات عديمة الفائدة لجايم وقد نبش فيها بيديه، معتقدًا أنه قد تكون هناك مجوهرات تحتها - أحيانًا حصلوا على أساور من جزيرة بالي - وأصاب مسحوق الفَراش أصابعه. لا شيء. جلس على السرير ورأسه بين يديه، وألوان الفراشة على يديه ووجهه وكان مكتئبًا، تمامًا كما كنا جميعًا، وكان يبكي. سمع ضوضاء صغيرة، وكانت فراشة في الحقيبة المفتوحة. تكافح للخروج من شرنقة أُلقيت مع الفراشات وتسلقت للخارج. علق غبار في الهواء من الفراشات وغبار في الشمس من النافذة، أنت تعرف إلى أي مدى يبدو ذلك **زاهيًا** في روعة عندما يصفه أحدهم لك وهو منتشٍ. راقبها وهي ترفع جناحيها. قال إنها كانت كبيرة. خضراء. وفتح النافذة وحلقت بعيدًا وشعر بخفة شديدة، كما قال، وعرف ما يجب فعله.

عثر جايم على منزل الشاطئ الصغير الذي كنت أستخدمه أنا وكلاوس، وعندما عدت إلى المنزل من التمرين على العرض الموسيقي، كان هناك. لكنني لم أرَ كلاوس. لم يكن كلاوس هناك. قلت أين كلاوس فقال إنه يسبح. كنت أعلم أن هذه كذبة، لم يسبح كلاوس قَطُّ، والمحيط الهادئ هائج تمامًا. وعندما فتحت الثلاجة، حسنًا، تعرف ما وجدته. رأس كلاوس ينظر من خلف عصير البرتقال. كان جايم قد صنع لنفسه مئزرًا أيضًا، كما تعرف، من كلاوس، وقد لبسه وسألني هل يعجبني الآن. أعلم أنك يجب أن تشعر بالفزع إذا كانت

لي أي علاقة بجايم بعد الآن، لقد كان أكثر اضطرابًا عندما قابلتَه، أعتقد أنه كان مذهولًا لأنك لم تكن خائفًا منه».

وبعد ذلك، آخر كلمات قالها راسبايل على الإطلاق: «أتساءل لماذا لم يقتلني والدايَ قبل أن أصبح كبيرًا بما يكفي لخداعهما».

كان المقبض النحيف للخنجر يتذبذب بينما كان قلب راسبايل المطعون يحاول الاستمرار في الخفقان، وقال الدكتور لِكتر: «يبدو كأن قشة نزلت إلى أسفل جحر حشرة مدرعة، أليس كذلك؟»، لكن فات أوان الإجابة بالنسبة إلى راسبايل.

بوسع الدكتور لِكتر أن يتذكر كل كلمة وأكثر من ذلك بكثير. أفكار ممتعة لتمضية الوقت في أثناء تنظيف زنزانته.

كانت كلاريس ستارلِنج أريبة، هكذا تفكر الدكتور لِكتر. قد تصل إلى جايم جَمب بما أخبرها به، لكنه كان احتمالًا بعيدًا. كي تصل إليه في الوقت المناسب، ستحتاج إلى مزيد من التفاصيل. تأكد الدكتور لِكتر أنه عندما يقرأ تفاصيل الجرائم، ستشير التلميحات إلى نفسها، ربما يتعلق الأمر بتدريب جَمب الوظيفي في منشأة إصلاح الأحداث بعد أن قتل جَدَّيه. غدًا سيعطيها ما يلزم لتتمكن من الوصول إلى جايم جَمب، ويوضح الأمر بما يكفي إلى درجة أن جاك كروفورد نفسه لن يخطئه. غدًا يجب أن يتم ذلك.

سمع الدكتور لِكتر خطوات خلفه وأُغلق التلفزيون. لقد شعر بعربة النقل اليدوية تميل إلى الخلف. الآن سوف تبدأ العملية الطويلة والمملة لتحريره داخل الزنزانة. تم الأمر دائمًا بالطريقة نفسها. أولًا أرقده بارني ومساعداه برفق على سريره ووجهه إلى أسفل. ثم ربط بارني كاحليه بالقضيب عند نهاية السرير بالمناشف، نزع قيود الساقين، ومحميًّا بمعاونيه المسلحين بهراوات مكافحة الشغب، فكَّ الأبازيم الموجودة على ظهر السترة المقيدة، وتراجع بظهره إلى خارج الزنزانة، وأغلق الشبكة والباب ذا القضبان في مكانهما، وترك الدكتور

لِكتر ليخرج نفسه من قيوده. ثم تبادل مع الدكتور تجهيزات تناول الإفطار. كان الإجراء ساري المفعول منذ أن هاجم الدكتور لِكتر الممرضة، وقد نجح جيدًا بالنسبة إلى الجميع.

اليوم قُوطِعت العملية.

٢٧

عثرة طفيفة حيث تدحرجت عربة النقل اليدوية التي تحمل الدكتور لِكتر فوق عتبة القفص. وهنا كان الدكتور تشيلتون جالسًا على السرير الضيق يبحث في مراسلات الدكتور لِكتر الخاصة. كان تشيلتون يرتدي ربطة عنقه ومعطفه. بإمكان الدكتور لِكتر رؤية ميدالية من نوع ما تتدلى من رقبته.

قال الدكتور تشيلتون من دون أن يرفع بصره:

- أوقفه بجانب المرحاض يا بارني. انتظر أنت والآخرون في مقركم.

أنهى الدكتور تشيلتون قراءة أحدث مراسلات الدكتور لِكتر المتبادلة مع دورية الأرشيف العام للطب النفسي المحكَّمة. ألقى الرسائل على السرير الضيق وخرج من الزنزانة. بريق من خلف قناع الهوكي بينما كانت عينا الدكتور لِكتر تتبعانه، لكن رأس لِكتر لم يتحرك.

ذهب تشيلتون إلى المكتب الدراسي في الردهة، وانحنى بشدة، وأزال جهاز استماع صغيرًا من أسفل المقعد.

هزه أمام فتحتَي العينين في قناع الدكتور لِكتر، واستأنف جلسته على السرير الضيق.

قال تشيلتون:

- اعتقدت أنها ربما تبحث عن انتهاك للحقوق المدنية في وفاة ميجز، لذلك استمعت. لم أسمع صوتك منذ سنوات، أعتقد أن آخر مرة كانت عندما أعطيتني كل الإجابات المضللة في مقابلاتي، ثم سخرت مني في مقالاتك

الدورية. من الصعب تصديق أن آراء النزيل يمكن أن تُحسب لأي شيء في المجتمع المهني، أليس كذلك؟ لكنني ما زلت هنا. وأنت أيضًا.

لم يقل الدكتور لِكتر شيئًا.

- سنوات من الصمت، ثم يرسل جاك كروفورد فتاته وفورًا أصبحت رخوًا، أليس كذلك؟ ما الذي نال منك يا هانيبال؟ هل كان هذان الكاحلان الجميلان القاسيان؟ الطريقة التي يلمع بها شعرها؟ إنها رائعة أليس كذلك؟ متباعدة ورائعة. غروب شمس الشتاء في صورة فتاة، هذه طريقة تصوري لها. أعلم أنه قد مر بعض الوقت منذ أن رأيت غروب الشمس في الشتاء، لكن ثق بكلامي. لديك معها يوم واحد فقط. ثم يتولى قسم بالتيمور لجرائم القتل الاستجواب. إنهم يثبتون كرسيًّا بالأرض من أجلك في غرفة العلاج بالصدمات الكهربائية. يحتوي الكرسي على مقعد مرحاض لراحتك، ولراحتهم عندما يعلقون الأسلاك. لن أعرف شيئًا.

هل فهمت ذلك بعد؟ إنهم يعرفون يا هانيبال. يعرفون أنك تعرف مَن بافالو بيل بالضبط. يعتقدون أنك ربما توليت علاجه. عندما سمعتُ الآنسة ستارلِنج تسأل عن بافالو بيل، شعرت بالحيرة. اتصلت بصديق في قسم بالتيمور لجرائم القتل. وجدوا حشرة في حلق كلاوس يا هانيبال. يعرفون أن بافالو بيل قتله. يتركك كروفورد تعتقد أنك ذكي. لا أعتقد أنك تعرف مدى كراهية كروفورد لك لأنك مزَّقت تلميذه المقرب. لقد نال منك الآن. هل تشعر بالذكاء الآن؟

شاهد الدكتور لِكتر عينيَ تشيلتون تتحركان فوق الأشرطة المثبتة على القناع. من الواضح أن تشيلتون أراد إزالتها حتى يتمكن من مشاهدة وجه لِكتر. تساءل لِكتر عما إذا كان تشيلتون سيفعل ذلك بالطريقة الآمنة، من الخلف. إذا فعل ذلك من الأمام، فسيتعين عليه أن يمد يده حول رأس الدكتور لِكتر، والأوردة الزرقاء في باطن ساعديه بالقرب من وجه لِكتر. تعالَ أيها الطبيب. اقترب. لا، قرر ألا يفعل ذلك.

- هل ما زلت تعتقد أنك ذاهب إلى مكان ما به نافذة؟ هل تعتقد أنك ستمشي على الشاطئ وترى الطيور؟ لا أعتقد ذلك. اتصلت بالسيناتور روث مارتن ولم تسمع قَطُّ بأي صفقة معك. كان عليَّ أن أذكِّرها بهويتك. لم تسمع قَطُّ عن كلاريس ستارلِنج أيضًا. إنها عملية احتيال. علينا أن نتوقع خيانات صغيرة في امرأة، لكن هذا صادم، ألا ترى ذلك؟

عندما ينتهون من حلبك يا هانيبال، سيتهمك كروفورد بالتستر على جناية. ستتملص منها على أساس الدفع بالجنون، بالطبع، لكن القاضي لن يعجبه ذلك. لقد جلست صامتًا فحسب خلال ست حالات وفاة. لن يهتم القاضي برفاهيتك بعد الآن.

لا نافذة يا هانيبال. ستقضي بقية حياتك جالسًا على الأرض في مؤسسة حكومية تراقب عربة الحفاضات تمر. ستزول أسنانك وقوتك، ولن يخافك أحد بعد الآن، وستكون بالخارج في الجناح في مكان ما مثل فلاندور، سيدفعك النزلاء الأصغر سنًّا في الأنحاء فحسب، ويستخدمونك لممارسة الجنس عندما يرغبون في ذلك. كل ما سيمكنك قراءته هو ما تكتبه على الجدار. تعتقد أن المحكمة سوف تهتم؟ لقد رأيت المسنين. يبكون عندما لا يعجبهم المشمش المطهي.

جاك كروفورد وامرأته الشابة. سيجتمعان علانية بعد وفاة زوجته. سيرتدي ملابس الأصغر سنًّا، ويمارس بعض الرياضة التي يمكنهما الاستمتاع بها معًا. لقد كانا متآلفين منذ مرض بيلَّا كروفورد، بالتأكيد لا يخدعان أي شخص بشأن ذلك. سيحصلان على ترقياتهما ولن يفكرا بك مرة واحدة في العام. ربما يريد كروفورد أن يأتي شخصيًّا في النهاية لإخبارك بما ستحصل عليه. أنا متأكد أن لديه خطابًا جاهزًا ليلقيه.

هانيبال، إنه لا يعرفك جيدًا كما أعرفك. كان يعتقد أنه إذا طلب منك المعلومات، فسوف تعذب الأم بها.

فكر الدكتور لِكتر، هذا صحيح تمامًا، أيضًا. يا لحكمة جاك - ذلك البليد

الإسكتلندي-الإيرلندي المضلل. وجهه ممتلئ بالندوب إذا كنت تعرف كيف تنظر. حسنًا، ربما هناك متسع للمزيد.

- أعرف ما تخشاه. ليس الألم، أو العزلة. الإهانة هي ما لا يمكنك تحمله يا هانيبال، أنت مثل قطة من هذه الناحية. يشرفني أن أعتني بك يا هانيبال، وأنا أفعل ذلك. لم تدخل أي اعتبارات شخصية في علاقتنا، من طرفي. وأنا أعتني بك الآن.

لم تكن لديك صفقة مع السيناتور مارتن قَطُّ، لكن لديك الآن. أو يمكن أن يكون لديك. لقد كنت على الهاتف لساعات لمصلحتك ومن أجل تلك الفتاة. سأخبرك بالشرط الأول: ستتحدث من خلالي فقط. أنا وحدي أنشر تقريرًا احترافيًّا عن هذا الأمر، مقابلتي الناجحة معك. أنت لن تنشر أي شيء. سيكون لديَّ حق حصري في الوصول إلى أي مواد من كاثرين مارتن، إذا أُنقذت.

هذا الشرط غير قابل للتفاوض. ستجيبني الآن. هل تقبل هذا الشرط؟

ابتسم الدكتور لِكتر لنفسه.

- من الأفضل أن تجيبني الآن أو يمكنك الإجابة على قسم بالتيمور لجرائم القتل. هذا ما تحصل عليه: إذا حددت بافالو بيل ووُجدت الفتاة في الوقت المناسب، السيناتور مارتن - وستؤكد ذلك عبر الهاتف - ستدخلك السيناتور مارتن سجن براشي ماونتن الحكومي في تينيسي، بعيدًا عن تحكم سلطات ماريلاند. ستكون في دائرة نفوذها، بعيدًا عن جاك كروفورد. ستكون في زنزانة شديدة الحراسة مطلة على الغابة. تحصل على الكتب. أي تمرين في الهواء الطلق، لا بد من العمل على التفاصيل، لكنها سهلة. قل اسمه ويمكنك الذهاب على الفور. وافق الحاكم على أن تأخذك شرطة ولاية تينيسي في عهدتها في المطار.

أخيرًا قال الدكتور تشيلتون شيئًا مثيرًا للاهتمام، ولا يعرف حتى ما هو. زمَّ الدكتور لِكتر شفتيه الحمراوين خلف القناع. عهدة الشرطة. الشرطة ليست

حكيمة مثل بارني. اعتادت الشرطة التعامل مع المجرمين. إنهم يميلون إلى استخدام أغلال الساقين وأصفاد اليدين. أصفاد اليدين وأغلال الساقين تُفتح بمفتاح أصفاد اليدين. مثل مفتاحي.

قال الدكتور لِكتر:

- اسمه الأول بيلي. سأخبر السيناتور بالباقي. في تينيسي.

٢٨

رفض جاك كروفورد قهوة الدكتور دانيِلسون، لكنه أخذ الكوب ليخلط لنفسه قرص مسكن ألكا-سلِتزر عند حوض الفولاذ المقاوم للصدأ خلف مركز التمريض. كل شيء كان من الفولاذ المقاوم للصدأ، موزع الأكواب، النضد، صندوق النفايات، إطار نظارة الدكتور دانيِلسون. أوحى المعدن البراق بلمعان المعدات، وأعطى كروفورد وخزًا مميزًا في قناته الأربية أسفل بطنه.

كان هو والطبيب وحدهما في المطبخ الصغير.

قال الدكتور دانيِلسون مرة أخرى:

- ليس من دون أمر من المحكمة، لا يمكنك ذلك.

لقد كان فظًّا هذه المرة، مما تعارض مع كرم الضيافة الذي أظهره مع القهوة.

كان دانيِلسون رئيسًا لعيادة الهوية الجنسية في مركز جونز هوبكنز، وقد وافق على مقابلة كروفورد مع أول ضوء للنهار، قبل وقت طويل من الجولات الصباحية.

- سيتعين عليك أن تريني أمر محكمة منفصلًا لكل قضية بعينها، وسنتصدى لكل واحدة منها. ماذا قال لك مركزا كولومبوس ومينيسوتا؟ الشيء نفسه، هل أنا مُحق؟

قال كروفورد:

- وزارة العدل تطلب أوامر المحكمة الآن. علينا أن نفعل هذا بسرعة يا دكتور. إذا لم تكن الفتاة ميتة بالفعل، فسيقتلها قريبًا الليلة أو غدًا. ثم يختار التالية.

- مجرد ذكر بافالو بيل في جملة واحدة مع المشكلات التي نعالجها

هنا أمر ينم عن جهل وظلم، كما أنه خطير يا سيد كروفورد. يجعل شعري ينتصب. لقد استغرق الأمر سنوات - ولم ننتهِ بعد - لإظهار أن المتحولين جنسيًّا ليسوا مجانين، ليسوا منحرفين، ليسوا غريبي الأطوار، مهما كان ذلك...

- أتفق معك...

- انتظر. معدل حدوث العنف بين المتحولين جنسيًّا أقل بكثير من عامة السكان. هؤلاء أشخاص مهذبون لديهم مشكلة حقيقية، مشكلة اشتهرت بمواجهتها بالتعنت. إنهم يستحقون المساعدة ويمكننا تقديمها. ليست لديَّ حملة فضح هنا. لم ننتهك ثقة مريض قَطُّ، ولن نفعل ذلك أبدًا. من الأفضل البدء من هناك يا سيد كروفورد.

لشهور حتى الآن في حياته الخاصة، كان كروفورد يصادق أطباء زوجته وممرضاتها، ويحاول المراوغة للحصول على كل دقيقة لصالحها. لقد سئم للغاية من الأطباء. لكن هذه لم تكن حياته الخاصة. كانت هذه بالتيمور وكان هذا عملًا. كن لطيفًا الآن.

- إذن لم أكن واضحًا يا دكتور. هذا خطئي، الوقت مبكر، أنا لست شخصًا صباحيًّا. الفكرة كلها، الرجل الذي نريده ليس مريضًا لديك. سيكون شخصًا رفضته لأنك أدركت أنه لم يكن متحولًا جنسيًّا. نحن لا نتحرك على غير هدى، سأوضح لك بعض الطرق المحددة التي قد ينحرفون بها عن أنماط المتحولين جنسيًّا في اختباراتك لتقييم الشخصية. إليك قائمة مختصرة بالأشياء التي يمكن لموظفيك البحث عنها بين الأشخاص المرفوضين.

دلك الدكتور دانِيلسون جانب أنفه بإصبعه وهو يقرأ. أعاد الورقة.

- هذا مبتكَر يا سيد كروفورد. في الحقيقة إنه شاذ إلى أقصى حد، وهذه كلمة لا أستخدمها كثيرًا. هل لي أن أسأل مَن زوَّدك بهذه القطعة من... الحدس؟

لا أعتقد أنك ترغب في معرفة ذلك، يا دكتور دانِيلسون.

قال كروفورد:

- طاقم قسم العلوم السلوكية، بالتشاور مع الدكتور آلان بلوم في جامعة شيكاغو.

- آلان بلوم أيَّد ذلك؟

- ونحن لا نعتمد فقط على الاختبارات. هناك طريقة أخرى من المحتمل أن يبرز بها بافالو بيل في سجلاتك - على الأرجح حاول إخفاء سجل عنف إجرامي، أو زيف مواد أخرى عن خلفيته. أرني تلك التي استبعدتها يا دكتور.

كان دانِيلسون يهز رأسه طوال الوقت.

- مواد الفحص والمقابلة سرية.

- دكتور دانِيلسون، كيف يمكن أن يكون الاحتيال والتلفيق سريًّا؟ كيف يندرج اسم المجرم الحقيقي وخلفيته الحقيقية تحت العلاقة بين الطبيب والمريض إذا لم يخبرك بها قَطُّ، كان عليك أن تكتشفها بنفسك؟ أعرف مدى دقة مركز جونز هوبكنز. كانت لديك حالات من هذا القبيل، أنا متأكد من ذلك. مدمنو العمليات الجراحية يتقدمون بطلبات في كل مكان تُجرى فيه العمليات الجراحية. ليس لهذا انعكاس على المؤسسة أو المرضى الشرعيين. هل تعتقد أن المخبولين لا يتقدمون إلى مكتب التحقيقات الفدرالي؟ يأتوننا طوال الوقت. رجل بشعر مستعار على غرار تصفيفة شعر الممثل مو هوارد تقدم إلى سانت لويس الأسبوع الماضي. كان معه مدفع بازوكا وصاروخان وقبعة عسكرية طويلة من جلد الدب في حقيبة الجولف الخاصة به.

- هل وظفته؟

- ساعدني يا دكتور دانِيلسون. الوقت يدهمنا. بينما نحن نقف هنا، ربما يحوِّل بافالو بيل كاثرين مارتن إلى واحدة من هؤلاء.

وضع كروفورد صورة على المنضدة اللامعة.

قال الدكتور دانِيلسون:

- لا تجرؤ على فعل ذلك. هذا تصرف طفولي، متنمر. كنتُ جرَّاحًا في ميدان المعركة يا سيد كروفورد. ضع صورتك مرة أخرى في جيبك.

قال كروفورد وهو يجعد كوبه ويدوس على دواسة سلة المهملات المغطاة:

- بالتأكيد، يمكن للجراح أن يتحمل النظر إلى جثة مشوهة. لكنني لا أعتقد أن الطبيب يمكن أن يقف ليرى حياة مهدَرة.

أسقط كوبه بالداخل وانخفض غطاء سلة المهملات بصوت مُرضٍ.

- إليكَ أفضل عرض لديَّ: لن أطلب منك معلومات عن المريض، فقط معلومات طلبات التقديم التي تختارها، بالرجوع إلى هذه التوجيهات العامة. يمكنك أنت ومجلس المراجعة النفسية التعامل مع طلباتك المرفوضة بشكل أسرع بكثير مما أستطيع. إذا وجدنا بافالو بيل من خلال معلوماتك، فسأطمس هذه الحقيقة. سأجد طريقة أخرى لنتمكن من القيام بالأمر وسنمضي خلاله بهذه الطريقة، هذا ما سيُعرف علنًا.

- هل يمكن أن يكون مركز جونز هوبكنز شاهدًا محميًّا يا سيد كروفورد؟ هل يمكن أن نحصل على هوية جديدة؟ نقْلنا إلى كلية بوب جونز، على سبيل المثال؟ أشك كثيرًا في أن مكتب التحقيقات الفدرالي أو أي وكالة حكومية أخرى يمكن أن تحفظ سرًّا فترة طويلة.

- كنت ستتفاجأ بذلك.

- أشك في ذلك. محاولة الزحف من تحت كذبة بيروقراطية غير متقنة ستكون أكثر ضررًا من مجرد قول الحقيقة. من فضلك لا تحمِنا بهذه الطريقة، شكرًا جزيلًا لك.

- شكرًا لك يا دكتور دانيِلسون على ملاحظاتك الفكاهية. إنها مفيدة جدًّا بالنسبة إليَّ، سأريك كيف في دقيقة واحدة. أنت تحب الحقيقة، جرب هذا. يخطف الفتيات وينزع جلودهن. يلبس هذه الجلود ويثب بها مرحًا. لا نريده أن يفعل ذلك بعد الآن. إذا لم تساعدني بأسرع ما يمكن، فهذا ما سأفعله لك: هذا الصباح ستطلب وزارة العدل علنًا أمر محكمة، قائلة إنك

رفضت المساعدة. سنطلب مرتين في اليوم، في وقت كافٍ لتداول نشرات الأخبار صباحًا ومساءً. سيوضح كل بيان صحفي يصدر عن وزارة العدل حول هذه القضية كيف نذهب إلى الدكتور دانِلسون في مركز جونز هوبكنز، في محاولة لحمله على المشاركة. في كل مرة تكون هناك أخبار في قضية بافالو بيل - عندما تطفو كاثرين مارتن، عندما تطفو الضحية التالية، وتطفو الضحية التالية لها - سنصدر بيانًا إخباريًّا على الفور حول كيفية عملنا مع الدكتور دانِلسون في جونز هوبكنز، مكتملًا بتعليقاتك الفكاهية حول كلية بوب جونز. شيء آخر يا دكتور. كما تعلم، وزارة الصحة والخدمات الإنسانية موجودة هنا في بالتيمور. تتجه أفكاري إلى مكتب سياسة الأهلية القانونية، وأتوقع أن تكون أفكارك قد وصلت أولًا، أليس كذلك؟ ماذا لو سألَت السيناتور مارتن، في وقت ما بعد جنازة ابنتها، الزملاء في مكتب سياسة الأهلية القانونية هذا السؤال: هل ينبغي اعتبار عمليات تغيير الجنس التي تجريها هنا جراحة تجميلية؟ ربما سيحكُّون رؤوسهم ويقولون: «عجبًا، كما تعلم، السيناتور مارتن محقة. نعم. نعتقد أنها جراحة تجميلية»، عند ذلك لن يكون هذا البرنامج مؤهلًا للحصول على المساعدة الفدرالية أكثر من عيادة لتجميل الأنف.

- هذا مهين.
- لا، إنها الحقيقة فقط.
- أنت لا تخيفني، أنت لا تتوعدني بـ...
- جيد. لا أريد أن أفعل أيًّا منهما يا دكتور. أريدك فقط أن تعرف أنني جاد. ساعدني يا دكتور. من فضلك.
- قلت إنك تعمل مع آلان بلوم.
- نعم. جامعة شيكاغو...
- أعرف آلان بلوم، أُفضِّل مناقشة هذا الأمر على مستوى مهني. أخبره بأنني سأتواصل معه هذا الصباح. سأخبرك بما قررته قبل الظهر. أنا مهتم بأمر

الشابة يا سيد كروفورد. والأخريات. لكن في الأمر كثيرًا من المخاطرة، ولا أعتقد أنه مهم بالنسبة إليك كما ينبغي أن يكون... سيد كروفورد، هل خضعت لقياس ضغط الدم مؤخرًا؟

- أفعل ذلك بنفسي.
- وهل تصف دواءً لنفسك؟
- هذا مخالف للقانون يا دكتور دانِلسون.
- لكن لديك طبيب.
- نعم.
- شاركه القياسات التي توصلت إليها يا سيد كروفورد. يا لها من خسارة لنا جميعًا إذا سقطت ميتًا. ستسمع مني في وقت متأخر في الصباح.
- متأخر إلى أي مدى يا دكتور؟ ما رأيك في ساعة؟
- ساعة.

علا صوت جهاز استدعاء كروفورد عندما نزل من المصعد في الطابق الأرضي. كان سائقه جِف يشير بينما هرول كروفورد إلى الشاحنة. لقد ماتت ووجدوها، هكذا فكر كروفورد وهو يمسك الهاتف. كان المدير يتصل. لم تكن الأخبار سيئة بالقدر الذي قد تصل إليه، لكنها كانت سيئة بما يكفي: فقد تطفل تشيلتون على القضية والآن تتدخل السيناتور مارتن. وكان المدعي العام لولاية ماريلاند، بناءً على تعليمات من الحاكم، قد أذِن بتسليم الدكتور هانيبال لِكتر إلى تينيسي. سوف يتطلب الأمر كل قوة المحكمة الفدرالية، محكمة المقاطعة في ماريلاند، لمنع هذه الخطوة أو تأخيرها. أراد المدير قرارًا موضوعيًّا من كروفورد وأراده الآن.

قال كروفورد:

- انتظر.

حمل السماعة على فخذه ونظر من نافذة شاحنة الاتصالات. لم يكن في فبراير كثير من الألوان التي يمكن مشاهدتها في أول ضوء للنهار. كل شيء رمادي. كئيب للغاية.

شرع جِف في قول شيء ما، وأسكته كروفورد بحركة من يده.

الأنا الوحشية لدى لِكتر. طموح تشيلتون. رعب السيناتور مارتن على ابنتها. حياة كاثرين مارتن. خذ القرار.

قال في الهاتف:

- دعهم يذهبوا.

٢٩

وقف تشيلتون وثلاثة من قوات شرطة ولاية تينيسي المهندمين متقاربين على المدرج العاصف بالرياح عند شروق الشمس، يرفعون أصواتهم فوق حركة اتصالات لاسلكية من الباب المفتوح لطائرة جرومان جلفستريم ومن سيارة الإسعاف المتوقفة بجوار الطائرة.

سلم النقيب المسؤول إلى الدكتور تشيلتون قلمًا. تطايرت الأوراق في طرف اللوح المشبكي، واضطر الشرطي إلى فردها.

سأل تشيلتون:

– ألا يمكننا فعل ذلك ونحن في الهواء؟

– سيدي، يجب أن نتمم التوثيق في لحظة النقل المادي. هذه تعليماتي.

انتهى مساعد الطيار من تثبيت المنصة المائلة فوق درجات سلم الطائرة. قال:

– حسنًا.

تجمع الجنود مع الدكتور تشيلتون عند مؤخرة سيارة الإسعاف. عندما فُتحت الأبواب الخلفية، توتروا كما لو كانوا يتوقعون أن يقفز شيء ما.

وقف الدكتور هانيبال لِكتر منتصبًا على عربة نقله اليدوية، ملفوفًا بحزام من القماش ويرتدي قناع الهوكي. كان يفرغ مثانته بينما كان بارني يمسك المبولة.

نخر أحد الجنود. نظر الاثنان الآخران بعيدًا. قال بارني للدكتور لِكتر:

– آسف.

وأغلق الأبواب مرة أخرى.

قال الدكتور لِكتر:

- لا بأس يا بارني. لقد انتهيت تمامًا، شكرًا لك.

أعاد بارني ترتيب ملابس لِكتر، ودفعه إلى مؤخرة سيارة الإسعاف.

- بارني؟

- نعم يا دكتور لِكتر؟

- لقد كنت خلوقًا معي فترة طويلة. شكرًا لك.

- على الرحب والسعة.

- المرة المقبلة حين يكون فيها سامي بمفرده، هل تقول له وداعًا بالنيابة عني؟

- بالتأكيد.

- وداعًا يا بارني.

دفع المعاون الضخم الأبواب لفتحها، واستدعى الجنود.

- هل تريدون إمساك الجزء السفلي هناك، أيها الرفاق؟ خذوها على كلا الجانبين. سنضعه على الأرض. بتمهل.

دفع بارني الدكتور لِكتر أعلى المنصة المائلة وإلى داخل الطائرة. أزيلت ثلاثة مقاعد على الجانب الأيمن للطائرة. ربط مساعد الطيار عربة النقل اليدوية بأقواس المقعد الموجودة على الأرض. سأل أحد الجنود:

- سيطير راقدًا؟ هل يرتدي سروالًا مطاطيًّا؟

قال الجندي الآخر:

- سيكون عليك أن تحبس ماءك فحسب إلى ممفيس يا صديقي السمكة الصغيرة.

قال بارني:

- دكتور تشيلتون، هل يمكنني التحدث معك؟

وقفا خارج الطائرة بينما صنعت الرياح أعاصير صغيرة من الغبار والقمامة حولهما.

قال بارني:

- هؤلاء الرفاق لا يعرفون أي شيء.
- سأحصل على بعض المساعدة في الجهة الأخرى، معاونو مستشفى ذوو خبرة في مجال الطب النفسي. إنه مسؤوليتهم الآن.
- هل تعتقد أنهم سيعاملونه جيدًا؟ أنت تعرف طبيعته، عليك أن تهدده بالملل. هذا كل ما يخافه. صفعه لا يفيد.
- لن أسمح بذلك يا بارني.
- هل ستكون هناك عندما يسألونه؟
- نعم.
أضاف تشيلتون بينه وبين نفسه ولن تكون هناك.
قال بارني:
- يمكنني أن أجعله يستقر على الطرف الآخر، وأن أعود إلى هنا بعد ساعتين فقط من نوبتي.
- لم يعد عملك يا بارني. سأكون هناك. سأريهم كيفية التعامل معه، في كل خطوة.
قال بارني:
- من الأفضل أن ينتبهوا. هو سينتبه.

٣٠

جلست كلاريس ستارلِنج على جانب سريرها في الفندق الصغير، وحدقت إلى الهاتف الأسود لمدة دقيقة على الأكثر بعد أن أنهى كروفورد المكالمة. كان شعرها أشعث، وكان رداء النوم الخاص بأكاديمية مكتب التحقيقات الفدرالي قد التف حولها، بعد أن تقلبت في نومها القصير. شعرت كأنها رُكلت في بطنها.

لقد مرت ثلاث ساعات فقط منذ أن تركت الدكتور لِكتر، وساعتان منذ أن انتهت هي وكروفورد من إعداد ورقة الخصائص للتحقق من طلبات التقدم للجراحة في المراكز الطبية. في ذلك الوقت القصير، بينما كانت نائمة، تمكن الدكتور فريدريك تشيلتون من إفساد الأمر.

كان كروفورد قادمًا لاصطحابها. عليها أن تستعد، كان عليها التفكير في الاستعداد.

لعنة الله على ذلك. لعنة الله **على ذلك. لعنة الله على ذلك**. لقد قتلتها يا دكتور تشيلتون. لقد قتلتها أيها الدكتور الداعر. عرف لِكتر المزيد وكان بإمكاني الحصول عليه. ضاع كل شيء، ضاع كل شيء، الآن. كل شيء ضاع سدى. عندما تطفو كاثرين مارتن، سأعمل على أن أجعلك تنظر إليها، أقسم إنني سأفعل. أنت أخذته مني. لابد أن يكون لديّ شيء مفيد لأفعله. الآن. ماذا يمكنني أن أفعل الآن، ماذا يمكنني أن أفعل في هذه اللحظة؟ أغتسل لأكون نظيفة.

في الحمَّام سلة صغيرة تحوي صابونًا مغلفًا بالورق وأنابيب الشامبو والغسول، ومجموعة أدوات الخياطة الصغيرة، والخدمات التي تحصل عليها في فندق صغير جيد.

بعد الدخول تحت الدش، رأت ستارلِنج نفسها في ومضة وهي في الثامنة من عمرها، حيث أحضرت لأمها المناشف والشامبو والصابون المغلف بالورق، حين كانت أمها تنظف غرف الفندق الصغير. وهي في الثامنة من عمرها، كان هناك غراب، واحد من سرب في الريح المثيرة للرمال بتلك البلدة النكِدة، وكان هذا الغراب يحب أن يسرق من عربات تنظيف الفندق. تطلب الأمر أي شيء لامع. كان الغراب ينتظر فرصته، ثم ينبش بين كثير من مواد تنظيف الغرف على العربة. في بعض الأحيان، في إقلاع طارئ، كان يتغوط على البياضات النظيفة. ألقت إحدى العاملات السائل المبيِّض عليه، من دون جدوى سوى تبقيع ريشه ببقع بيضاء كالثلج. راقب الغراب الأسود والأبيض دائمًا مغادرة كلاريس العربة، لأخذ أشياء إلى أمها، التي كانت تنظف الحمَّامات. كانت أمها تقف عند باب أحد حمَّامات الفندق عندما أخبرت ستارلِنج بأنها ستضطر إلى الذهاب بعيدًا، لتعيش في مونتانا. وضعت والدتها المناشف التي كانت تحملها، وجلست على جانب سرير الفندق وعانقتها. لا تزال ستارلِنج تحلم بالغراب، وشاهدته الآن من دون أن تملك وقتًا للتفكير في السبب. ارتفعت يدها في حركة لإطلاق النار، كما لو كانت بحاجة إلى تبرير الإيماءة، واصلت يدها ارتفاعها إلى جبهتها لتسوية الشعر المبتل إلى الوراء.

ارتدت ملابسها بسرعة؛ سروالًا، بلوزة، وكنزة خفيفة بلا أكمام. المسدس ذو الماسورة القصيرة مدسوس بإحكام على أضلاعها في الجراب المنبسط، ملقِّم الذخيرة السريع يوازن حزامها على الجانب الآخر. احتاجت السترة إلى قليل من العمل. كانت خياطة في البطانة مفككة فوق ملقِّم الذخيرة السريع. كانت مصممة على أن تكون مشغولة، وأن تكون مشغولة، حتى تهدأ. أحضرت مجموعة الخياطة الورقية الصغيرة التي يوفرها الفندق وثبتت البطانة. خاط بعض العملاء حلقات معدنية في ذيل السترة حتى تتأرجح بعيدًا على نحو متقن، سيكون عليها أن تفعل ذلك...

كان كروفورد يطرق الباب.

٣١

من خبرة كروفورد، يجعل الغضب المرأة تبدو سيئة الذوق. يجعل السخط شعورهن بارزة إلى الخلف ويجعل ألوانهن مضطربة وينسيهن إغلاق سحَّاباتهن. عُظمت أي خاصية غير جذابة. بدت ستارلِنج في حالتها الطبيعية عندما فتحت باب غرفتها في الفندق، لكنها كانت غاضبة بالتأكيد.

عرف كروفورد أنه قد يتعلم حقيقة جديدة كبيرة عنها الآن.

فاحت رائحة الصابون والهواء المعبأ بالبخار في وجهه وهو واقف في المدخل. سُحبت أغطية السرير خلفها إلى فوق الوسادة.

- ماذا تقولين يا ستارلِنج؟

- أقول اللعنة يا سيد كروفورد، ماذا تقول؟

أشار برأسه:

- متجر الأدوية مفتوح على ناصية الشارع بالفعل. سنحصل على بعض القهوة.

كان صباحًا معتدلًا في شهر فبراير. كانت الشمس، التي لا تزال منخفضة في الشرق، لامعة باللون الأحمر على واجهة المصحة في أثناء مرورهما بجوارها. تبعهما جِف ببطء في شاحنة المراقبة، وأجهزة الراديو تصدر صوت طقطقة. ذات مرة سلَّم كروفورد هاتفًا من النافذة لإجراء محادثة قصيرة.

- هل يمكنني أن أتقدم بتهمة إعاقة العدالة ضد تشيلتون؟

كانت ستارلِنج تمشي متقدمة قليلًا. كان بإمكان كروفورد رؤية عضلات فكها ناتئة بعد أن سألت.

- لا، لن تثبت عليه.

- ماذا لو ضيَّعها، ماذا لو ماتت كاثرين بسببه؟ أريد حقًّا أن أواجهه... دعني أبقَ مع هذه القضية يا سيد كروفورد. لا تعِدني إلى المدرسة.

- شيئان. إذا احتفظت بكِ، فلن يكون لمواجهة تشيلتون، فهذا يأتي لاحقًا. ثانيًا، إذا احتفظت بكِ فترة أطول، فسيُعاد تدريبك. سيكلفك ذلك بضعة أشهر. لا تتساهل الأكاديمية مع أي أحد. يمكنني أن أضمن لك العودة، لكن هذا كل ما في الأمر، سيكون هناك مكان لك، يمكنني أن أخبرك بذلك.

أرجعت رأسها بعيدًا إلى الوراء، ثم أنزلته مرة أخرى، وهي تمشي.

- ربما هذا ليس سؤالًا مهذبًا لطرحه على رئيس العمل، لكن هل أنت في مأزق؟ هل تستطيع السيناتور مارتن فعل أي شيء لك؟

- ستارلِنج، يجب أن أتقاعد في غضون عامين. إذا وجدت جيمي هوفا وقاتل تايلينول، فلا يزال عليَّ أن أعتزل. ليس هذا أمرًا آخذه في حسباني.

كان كروفورد، المحترس دائمًا من الرغبة، يعرف مدى رغبته في أن يكون حكيمًا. عرف أن رجلًا في منتصف العمر يمكن أن يكون يائسًا جدًّا للحصول على الحكمة إلى درجة أنه قد يحاول اختلاق بعضٍ منها، ومدى خطورة ذلك على شاب يصدقه. لذا تحدث بعناية، وفقط عن الأشياء التي يعرفها.

ما أخبرها به كروفورد في ذلك الشارع المتوسط في بالتيمور تعلمه في سلسلة متوالية من أوقات الفجر المتجمدة في كوريا، في حرب قبل ولادتها. لقد ترك الجزء المتعلق بكوريا خارجًا، لأنه لم يكن بحاجة إليه من أجل السلطة.

- هذا أصعب وقت يا ستارلِنج. استفيدي من هذا الوقت وسيخفف عنك. الآن أصعب اختبار، عدم السماح للسخط والإحباط بمنعك من التفكير. إنه جوهر ما إذا كنت تستطيعين القيادة أم لا. الإهدار والغباء يجلبان لك الأسوأ. تشيلتون أحمق لعين، وقد يكون كلف كاثرين مارتن حياتها. لكن ربما لا. نحن فرصتها. ستارلِنج، ما مدى برودة النيتروجين السائل في المختبر؟

- ماذا؟ آه، نيتروجين سائل... ناقص مائتَي درجة مئوية، تقريبًا. يغلي بدرجة تزيد قليلًا على ذلك.
- هل سبق لك أن جمَّدت الأشياء به؟
- بالتأكيد.
- أريدك أن تجمِّدي شيئًا ما الآن. جمِّدي موضوع تشيلتون. احتفظي بالمعلومات التي حصلت عليها من لِكتر وجمِّدي المشاعر. أريدك أن تبقي عينيك على الجائزة يا ستارلِنج. هذا كل ما يهم. لقد عملت للحصول على بعض المعلومات، دفعت مقابلها، وحصلت عليها، والآن سنستخدمها. إنها ما زالت جيدة - أو عديمة القيمة - كما كانت قبل أن يفسد تشيلتون هذا. لن نحصل على مزيد من المعلومات من لِكتر، على الأرجح. خذي المعرفة التي حصلت عليها من لِكتر عن بافالو بيل واحتفظي بها. جمِّدي الباقي. الإهدار، الخسارة، غضبك، تشيلتون. جمِّديها. عندما يكون لدينا الوقت، سنركل مؤخرة تشيلتون إلى ما بين لوحَي كتفيه. جمِّديها الآن ونحِّيها جانبًا. حتى تتمكني من رؤية ما وراءها إلى الجائزة يا ستارلِنج. حياة كاثرين مارتن. وإهاب بافالو بيل هدف كبير وسهل لا يمكن أن تخطئيه. أبقي عينيك على الجائزة. إذا كان بوسعك فعل ذلك، فأنا بحاجة إليك.
- للعمل مع السجلات الطبية؟
كانا أمام متجر الأدوية الآن.
- ليس إلا إذا رفضت العيادات التعاون معنا واضطررنا إلى أخذ السجلات. أريدك في ممفيس. يجب أن نأمل أن يخبر لِكتر السيناتور مارتن بشيء مفيد. لكني أريدك أن تكوني في الجوار، تحسبًا للأمر، إذا سئم من التلاعب بها، فربما سيتكلم معك. في هذه الأثناء، أريدك أن تنمي فكرة جيدة عن كاثرين، كيف اكتشفها بيل. أنتِ لست أكبر من كاثرين كثيرًا، وقد يخبرك أصدقاؤها الأشياء التي لن يخبروا بها شخصًا يبدو أشبه بشرطي.

ما زلنا نواصل العمل على الأمور الأخرى. يعمل الإنتربول على تحديد هوية كلاوس. بالتعرُّف على هوية كلاوس، يمكننا إلقاء نظرة على رفاقه في أوروبا وفي كاليفورنيا، حيث أقام علاقته العاطفية مع بِنجامِن راسبايل. أنا ذاهب إلى جامعة مينيسوتا - بدأنا بداية سيئة هناك - وسأكون في واشنطن الليلة. سأحضر القهوة الآن. استدعي جِف وشاحنة الاتصالات. ستكونين على متن طائرة بعد أربعين دقيقة.

كانت الشمس الحمراء قد وصلت إلى ثلاثة أرباع الطريق أسفل أعمدة الهاتف. ما زالت الأرصفة بنفسجية. يمكن أن تصل ستارلِنج إلى الضوء وهي تلوِّح لجِف.

شعرت بأنها أخف وزنًا وأفضل. كان كروفورد بارعًا حقًّا. عرفت أن سؤاله الصغير عن النيتروجين كان إيماءة إلى خلفيتها في الطب الشرعي، بهدف إرضائها وإثارة عادات متأصلة من التفكير المنضبط. تساءلت عما إذا كان الرجال يعُدون هذا النوع من التلاعب خفيًّا. من الغريب كيف يمكن أن تؤثر الأمور فيك حتى عندما تتعرَّف عليها. من الغريب كيف أن مَلكة القيادة غالبًا ما تكون مَلكة فجة.

على الجانب الآخر من الشارع، كان هناك شخص ينزل على درجات سلم مستشفى بالتيمور الحكومي للمجرمين المختلين نفسيًّا. كان بارني. يبدو أكبر في سترته الطويلة. كان يحمل علبة طعامه.

قالت ستارلِنج لجِف المنتظر في الشاحنة المغلقة:

- خمس دقائق.

لحقت ببارني بينما كان يفتح سيارته الستودَبايكر القديمة.

- بارني.

التفت ليواجهها من دون أي تعبير. ربما كانت عيناه أوسع قليلًا من المعتاد. وقف منتصبًا باعتدال.

- هل أخبرك الدكتور تشيلتون بأنك ستكون على ما يرام بعيدًا عن هذا؟

- ماذا سيقول لي غير ذلك؟

- هل تصدق ذلك؟

انحنت زاوية فمه إلى أسفل. لم يقل نعم أو لا.

- أريدك أن تفعل شيئًا من أجلي. أريدك أن تفعله الآن، من دون أسئلة. سأسألك بلطف، سنبدأ بذلك. ما الذي بقي في زنزانة لِكتر؟

- عدة كتب، منها بهجة الطهي، ودوريات طبية. أخذوا أوراقه القضائية.

- الأشياء التي على الجدران، الرسومات؟

- ما زالت هناك.

- أريد كل شيء وأنا في عجلة من أمري.

تأملها للحظة.

- انتظري.

قالها وهرول عائدًا إلى صعود درجات السلم، بخفة لا تتناسب مع رجل ضخم مثله.

كان كروفورد ينتظرها في شاحنة الاتصالات عندما عاد بارني بالرسومات الملفوفة والأوراق والكتب في كيس تسوق.

قال بارني وهو يناولها الأشياء:

- هل أنت متأكدة أنني عرفت أن جهاز التنصت كان في ذلك المكتب الذي أحضرته لك؟

- يجب أن أفكر في ذلك قليلًا. هذا قلم، اكتب رقم هاتفك على الحقيبة. بارني، هل تعتقد أنهم يستطيعون التعامل مع الدكتور لِكتر؟

- لديَّ شكوكي وقلت ذلك للدكتور تشيلتون. تذكري أنني أخبرتك بذلك، في حالة ما نسي الأمر. أنت صالحة يا ضابطة ستارلِنج. اسمعي، عندما تنالين من بافالو بيل...

- نعم؟

- لا تحضريه إليَّ لمجرد أن لديَّ مكانًا شاغرًا، حسنًا؟

ابتسم. كانت لدى بارني أسنان صغيرة.

منحته ستارلِنج ابتسامة عريضة على الرغم منها. لوَّحت إلى الخلف من فوق كتفها وهي تعدو إلى الشاحنة.

كان كروفورد راضيًا.

٣٢

هبطت طائرة جرومان جلفستريم التي تحمل الدكتور هانيبال لِكتر في ممفيس بنفثتين من دخان احتكاك الإطار الأزرق. باتباع التوجيهات من البرج، تحركت بسرعة نحو حظائر الحرس الوطني الجوي، بعيدًا عن صالة الركاب. انتظرت سيارة إسعاف الطوارئ وسيارة ليموزين داخل حظيرة الطائرات الأولى.

شاهدت السيناتور روث مارتن من خلال زجاج سيارة الليموزين المعتم جنود شرطة الولاية وهم يُنزِلون الدكتور لِكتر من الطائرة. أرادت أن تجري إلى الجسد المقيد والمُقنَّع وتمزقه لتخرج المعلومات منه، لكنها كانت أذكى من ذلك.

رن هاتف السيناتور مارتن. ناولها إياه مساعدها، برايَن جوسِدج، من المقعد القابل للطي.

قال جوسِدج:

- إنه مكتب التحقيقات الفدرالي، جاك كروفورد.

مدت السيناتور مارتن يدها إلى الهاتف من دون أن ترفع عينيها عن الدكتور لِكتر.

- لماذا لم تخبرني عن الدكتور لِكتر يا سيد كروفورد؟

- خشيت أن تفعلي ما تفعلينه بالضبط أيتها السيناتور.

- أنا لا أحاربك يا سيد كروفورد. إذا حاربتني فستندم على ذلك.

- أين لِكتر الآن؟

- أنا أنظر إليه.

- هل يسمعك؟
- لا.
- سيناتور مارتن، استمعي إليَّ. أنت تريدين تقديم ضمانات شخصية للِكتر حسنًا، لا بأس. لكن افعلي هذا من أجلي. دعي الدكتور آلان بلوم يعطِك موجزًا قبل أن تصطدمي بلِكتر. بلوم يمكنه مساعدتك، صدقيني.
- لديَّ نصيحة من خبير.
- أتمنى أن يكون أفضل من تشيلتون.

كان الدكتور تشيلتون ينقر على نافذة سيارة الليموزين. أرسلت السيناتور مارتن برايَن جوسِدج لتولي أمره.

- النزاعات الداخلية تضيع الوقت يا سيد كروفورد. لقد أرسلتَ مجندة مبتدئة إلى لِكتر بعرض زائف. يمكنني أن أفعل أفضل من ذلك. يقول الدكتور تشيلتون إن لِكتر قادر على الاستجابة بناءً على عرض مباشر وسأمنحه عرضًا، لا تعقيدات بيروقراطية، ولا تدخل من شخصيات بارزة، ولا مسائل متعلقة بنسب الفضل. إذا استعدنا كاثرين سالمة، فسيخرج الجميع من الأمر بسمعة عطرة، بمن فيهم أنت. إذا... ماتت، فلن أبالي بأي أعذار لعينة.
- \استعيني بنا إذن يا سيناتور مارتن.

لم تسمع أي غضب في صوته، استشعرت فقط فتورًا محترفًا بنبرة «قللي خسائرك». استجابت له:

- تابع كلامك.
- إذا حصلت على شيء ما، دعينا نتصرف بناءً عليه. تأكدي من حصولنا على كل شيء. تأكدي من مشاركة الشرطة المحلية. لا تدعيهم يعتقدوا أنهم سيرضونك بالاستغناء عنا.
- بول كريندلر من وزارة العدل قادم. سيهتم بذلك.
- مَن أعلى مسؤول هناك الآن؟
- الرائد باكمان من مكتب تحقيقات ولاية تينيسي.

- جيد. إذا لم يفُت الأوان، فحاولي فرض تعتيم إعلامي. من الأفضل أن تهددي تشيلتون بشأن ذلك، إنه يحب جذب الانتباه. لا نريد أن يعرف بافالو بيل أي شيء. عندما نجده، نريد الاستعانة بفريق إنقاذ الرهائن. نريد أن نهاجمه بسرعة ونتجنب المواجهة. هل تنوين استجواب لِكتر بنفسك؟

- نعم.

- هل ستتكلمين مع كلاريس ستارلِنج أولًا؟ إنها في الطريق.

- ما الغرض من ذلك؟ لخص الدكتور تشيلتون هذه المادة لي. لقد خُدعنا بما فيه الكفاية.

كان تشيلتون ينقر على النافذة مرة أخرى، يحرك فمه بالكلمات من خلال الزجاج. وضع برايَن جوسِدج يده على معصمه وهز رأسه.

قال كروفورد:

- أريد الوصول إلى لِكتر بعد أن تتكلمي معه.

- سيد كروفورد، لقد وعد بأنه سوف يعطي اسم بافالو بيل في مقابل امتيازات، وسائل راحة، في الحقيقة. إذا لم يفعل ذلك، فيمكنك الاحتفاظ به إلى الأبد.

- سيناتور مارتن، أعلم أن هذا أمر حساس، لكن عليَّ أن أقول لك ذلك: مهما فعلت، لا تتوسلي إليه.

- حسنًا يا سيد كروفورد. أنا حقًّا لا أستطيع التحدث الآن.

أغلقت الهاتف. قالت بصوت خفيض: «إذا كنت مخطئة، فلن تكون ابنتي أكثر موتًا من آخر ستٍّ توليتَ أمرهن».

ولوَّحت إلى جوسِدج وتشيلتون للدخول إلى السيارة.

كان الدكتور تشيلتون قد طلب إعداد مكتب في ممفيس لمقابلة السيناتور مارتن مع هانيبال لِكتر. لتوفير الوقت، أُعيد ترتيب قاعة مؤتمرات صحفية خاصة بالحرس الوطني الجوي في حظيرة الطائرات على عجل للقاء.

كان على السيناتور مارتن الانتظار في حظيرة الطائرات في أثناء عمل الدكتور تشيلتون على استقرار لِكتر في المكتب. لم تتحمل البقاء في السيارة. سارت في

دائرة صغيرة تحت سقف الحظيرة الضخم، ترفع بصرها إلى العوارض الخشبية العالية المتشابكة ثم تخفضه مرة أخرى إلى الخطوط المرسومة على الأرض. توقفت مرة بجانب طائرة فانتوم إف-٤ قديمة، وأراحت رأسها على جانبها البارد، حيث كُتب بطباعة الاستنسل **ممنوع الضغط**. لابد أن هذه الطائرة أكبر عمرًا من كاثرين. يا يسوع الحبيب، بحقك.

- سيناتور مارتن.

كان الرائد باكمان يناديها. أشار تشيلتون من الباب.

كان هناك مكتب لتشيلتون في الغرفة، وكراسي للسيناتور مارتن ومساعدها والرائد باكمان. استعد مصور فيديو لتسجيل الاجتماع. ادعى تشيلتون أن هذا كان أحد متطلبات لِكتر.

دخلت السيناتور مارتن المكان في تصميم بمظهرٍ حسن. أشعت بدلتها الكحلية بالقوة. كانت قد بثت بعض الصلف في جوسِدج أيضًا.

جلس الدكتور هانيبال لِكتر بمفرده في منتصف الغرفة على كرسي بذراعين من خشب البلوط القوي مثبت على الأرض. غطت بطانية سترته المقيّدة وأغلال ساقيه، وأخفت حقيقة أنه مقيد بالسلاسل إلى الكرسي. لكنه لا يزال يرتدي قناع الهوكي الذي منعه من العض.

لماذا؟ تساءلت السيناتور، قد كانت الفكرة السماح للدكتور لِكتر ببعض الكرامة في تجهيزات المكتب. ألقت السيناتور مارتن نظرة على تشيلتون، والتفتت إلى جوسِدج لمطالعة الأوراق.

ذهب تشيلتون ليقف خلف الدكتور لِكتر، وبنظرة إلى الكاميرا، فك الأشرطة وأزال القناع بحركة متباهية.

- سيناتور مارتن، أقدم لك الدكتور هانيبال لِكتر.

أثارت رؤية ما فعله الدكتور تشيلتون في سبيل حب الظهور فزع السيناتور مارتن بقدر أي شيء حدث منذ اختفاء ابنتها. أي ثقة قد كانت لديها في حُكم تشيلتون على الأمر استبُدل بها الخوف البارد من كونه أحمق.

كان عليها أن ترتجل.

سقطت خصلة من شعر الدكتور لِكتر بين عينيه الكستنائيتين. كان شاحبًا بقدر شحوب القناع. تأملت السيناتور مارتن وهانيبال لِكتر بعضهما، أحدهما واضح للغاية، والآخر غير قابل للقياس بأي وسيلة معروفة للإنسان.

عاد الدكتور تشيلتون إلى مكتبه، وتطلَّع إلى جميع مَن حوله، وبدأ:

- أوضح لي الدكتور لِكتر، أيتها السيناتور، أنه يريد أن يسهم في التحقيق ببعض المعرفة الخاصة، مقابل اعتبارات تتعلق بشروط احتجازه.

رفعت السيناتور مارتن وثيقة.

- دكتور لِكتر، هذا إقرار كتابي تحت القسَم سأوقعه الآن. يقول إنني سأساعدك. هل تريد قراءته؟

ظنت أنه لن يرد عليها والتفتت إلى المكتب للتوقيع، عندما قال:

- لن أضيع وقتك ووقت كاثرين في المساومة من أجل امتيازات تافهة. لقد أهدر المتسلقون المهنيون ما يكفي من الوقت بالفعل. دعيني أساعدكِ الآن، وسأثق بأنك ستساعدينني عندما ينتهي الأمر.

- يمكنك الاعتماد على ذلك. برايَن؟

رفع برايَن مفكرته.

- بافالو بيل اسمه ويليام روبين. يُعرف ببيلي روبين. أحاله إليَّ مريضي بِنجامِن راسبايل في أبريل أو مايو ١٩٧٥. قال إنه يعيش في فيلادلفيا، لا أستطيع أن أتذكر عنوانًا، لكنه كان يقيم مع راسبايل في بالتيمور.

قاطعه الرائد باكمان:

- أين سجلاتك؟

- أُتلفت سجلاتي بأمر من المحكمة بعد فترة وجيزة...

قال الرائد باكمان:

- كيف كان شكله؟

- هل تمانع أيها الرائد؟ سيناتور مارتن، الوحيد...

قال الرائد باكمان:

- أعطني سنًّا ووصفًا جسديًّا، أي شيء آخر يمكنك تذكره.

رحل الدكتور لِكتر ببساطة. فكر في شيء آخر - دراسات جريكو التشريحية من أجل لوحة طوف ميدوسا - وإذا كان قد سمع الأسئلة التالية، فلم يبين ذلك.

عندما استعادت السيناتور مارتن انتباهه، كانا وحدهما في الغرفة. كانت معها مفكرة جوسِدج.

ركزت عينا الدكتور لِكتر عليها. قال:

- رائحة هذا العلم مثل السيجار. هل أرضعت كاثرين؟

- عفوًا؟ هل أ...

- هل أرضعتِها من ثديك؟

- نعم.

- عمل مجهد يسبب العطش، أليس كذلك...؟

عندما أظلم لون حدقتَي عينيها، تناول الدكتور لِكتر رشفة واحدة من آلامها ووجدها رائعة. كان ذلك كافيًا لهذا اليوم. وتابع:

- يبلغ طول ويليام روبين ست أقدام وبوصة واحدة تقريبًا، وسيبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا الآن. إنه قوي البنية، كان وزنه نحو مائة وتسعين باوند عندما عرفتُه، وقد اكتسب وزنًا منذ ذلك الحين، كما أتوقع. لديه شعر بني وعينان زرقاوان شاحبتان. امنحيهم هذا القدر، ثم سنواصل العمل.

قالت السيناتور مارتن:

- نعم، سأفعل ذلك.

مررت ملاحظاتها خارج الباب.

- رأيته مرة واحدة فقط. لقد حدد موعدًا آخر، لكنه لم يأتِ مرة أخرى.

- لماذا تعتقد أنه بافالو بيل؟

- كان يقتل الناس في ذلك الوقت، ويفعل أشياء مشابهة بهم، تشريحيًّا. قال

إنه يريد بعض المساعدة للكف عن ذلك، لكنه في الواقعِ أراد فقط الثرثرة حول هذا الموضوع. أن يتحدث بحرية وصراحة.

- وأنت لم... كان واثقًا أنك لن تسلِّمه إلى السلطات؟

- لم يعتقد أنني سأفعل ذلك، وهو يحب المخاطرة. لقد حفظتُ أسرار صديقه راسبايل.

- هل عرف راسبايل أنه كان يفعل هذا؟

- مالت شهوات راسبايل إلى ذوي السمعة السيئة، كان مغطى بالندوب. أخبرني بيلي روبين أن لديه سجلًّا إجراميًّا، لكن لم يخبرني بتفاصيل. أخذتُ تاريخًا طبيًّا موجزًا. كان الأمر غير استثنائي، باستثناء شيء واحد: أخبرني روبين بأنه عانى ذات مرة الجمرةَ الخبيثة من عاج الفيل. هذا كل ما أتذكره يا سيناتور مارتن، وأتوقع أنك متلهفة للذهاب. إذا خطر لي أي شيء آخر، سأرسل إليك خبرًا.

- هل قتل بيلي روبين الشخص الذي كان رأسه في سيارة؟

- أعتقد هذا.

- هل تعرف مَن هو؟

- لا. أسماه راسبايل كلاوس.

- هل كانت الأشياء الأخرى التي قلتها لمكتب التحقيقات الفدرالي صحيحة؟

- على الأقل صحيحة بقدر صحة ما قاله لي مكتب التحقيقات الفدرالي يا سيناتور مارتن.

- لقد أجريتُ بعض الترتيبات المؤقتة من أجلك هنا في ممفيس. سنتحدث عن وضعك وستنتقل إلى سجن براشي ماونتن عندما يكون هذا... عندما نسوِّي الأمر.

- شكرًا لك. أود أن يكون لديَّ هاتف، إذا فكرت في شيء...

- ستحصل عليه!

- وموسيقى. جلين جولد، تنويعات جولدبرج؟ هل سيكون ذلك أكثر من اللازم؟

- لا بأس.

- سيناتور مارتن، لا تعهدي بأي دليل إلى مكتب التحقيقات الفدرالي على نحو منفرد. جاك كروفورد لا يلعب أبدًا بنزاهة مع الوكالات الأخرى. إنها لعبة مع هؤلاء الأشخاص. إنه مصمم على أن يقوم بعملية إلقاء القبض بنفسه. يُسمُّون ذلك «اعتقالًا».

- شكرًا لك يا دكتور لِكتر.

قال وهي تخرج من الباب:

- أحب بدلتكِ.



٣٣

من غرفة إلى غرفة، يتلوى قبو جايم جَمب مثل المتاهة التي تُعجِزنا في الأحلام. عندما كان لا يزال خجولًا، منذ حيوات بعيدة، كان السيد جَمب يشعر بمتعته في أشد الغرف خفاءً، بعيدًا عن الدرَج. هناك غرف في الأركان الأبعد، غرف من حياة أخرى، لم يفتحها جَمب منذ سنوات. لا يزال بعضها مشغولًا، إذا جاز التعبير، على الرغم من أن الأصوات وراء الأبواب بلغت ذروتها وتراجعت إلى الصمت منذ فترة طويلة.

تختلف مستويات الطوابق من غرفة إلى غرفة بمقدار قدم. هناك عتبات يجب الخطو فوقها، وعوارض علوية يجب الانحناء لتفاديها. أحمال من المستحيل دحرجتها ومن الصعب سحبها. السير بشيء أمامك - مع تعثره وبكائه، وتوسله، وضرب رأسه المصاب بالدوار - أمر صعب، حتى إنه خطير.

مع تنامي الحكمة والثقة، لم يعُد السيد جَمب يشعر بأنه مضطر إلى تلبية احتياجاته في الأجزاء المخفية من القبو. يستخدم الآن مجموعة من غرف القبو حول الدرَج، وغرفًا كبيرة بها مياه جارية وكهرباء.

القبو في ظلام دامس الآن.

تحت الغرفة ذات الأرضية الرملية، في الزنزانة تحت الأرض، كاثرين مارتن هادئة.

السيد جَمب هنا في القبو، لكنه ليس في هذه الغرفة.

الغرفة خلف الدرَج سوداء بالنسبة إلى الرؤية البشرية، لكنها مليئة بالأصوات الصغيرة. المياه تتقطر هنا والمضخات الصغيرة تطن. في الأصداء القليلة تبدو

الغرفة كبيرة. الهواء رطب وبارد. يعبق برائحة الخضرة. رفرفة أجنحة على الخد، بضع نقرات عبر الهواء. صوت أنفيٌّ يُعبِّر عن المتعة، صوت بشري.

لا تحتوي الغرفة على أيٍّ من أطوال الضوء الموجيَّة التي يمكن للعين البشرية الاستعانة بها، لكن السيد جَمب هنا ويمكنه أن يرى جيدًا، على الرغم من أنه يرى كل شيء في درجات من ظلال اللون الأخضر وشدته. يرتدي نظارات ممتازة للرؤية بالأشعة تحت الحمراء (من مخازن الفائض العسكري الإسرائيلي، بأقل من أربعمائة دولار) ويوجه شعاع مصباح الأشعة تحت الحمراء على القفص السلكي أمامه. يجلس على حافة كرسي مستقيم، منتشيًا، يشاهد حشرة تتسلق نباتًا في قفص شبكي. لقد خرجت الإيماجو المجنحة اليافعة للتو من شرنقة مشقوقة في التربة الرطبة بأرضية القفص. تتسلق بحذر على ساق نبتة من الفصيلة الباذنجانية، بحثًا عن مساحة لإخراج الأجنحة الجديدة الرطبة التي لا تزال محشوة على ظهرها. اختارت غصينًا أفقيًّا.

على السيد جَمب أن يميل رأسه ليرى. شيئًا فشيئًا تضخم الجناحان الممتلئان بالدم والهواء. ما زالا عالقين معًا على ظهر الحشرة.

تمر ساعتان. بالكاد تحرك السيد جَمب. يشغل مصباح الأشعة تحت الحمراء ويطفئه لمفاجأة نفسه بالتقدم الذي حققته الحشرة. لتمضية الوقت، يلعِّب الضوء على بقية الغرفة: فوق أحواض السمك الكبيرة الخاصة به الممتلئة بمحلول الدباغة النباتية. على القوالب والنقالات في الخزانات، تنتصب مقتنياته القديمة وقد اخضر لونها مثل التماثيل الكلاسيكية المكسورة تحت البحر. يتحرك ضوؤه فوق منضدة العمل الكبيرة المجلفنة مع كتلتها المعدنية الداعمة للعمود الدوَّار واللوح الخلفي الواقي والمصارف، ملامسًا الرافعة الموجودة فوقها. مقابل الحائط، أحواضه الصناعية الطويلة. كل ذلك في الصور الخضراء التي تبينها الأشعة تحت الحمراء المفلترة. رفرفة، خطوط من الوميض الفسفوري تعبر مجال رؤيته، مسارات مذنبات صغيرة من حشرات العُث الحرة في الغرفة.

عاد إلى القفص في الوقت المناسب. جناحا الحشرة الكبيران مرفوعان

فوق ظهرها يخفيان ترتيب ألوانها ويشوهانه. الآن تنزل جناحيها لتغمر جسدها ويصبح التصميم الشهير واضحًا. جمجمة بشرية، منفذة بشكل رائع بمقاييس الكائنات شبه المكسوة بالفراء، تحدق من ظهر العُثة. تحت قبة الجمجمة المظللة ثقبا العينين السوداوين وعظام الوجنتين البارزة. تحتها يكمن الظلام مثل كمامة على الوجه فوق الفك. ترتكز الجمجمة على علامة منفرجة مثل الجزء العلوي من عظم الحوض.

جمجمة مكوَّمة على عظم الحوض، وكلها مرسومة على ظهر فراشة بمصادفة من الطبيعة.

يشعر السيد جَمب بالراحة والنور في أعماقه. يميل إلى الأمام، ينفث الهواء الناعم عبر العُثة. ترفع خرطومها الحاد وتصرخ بغضب.

يمشي بهدوء مسلطًا ضوءه داخل غرفة الزنزانة الأرضية. يفتح فمه لتهدئة تنفسه. إنه لا يريد إفساد مزاجه بالكثير من الضجيج المنبعث من الحفرة. تبدو عدستا نظارته على براميلها الصغيرة البارزة مثل عينَي السلطعون على ساقيها. يعرف السيد جَمب أن نظارة الرؤية الليلية ليست جذابة بالمرة، لكنه قضى أوقاتًا رائعة بها في القبو الأسود، وهو يلعب ألعاب القبو.

ينحني ويسلط ضوءه غير المرئي إلى أسفل البئر. كانت المادة الخام التي سيعمل عليها راقدة على جانبها، ملتفة على نفسها مثل الجمبري. يبدو أنها نائمة. تقف دلو مرحاضها بجانبها. لم تقطع الخيط بحماقة مرة أخرى، وهي تحاول سحب نفسها فوق الجدران المُطبقة. في نومها، تمسك بزاوية الحشية على وجهها وتمص إبهامها.

بمراقبة كاثرين، مسلطًا ضوء الأشعة تحت الحمراء إلى أعلى وإلى أسفل، يُعِد السيد جَمب نفسه للمشكلات الحقيقية التي تنتظره.

التعامل مع جلد الإنسان صعب إلى درجة وحشية إذا كانت معاييرك عالية مثل معايير السيد جَمب. هناك قرارات هيكلية أساسية يجب اتخاذها، وأولها مكان وضع السَّحَّاب.

يحرك الشعاع أسفل ظهر كاثرين. كان عادة يضع مكان الإغلاق في الخلف، لكن كيف يمكنه أن يرتديه بمفرده؟ لن يكون هذا أمرًا من النوع الذي يمكنه أن يطلب من شخص ما المساعدة فيه، على الرغم من أن هذا الاحتمال ربما يكون مثيرًا. يعرف الأماكن والدوائر التي ستحظى جهوده فيها بإعجاب كبير - هناك يخوت معينة يمكن أن يتأنق فيها - لكن سيتعين عليه الانتظار. يجب أن تكون لديه أشياء يمكنه استخدامها بمفرده. سيكون شقُّ المنتصف من الأمام انتهاكًا للمقدسات، يُخرج هذا فورًا من ذهنه.

لا يستطيع السيد جَمب أن يعرف أي شيء عن لون كاثرين بالأشعة تحت الحمراء، لكنها تبدو أنحف. يعتقد أنها ربما كانت تتبع نظامًا غذائيًّا عندما أخذها.

لقد علمته التجربة أن ينتظر من أربعة أيام إلى أسبوع قبل حصاد الإهاب. فقدان الوزن المفاجئ يجعل الإهاب أكثر مرونة ويسهل إزالته. بالإضافة إلى ذلك، يستنزف التجويع قدرًا كبيرًا من قوة ضحاياه ويجعلهن أكثر قابلية للتعامل. أكثر انقيادًا. يستولي على بعضهن خضوع ذاهل. في الوقت نفسه، من الضروري توفير بعض الحصص الغذائية لمنع اليأس ونوبات الغضب المدمرة التي قد تلحق الضرر بالجلد.

بالتأكيد فقد الكائن وزنًا. هذا الكائن مميز جدًّا، محوريٌّ للغاية لما يفعله، ولا يمكنه تحمل الانتظار طويلًا، وليس مضطرًّا إلى ذلك. غدًا بعد الظهر، يمكنه فعل ذلك، أو مساء الغد. اليوم التالي على أبعد تقدير. قريبًا.

٣٤

تعرَّفت كلاريس ستارلِنج على لافتة فيلَّات ستونْهِنج من الأخبار التلفزيونية. مجمع شرق ممفيس السكني، شكَّل مزيج من الشقق والمنازل المستقلة حرف «U» كبيرًا حول ساحة انتظار السيارات.

أوقفت ستارلِنج سيارتها الشيفروليه سيليبريتي المستأجرة في منتصف ساحة انتظار السيارات الكبيرة. عاش هناك عمَّال ذوو رواتب جيدة ومديرون تنفيذيون في مستويات الإدارة الدنيا - أنبأتها بذلك سيارات ترانس آم وكامارو «أيروك - زي» - أُوقفت السيارات المجهزة للسكن لقضاء عطلات نهاية الأسبوع وقوارب التزلج الزاهية بالطلاء اللامع في القسم الخاص بها في ساحة انتظار السيارات.

فيلَّات ستونْهِنج - أزعجت التهجئة ستارلِنج كلما نظرت إليها. ربما كانت الشقق مليئة بأثاث الخوص الأبيض والسجاد الأشعث بلون الخوخ. صور ملتقطة تحت زجاج طاولة القهوة. كتب مثل ذا\دينر فور تو كوكبوك وفوندو أون ذا\منيو. كانت ستارلِنج، التي كان مكان إقامتها الوحيد غرفة في سكن مشترك في أكاديمية مكتب التحقيقات الفدرالي، من أشد المنتقدين لهذه الأشياء.

عليها أن تعرف كاثرين بيكر مارتن، وبدا هذا مكانًا غريبًا لتعيش فيه ابنة السيناتور. قرأت ستارلِنج مادة المعلومات الشخصية المختصرة التي جمعها مكتب التحقيقات الفدرالي، وبيَّنت أن كاثرين مارتن شخص بلا أي إنجازات. رسبت في جامعة فارمنجتون، وقضت عامين غير سعيدين في كلية ميدلبوري. الآن صارت طالبة في جامعة ساوثْوِسترن ومعلمة تحت الإشراف.

كان من الممكن أن تتخيلها ستارلِنج بسهولة على أنها طفلة مستغرقة في ذاتها، متبلدة، خريجة مدرسة داخلية، وواحدة من هؤلاء الأشخاص الذين لم ينصتوا قَطُّ. عرفت ستارلِنج أن عليها توخي الحذر هنا، لأن لديها تحيزاتها ومشاعر استيائها. قضت ستارلِنج مدتها في المدارس الداخلية، تعيش على منح دراسية، درجاتها أفضل بكثير من ملابسها. لقد رأت كثيرًا من الأطفال من عائلات غنية ومضطربة، يقضون وقتًا طويلًا للغاية في المدرسة الداخلية. لم تكترث لبعضهم بالمرة، لكنها كبرت لتعلم أن عدم الاهتمام يمكن أن يكون خدعة لتجنب الألم، وأنه غالبًا ما يساء فهمه على أنه ضحالة ولامبالاة.

من الأفضل التفكير في كاثرين على أنها طفلة تبحر مع والدها، كما كانت في الفيلم الذي عرضوه مع مناشدة السيناتور مارتن على شاشة التلفزيون. تساءلت عما إذا كانت كاثرين حاولت إرضاء والدها عندما كانت صغيرة. تساءلت عما كانت تفعله كاثرين عندما جاءوا وأخبروها بأن والدها مات، بنوبة قلبية في الثانية والأربعين. كانت ستارلِنج واثقة بأن كاثرين افتقدته. افتقاد والدك، الجرح المشترك، جعل ستارلِنج تشعر بأنها قريبة من هذه المرأة الشابة.

وجدت ستارلِنج أنه من الضروري أن تُعجَب بكاثرين مارتن، لأن ذلك ساعدها على بذل أقصى جهدها للتركيز.

بإمكان ستارلِنج أن ترى موقع شقة كاثرين، توقفت أمامها سيارتا دورية تابعتان لدوريات الطريق السريع بولاية تينيسي. كانت هناك بقع من مسحوق أبيض على ساحة انتظار السيارات في المنطقة الأقرب للشقة. لا بد أن مكتب تحقيقات تينيسي كان يزيل بقع الزيت بمسحوق حجر الخفاف أو أي مسحوق خامل آخر. قال كروفورد إن مكتب تحقيقات تينيسي كان ماهرًا جدًّا.

سارت ستارلِنج إلى المركبات الترفيهية والقوارب المتوقفة في القسم الخاص من ساحة انتظار السيارات أمام الشقة. هذا هو المكان حيث أمسكها بافالو بيل. قريب بما يكفي من بابها إلى درجة أنها تركته مفتوحًا عندما خرجت. شيء ما أغراها بالخروج. لا بد أن يكون تكوينًا ليس منه أذى.

عرفت ستارلِنج أن شرطة ممفيس قد أجرت مقابلات شاملة من باب إلى باب ولم يرَ أحد شيئًا، لذا ربما حدث ذلك بين السيارات العالية المجهزة للسكن. لا بد أنه قد راقب من هنا. جالسًا في مركبة من نوع ما، لا بد أنه فعل ذلك. لكن بافالو بيل عرف أن كاثرين كانت هنا. لا بد أنه اكتشفها في مكان ما وتعقَّبها في انتظار فرصته. الفتيات بحجم كاثرين لسن شائعات. لم يجلس في أماكن عشوائية إلى أن جاءت امرأة من الحجم المناسب. بإمكانه الجلوس أيامًا ولا يرى أحدًا.

كل الضحايا كنَّ كبيرات الحجم. كلهن كنَّ كبيرات الحجم. بعضهن كنَّ سمينات، لكن جميعهن كنَّ كبيرات الحجم. «حتى يتمكن من الحصول على شيء ملائم». تذكرت كلمات الدكتور لِكتر، ارتجفت ستارلِنج. الدكتور لِكتر، قاطن ممفيس الجديد.

أخذت ستارلِنج شهيقًا عميقًا، ونفخت خديها وتركت الهواء يخرج ببطء. دعونا نرَ ما يمكن معرفته عن كاثرين.

رد جندي من قوات ولاية تينيسي يرتدي قبعته التي تحمل رمز سموكي ذا باير للخدمة العامة بالغابات على باب شقة كاثرين مارتن. عندما أرته ستارلِنج أوراق اعتمادها، أشار إليها لتدخل.

- أيها الضابط، أنا بحاجة إلى إلقاء نظرة على المقر هنا.

بدت المقر كلمة جيدة لاستخدامها مع رجل يرتدي قبعته في المنزل.

أومأ قائلًا:

- إذا رن الهاتف فاتركيه وشأنه. سأرد عليه.

على النضد في المطبخ المفتوح، بإمكان ستارلِنج رؤية مسجل شرائط متصل بالهاتف. بجانبه كان هناك هاتفان جديدان. أحدهما لم يكن به أزرار للاتصال، خط مباشر إلى أمن شركة ساذرن بيل للهاتف، مرفق تتبع المكالمات في الجنوب الأوسط.

سأل الضابط الشاب:

- هل يمكنني مساعدتك بأي طريقة؟

- هل انتهت الشرطة هنا؟

- لقد أُفرج عن الشقة للعائلة. أنا هنا فقط من أجل الهاتف. يمكنك لمس الأشياء، إذا كان هذا ما تريدين معرفته.

- جيد، سأتفقد المكان إذن.

- حسنًا.

استعاد الشرطي الشاب الصحيفة التي كان قد حشرها تحت الأريكة وعاد إلى مقعده.

أرادت ستارلِنج التركيز. تمنت لو كانت بمفردها في الشقة، لكنها عرفت أنها محظوظة لأن المكان ليس مليئًا بالشرطة.

بدأت بالمطبخ. لم يكن مجهزًا على يد طاهٍ جاد. أخبر الصديق الشرطة بأن كاثرين جاءت من أجل الفشار. فتحت ستارلِنج الفريزر. كانت به علبتان من الفشار المجهز للميكروويف. لا يمكنك رؤية موقف السيارات من المطبخ.

- من أين أنتِ؟

لم تلتقط ستارلِنج السؤال في المرة الأولى.

- من أين أنتِ؟

كان الجندي على الأريكة يراقبها من فوق جريدته.

قالت:

- واشنطن.

تحت الحوض، نعم، خدوش على وصلة الأنبوب، لقد أخرجوا الوصلة وفحصوها. أحسنتم يا مكتب تحقيقات تينيسي. لم تكن السكاكين حادة. شُغِّلت غسالة الأطباق، لكنها لم تُفرغ. خُصصت الثلاجة للجبن وسلطة الفواكه الجاهزة. تسوقت كاثرين مارتن لشراء البقالة السريعة، ربما كان لها مكان معتاد، مكان قريب لخدمة الزبائن في سياراتهم. ربما طاف شخص ما في المتجر. هذا يستحق التدقيق.

- أنتِ مع المدعي العام؟

- لا، مكتب التحقيقات الفدرالي.
- المدعي العام قادم. هذا ما سمعته في تجمهر الناس. منذ متى كنتِ في مكتب التحقيقات الفدرالي؟

كانت هناك ثمرة ملفوف مطاطية في درج الخضراوات. قلبتها ستارلِنج وفحصت حجيرة المجوهرات بالداخل. فارغة.

- منذ متى كنتِ في مكتب التحقيقات الفدرالي؟

نظرت ستارلِنج إلى الشرطي الشاب.

- أيها الضابط، سأقترح عليك شيئًا. ربما أحتاج إلى أن أسألك عن عدة أشياء بعد أن أنتهي من البحث هنا. ربما يمكنك مساعدتي. بعد ذلك.
- بالتأكيد. إذا استطعت...
- جيد، حسنًا. دعنا ننتظر ونتحدث بعد ذلك. يجب أن أفكر في هذا الآن.
- لا مشكلة هناك.

كانت غرفة النوم مشرقة، لها سمة مشمسة ناعسة أحبتها ستارلِنج. جُهزت باستخدام أقمشة أفضل ومفروشات أفضل مما يمكن أن تتحمله معظم النساء الشابات. كان هناك ساتر زخرفي من كوروماندل، وقطعتان زخرفيتان مزينتان بتقنية كلوزونيه على الأرفف، ومنضدة جيدة لكتابة الخطابات من الجوز الجذعي. سريران متماثلان. رفعت ستارلِنج حافة الأغطية. أُقفلت فرامل بكرات التحريك في السرير الأيسر، لكن ليس في السرير الأيمن. لا بد أن تدفعهما كاثرين معًا عندما يناسبها ذلك. ربما لديها عشيق لا يعرفه الصديق. أو ربما يبقيان هنا في بعض الأحيان. لا يوجد جهاز استدعاء عن بُعد على جهاز الرد على المكالمات. قد تحتاج إلى الوجود هنا عندما تتصل والدتها.

كان جهاز الرد على المكالمات مثل جهازها الخاص، الجهاز الأساسي من فون-مايت. فتحت اللوحة العلوية. اختفى شريطا المكالمات الواردة والصادرة. في مكانهما، وُضعت ملاحظة، **الشريطان في حيازة مكتب تحقيقات تينيسي 6#**. كانت الغرفة نظيفة على نحو معقول، لكنها اتسمت بالمظهر الكدِر الذي تركه

باحثون لهم أيدٍ كبيرة، رجال يحاولون إعادة الأشياء كما كانت تمامًا، لكنهم يخفقون قليلًا. كانت ستارلِنج ستعرف أن المكان قد فُتِّش حتى من دون آثار قوة البصمات على جميع الأسطح الملساء.

لم تعتقد ستارلِنج أن أي جزء من الجريمة قد حدث في غرفة النوم. ربما كان كروفورد على حق، لقد أُمسك بكاثرين في ساحة انتظار السيارات. لكن ستارلِنج أرادت أن تعرفها، وهذا هو المكان الذي عاشت فيه. تعيش، صححت ستارلِنج لنفسها. إنها تعيش هنا.

كان في خزانة المنضدة الجانبية للسرير دليل هاتف، ومناديل كلينكس، وصندوق من أدوات العناية الشخصية، وخلف الصندوق، كاميرا بولارويد «SX-70» مع كابل لإطلاق غالق الكاميرا وحامل ثلاثي القوائم قصير مطوي بجانبها. امممم. مصمِّمة كسحلية، نظرت ستارلِنج إلى الكاميرا. رمشت عيناها كما ترمش سحلية ولم تلمسها.

أثارت الخزانة اهتمام ستارلِنج أكثر من غيرها. كان لدى كاثرين بيكر مارتن، علامة المغسلة *C-B-M*، كثير من الملابس وبعضها كان جيدًا جدًّا. تعرَّفت ستارلِنج على كثير من العلامات التجارية، بما في ذلك جافينكلز وبريتشيس في واشنطن. هدايا من ماما، قالت ستارلِنج لنفسها. كانت لدى كاثرين ملابس كلاسيكية رائعة بمقاسين، صنعت لتناسبها بنحو ١٤٥ و١٦٥ باوند، كما خمنت ستارلِنج، وعدد قليل من السراويل بمقاسات ضخمة وكنزات من متجر ستاتويسك. في حامل الشماعات ثلاثة وعشرون حذاءً. سبعة من فيراجوموس بمقاس «10C»، وبعضها من ريبوك وأحذية رثة من دون كعب. على الرف العلوي حقيبة ظهر خفيفة ومضرب تنس.

ممتلكات طفلة متميزة، طالبة ومعلمة ممارسة تحت الإشراف عاشت على نحو أفضل من كثيرات.

كثير من الرسائل في منضدة كتابة الخطابات، ملاحظات بخطوط مائلة مشوشة من زملاء دراسة سابقين في الشرق. طوابع، دمغات بريدية. ورق تغليف

الهدايا في الدرج السفلي، حزمة بألوان وأنماط مختلفة. مررت ستارلِنج أصابعها خلالها. كانت تفكر في استجواب العاملين في السوق المحلية لخدمة الزبائن في سياراتهم عندما عثرت أصابعها على ورقة في كومة تغليف الهدايا كانت سميكة جدًّا وقاسية. تجاوزتها أصابعها، وعادت إليها. دُرِّبت على ملاحظة الحالات الشاذة وكانت قد سحبت نصفها عندما نظرت إليها. كانت الورقة زرقاء اللون، من مادة مشابهة لورق النشاف خفيف الوزن، والنمط المطبوع عليها كان تقليدًا فجًّا لكلب الرسوم المتحركة بلوتو. بدت جميع صفوف الكلاب الصغيرة مثل بلوتو، باللون الأصفر المناسب، لكنها لم تكن صحيحة تمامًا في نِسَبها.

قالت ستارلِنج: «كاثرين، كاثرين». أخذت ملقطًا من حقيبتها واستخدمته لوضع الورقة الملونة في مغلَّف بلاستيكي. وضعته على السرير في الوقت الحالي.

كان صندوق المجوهرات الموجود على طاولة الزينة من الجلد المختوم، من النوع الذي تراه في غرفة كل فتاة في السكن الجماعي. يحتوي الدرجان الموجودان في الأمام والغطاء المدرج متعدد الطبقات على مجوهرات مقلدة، لا قطع ثمينة. تساءلت ستارلِنج هل كانت أفضل الأشياء موجودة في ثمرة الملفوف المطاطية في الثلاجة، وإذا كان الأمر كذلك، فمَن الذي أخذها.

عقفت إصبعها تحت جانب الغطاء وأطلقت الدرج السري في الجزء الخلفي من صندوق المجوهرات. كان الدرج السري فارغًا. وتساءلت بالنسبة إلى مَن كانت هذه الأدراج سرًّا، بالتأكيد ليس للصوص. كانت تمد يدها خلف صندوق المجوهرات، وتدفع الدرج مرة أخرى، عندما لمست أصابعها المغلَّف المثبت على الجانب السفلي من الدرج السري.

سحبت ستارلِنج زوجين من القفازات القطنية وقلبت صندوق المجوهرات. أخرجت الدرج الفارغ وقلبته. أُلصق مغلَّف بنيٌّ في أسفل الدرج بشريط لاصق. كان الغطاء مدسوسًا في الداخل فقط، ليس مختومًا. حملت الورقة بالقرب من أنفها. لم يُعرَّض المغلَّف للتبخير من أجل البصمات. استخدمت ستارلِنج الملقط لفتحه واستخراج محتوياته. كان هناك خمس صور بولارويد في المغلَّف،

وأخرجتها واحدة تلو واحدة. كانت الصور لرجل وامرأة يتضاجعان. لم تظهر أي رؤوس أو وجوه. التقطت المرأة اثنتين من الصور، والتقط الرجل اثنتين، وبدا أن واحدة قد التُقطت من الحامل ثلاثي القوائم الذي رُكِّب على المنضدة الجانبية للسرير.

كان من الصعب الحكم على الحجم في الصورة، لكن مع تلك ١٤٥ باوند المذهلة على إطار طويل، لا بد أن تكون المرأة كاثرين مارتن. ارتدى الرجل ما يبدو أنه خاتم من العاج المنحوت على قضيبه. دقة الصورة لم تكن حادة بما يكفي للكشف عن تفاصيله. كان الرجل قد خضع لاستئصال الزائدة الدودية. عبأت ستارلِنج الصور، كلًّا منها في كيس شطيرة، ووضعتها في مغلَّفها البني. أعادت الدرج إلى صندوق المجوهرات.

قال صوت من خلفها:

- الأشياء الجيدة لديَّ في محفظة جيبي. لا أعتقد أن أي شيء قد أُخذ.

نظرت ستارلِنج في المرآة. وقفت السيناتور روث مارتن على باب غرفة النوم. بدت مستنزفة.

التفتت ستارلِنج.

- مرحبًا يا سيناتور مارتن. هل ترغبين في الاستلقاء؟ أنا على وشك الانتهاء.

حتى لو كانت السيناتور مارتن منهكة، فقد كانت تتمتع بحضور كبير. تحت لمساتها الأخيرة الدقيقة، رأت ستارلِنج شخصًا لا يُقهر.

- مَن أنتِ من فضلك؟ ظننت أن الشرطة مرت هنا.

- أنا كلاريس ستارلِنج، مكتب التحقيقات الفدرالي. هل تكلمتِ مع الدكتور لِكتر أيتها السيناتور؟

- أعطاني اسمًا.

أشعلت السيناتور مارتن سيجارة، ونظرت إلى ستارلِنج من أعلى إلى أسفل.

- سنرى ما قيمته. ما الذي وجدتِه في صندوق المجوهرات أيتها الضابطة ستارلِنج؟ ما قيمته؟

- بعض الوثائق التي يمكننا التحقق منها في بضع دقائق.
كان هذا أفضل ما تمكنت ستارلِنج من فعله.
- في صندوق مجوهرات ابنتي؟ دعينا نرَها.
سمعت ستارلِنج أصواتًا في الغرفة المجاورة، وكانت تأمل في الحصول على مقاطعة.
- هل السيد كوبلي معكِ، عميل ممفيس الخاص في...
- لا، إنه ليس معي، وهذه ليست إجابة. لا أقصد إهانة أيتها الضابطة، لكنني سأرى ما أخرجتِه من صندوق مجوهرات ابنتي.
أدارت رأسها ونادت من فوق كتفها.
- بول. بول، هلَّا أتيت إلى هنا؟ ضابطة ستارلِنج، ربما تعرفين السيد كريندلر من وزارة العدل. بول، هذه هي الفتاة التي أرسلها جاك كروفورد إلى لِكتر.
كانت بقعة كريندلر الصلعاء مسمرَّة وبدا لائقًا في سن الأربعين. قالت ستارلِنج:
- سيد كريندلر، أعرف مَن أنت. مرحبًا.
ضابط الاتصال، مشغل الأسطوانات في القسم الجنائي بالكونجرس، مستكشف المشكلات ومصلحها، على الأقل مساعد نائب المدعي العام، يا إلهي المسيح، احفظ جسدي.
- وجدت الضابطة ستارلِنج شيئًا في صندوق مجوهرات ابنتي، ووضعته في مغلَّفها البني. أعتقد أن من الأفضل أن نرى ما هو، أليس كذلك؟
قال كريندلر:
- أيتها الضابطة.
- هل لي أن أتحدث إليك يا سيد كريندلر؟
- بالتأكيد يمكنك ذلك، لاحقًا.
مد يده.
كان وجه ستارلِنج ساخنًا. عرفت أن السيناتور مارتن لم تكن على طبيعتها، لكنها لن تغفر لكريندلر أبدًا الشك البادي في وجهه. أبدًا.

قالت ستارلِنج:

- لك هذا.

سلمته المغلَّف.

نظر كريندلر إلى الصورة الأولى وأغلق غطاء المغلَّف مرة أخرى عندما أخذت السيناتور مارتن المغلَّف من يديه. كانت مشاهدتها وهي تفحص الصور مؤلمة. عندما انتهت، ذهبت إلى النافذة ووقفت ووجهها إلى أعلى إلى السماء الملبدة بالغيوم، وعيناها مغمضتان. بدت عجوزًا في ضوء النهار وارتجفت يدها عندما حاولت التدخين. بدأ كريندلر الكلام:

- سيناتور، أنا...

قالت السيناتور مارتن:

- فتشت الشرطة هذه الغرفة. أنا متأكدة أنهم عثروا على تلك الصور ولديهم حس كافٍ لإعادتها وإغلاق أفواههم.

قالت ستارلِنج:

- لا لم يفعلوا.

المرأة مجروحة لكن، يا للجحيم.

- سيدة مارتن، علينا معرفة مَن هذا الرجل، يمكنك أن تري ذلك. إذا كان صديقها، فلا بأس. يمكنني معرفة ذلك في خمس دقائق. لا يحتاج أي شخص آخر إلى رؤية الصور، ولن تحتاج كاثرين إلى معرفة الأمر.

- سأهتم بالأمر.

وضعت السيناتور مارتن المغلَّف في حقيبتها، وتركها كريندلر تفعل ذلك.

سألت ستارلِنج:

- سيناتور، هل أخرجتِ المجوهرات من ثمرة الملفوف المطاطية في المطبخ؟

وضع مساعد السيناتور مارتن، برايَن جوسِدج، رأسه عند الباب.

- عفوًا يا سيناتور، لقد جهزوا جهاز العرض الطرفي. بوسعنا مشاهدتهم وهم يبحثون عن اسم ويليام روبين في مكتب التحقيقات الفدرالي.

قال كريندلر:

- تفضلي يا سيناتور مارتن. سأخرج في غضون ثانية.

غادرت روث مارتن الغرفة من دون الرد على سؤال ستارلِنج.

أتيحت الفرصة لستارلِنج للنظر إلى كريندلر بينما كان يغلق باب غرفة النوم. كانت بدلته انتصارًا للتفصيل باستخدام أسلوب خياطة الإبرة المنفردة الفاخر ولم يكن مسلحًا. كان البريق يلمع في نصف بوصة أسفل كعبيه من المشي على سجاد أكثر عمقًا، وكانت حواف الكعب حادة.

وقف للحظة ويده على مقبض الباب، رأسه منكس. قال عندما استدار:

- كان ذلك بحثًا جيدًا.

لم تكن ستارلِنج لتتلقى هذا بازدراء. بادلته النظر.

قال كريندلر:

- لقد أخرجوا مفتشين مهرة في كوانتِكو.

- إنهم لا يتحولون إلى لصوص.

قال:

- أعرف ذلك.

- من الصعب أن تقول ذلك.

- انسي الأمر.

قالت:

- سنتابع الصور والملفوف المطاطي، أليس كذلك؟

- بلى.

- ما حكاية اسم «ويليام روبين» يا سيد كريندلر؟

- يقول لِكتر إنه اسم بافالو بيل. هذا ما أرسلناه إلى قسم تحديد الهوية والمركز الوطني للمعلومات الجنائية. ألقي نظرة على هذا.

أعطاها نسخة من مقابلة لِكتر مع السيناتور مارتن، نسخة ضبابية من طابعة نقطية.

قال عندما انتهت من القراءة:

- أي أفكار؟

قالت ستارلِنج:

- لا يوجد شيء هنا سيضطر إلى الندم على قوله. يقول إنه رجل أبيض اسمه بيلي روبين كان مصابًا بالجمرة الخبيثة من عاج الفيل. لا يمكنك إمساك كذبة عليه هنا، بصرف النظر عما يحدث. في أسوأ الأحوال، سيكون مخطئًا فحسب. أتمنى أن يكون هذا صحيحًا. لكنه بإمكانه أن يلهو بها. سيد كريندلر، إنه قادر تمامًا على ذلك. هل... التقيته من قبل؟

هز كريندلر رأسه ونخر الهواء من أنفه.

- الدكتور لِكتر قتل تسعة أشخاص نعرف بشأنهم. إنه لن يتحرك، مهما فعل، بمقدوره إحياء الموتى ولن يسمحوا له بالخروج. لذلك كل ما تبقى له هو اللهو. لهذا كنا نتلاعب به...

- أعرف كيف كنتم تتلاعبون به. سمعت شريط تشيلتون. أنا لا أقول إن ذلك كان خطأً، أنا أقول إنه انتهى. يمكن للعلوم السلوكية أن تتابع ما حصلتم عليه - زاوية المتحولين جنسيًّا - إذا كان لهذا قيمة. وأنتِ ستعودين إلى المدرسة في كوانتِكو غدًا.

يا للهول.

- لقد وجدتُ شيئًا آخر.

كانت الورقة الملونة موضوعة على السرير من دون أن يلاحظها أحد. أعطتها له.

- ما هذا؟

- تبدو كأنها ورقة مكونة من كلاب بلوتو.

جعلته يسأل عن البقية. أشار إلى طلب المعلومات بيده.

- أنا متأكدة أنه حمض النشاف. LSD. ربما منذ منتصف السبعينيات أو قبل ذلك. إنه أمر غريب الآن. الأمر يستحق معرفة من أين حصلت عليه. يجب علينا اختباره للتأكد.

- يمكنكِ إعادته إلى واشنطن وإعطاؤه للمختبر. ستذهبين في غضون بضع دقائق.

- إذا كنت لا تريد الانتظار، فيمكننا فعل ذلك الآن باستخدام معدات ميدانية. إذا كانت لدى الشرطة مجموعة قياسية للتعرُّف على المخدرات، إنه اختبار «J»، يستغرق ثانيتين، يمكننا...

قال وهو يفتح الباب:

- عودي إلى واشنطن، عودي إلى المدرسة.

- أعطاني السيد كروفورد تعليمات...

- تعليماتك هي ما أخبركِ به. لستِ تحت إشراف جاك كروفورد الآن. لقد عدتِ تحت الإشراف نفسه مثل أي متدرب آخر في الحال، والعمل الذي يخصك في كوانتِكو، هل تفهمينني؟ هناك طائرة في الثانية وعشر دقائق. كوني على متنها.

- سيد كريندلر، الدكتور لِكتر تكلم معي بعد أن رفض التكلم مع شرطة بالتيمور. قد يفعل ذلك مرة أخرى. فكر السيد كروفورد...

أغلق كريندلر الباب مجددًا، أقوى من اللازم.

- ضابطة ستارلِنج، لست مضطرًّا إلى شرح وجهة نظري لكِ، لكن استمعي إليَّ. دور إفادة العلوم السلوكية استشاري، كان كذلك دائمًا. وسيرجع إلى أن يكون كذلك. جاك كروفورد يجب أن يكون في إجازة للظروف الإنسانية على أي حال. أنا مندهش من أنه كان قادرًا على الأداء جيدًا كما فعل. لقد انتهز فرصة حمقاء مع هذا الأمر، وأخفاها عن السيناتور مارتن، وقطع صلاته مع الجميع. حتى هي لا تستطيع إيذاءه بأي قدر، مع سجله، وهو قريب إلى هذا الحد من التقاعد. لذلك لن أقلق بشأن معاشه، لو كنتُ مكانكِ.

فقدت ستارلِنج تركيزها قليلًا.

- هل لديك شخص آخر قبض على ثلاثة قتلة متسلسلين؟ هل تعرف أي

شخص آخر قبض على قاتل متسلسل واحد؟ لا يجب أن تدعها تدير هذا الأمر يا سيد كريندلر.

- لا بد أنك طفلة ذكية، وإلا لن يتكلف كروفورد العناء معك، لذا سأخبرك مرة واحدة: افعلي شيئًا حيال هذا الفم أو سيضعك في عنبر السكرتارية. ألا تفهمين؟ السبب الوحيد لإرسالك إلى لِكتر منذ البداية هو الحصول على بعض الأخبار لمديرك لاستخدامها في مبنى الكونجرس. أشياء لا ضرر منها في الجرائم الكبرى، «السبق الصحفي من الداخل» عن الدكتور لِكتر، يسلم هذه الأشياء مثل حلوى الجيب بينما يحاول تمرير الميزانية. انطلى الأمر على أعضاء الكونجرس: يسلُّون الآخرين به في دعوات العشاء. لقد تجاوزت حدودك يا ضابطة ستارلِنج، وأنت خارج هذه القضية. أعلم أنك حصلت على بطاقة هوية تكميلية. دعينا نحصل عليها.
- أحتاج إلى بطاقة الهوية لأطير بالمسدس. المسدس ملك لكوانتِكو.
- مسدس. يا يسوع. سلمي بطاقة الهوية بمجرد عودتك.

اجتمعت السيناتور مارتن وجوسِدج وأحد الفنيين وكثير من رجال الشرطة حول جهاز عرض طرفي مع جهاز مودم متصل بالهاتف. احتفظ الخط الساخن بالمركز الوطني لمعلومات الجريمة بسجل مستمر يفيد التقدم، حيث عولجت معلومات الدكتور لِكتر في واشنطن. فيما يلي أخبار من المراكز الوطنية لمكافحة الأمراض في أتلانتا: تُلتقط الجمرة الخبيثة من عاج الفيل عن طريق استنشاق الغبار من طحن العاج الأفريقي، عادة لمقابض الزينة. مرض يُصاب به صانعو السكاكين في الولايات المتحدة.

عند سماع كلمة «صانعو السكاكين»، أغمضت السيناتور مارتن عينيها. كانتا ساخنتين وجافتين. ضغطت على منديل كلينكس في يدها. كان الجندي الشاب الذي سمح لستارلِنج بالدخول إلى الشقة يحضر للسيناتور فنجانًا من القهوة. ما زال معتمرًا قبعته. ستشعر ستارلِنج بالازدراء إذا تسللت إلى الخارج. توقفت أمام المرأة وقالت:

- حظًّا سعيدًا يا سيناتور. آمل أن تكون كاثرين بخير.

أومأت السيناتور مارتن برأسها من دون أن تنظر إليها. حث كريندلر ستارلِنج على الخروج.

قال الجندي الشاب وهي تغادر الغرفة:

- لم أكن أعلم أنه لا يُفترض بها الوجود هنا.

خرج كريندلر معها. قال:

- لا أكنُّ سوى الاحترام لجاك كروفورد. من فضلك أخبريه كم نحن آسفون جميعًا... مشكلة بيلًّا، وكل ذلك. الآن دعينا نعُد إلى المدرسة وننشغل، حسنًا؟

- وداعًا يا سيد كريندلر.

ثم كانت وحيدة في ساحة انتظار السيارات، مع شعور مزلزل بأنها لا تفهم شيئًا على الإطلاق في هذا العالم.

شاهدت حمامة تتجول تحت السيارات المجهزة للسكن والقوارب. التقطت قشرة فول سوداني وأعادتها إلى أسفل. نفشت الريح الرطبة ريشاتها.

تمنت ستارلِنج أن تتمكن من التكلم مع كروفورد. الإهدار والغباء يجلبان لك الأسوأ، هذا ما قاله. استفيدي من هذا الوقت وسيخفف عنك. الآن أصعب اختبار، عدم السماح للسخط والإحباط بمنعك من التفكير. إنه جوهر ما إذا كنت تستطيعين القيادة أم لا.

لم تهتم بالقيادة. اكتشفت أنها لم تهتم أو تكترث، بشأن كونها العميلة الخاصة ستارلِنج. ليس إذا لعبتَ بهذه الطريقة.

فكرت في الفتاة الفقيرة، البدينة، الحزينة، الميتة التي رأتها على الطاولة في دار الجنازات في بوتر، في وِست فرجينيا. طلت أظافرها بطلاء لامع مثل قوارب التزلج اللعينة المتخلفة تلك.

ماذا كان اسمها؟ كيمبرلي.

اللعنة إذا كان هؤلاء السفلة سيرونني أبكي.

يا يسوع، الجميع كنَّ يُدعَين كيمبرلي، أربع في فصلها. ثلاث رفيقات يُدعَين شون. حاولت كيمبرلي باسمها المنتشر في المسلسلات السطحية الإصلاح من شأنها، ثقبت كل تلك الحفر في أذنيها في محاولة أن تبدو جميلة، في محاولة لتزيين نفسها. ونظر بافالو بيل إلى ثدييها المسطحين البائسين وألصق فوهة البندقية بينهما وفجر نجمة البحر في صدرها.

كيمبرلي، أختها الحزينة السمينة التي أزالت شعر ساقيها بالشمع. لا عجب، بالحكم على وجهها وذراعيها وساقيها، كانت بشرتها هي أفضل ميزاتها. كيمبرلي، هل أنتِ غاضبة في مكان ما؟ لا يبحث عنها أعضاء في مجلس الشيوخ. لا طائرات لتحمل الرجال المجانين من مكان إلى آخر. مجانين كلمة لم يكن يُفترض أن تستخدمها. كثير من الأشياء لم يكن يُفترض أن تفعلها. رجال مجانين.

نظرت ستارلِنج إلى ساعتها. ما زال أمامها ساعة ونصف الساعة قبل الطائرة، وكان هناك شيء واحد صغير بإمكانها فعله. أرادت أن تنظر إلى وجه الدكتور لِكتر حين قال «بيلي روبين». إذا كان بإمكانها تحمل مواجهة تلكما العينين الكستنائيتين الغريبتين فترة كافية، إذا نظرت بعمق حيث يمتص الظلام الشرر، فقد ترى شيئًا مفيدًا. ظنت أنها قد ترى البهجة.

شكرًا للرب أن بطاقة الهوية ما زالت لديَّ.

دهست اثنتي عشرة قدمًا من مصدات التوقف المطاطة في أثناء انسحابها من ساحة انتظار السيارات.

٣٥

جفت دمعتا غضب على وجنتَي كلاريس ستارلِنج وهي تقود سيارتها في عجلة عبر حركة المرور الخطرة في ممفيس. شعرت بأنها طافية وحرة على نحو غريب الآن. حذرها وضوح غير طبيعي في رؤيتها أنها ميالة إلى القتال، لذا كانت حذرة من نفسها.

كانت قد مرت بسراي المحكمة القديمة في وقت سابق في طريقها من المطار، ووجدتها مرة أخرى من دون عناء.

لم تخاطر سلطات تينيسي مع هانيبال لِكتر. كانوا مصممين على احتجازه بأمان من دون تعريضه لأخطار سجن المدينة.

كانت إجابتهم هي مبنى المحكمة والسجن السابق، وهو هيكل ضخم على الطراز القوطي مبني من الجرانيت عندما كان العمل مجانيًّا. استُخدم الآن مبنى للبلدية، وقد رُمِّم على نحو مبالغ فيه إلى حدٍّ ما في هذه المدينة المزدهرة الواعية بالتاريخ.

اليوم بدا كأنه حصن من العصور الوسطى محاط بالشرطة.

ازدحمت ساحة انتظار السيارات بمزيج من مركبات إنفاذ القانون: دوريات الطرق السريعة، وإدارة مأمور مقاطعة شيلبي، ومكتب التحقيقات في تينيسي، وإدارة الإصلاحيات. كان لا بد من تجاوز نقطة شرطة قبل أن تتمكن ستارلِنج من الدخول لإيقاف سيارتها المستأجرة.

أثار الدكتور لِكتر مشكلة أمنية إضافية من الخارج. وردت مكالمات التهديد

منذ أن أبلغت نشرات الأخبار في منتصف الصباح بمكان وجوده. كان لضحاياه كثير من الأصدقاء والأقارب الذين يرغبون في رؤيته ميتًا.

أملت ستارلِنج ألا يكون عميل مكتب التحقيقات الفدرالي المقيم، كوبلي، هنا. لم تُرِد أن تسبب له المتاعب.

رأت مؤخرة رأس تشيلتون في زمرة من المراسلين على العشب بجانب سلالم الدرج الرئيسي. في الحشد اثنتان من الكاميرات التلفزيونية الصغيرة. تمنت ستارلِنج لو أن رأسها مغطى. أدارت وجهها بعيدًا عندما اقتربت من مدخل البرج.

فحص أحد أفراد قوات الشرطة المتمركزة أمام الباب بطاقة هويتها قبل أن تتمكن من دخول البهو. يبدو بهو البرج الآن كأنه غرفة حراسة. تمركز شرطي من المدينة عند مصعد البرج الوحيد، والآخر على الدرَج. قرأ جنود الولاية، بدلاء وحدات الدوريات المتمركزة حول المبنى، صحيفة كومِرشال أبيل على الأرائك حيث لم يتمكن الجمهور من رؤيتهم.

رقيب يعمل على المكتب المقابل للمصعد. كُتب على بطاقة اسمه **تايت، س. ل.**

قال الرقيب تايت عندما رأى ستارلِنج:

- لا صحافة.

قالت:

- لا.

قال عندما نظر إلى بطاقتها:

- هل أنتِ مع جماعة المدعي العام؟

قالت:

- نائب مساعد المدعي العام كريندلر. لقد تركته للتو.

أومأ برأسه:

- جاءنا رجال شرطة من كل نوع في وِست تينيسي هنا يريدون إلقاء نظرة

على الدكتور لِكتر. لا نرى شيئًا كهذا كثيرًا، شكرًا للرب. عليك أن تتحدثي إلى الدكتور تشيلتون قبل أن تصعدي.

قالت ستارلِنج:

- رأيته بالخارج. كنا نعمل على هذا في بالتيمور في وقت سابق اليوم. هل هذا هو المكان الذي أسجل فيه الدخول أيها الرقيب تايت؟

فحص الرقيب ضرسًا بلسانه لوهلة. قال:

- هناك بالضبط. قواعد الاعتقال يا آنسة. الزوَّار يودعون الأسلحة، رجال شرطة أم لا.

أومأت ستارلِنج. ألقت الخراطيش من مسدسها، الرقيب سعيد بمشاهدة يديها تتحركان على السلاح. أعطته إياه مقدمة عقبه، وأغلق عليه في درجه.

- فيرنون، اصطحبها إلى أعلى.

ضغط ثلاثة أرقام وتحدث باسمها في الهاتف.

أصدر المصعد، الإضافة من عشرينيات القرن الماضي، صريرًا حتى الطابق العلوي. فُتح على بسطة سلم وممر قصير.

قال الجندي:

- مباشرة إلى الأمام يا سيدتي.

كُتب بالطلاء على زجاج الباب المصنفر. **المجمع التاريخي بمقاطعة شيلبي.**

كان الطابق العلوي من البرج بأكمله تقريبًا عبارة عن غرفة واحدة من ثماني أضلاع مطلية باللون الأبيض، بأرضية وأفاريز من خشب البلوط المصقول. تفوح منها رائحة الشمع والمادة اللاصقة. بأثاثها القليل، اتسمت الغرفة بشعور إضافي، تجمعي كنسي. تبدو الآن أفضل مما كانت عليه في أي وقت مضى بوصفها مكتب كاتب محكمة.

كان في الخدمة رجلان يرتديان الزي الرسمي لإدارة الإصلاحيات بولاية تينيسي. وقف الأصغر عند مكتبه عندما دخلت ستارلِنج. جلس الأكبر على كرسي قابل للطي في أقصى نهاية الغرفة، مواجهًا باب الزنزانة. كان مراقب الانتحار.

قال الضابط الواقف عند المكتب:

- هل أنتِ مخوَّلة بالتكلم مع السجين يا سيدتي؟

كُتب على بطاقة اسمه بيمبري، ت. و. وتضمنت مجموعة مكتبه هاتفًا، وهراوتَي شغب، وبخاخة كيميائية للدفاع عن النفس من تصنيع مايس. وقفت عصا تكبيل طويلة في الزاوية خلفه.

قالت ستارلِنج:

- نعم. لقد استجوبته من قبل.

- هل تعرفين القواعد؟ لا تتجاوزي الحاجز.

- قطعًا.

كان اللون الوحيد في الغرفة لحاجز المرور التابع للشرطة، وهو عبارة عن حصان لنشر الخشب مخطط باللونين البرتقالي والأصفر، ومثبتة عليه ومضات صفراء مستديرة، أوقف تشغيلها الآن. وقفت على الأرضية المصقولة على بُعد خمس أقدام أمام باب الزنزانة. عُلِّقت أغراض الطبيب على مشجب معاطف قريب: قناع الهوكي، وشيء لم يسبق لستارلِنج رؤيته من قبل، سترة مشنقة كانساس. مصنوعة من الجلد الثقيل، مع أغلال معصم مزدوجة القفل عند الخصر وأبازيم في الخلف، قد تكون الملابس الأكثر تقييدًا في العالم. عُلق القناع والسترة السوداء من مؤخرة العنق على مشجب المعاطف، مما شكَّل تركيبة مزعجة على الحائط الأبيض.

استطاعت ستارلِنج رؤية الدكتور لِكتر وهي تقترب من الزنزانة. كان يقرأ وهو جالس إلى طاولة صغيرة مثبتة على الأرض. أولى ظهره إلى الباب. لديه عدد من الكتب ونسخة من الملف الحالي لقضية بافالو بيل كانت قد أعطته إياها في بالتيمور. رُبط مشغل كاسيت صغير بساق المنضدة. كم هو غريب رؤيته خارج المصحة.

كانت ستارلِنج قد رأت زنازين مثل هذه من قبل وهي طفلة. صُنعت سابقًا من إنتاج شركة سانت لويس في نهاية القرن، ولم يبنِها أحد أفضل منهم على الإطلاق،

قفص تركيبي من الصلب المقوى يحوِّل أي غرفة إلى زنزانة. الأرضية عبارة عن صفائح فولاذية موضوعة فوق قضبان، واصطفت القضبان المشكلة على البارد على جدران الغرفة وسقفها بالكامل. لم تكن هناك نافذة. كانت الزنزانة ناصعة البياض ومضاءة على نحو ساطع. انتصب ساتر ورقي واهٍ أمام المرحاض.

جعلت هذه القضبان البيضاء الجدران مضلعة. كان للدكتور لِكتر رأس داكن أملس.

إنه ثعلب مقبرة. يعيش في قاع قفص صدري في قلب مكوَّن من الأوراق الجافة.

رمشت لتبعد الأمر عن ذهنها.

قال من دون أن يلتفت:

- صباح الخير يا كلاريس.

أنهى صفحته، وضع علامة على مكانه ودار في كرسيه ليواجهها، ساعداه على ظهر الكرسي، ذقنه مستقر عليهما.

- يخبرنا ألكسندر دوما بأن إضافة غراب إلى المرق في الخريف، عندما يسمن الغراب على توت شجرة العرعر، يحسِّن إلى حدٍّ كبير لون المرق ونكهته. وأنتِ، كيف تفضلينه في الحساء يا كلاريس؟

- اعتقدت أنك قد ترغب في رسوماتك، والأغراض من زنزانتك، فقط حتى تحصل على المنظر الذي أردته.

- يا لها من مراعاة. الدكتور تشيلتون مبتهج بشأن إبعادكِ أنت وجاك كروفورد عن القضية. أم أنهم أرسلوكِ من أجل تملق أخير؟

مشى ضابط مراقبة الانتحار إلى الخلف للتحدث إلى الضابط بيمبري عند المكتب. أملت ستارلِنج ألا يسمعا.

- لم يرسلوني. لقد أتيتُ بنفسي.

- سيقول الناس إننا في حالة حب. ألا تريدين أن تسألي عن بيلي روبين يا كلاريس؟

- دكتور لِكتر، من دون... تفنيد ما قلتَه للسيناتور مارتن بأي شكل من الأشكال، هل تنصحني بالاستمرار في فكرتك عن...
- تفنيد، أحب ذلك. لن أنصحك أبدًا. لقد حاولتِ خداعي يا كلاريس. هل تعتقدين أنني ألعب مع هؤلاء الأشخاص؟
- أعتقد أنك كنت تخبرني بالحقيقة.
- من المؤسف أنكِ حاولت خداعي، أليس كذلك؟
غرق وجه الدكتور لِكتر خلف ذراعيه حتى صارت عيناه فقط مرئيتين.
- من المؤسف أن كاثرين مارتن لن ترى الشمس مرة أخرى. الشمس حريق فِراش مات فيه ربها، يا كلاريس.
قالت ستارلِنج:
- من المؤسف أن عليك أن تستغل ضعف الآخرين الآن، وتلعق بضع دمعات عندما تستطيع ذلك. أمر مؤسف أننا لم نتمكن من إنهاء ما كنا نتحدث عنه. كان لفكرتك عن الإيماجو المجنحة اليافعة، لبنية تلك الفكرة، نوع من... الأناقة التي يصعب نسيانها. إنها الآن مثل الأطلال، نصف قوس منتصب هناك.
- نصف قوس لن ينتصب. بالحديث عن الأقواس، هل ما زالوا يسمحون لكِ بالسير في طريقك يا كلاريس؟ هل أخذوا شارتك؟
- لا.
- ما هذا الذي تحت سترتك، ساعة حارس مثل ساعة أبيك؟
- لا، هذا ملقم ذخيرة سريع.
- إذن تتجولين وأنتِ مسلحة؟
- نعم.
- إذن عليكِ أن تتركي سترتك حرة. هل تمارسين الخياطة؟
- نعم.
- هل خيطتِ هذا الزي؟

- لا. دكتور لِكتر، أنت تكتشف كل شيء. لا يمكن أنك قد تحدثت بهذا القرب مع «بيلي روبين» ثم تخرج من الأمر بمعرفة القليل جدًّا عنه.
- ألا تعتقدين ذلك؟
- إذا قابلته، فأنت تعرف كل شيء. لكن تصادف اليوم أن تتذكر تفصيلة واحدة فقط. أُصيب بالجمرة الخبيثة من عاج الفيل. كان يجب أن تراهم يقفزون عندما قال مكتب أتلانتا إنه مرض يصيب صانعي السكاكين. لقد ابتلعوها، تمامًا كما عرفتَ أنهم سيفعلون. كان يجب أن تحصل على جناح في فندق بيبودي من أجل ذلك. دكتور لِكتر، إذا قابلته فأنت تعرف عنه أمورًا. أعتقد أنك ربما لم تقابله وأخبرك راسبايل عنه. لن تُباع أمور مقتبسة مثل تلك للسيناتور مارتن، أليس كذلك؟
ألقت ستارلِنج نظرة سريعة فوق كتفها. كان أحد الضباط يُري الآخر شيئًا في مجلة جانز أند أمو.
- كان لديك المزيد لتخبرني به في بالتيمور يا دكتور لِكتر. أعتقد أن هذه الأمور كانت وجيهة. أخبرني بالباقي.
- لقد قرأتُ القضايا يا كلاريس، هل قرأتِها؟ كل ما تحتاجين إلى معرفته للعثور عليه موجود هناك، إذا كنتِ منتبهة. حتى المفتش الفخري كروفورد كان يجب أن يتوصل إليه. بالمناسبة، هل قرأت خطاب كروفورد المذهل في العام الماضي إلى الأكاديمية الوطنية للشرطة؟ منطلقًا من تأملات ماركوس أوريليوس عن الخدمة والشرف والثبات، سنرى أي نوع من الفلاسفة الرواقيين سيكون كروفورد عندما تموت بيلّا. إنه ينسخ فلسفته من كتاب بارتلت فاميليار كوتيشنز، على ما أعتقد. إذا فهم ماركوس أوريليوس، فربما يحل قضيته.
- قل لي كيف.
- عندما تُظهرين الوميض المتفرد النابع من ذكاء التعامل مع سياق الموقف، أنسى أن جيلك لا يستطيع القراءة يا كلاريس. ينصح الإمبراطور بالبساطة.

المبادئ الأولى. عن كل شيء بعينه، اسألي: ما هو في حد ذاته، في تكوينه الخاص؟ ما طبيعته السببية؟

- هذا لا يعني أي شيء بالنسبة إليَّ.

- ماذا يفعل، الرجل الذي تريدينه؟

- يقتل...

- آه...

قالها بحدة مشيحًا بوجهه للحظة عن الخطأ العنيد لحكمها.

- هذا أمر عرَضي. ما الشيء الأول والأساسي الذي يفعله؟ ما الحاجة التي يلبيها بالقتل؟

- غضب، استياء اجتماعي، إحباط جنسي...

- لا.

- ماذا إذن؟

- إنه يشتهي. في الواقع، إنه يشتهي أن يكون الشيء نفسه الذي أنتِ عليه. إنها طبيعته أن يشتهي. كيف نبدأ بالاشتهاء يا كلاريس؟ هل نبحث عن الأشياء كي نشتهيها؟ ابذلي جهدًا في الإجابة.

- لا. نحن فقط...

- لا. على وجه التحديد لا. نحن نبدأ باشتهاء ما نراه كل يوم. ألا تشعرين بأن الأعين تتحرك فوقك كل يوم يا كلاريس، في اللقاءات العرَضية؟ من الصعب أن أرى كيف لا يمكنك ذلك. وألا تتحرك عيناك فوق أشياء؟

- حسنًا، أخبرني كيف...

- حان دورك لتخبريني يا كلاريس. ليست لديك أي إجازات على الشاطئ في محطة أمراض الحافر والفم كي تقدميها لي بعد الآن. إنها خدمة مقابل خدمة على نحو قاطع من الآن فصاعدًا. يجب أن أكون حريصًا في التعامل معك. أخبريني يا كلاريس.

- أخبرك بماذا؟

- بالأمرين اللذين تدينين لي بهما من قبل. ما حدث لك وللفرس، وماذا تفعلين بغضبك.
- دكتور لِكتر، عندما يكون هناك وقت سوف...
- نحن لا نحسب الوقت بالطريقة نفسها يا كلاريس. هذا هو كل الوقت الذي لديك.
- لاحقًا، استمع، سوف...
- سأستمع \الآن. بعد عامين من وفاة والدك، أرسلتك والدتك للعيش مع ابنة عمها وزوجها في مزرعة في مونتانا. كان عمرك عشر سنوات. اكتشفتِ أنهما يسمِّنان الخيول للذبح. هربت مع فرس لا تستطيع الرؤية جيدًا. و؟
- ... كان الوقت صيفًا وبوسعنا النوم بالخارج. وصلنا بعيدًا إلى مدينة بوزمان عبر طريق خلفي.
- هل كان للفرس اسم؟
- من المحتمل، لكنهما لا... لا تكتشف ذلك عندما تسمِّن الخيول للذبح. دعوتها هانا، بدا ذلك اسمًا جيدًا.
- هل كنتِ تقودينها أم تمتطينها؟
- بعض من كليهما. كان عليَّ أن أقودها إلى جانب سياج لأتسلقه ثم أمتطيها.
- ركبتِ وسرت إلى بوزمان.
- كان هناك إسطبل للعناية بالخيول، ومزرعة للترفيه، وأكاديمية لركوب الخيل، خارج البلدة نوعًا ما. حاولت أن أرى ما إذا كانوا يقبلون الاحتفاظ بها. كان المقابل عشرين دولارًا أسبوعيًّا للإقامة في الفناء المسيَّج. مبلغ أكبر من ذلك من أجل كشك. أمكنهم المعرفة فورًا أنها لا تستطيع الرؤية. قلت حسنًا، سأقودها في المكان. يمكن للأطفال الصغار الجلوس عليها وسأقودها في أثناء ممارسة أهلهم، كما تعرف، ركوب الخيل المعتاد. يمكنني البقاء هنا وتنظيف الأكشاك. أحدهم، الرجل، وافق على كل ما قلته بينما اتصلت زوجته بالمأمور.

- كان المأمور شرطيًّا، مثل والدك.
- لم يمنعني ذلك من الخوف منه، في البداية. كان وجهه أحمر كبيرًا. دفع المأمور أخيرًا عشرين دولارًا للإقامة لمدة أسبوع ريثما «يسوي الأمور». قال إنه لا فائدة من تخصيص الكشك في الطقس الدافئ. التقطت الصحف الخبر. كان هناك لغو في الموضوع. وافقت ابنة عم أمي على السماح لي بالرحيل. انتهى بي المطاف بالذهاب إلى الدار اللوثرية في بوزمان.
- هل هي دار للأيتام؟
- نعم.
- وهانا؟
- ذهبت أيضًا. وفر صاحب مزرعة لوثري كبير القشّ. كان لديهم بالفعل حظيرة في دار الأيتام. حرثنا الحديقة بها. يجب عليك أن تراقب إلى أين كانت تذهب، مع ذلك. كانت تمشي خلال تعريشات الفاصوليا وتدوس على أي نوع من النباتات أقصر من أن تشعر به على ساقيها. وقدناها في الأنحاء لجر الأطفال في عربة.
- ماتت على الرغم من ذلك.
- نعم.
- أخبريني عن ذلك.
- كان ذلك العام الماضي، كتبوا لي في المدرسة. يعتقدون أنها كانت في الثانية والعشرين من عمرها. جرت عربة مليئة بالأطفال في آخر يوم عاشته، وماتت في أثناء نومها.

بدا الدكتور لِكتر محبطًا. قال:
- يا لها من قصة مؤثرة. هل ضاجعك والدك بالتبني في مونتانا يا كلاريس؟
- لا.
- هل حاول؟
- لا.

- ما الذي جعلك تهربين مع الفرس؟
- كانوا سيقتلونها.
- هل عرفتِ متى؟
- ليس بالضبط. أقلقني ذلك طوال الوقت. كانت تزداد سمنة.
- ما الذي أثارك إذن؟ ما الذي دفعك إلى الانطلاق في ذلك اليوم تحديدًا؟
- لا أعرف.
- أعتقد أنكِ تعرفين.
- لقد كنت قلقة بشأنها طوال الوقت.
- ما الذي دفعك إلى الانطلاق يا كلاريس؟ في أي وقت بدأتِ؟
- مبكرًا. ما زال الظلام مخيمًا.
- إذن أيقظك شيء ما. ما الذي أيقظك؟ هل حلمت؟ ماذا كان الحلم؟
- استيقظتُ وسمعت صراخ الحملان. استيقظتُ في الظلام والحملان تصرخ.
- كانوا يذبحون حملان الربيع؟
- نعم.
- ماذا فعلتِ؟
- لم أستطع فعل أي شيء من أجلها. كنت فقط...
- ماذا فعلت بالفرس؟
- ارتديت ملابسي من دون أن أشعل الضوء وخرجت. كانت خائفة. كانت جميع الخيول خائفة وتتجول في المربض. نفختُ في أنفها وعرفَت أن هذا أنا. أخيرًا وضعت أنفها في يدي. كانت الأنوار مضاءة في الحظيرة وفي السقيفة بجوار مربض الأغنام. مصابيح مكشوفة، ظلال كبيرة. أتت شاحنة التبريد وكانت متوقفة، وتزمجر. قدتُ الفرس بعيدًا.
- هل أسرجتِها؟
- لا، لم آخذ سرجها. كل ما أخذته رسن من حبل.

- في أثناء مغادرتك في الظلام، هل أمكنك سماع الحملان بالخلف حيث كانت الأضواء؟

- ليس لوقت طويل. لم يكن هناك سوى اثني عشر حمَلًا.

- ما زلت تستيقظين أحيانًا، أليس كذلك؟ تستيقظين في الظلام الحديدي مع صراخ الحملان؟

- أحيانًا.

- هل تعتقدين أنك إذا أمسكت بافالو بيل بنفسك، وإذا جعلت كاثرين بخير، فيمكنك أن تجعلي الحملان تتوقف عن الصراخ؟ هل تعتقدين أنها ستكون بخير أيضًا ولن تستيقظي مرة أخرى في الظلام ولن تسمعي صوت صراخ الحملان؟ يا كلاريس؟

- نعم، لا أعرف. ربما.

- شكرًا لكِ يا كلاريس.

بدا الدكتور لِكتر في سلام على نحو غريب.

قالت ستارلِنج:

- أخبرني باسمه يا دكتور لِكتر.

قال لِكتر:

- دكتور تشيلتون، أعتقد أنكما تعرفان بعضكما.

للحظة، لم تدرك ستارلِنج أن تشيلتون كان وراءها.

ثم أمسك مرفقها.

استعادت مرفقها منه. كان الضابط بيمبري وشريكه الضخم يرافقان تشيلتون.

قال تشيلتون:

- إلى المصعد.

كان وجهه مبرقشًا بالأحمر.

قال الدكتور لِكتر:

- هل تعلمين أن الدكتور تشيلتون ليست لديه شهادة في الطب؟ من فضلك ضعي ذلك في الحسبان فيما بعد.

قال تشيلتون:

- لنذهب.

قالت ستارلِنج:

- أنت لست مسؤولًا هنا يا دكتور تشيلتون.

التف الضابط بيمبري حول تشيلتون:

- لا يا سيدتي، لكنني كذلك. اتصل برئيسي ورئيسك. أنا آسف، لكن لديَّ أوامر بمرافقتك إلى الخارج. تعالي معي الآن.

- وداعًا يا كلاريس. هل ستدعينني أعرف إذا توقفت الحملان عن الصراخ؟

- نعم.

كان بيمبري يمسك ذراعها. إما الذهاب وإما مقاومته.

قالت:

- نعم. سأخبرك.

- هل تعدين؟

- نعم.

- فلماذا لا تُنهين القوس؟ خذي ملف قضيتك معكِ يا كلاريس، لن أحتاج إليه بعد الآن.

أمسك الملف بطول ذراعه من خلال القضبان، وسبابته ممدودة. مدت يدها عبر الحاجز وأخذت الملف. للحظة، لمس طرف سبابتها طرف سبابة الدكتور لِكتر. لاح جيَشان اللمسة في عينيه.

- شكرًا لك يا كلاريس.

- شكرًا لك يا دكتور لِكتر.

وظل في ذهن ستارلِنج على هذا النحو. التُقطت صورته في اللحظة التي لم

يسخر فيها. واقفًا في زنزانته البيضاء، مقوسًا مثل راقص، يداه متشابكتان أمامه ورأسه إلى الجنب قليلًا.

تجاوزت مطبًّا سريعًا في المطار بسرعة كافية لتضرب رأسها بسقف السيارة، واضطرت إلى الركض إلى الطائرة التي أمرها كريندلر باللحاق بها.

٣٦

كان الضابطان بيمبري وبويل رجلين ذوي خبرة استُقدما خصيصًا من سجن براشي ماونتن الحكومي ليكونا حارسَي الدكتور لِكتر. كانا هادئين وحذرين ولم يشعرا بأنهما بحاجة إلى أن يشرح لهما الدكتور تشيلتون مهمتهما.

لقد وصلا إلى ممفيس قبل لِكتر وفحصا الزنزانة بدقة. عندما أُحضر الدكتور لِكتر إلى سراي المحكمة القديمة، فحصاه أيضًا. أُخضع إلى فحص جسدي داخلي على يد ممرض ذكر بينما كان في قيوده. فُتشت ملابسه بدقة ومُرِّر كاشف المعادن على الثنيات.

توصل بويل وبيمبري إلى تفاهم معه، وتحدثا بنبرة منخفضة، ونبرات متحضرة قريبة من أذنيه في أثناء فحصه.

- دكتور لِكتر، يمكننا أن نكون على وفاق تام. سنعاملك جيدًا كما تعاملنا. تصرف مثل رجل نبيل وستحصل على مثلجات إيسكيمو باي. لكننا لن نتصرف بخوف حولك يا صاحبي. حاوِل أن تعض، ولن نتركك إلا بعد أن تصبح مؤدبًا. يبدو أنك حصلت على شيء جيد هنا. أنت لا تريد أن تفسد الأمر، أليس كذلك؟

جعد الدكتور لِكتر عينيه عليهما بطريقة ودية. إذا كان ميالًا إلى الرد لكان الوتد الخشبي بين أضراسه قد منعه بينما كان الممرض يسلط مصباحًا يدويًا في فمه ويضع إصبعًا وهو يرتدي قفازًا في خديه.

أطلق جهاز الكشف عن المعادن صفيرًا على خديه. سأل الممرض:

- ما هذا؟

قال بيمبري:

- حشوات. اسحب شفته إلى الخلف هناك. لقد وضعت كمية كبيرة على الضروس بالخلف، أليس كذلك يا دكتور؟

أسرَّ بويل إلى بيمبري بعد تأمين الدكتور لِكتر في زنزانته.

- أذهلني أنه وغد محطم إلى حدٍّ كبير، لن يسبب متاعب إذا لم يفقد السيطرة على نفسه.

على الرغم من أن الزنزانة آمنة وقوية، فإنها تفتقر إلى حامل طعام منزلق. في وقت الغداء، في الأجواء غير السارة التي أعقبت زيارة ستارلِنج، تسبب الدكتور تشيلتون في إزعاج الجميع، مما جعل بويل وبيمبري يمضيان في عملية طويلة لتأمين الدكتور لِكتر الممتثل في سترة التقييد وقيود الساقين، بينما وقف وظهره إلى القضبان، استعد تشيلتون مع بخاخة الدفاع عن النفس، قبل أن يفتحا الباب لحمل صينية طعامه إلى الداخل.

رفض تشيلتون استخدام اسمَي بويل وبيمبري، على الرغم من أنهما كانا يرتديان بطاقتين تحملان اسميهما، وخاطبهما من دون تمييز بقوله «أنت، هناك».

من جانبهما، بعد أن سمع الحارسان أن تشيلتون لم يكن دكتورًا حقيقيًّا في الطب، علق بويل قائلًا لبيمبري إنه مجرد «معلم مدرسة لعين من نوع ما».

حاول بيمبري ذات مرة أن يشرح لتشيلتون أنهما لم يوافقا على زيارة ستارلِنج بل وافق عليها المكتب في الطابق السفلي، ورأى في غضب تشيلتون أن ذلك ليس مهمًّا.

كان الدكتور تشيلتون غائبًا عن العشاء، وبتعاون الدكتور لِكتر المذهل، استخدم بويل وبيمبري طريقتهما الخاصة لأخذ صينية طعامه. نجح الأمر على نحو جيد جدًّا.

قال بيمبري:

- دكتور لِكتر، لن تحتاج إلى سترتك للعشاء الليلة. سأطلب منك الجلوس

على الأرض والانزلاق إلى الخلف حتى تتمكن من إخراج يديك من خلال القضبان، والذراعان ممدودتان إلى الخلف. ها أنت ذا. انزلِق إلى أعلى قليلًا وافرد ذراعيك أكثر خلفك، المرفقان مستقيمان.

قيد بيمبري يدَي الدكتور لِكتر بإحكام خارج القضبان، وأحد القضبان بين ذراعيه وعارضة منخفضة فوقهما.

- هذا يؤلم قليلًا فقط، أليس كذلك؟ أعلم أنه يؤلم ولن تبقى ذراعاك هناك سوى دقيقة واحدة، توفر لكلينا كثيرًا من المتاعب.

لم يستطع الدكتور لِكتر النهوض، حتى إلى وضع القرفصاء، ومع ساقيه المفرودتين أمامه على الأرض، لم يستطع الركل.

فقط عندما كان الدكتور لِكتر مكبَّلًا، عاد بيمبري إلى المكتب للحصول على مفتاح باب الزنزانة. وضع بيمبري هراوة مكافحة الشغب في الحلقة عند خصره، ووضع بخاخة الدفاع عن النفس في جيبه، وعاد إلى الزنزانة. فتح الباب بينما أدخل بويل الصينية. بعد أن أُمِّن الباب، أخذ بيمبري المفتاح إلى المكتب قبل أن يرفع القيود عن الدكتور لِكتر. في أي وقت، لم يُوجَد بالقرب من القضبان ومعه المفتاح بينما كان الطبيب حرًّا في الزنزانة.

قال بيمبري:

- الآن كان ذلك سهلًا جدًّا، أليس كذلك؟

قال الدكتور لِكتر:

- كان مريحًا للغاية، شكرًا لك أيها الضابط. كما تعلم، أنا فقط أحاول أن أتدبر أمري.

قال بيمبري:

- نحن جميعًا نفعل ذلك يا أخي.

عبث الدكتور لِكتر بطعامه بينما كان يكتب ويرسم ويخربش على لوحته بقلم رأسه من اللباد. قلب شريط الكاسيت في مشغل الأشرطة المربوط بالسلاسل إلى رِجل الطاولة وضغط زر التشغيل. جلين جولد يعزف تنويعات جولدبرج

لباخ على البيانو. ملأت الموسيقى، الجميلة بما يفوق المحنة والزمن، القفص الساطع والغرفة التي جلس فيها الحارسان.

بالنسبة إلى الدكتور لِكتر، الجالس بسكون إلى الطاولة، تباطأ الوقت وامتد كما هي الحال في الحركة. بالنسبة إليه، كانت النغمات الموسيقية تتباعد من دون أن تفقد إيقاعها. حتى وثبات باخ الفضية كانت نوتات منفصلة تتلألأ متباعدة عن الفولاذ المحيط به. نهض الدكتور لِكتر، تعابيره مجردة، وشاهد منديله الورقي ينزلق من فخذيه إلى الأرض. كان المنديل في الهواء فترة طويلة، لمس ساق المنضدة، أخذ شكل بوق، انزلق بالجنب، توقف، وانقلب قبل أن يستقر على الأرضية الفولاذية. لم يبذل أي جهد لالتقاطه، لكنه تجول في زنزانته، وذهب خلف الساتر الورقي وجلس على غطاء مرحاضه، مكانه الخاص الوحيد. مستمعًا إلى الموسيقى، استند إلى الحوض بجنبه، وذقنه في يده، وعيناه الغريبتان الكستنائيتان نصف مغمضتين. أثارت تنويعات جولدبرج لباخ اهتمامه من الناحية البنيوية. ها قد أتى مرة أخرى، صوت القرار العميق متقدمًا في لحن رقصة السرباند، تكرر. أومأ برأسه معه، لسانه يتحرك على حواف أسنانه. عليها جميعًا في الأعلى، عليها جميعًا في الأسفل. كانت رحلة طويلة وممتعة للسانه، مثل نزهة جيدة في جبال الألب.

فعل ذلك على لثته الآن، حرك لسانه عاليًا في الأخدود بين خده ولثته وحركه ببطء كما يفعل بعض الرجال عند اجترار الأفكار. كانت لثته أبرد من لسانه. كان الأخدود بالأعلى باردًا. عندما وصل لسانه إلى الأنبوب المعدني الصغير، توقف.

سمع قعقعة المصعد أعلى من الموسيقى وأزيزًا عندما بدأ في الصعود. بعد كثير من النوتات الموسيقية لاحقًا، فُتح باب المصعد وقال صوت لم يعرفه:

- من المفترض أن أحصل على الصينية.

سمع الدكتور لِكتر الضابط الأصغر قادمًا، بيمبري. كان بإمكانه أن يرى من خلال الشق بين الألواح في ساتره. بيمبري كان عند القضبان.

- دكتور لِكتر. تعالَ واجلس على الأرض وظهرك إلى القضبان كما فعلنا من قبل.
- ضابط بيمبري، هل تمانع إذا انتهيت هنا فحسب؟ أخشى أن رحلتي قد أفسدت هضمي قليلًا.

لقد استغرق وقتًا طويلًا جدًّا ليقول ذلك.

بيمبري ينادي في الغرفة:

- حسنًا. سنتصل بالأسفل عندما نحصل عليها.
- هل يمكنني النظر إليه؟
- سنتصل بك.

المصعد مرة أخرى ثم الموسيقى فقط.

أخذ الدكتور لِكتر الأنبوب من فمه وجففه على قطعة من ورق التواليت. كانت يداه ثابتتين وكفه جافة تمامًا.

في سنوات اعتقاله بفضوله اللانهائي، تعلم الدكتور لِكتر كثيرًا من مهارات السجن السرية. في كل السنوات التي أعقبت افتراسه الممرضة في مصحة بالتيمور، وقعت زلتان فقط في الأمن المحيط به، وكلتاهما في أيام إجازة بارني. ذات مرة أقرضه باحث في الطب النفسي قلم حبر جاف ثم نسيه. قبل أن يخرج الرجل من الجناح، فكَّ الدكتور لِكتر البرميل البلاستيكي للقلم ودفق عليه ماء مرحاضه. دخل أنبوب الحبر المعدني في الثنية الملفوفة التي تحد فِراشه.

كانت الحافة الحادة الوحيدة في زنزانته في المصحة نتوء على رأس مسمار لولبي يثبت سريره على الحائط. كانت كافية. بعد شهرين من الاحتكاك، قطع الدكتور لِكتر الشقين المطلوبين، متوازيين بطول ربع بوصة، ويمتدان على طول الأنبوب من نهايته المفتوحة. ثم قص أنبوب الحبر إلى قطعتين على بعد بوصة واحدة من النهاية المفتوحة، ودفق ماء المرحاض على القطعة الطويلة التي تحمل رأس القلم. لم يرصد بارني الندوب العظمية على أصابعه بسبب ليالي الاحتكاك.

بعد ذلك بستة أشهر، ترك معاون مشبك ورق شديد التحمل على بعض

المستندات التي أرسلها محامي الدكتور لِكتر إليه. دخلت بوصة واحدة من المشبك الفولاذي داخل الأنبوب ونزل الباقي في المرحاض. كان من السهل إخفاء الأنبوب الصغير، الأملس والقصير، في ثنيات الملابس، بين الخد واللثة، في المستقيم.

الآن، خلف ساتره الورقي، نقر الدكتور لِكتر على الأنبوب المعدني الصغير على إبهامه حتى انزلق السلك الموجود بداخله إلى الخارج. كان السلك أداة، وكان هذا هو الجزء الصعب. حشر الدكتور لِكتر السلك في منتصف الأنبوب الصغير وبحرص لانهائي استخدمه كرافعة لثني الشريط المعدني بين الشقين. في بعض الأحيان تنكسر. بحرص، وبيديه القويتين، ثنى المعدن وكان يتجاوب. الآن. كان الشريط المعدني الدقيق بزوايا قائمة على الأنبوب. الآن كان لديه مفتاح الأصفاد.

وضع الدكتور لِكتر يديه خلفه ومرر المفتاح بينهما خمس عشرة مرة. وضع المفتاح مرة أخرى في فمه بينما غسل يديه وجففهما بإتقان شديد. ثم، بلسانه، أخفى المفتاح بين أصابع يده اليمنى، عارفًا أن بيمبري سيحدق إلى يده اليسرى الغريبة وهي خلف ظهره.

قال الدكتور لِكتر:

– أنا مستعد عندما تكون مستعدًّا أيها الضابط بيمبري.

جلس على أرضية الزنزانة ومد ذراعيه خلفه ويديه ومعصميه عبر القضبان.

– أشكرك للانتظار.

بدت كأنها خطاب طويل، لكن خمَّرته الموسيقى.

سمع بيمبري خلفه الآن. تحسس بيمبري معصمه ليرى ما إذا كان قد دهنه بالصابون. تحسس بيمبري معصمه الآخر ليرى ما إذا كان قد دهنه بالصابون. وضع بيمبري الأصفاد بإحكام. عاد إلى المكتب للحصول على مفتاح الزنزانة. سمع الدكتور لِكتر من فوق صوت البيانو صلصلة حلقة المفاتيح حيث أخذها بيمبري من درج المكتب. الآن كان عائدًا، يمشي خلال النوتات، يفصل الهواء

المفعم بالنوتات الكريستالية. هذه المرة عاد بويل معه. استطاع الدكتور لِكتر سماع الثقوب التي أحدثاها في أصداء الموسيقى.

فحص بيمبري الأصفاد مرة أخرى. بوسع الدكتور لِكتر أن يشم أنفاس بيمبري خلفه. الآن فتح بيمبري قفل الزنزانة وفتح الباب. دخل بويل. أدار الدكتور لِكتر رأسه، فالزنزانة تتحرك حسب رؤيته بمعدل يبدو بطيئًا بالنسبة إليه، التفاصيل حادة على نحو رائع، بويل عند الطاولة يجمع أشياء العشاء المتناثرة على الصينية مع قعقعة معبِّرة عن الضيق بسبب الفوضى. مشغل الأشرطة مع بكراته الدائرة، والمنديل على الأرض بجانب رِجل الطاولة المثبتة بمسامير لولبية. خلال القضبان، رأى الدكتور لِكتر في زاوية عينه خلفية ركبة بيمبري، وطرف الهراوة يتدلى من حزامه وهو يقف خارج الزنزانة ممسكًا بالباب.

وجد الدكتور لِكتر ثقب المفتاح في قيده الأيسر، أدخل المفتاح وقلبه. شعر بأن القيد ينفتح مرتخيًا على معصمه. مرر المفتاح إلى يده اليسرى، وجد ثقب المفتاح، أدخل المفتاح وأداره.

انحنى بويل من أجل المنديل على الأرض. بسرعة السلحفاة النهاشة، أغلق الأصفاد على معصم بويل وعندما وجَّه عينيه المنقلبتين إلى لِكتر، أُقفل القيد الآخر حول الرِّجل الثابتة للطاولة. ساقا الدكتور لِكتر تحته الآن، مندفعًا نحو الباب، يحاول بيمبري أن يأتي من خلفه، ودفعت كتف لِكتر الباب الحديدي إليه، مد بيمبري يده إلى البخاخة في حزامه، ذراعه مهروسة على جسده بفعل الباب. أمسك لِكتر الطرف الطويل من الهراوة ورفعها. مع قوة الرفعة التي لوت حزام بيمبري المشدود حوله، ضرب بيمبري في حلقه بمرفقه وغاص بأسنانه في وجه بيمبري. يحاول بيمبري غرس مخالبه في لِكتر، وأنفه وشفته العليا عالقان بين الأسنان الممزِّقة. هز لِكتر رأسه مثل كلب قاتل للفئران وسحب هراوة مكافحة الشغب من حزام بيمبري. في الزنزانة، كان بويل يخور الآن، جالسًا على الأرض، يحفر بيأس في جيبه بحثًا عن مفتاح الأصفاد الخاص به، يتحسسه، يسقطه، يجده مرة أخرى. ضرب لِكتر طرف العصا في معدة بيمبري

وحلقه وركبتيه. وضع بويل المفتاح في قفل الأصفاد، وكان يخور، لِكتر قادم إليه الآن. أطلق لِكتر على بويل رشة من البخاخة وبينما كان يتنفس بصفير، كسر ذراعه الممدودة إلى أعلى بضربتين من العصا. حاول بويل النزول تحت الطاولة، لكن لأن البخاخة أعمت بصره زحف في الطريق الخطأ وكان من السهل، بخمس ضربات حكيمة، ضربه حتى الموت.

تمكن بيمبري من الجلوس وكان يبكي. نظر إليه الدكتور لِكتر بابتسامته الحمراء. قال:

- أنا مستعد إذا كنت مستعدًّا أيها الضابط بيمبري.

أصابت الهراوة، وهي تصفر، بثرة بيمبري على مؤخرة رأسه وارتجف مباشرة مثل سمكة مضروبة.

ارتفع نبض الدكتور لِكتر إلى أكثر من مائة من خلال التمرين، لكنه سرعان ما تباطأ إلى المعدل الطبيعي. أطفأ الموسيقى وأنصت.

صعد الدرج وأنصت ثانية. أخرج ما في جيوب بيمبري، وحصل على مفتاح المكتب وفتح جميع أدراجه. كانت أسلحة الخدمة الخاصة ببويل وبيمبري في الدرج السفلي، زوجان من المسدسات الخاصة عيار ٣٨. الأفضل من ذلك، أنه وجد سكين جيب في جيب بويل.

٣٧

امتلأ البهو برجال الشرطة. كانت الساعة السادسة والنصف مساءً. والشرطة عند مواقع الحراسة الخارجية قد أخذت إعفاءً للتو فترة الساعتين المعتادة. دفأ الرجال الذين دخلوا البهو من المساء أيديهم عند عدة مدافئ كهربائية. راهن بعضهم بأموال في مباراة كرة السلة في ولاية ممفيس، وكانوا متلهفين لمعرفة كيف تسير الأمور.

لم يكن الرقيب تايت ليسمح بتشغيل الراديو بصوت عالٍ في البهو، لكن أحد الضباط وضع جهاز ووكمان في أذنه. أبلغ عن النتيجة كثيرًا، ولكن ليس كثيرًا بما يكفي ليناسب المراهنين.

إجمالًا، كان في البهو خمسة عشر من رجال الشرطة المسلحين، بالإضافة إلى ضابطَي إصلاحيات عُيِّنا لإعفاء بيمبري وبويل في الساعة السابعة مساءً. كان الرقيب تايت نفسه يتطلع إلى إنهاء الخدمة مع مناوبة من الحادية عشرة إلى السابعة.

أبلغت جميع المواقع أن الوضع هادئ. لم تسفر أيٌّ من مكالمات المجانين التي تهدد لِكتر عن أي شيء.

في الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة سمع تايت المصعد يبدأ العمل. رأى السهم البرونزي فوق الباب يبدأ في الزحف حول القرص. توقف عند رقم خمسة.

نظر تايت في أنحاء البهو.

- هل صعد سويني لإحضار الصينية؟

- لا، أنا هنا أيها الرقيب. هل تمانع في الاتصال، ترى ما إذا كانوا قد انتهوا؟ عليَّ أن أستعد للرحيل.

طلب الرقيب تايت ثلاثة أرقام وأنصت. قال:

- الهاتف مشغول. انطلِق إلى أعلى وانظر.

ضغط شرطي الدورية سويني زر المصعد. لم يأتِ.

قال سويني:

- كان عليه أن يتناول الليلة قطع لحم الحمَل، غير تامة الطهي، في اعتقادك ماذا سيطلب في وجبة الإفطار، كائنًا لعينًا من نوعٍ ما من حديقة الحيوانات؟ ومَن سيتعين عليه أن يصطاده له؟ سويني.

بقي السهم البرونزي فوق الباب على رقم خمسة.

انتظر سويني دقيقة أخرى. قال:

- ما هذا القرف؟

انفجر مسدس عيار ٣٨ في مكان ما فوقهم، وتردد صدى الفرقعات أسفل الدرَج الحجري، طلقتان سريعتان ثم ثالثة.

الرقيب تايت، واقف على قدميه عند الطلقة الثالثة، وميكروفون في يده.

- مركز القيادة، أُطلقت أعيرة نارية في الطابق العلوي من البرج. المواقع الخارجية راقبوا بانتباه. سنصعد.

صراخ ودهس في البهو.

بعد ذلك رأى تايت تحرُّك السهم البرونزي للمصعد. كان بالفعل قد انخفض إلى أربعة. زأر تايت فوق الجلبة:

- انتظروا! الحراس ضاعفوا الحراسة عند مواقعكم الخارجية، الفريق الأول يبقى معي. بيري وهوارد غطيا المصعد اللعين إذا أتى...

توقف السهم عند رقم ثلاثة.

- الفريق الأول، ها نحن أولاء. لا تتجاوزوا الباب من دون أن تتحققوا منه. بوبي، في الخارج، اجلب بندقية والسترات وأحضرها إلى أعلى.

كان عقل تايت يتسابق على أول طبقة للسلالم. تنازع الحذر مع الحاجة الماسة إلى مساعدة الضباط في الطابق العلوي. يا إلهي لا تتركه يخرج. لا أحد يرتدي سترات، اللعنة. حراس إصلاحيات ملاعين.

كان من المفترض أن المكاتب في الطوابق الثاني والثالث والرابع خالية ومغلقة. يمكنك الانتقال من البرج إلى المبنى الرئيسي على تلك الطوابق، إذا مررت عبر المكاتب. لا يمكنك أن تكون في الطابق الخامس.

ارتاد تايت مدرسة ممتازة للتدريب على التدخل السريع في ولاية تينيسي وعرف كيف يفعل ذلك. ذهب أولًا وأخذ الأصغر سنًّا معه. ذهبوا عبر الدرَج بسرعة وحذر، وغطوا بعضهم بعضًا من بسطة إلى بسطة.

- أديروا ظهوركم لأي باب قبل أن تتحققوا منه، سأؤدبكم بشدة إذا أخطأتم.

كانت أبواب الطابق الثاني مظلمة ومغلقة.

حتى الطابق الثالث الآن، الممر الصغير معتم. مستطيل من الضوء على الأرض من مقصورة المصعد المفتوحة. تحرك تايت على الحائط المقابل للمصعد المفتوح، ولا توجد مرايا في مقصورة المصعد لمساعدته. بضغط مسدس يزن باوندَين على زناد بقوة سحب تسعة باوندات، نظر داخل المقصورة. خالية.

صرخ تايت لأعلى الدرَج:

- بويل! بيمبري! اللعنة.

عين رجلًا للطابق الثالث وصعد.

غمرت موسيقى البيانو القادمة من أعلى الطابق الرابع. فُتح الباب إلى المكاتب بدفعة. بعد المكاتب، سطع شعاع المصباح الكهربائي الطويل على باب مفتوح على مصراعيه في المبنى المظلم الذي يقع خلفه.

- بويل! بيمبري!

ترك اثنين على البسطة.

- غطيا الباب. السترات قادمة. لا تُظهرا مؤخرتيكما في ذلك المدخل.

صعد تايت الدرج الحجري إلى الموسيقى. في الجزء العلوي من البرج الآن،

بسطة الطابق الخامس، ضوء خافت في الممر القصير. ضوء ساطع من خلال الزجاج المصنفر الذي كُتب عليه **المجمع التاريخي بمقاطعة شيلبي**.

تحرك تايت منخفضًا أسفل زجاج الباب إلى الجانب المقابل للمفصلات. أومأ برأسه إلى جاكوبس على الجانب الآخر، أدار المقبض ودفع بقوة، يتأرجح الباب إلى الخلف بقوة بما يكفي لتحطم الزجاج، تايت بالداخل سريعًا وخارجًا من إطار الباب، مغطيًا الغرفة من فوق الرؤية الواسعة لمسدسه.

لقد شهد تايت أشياء كثيرة. لقد شهد حوادث لا حصر لها، وشجارات، وجرائم قتل. كان قد رأى ستة قتلى من رجال الشرطة في زمنه. لكنه اعتقد أن ما كان راقدًا عند قدميه هو أسوأ شيء شاهده يحدث لضابط. اللحم فوق ياقة الزي الموحد لم يعد يشبه الوجه. كان الجزء الأمامي والجزء العلوي من الرأس بقعة من الدم يعلوها لحم ممزق، وكانت عين واحدة عالقة بجانب فتحتَي الأنف، المحجران مملوءان بالدم.

تجاوز جاكوبس تايت، منزلقًا على الأرض الملطخة بالدماء في أثناء ذهابه إلى الزنزانة. انحنى على بويل، لا يزال مقيد اليدين إلى رِجل الطاولة. بويل، منزوع الأحشاء جزئيًّا، ووجهه ممزق إلى أشلاء، بدا كأنه قد تسبب في انفجار الدم في الزنزانة، والجدران والسرير الضيق المجرَّد مغطاة بدفقات الدم ورشَّاته.

وضع جاكوبس أصابعه على رقبة بويل. نادى بصوت أعلى من الموسيقى:

- هذا مات. أيها الرقيب؟

تايت، عاد إلى نفسه، خجلًا من زلة استمرت لحظة، وكان يتحدث في جهاز اللاسلكي الخاص به:

- مركز القيادة، سقط ضابطان. أكرر، سقط ضابطان. السجين مفقود. لِكتر مفقود. المواقع الخارجية راقبوا النوافذ، الهدف قد جرَّد السرير، ربما كان يصنع حبلًا. تأكدوا من أن سيارات الإسعاف في الطريق.

- هل بيمبري ميت أيها الرقيب؟

أغلق جاكوبس الموسيقى.

ركع تايت على ركبتيه وعندما مد يده ليتحسس رقبته، تأوه الشيء الفظيع على الأرض وفجر فقاعة دامية.

- بيمبري حي.

لم يرغب تايت في وضع فمه في هذه الفوضى الدامية، عرف أنه سيفعل ذلك إذا كان عليه مساعدة بيمبري على التنفس، عرف أنه لن يجعل أحد رجال الدورية يفعل ذلك. من الأفضل أن يموت بيمبري، لكنه سيساعده على التنفس. لكن كانت هناك دقات قلب، اكتشفها، هناك تنفس. كان ممزقًا ومغرغرًا لكنه كان يتنفس. كان الخراب يتنفس من تلقاء نفسه.

طقطق جهاز اللاسلكي بيد تايت. تولى ملازم دورية عُين موقعه في الساحة الخارجية القيادةَ وطلب الأخبار. كان على تايت أن يتكلم.

نادى تايت على رجل دورية شاب:

- تعالَ إلى هنا يا موراي، انزل هنا مع بيمبري وأمسكه حيث يمكنه أن يشعر بيديك عليه. تكلم معه.

كان موراي مبتدئًا.

- ما اسمه أيها الرقيب؟

- اسمه بيمبري، الآن تكلم معه، اللعنة.

تايت متحدثًا في اللاسلكي:

- سقط ضابطان، مات بويل وأُصيب بيمبري بشدة. لِكتر مفقود ومسلح، أخذ سلاحيهما. الأحزمة وجرابات المسدسات على المكتب.

كان صوت الملازم مشوشًا عبر الجدران السميكة:

- هل يمكنك تأكيد خلو الدرَج من أجل النقالات؟

- نعم سيدي. نادوا إلى الأعلى حتى الطابق الرابع قبل أن تمروا. لديَّ رجال في كل بسطة.

- عُلم أيها الرقيب. الموقع ثمانية هنا اعتقد أنه رأى حركة ما خلف النوافذ

في المبنى الرئيسي بالطابق الرابع. لقد غطينا المخارج، ولم يخرج. حافظ على مواقعك على بسطات الطوابق. فريق التدخل السريع يتحرك. سندع فريق التدخل السريع يقضي عليه. أكد.

- فهمت. إنها مهمة فريق التدخل السريع.

- ما الذي حصل عليه؟

- مسدسان وسكين، أيها الملازم. جاكوبس، انظر إذا كانت هناك أي ذخيرة في أحزمة الأسلحة.

قال رجل الدورية:

- جرابات الذخيرة. جراب بيمبري لا يزال ممتلئًا، وبويل أيضًا. اللعين الغبي لم يأخذ الذخيرة الإضافية.

- ما هي؟

- خراطيش عيار ٣٨، من نوع «Ps JHP+».

عاد تايت إلى اللاسلكي.

- أيها الملازم، يبدو أنه حصل على مسدسين بست طلقات عيار ٣٨. سمعنا إطلاق ثلاثة أعيرة نارية وجرابات الذخيرة الموجودة على أحزمة البندقية لا تزال ممتلئة، لذا ربما لم تتبقَّ إلا تسعة. أبلغ فريق التدخل السريع أنها من نوع «Ps JHP+». هذا الرجل يفضل الوجه.

كانت الخراطيش من نوع «Ps+» ذخيرة خطِرة، لكنها لن تخترق سترات فريق التدخل السريع المدرعة. من المحتمل جدًّا أن تكون الضربة في الوجه قاتلة، ضربة على أحد أطراف الجسم قد تسبب تشوهًا.

- النقالات قادمة يا تايت.

كانت سيارات الإسعاف هناك بسرعة مذهلة، لكن لم تبدُ سريعة بما يكفي بالنسبة إلى تايت، وهو ينصت إلى الشيء المثير للشفقة عند قدميه. كان الشاب موراي يحاول إمساك الجسد المتأوِّه، المتشنج، يحاول التكلم على نحو مطَمئن ويحاول ألا ينظر إليه، وكان يقول:

- أنت بخير يا بيمبري، تبدو بحالة جيدة.

مرارًا وتكرارًا، بالنبرة السقيمة نفسها.

بمجرد أن رأى مرافقي سيارة الإسعاف عند البسطة، صرخ تايت:

- أيها المسعف!

كما فعل في الحرب.

أمسك موراي من كتفه وأبعده عن الطريق. عمل مرافقو سيارة الإسعاف بسرعة، تأمين القبضتين المشدودتين والمشبعتين بالدم تحت الحزام بخبرة، وإدخال مجرى الهواء وتقشير ضمادة جراحية غير لاصقة من أجل شيء من الضغط على الوجه والرأس الملطخ بالدماء. فتح أحدهم بصوت فرقعة عبوة بلازما وريدية، لكن الآخر، الذي كان يقيس ضغط الدم والنبض، هز رأسه وقال:

- في الطابق السفلي.

أوامر على اللاسلكي الآن:

- تايت، أريدك أن تخلي المكاتب في البرج وتغلقه. أمِّن الأبواب من المبنى الرئيسي. ثم وفر التغطية من بسطات الدرَج. سأرسل سترات واقية وبنادق. سننال منه حيًّا إذا أراد المجيء، لكننا لن نتحمل أي مخاطر خاصة للحفاظ على حياته. تفهمني؟

- أفهم أيها الملازم.

- أريد فريق التدخل السريع ولا أحد سوى فريق التدخل السريع في المبنى الرئيسي. دعني أسمع منك ذلك.

كرر تايت الأمر.

كان تايت رقيبًا جيدًا وقد أظهر ذلك الآن حين ارتدى هو وجاكوبس سترتيهما المدرعتين الثقيلتين وتبعا النقالة بينما أنزلها المعاونون على الدرَج إلى سيارة الإسعاف. تبعهم طاقم ثانٍ مع بويل. كان الرجال على بسطات الدرَج غاضبين، وهم يرون النقالات تمر، وكانت لدى تايت كلمة حكيمة لهم:

- لا تدعوا عصبيتكم تعرض مؤخراتكم لإطلاق النار.

عندما كانت صفارات الإنذار تنوح في الخارج، أخلى تايت، بدعم من المتمرِّس جاكوبس، المكاتب بعناية وأغلق البرج.

هب تيار هوائي بارد على الردهة في الطابق الرابع. خلف الباب، في مساحات المبنى الرئيسي الشاسعة المظلمة، كانت الهواتف ترن. في المكاتب المظلمة المنتشرة في جميع أنحاء المبنى، كانت أزرار الهواتف تغمز مثل اليراعات، ودوت الأجراس مرارًا وتكرارًا.

الخبر الذي انتشر مفاده أن الدكتور لِكتر «متحصِّن» في المبنى، وكان مراسلو الإذاعة والتلفزيون يتصلون بسرعة باستخدام أجهزة المودم الخاصة بهم، محاولين إجراء مقابلات على الهواء مع الوحش. لتجنب ذلك، عادة يأمر فريق التدخل السريع بإغلاق الهواتف، باستثناء الهاتف الذي يستخدمه المفاوض. كان هذا المبنى ضخمًا جدًّا، والمكاتب كثيرة جدًّا.

أغلق تايت الباب وأقفله على الغرف التي تحوي الهواتف الوامضة. كان صدره وظهره مبتلَّين ويشعر فيهما بحكة تحت السترة الصلبة.

أخذ جهاز اللاسلكي الخاص به من حزامه.

- مركز القيادة، هذا تايت، البرج خالٍ، انتهى.

- عُلم يا تايت. النقيب يريدك في مركز القيادة.

- عشرة-أربعة[1]. بهو البرج، أنت هناك؟

- هنا أيها الرقيب.

- أنا الذي في المصعد، سأحضره إلى أسفل.

- فهمتك أيها الرقيب.

---

(١) «ten-four»: تعني «عُلِم»، وهي طريقة لقول: «وصلت الرسالة» أو «حسنًا» في الاتصالات اللاسلكية، وهي واحدة مما يُسمَّى بـ«الأكواد العشرة» التي يعود الفضل فيها إلى مدير اتصالات شرطة ولاية إلينوي تشارلز هوبر، الذي ابتكرها في الفترة بين ١٩٣٧ و١٩٤٠ لاستخدامها في الاتصالات اللاسلكية بين رجال الشرطة. (المترجمة).

كان جاكوبس وتايت في المصعد هابطين إلى البهو عندما سقطت قطرة دم على كتف تايت. ضربت قطرة أخرى حذاءه.

نظر إلى سقف مقصورة المصعد، لمس جاكوبس، مشيرًا إليه بالصمت.

كان الدم يقطر من الشق حول فتحة الخدمة في الجزء العلوي من المقصورة. بدا الأمر كأنه رحلة طويلة إلى البهو. خرج تايت وجاكوبس متراجعَين، الأسلحة موجهة نحو سقف المصعد. عاد تايت ومد يده إلى الداخل وأغلق المقصورة. قال تايت في البهو:

- اششش.

بهدوء:

- بيري، هوارد، إنه على سطح المصعد. احرصا على تغطيته.

اتجه تايت إلى الخارج. كانت عربة فريق التدخل السريع السوداء في الساحة. لدى فريق التدخل السريع دائمًا مجموعة متنوعة من مفاتيح المصاعد.

تجهزوا في لحظات، اثنان من ضباط فريق التدخل السريع يرتديان دروع الجسم السوداء وسماعات الرأس يصعدان الدرَج إلى الطابق الثالث. كان مع تايت في الردهة اثنان آخران، وُجهت بنادقهم الهجومية نحو سقف المصعد.

فكر تايت: مثل النمل الكبير الذي يقاتل.

كان قائد فريق التدخل السريع يتكلم في سماعة رأسه:

- حسنًا، جوني.

في الطابق الثالث، أعلى المصعد، أدار الضابط جوني بيترسون مفتاحه في القفل وانزلق باب المصعد مفتوحًا. كانت بئر المصعد مظلمة. بعد أن استلقى على ظهره في الممر، أخذ قنبلة صاعقة من سترته التكتيكية ووضعها على الأرض بجانبه.

- حسنًا، سألقي نظرة الآن.

أخرج مرآته بمقبضها الطويل وعلقها على الحافة، في حين أضاء شريكه بمصباح يدوي قوي أسفل بئر المصعد.

- أراه. إنه فوق المصعد. أرى سلاحًا بجانبه. إنه لا يتحرك.

السؤال في سماعة بيترسون:

- هل يمكنك رؤية يديه؟

- أرى يدًا والأخرى تحته. لقد وضع الملاءات من حوله.

- أخبره.

صرخ بيترسون متوجهًا إلى أسفل بئر المصعد:

- **ضع يديك فوق رأسك واثبت مكانك.** لم يتحرك أيها الملازم... حسنًا.

نادى بيترسون:

- **إذا لم تضع يديك فوق رأسك، فسألقي عليك قنبلة صاعقة. سأمنحك ثلاث ثوانٍ.**

أخذ من سترته أحد عوائق الأبواب التي يحملها كل ضابط من ضباط فريق التدخل السريع.

- **حسنًا يا رفاق، انتبهوا بالأسفل هناك... ها هي ذي القنبلة الصاعقة قادمة.**

أسقط عائق الباب على الحافة، ورآه يرتد على الشكل بالأسفل.

- لم يتحرك أيها الملازم.

- حسنًا جوني، سندفع الفتحة إلى الأعلى باستخدام عمود من خارج مقصورة المصعد. هل ستتمكن من السقطة؟

انقلب بيترسون. كان سلاحه الآلي عيار ٤٥، الجاهز لإطلاق النار، مصوَّبًا مباشرة إلى الشكل بالأسفل. قال:

- تمكنتُ من السقطة.

عند النظر إلى أسفل بئر المصعد، يمكن لبيترسون رؤية شق الضوء يظهر بالأسفل بينما دفع الضباط في المدخل إلى الأعلى على الفتحة باستخدام عصا فريق التدخل السريع المعقوفة. كان الشكل الساكن فوق الفتحة جزئيًّا وتحركت إحدى الذراعين عندما دفع الضباط من الأسفل.

ضغطت إبهام بيترسون بقوة أكبر قليلًا على زر أمان مسدسه الكولت.

- تحركت ذراعه أيها الملازم، لكنني أعتقد أن الفتحة فحسب هي التي تحركها.
- عُلم. ارفع.

اصطدمت الفتحة للخلف بعنف وأُلقيت على جدار بئر المصعد. كان النظر إلى أسفل في الضوء صعبًا على بيترسون.

- لم يتحرك. يده ليست على السلاح.

الصوت الهادئ في أذنه:

- حسنًا جوني، اصمد. نحن قادمون إلى مقصورة المصعد، لذا راقب بالمرآة حدوث حركة. أي إطلاق نار سيأتي منا. أكِّد؟
- فهمت.

في البهو، شاهدهم تايت وهم يدخلون مقصورة المصعد. صوَّب جندي مسلح ببندقية مدجج بقذائف خارقة للدروع سلاحه نحو سقف المصعد. تسلق ضابط ثانٍ سلمًا. كان مسلحًا بمسدس آلي كبير له مصباح صغير مثبت تحته. صعدت مرآة وضوء المسدس خلال الفتحة. ثم رأس الضابط وكتفاه. ناول إلى أسفل مسدسًا عيار ٣٨. ووجَّه الضابط نداءه:

- إنه ميت.

تساءل تايت عما إذا عنت وفاة الدكتور لِكتر أن كاثرين مارتن ستموت أيضًا، فُقدت جميع المعلومات عندما انطفأت الأنوار في عقل ذلك الوحش.

كان الضباط يسحبونه إلى الأسفل الآن، والجسد ينزلق رأسًا على عقب من خلال فتحة المصعد، تتلقاه ببطء كثير من الأذرع، عملية إنزال غريبة في صندوق مُضاء. كان البهو ممتلئًا، وتزاحم رجال الشرطة للرؤية.

اندفع أحد ضباط الإصلاحيات إلى الأمام، ونظر إلى ذراعَي الجسم الموشومتين.

قال:

- هذا بيمبري.

٣٨

في الجزء الخلفي من سيارة الإسعاف الناعقة، أمسك المرافق الشاب نفسه ضد التأرجح، والتفت إلى جهاز اللاسلكي الخاص به ليبلغ مشرف غرفة الطوارئ، متكلمًا بصوت عالٍ فوق صفارة الإسعاف.

- إنه في غيبوبة ولكن العلامات الحيوية جيدة. ضغطه جيد. مائة وثلاثون على تسعين. نعم، تسعون. النبض خمسة وثمانون. لديه جروح شديدة في الوجه مع أنسجة منفصلة من مكانها، وعين مستأصلة. وضعت ضمادة للضغط على الوجه ومجرى الهواء في مكانه. رصاصة محتملة في الرأس، لا أستطيع أن أقول.

وخلفه على النقالة، تسترخي القبضتان المكوَّرتان والملطختان بالدماء داخل حزام الخصر. تنزلق اليد اليمنى إلى الخارج، تعثر على الإبزيم الموجود على الحزام عبر الصدر.

- أنا خائف من وضع مزيد من الضغط على الرأس، لقد أظهر بعض الحركة المتشنجة قبل أن نضعه على النقالة. نعم، لقد جعلته في وضعية فاولر.

خلف الشاب، أمسكت اليد بالضمادة الجراحية ومسحت العينين.

سمع المرافق صوت هسيس في مجرى الهواء قريبًا من خلفه، فالتفت ورأى الوجه الملطخ بالدماء في وجهه، لم يرَ المسدس يهوي، وأصابه بشدة فوق أذنه.

تتباطأ سيارة الإسعاف مسببة توقف حركة المرور على الطريق السريع ذي الحارات الست. ارتبك السائقون خلفها وضربوا أبواق سياراتهم، مترددين في

التجاوز حول سيارة إسعاف. انفجاران صغيران يشبهان النيران العكسية في حركة المرور، وبدأت سيارة الإسعاف في العمل مرة أخرى، وهي تتلوى، تستقيم، تنتقل إلى الحارة اليمنى.

مخرج المطار قادم. تسكعت سيارة الإسعاف في الحارة اليمنى، وأضواء الطوارئ المختلفة تضيء وتنطفئ خارجها، وتشتغل المساحات وتتوقف، ثم ينوح صوت صفارة الإنذار لينخفض، ينطلق، ينوح لينخفض إلى الصمت وتنطفئ الأضواء الساطعة. سارت سيارة الإسعاف بهدوء، متخذة المخرج إلى مطار ممفيس الدولي، المبنى الجميل المغمور بالضوء في الأمسية الشتوية. أخذت السيارة الممر المنحني البعيد حتى البوابات الآلية إلى ساحة انتظار السيارات الواسعة تحت الأرض. خرجت يد ملطخة بالدماء لأخذ تذكرة. واختفت سيارة الإسعاف أسفل النفق المؤدي إلى ساحة انتظار السيارات تحت الأرض.

٣٩

عادة، كان من الممكن أن يتملك الفضول كلاريس ستارلِنج لرؤية منزل كروفورد في أرلينجتون، لكن النشرة في راديو السيارة حول هروب الدكتور لِكتر أطاحت بكل ذلك.

بخدر الشفتين ووخز فروة الرأس، قادت السيارة من الذاكرة، رأت منزل المزرعة الأنيق الذي يعود إلى الخمسينيات من القرن الماضي من دون أن تنظر إليه، وتساءلت بخفوت عما إذا كانت النوافذ المضاءة ذات الستائر على اليسار مكان رقاد بيلَّا. بدا جرس الباب مرتفعًا جدًّا.

فتح كروفورد الباب عند الرنة الثانية. كان يرتدي سترة فضفاضة وكان يتحدث في الهاتف اللاسلكي. قال «كوبلي في ممفيس». مشيرًا إليها لتتبعه، قادها عبر المنزل، مهمهمًا بنخير في الهاتف وهو يمضي.

في المطبخ، أخذت ممرضة زجاجة صغيرة من الثلاجة وأمسكتها في الضوء. عندما رفع كروفورد حاجبيه للممرضة، هزت رأسها، لم تكن بحاجة إليه.

أخذ ستارلِنج إلى مكتبه، ثلاث درجات بالأسفل إلى ما كان واضحًا أنه مرأب مزدوج جرى تحويله. كانت المساحة جيدة هنا، أريكة وكراسي، وعلى المكتب المليء بالفوضى، تتوهج طرفية كمبيوتر باللون الأخضر بجوار أسطرلاب عتيق. بدت السجادة كأنها موضوعة على الخرسانة. أشار إليها كروفورد ناحية مقعد.

وضع يده على جهاز الاستقبال.

- ستارلِنج، هذا هراء، لكن هل سلَّمت لِكتر أي شيء على الإطلاق في ممفيس؟

- لا.
- ولا أي غرض.
- لا شيء.
- أخذتِ الرسومات وأشياء من زنزانته.
- لم أُعطِه إياها قَطُّ. الأشياء لا تزال في حقيبتي. أعطاني الملف. هذا كل ما مررناه بيننا.

وضع كروفورد الهاتف تحت فكه.

- كوبلي، هذا هراء تام. أريدك أن تدوس على هذا اللقيط وتفعل ذلك الآن. مباشرة إلى الرئيس، مباشرة إلى مكتب تحقيقات تينيسي. انظر الخط الساخن المطلع مع الباقي. بوروز يعمل عليه. نعم.

أغلق الهاتف ووضعه في جيبه.

- هل تريدين قليلًا من القهوة يا ستارلِنج؟ كولا؟
- ماذا كان ذلك الحديث عن تسليم أشياء للدكتور لِكتر؟
- يقول تشيلتون لا بد أنكِ أعطيت لِكتر شيئًا ما استخدمه لتحريك المزلاج على الأصفاد. يقول إنك لم تفعلي ذلك عن قصد لقد كان مجرد جهل.

أحيانًا كانت لكروفورد عينا سلحفاة صغيرة غاضبة. راقب كيف تلقت الأمر.

- هل حاول تشيلتون أن يقضي ليلة معك يا ستارلِنج؟ هل هذه مشكلته؟
- ربما. سآخذ قهوة سوداء مع السكر، من فضلك.

بينما كان في المطبخ، أخذت نفَسًا عميقًا ونظرت إلى جميع أنحاء الغرفة. إذا كنت تعيش في مهجع أو ثكنة، فمن المريح أن تُوجَد في منزل. حتى مع زلزلة الأرض تحت ستارلِنج، إحساسها بحياة عائلة كروفورد في هذا المنزل ساعدها.

كان كروفورد قادمًا، حذرًا وهو يهبط درجات السلم مرتديًا نظارته ثنائية البؤرة،

حاملًا الأكواب. كان أقصر بمقدار نصف بوصة في حذائه من دون كعب. عندما وقفت ستارلِنج لتأخذ قهوتها، كانت أعينهما في مستوى واحد تقريبًا. كانت رائحته تشبه الصابون، وبدا شعره منفوشًا وأشيب.

- قال كوبلي إنهم لم يعثروا على سيارة الإسعاف بعد. ثكنات الشرطة تنتشر في جميع أنحاء الجنوب.

هزت رأسها:

- لا أعرف أي تفاصيل. أذاع الراديو النشرة فقط، قتل الدكتور لِكتر شرطيين وهرب.

- اثنان من ضباط الإصلاحيات.

ضغط كروفورد ليصعد أعلى النص الزاحف على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به.

- كان اسماهما بويل وبيمبري. هل تعاملتِ معهما؟

أومأت برأسها:

- لقد... أخرجاني من مقر الاحتجاز. كانا على ما يرام حيال ذلك.

جاء بيمبري من حول تشيلتون، منزعجًا، عازمًا، لكن بتهذيب سكان المقاطعات. قال تعالي معي الآن. بقع الكبد على يديه وجبهته. ميت الآن، شاحب تحت بقعه.

فجأة اضطرت ستارلِنج إلى ترك قهوتها. ملأت رئتيها بعمق، ونظرت إلى السقف للحظة.

- كيف فعل ذلك؟

- قال كوبلي إنه أفلت في سيارة إسعاف، سنناقش ذلك. ما الذي توصلت إليه مع حمض النشاف؟

كانت ستارلِنج قد أمضت وقتًا متأخرًا من بعد الظهر وبداية المساء تمرر ورقة كلاب بلوتو خلال التحليل العلمي بناءً على أوامر كريندلر.

- لا شيء. إنهم يجربون ملفات إدارة مكافحة المخدرات لمطابقة الرُّقع،

لكن الأشياء عمرها عشر سنوات. قد تعمل إدارة الوثائق بشكل أفضل مع البصمات أكثر مما تفعله إدارة مكافحة المخدرات مع المنشطات.

- لكنه كان حمض النشاف.

- نعم. كيف فعل ذلك يا سيد كروفورد؟

- تريدين أن تعرفي؟

أومأت برأسها.

- إذن سأخبركِ. وضعوا لِكتر في سيارة إسعاف بالخطأ. ظنوا أنه بيمبري، مصاب بشدة.

- هل كان يرتدي زي بيمبري؟ كانا من الحجم نفسه.

- ارتدى زي بيمبري وجزءًا من وجه بيمبري. ونحو باوند من بويل أيضًا. ولف جثة بيمبري بغطاء الفِراش المقاوم للماء والأغطية من زنزانته لمنعها من أن تقطر دمًا وحشاها فوق المصعد. ارتدى الزي، هيَّأ نفسه، استلقى على الأرض وأطلق أعيرة نارية في السقف ليبدأ الاندفاع الجماعي. لا أعرف ما الذي فعله بالسلاح، حشره في ظهر بنطاله، ربما. تأتي سيارة الإسعاف، رجال الشرطة في كل مكان يشهرون أسلحتهم. جاء طاقم الإسعاف سريعًا وفعلوا ما دُرِّبوا على عمله عند التعرض للهجوم: أدخلوا مجرى الهواء، وضعوا ضمادة على أسوأ مكان، وضغطوا لوقف النزيف، وخرجوا من هناك، أدوا عملهم، لم تصل سيارة الإسعاف إلى المستشفى قَطُّ. ما زالت الشرطة تبحث عنها. لا أشعر بالراحة تجاه هؤلاء المسعفين. قال كوبلي إنهم يشغلون أشرطة موزع حركة سيارات الإسعاف. استُدعيت سيارة الإسعاف مرتين. يعتقدون أن لِكتر اتصل بسيارة الإسعاف بنفسه قبل أن يطلق الرصاص، كي لا يضطر إلى الرقاد فترة طويلة. يحب الدكتور لِكتر مرحه.

لم تسمع ستارلِنج من قبل الزمجرة المريرة في صوت كروفورد. لأنها ربطت المرارة بالضعف، أخافها ذلك.

قالت ستارلِنج:

- هذا الهروب لا يعني أن الدكتور لِكتر كان يكذب. بالتأكيد، كان يكذب على شخص ما، نحن أو السيناتور مارتن، لكن ربما لم يكن يكذب على كلينا. أخبر السيناتور مارتن بأنه بيلي روبين وادعى أن هذا كل ما يعرفه. أخبرني بأنه شخص لديه أوهام بأنه متحول جنسيًّا. بشأن آخر شيء قاله لي هو: «لماذا لا تُنهين القوس؟» كان يتحدث عن متابعة نظرية تغيير الجنس التي...

- أعلم، لقد رأيت ملخصك. لا يوجد مكان للتحرك من هذه النقطة حتى نحصل على الأسماء من العيادات. ذهب آلان بلوم شخصيًّا إلى رؤساء الأقسام. يقولون إنهم يبحثون. عليَّ أن أصدق ذلك.

- سيد كروفورد، هل أنت في مأزق؟

قال كروفورد:

- لقد وُجهتُ للحصول على إجازة للظروف الإنسانية. هناك فريق عمل جديد من مكتب التحقيقات الفدرالي، وإدارة مكافحة المخدرات، و«عناصر إضافية» من مكتب المدعي العام، أعني كريندلر.

- مَن الرئيس؟

- رسميًّا، مساعد مدير مكتب التحقيقات الفدرالي جون جولبي. دعينا نقُل إن علاقة تشاور وثيقة تربط بيني وبينه. جون رجل صالح. ماذا عنكِ، هل أنتِ في مأزق؟

- أخبرني كريندلر بأن أسلم بطاقة هويتي والمسدس، وأن أعود إلى المدرسة.

- كان هذا كل ما فعله قبل زيارتك لِلكتر. ستارلِنج، أرسل توبيخًا شديدًا بعد ظهر اليوم إلى مكتب المسؤولية المهنية. لقد كان طلبًا «من دون تحيز» أن تُعلِّق الأكاديمية دراستك في انتظار إعادة تقييم لياقتك للخدمة. إنها طلقة خلفية من جبان. رأى القائد جون بريجهام التوبيخ في اجتماع أعضاء هيئة التدريس في كوانتِكو منذ فترة قصيرة. أعطاهم تقريعًا طويلًا واتصل بي.

- ما مدى سوء ذلك؟

- يحق لكِ الحصول على جلسة استماع. سأشهد على لياقتكِ وهذا سيكون

كافيًا. لكن إذا قضيت مزيدًا من الوقت بعيدًا، فستعيدين التدريب بالتأكيد، بصرف النظر عن أي اكتشاف في جلسة الاستماع. هل تعلمين ماذا يحدث عند إخضاعكِ لإعادة التدريب؟

– بالتأكيد، تُعاد إلى المكتب الإقليمي الذي جندك. ستعمل على تقديم التقارير وإعداد القهوة حتى تحصل على مكان آخر في فصل دراسي ما.

– يمكنني أن أعدك بمكان في فصل لاحق، لكن لا يمكنني منعهم من إخضاعكِ لإعادة التدريب إذا فاتك الوقت.

– لذا إما أن أعود إلى المدرسة وأتوقف عن العمل على هذا، وإما...

– نعم.

– ماذا تريدني أن أفعل؟

– مهمتكِ كانت لِكتر. لقد أدّيتِها. أنا لا أطلب منك إعادة التدريب. قد يكلفك ذلك، ربما نصف عام، وربما أكثر.

– ماذا عن كاثرين مارتن؟

– لقد أمسك بها منذ ما يقرب من ثمانٍ وأربعين ساعة، ستكون ثماني وأربعين ساعة في منتصف الليل. إذا لم نلحق به، فمن المحتمل أن يفعل شأنه بها غدًا أو في اليوم التالي، إذا كان الأمر مثل المرة الأخيرة.

– ليس لِكتر كل ما لدينا.

– لقد حصلوا على ستة أشخاص يُسمَّون ويليام روبين حتى الآن، جميعهم أصحاب سوابق من نوع أو آخر. لا أحد منهم يبدو كبير الحجم. لا يوجد بيلي روبين في قوائم الاشتراك في مجلة الحشرات. تعرف طائفة صانعي السكاكين الحرفية بشأن خمس حالات مصابة بالجمرة الخبيثة من عاج الفيل في السنوات العشر الأخيرة. لدينا اثنان من هؤلاء تُركا للتحقق. وماذا أيضًا؟ لم يُتعرَّف على كلاوس حتى الآن. أبلغ الإنتربول عن مذكرة إيقاف هارب معلقة في مرسيليا عن بحَّار تجاري نرويجي، «كلاوس بييتلاند»، أيًّا كانت طريقة نطق ذلك. تبحث النرويج عن سجلات أسنانه لإرسالها.

إذا حصلنا على أي شيء من العيادات، ولديك الوقت، فيمكنك المساعدة في ذلك. ستارلِنج؟

- نعم يا سيد كروفورد؟

- عودي إلى المدرسة.

- إذا كنت لا تريد مني أن أطارده، فما كان يجب أن تأخذني إلى دار الجنازات تلك، يا سيد كروفورد.

قال كروفورد:

- لا. أظن أنني ما كان يجب أن أفعل. لكن عند ذلك لن تكون لدينا الحشرة. لا تسلمي سلاحكِ. كوانتِكو آمنة بما يكفي، لكنكِ ستكونين مسلحة في أي وقت تكونين فيه خارج القاعدة في كوانتِكو حتى يُقبض على لِكتر أو يموت.

- ماذا عنك؟ إنه يكرهك. أعني أنه فكر في ذلك بعض الشيء.

- كثير من الناس فكروا في ذلك يا ستارلِنج، في كثير من السجون. في يوم من الأيام، قد يسعى لتحقيق انتقامه، لكنه مشغول جدًّا الآن. إنه لأمر رائع أن يكون بالخارج وهو غير مستعد لإهدار حريته بهذه الطريقة. وهذا المكان أكثر أمانًا مما يبدو.

رن الهاتف في جيب كروفورد. الهاتف على المكتب خرخر وأومض. استمع لعدة دقائق، قال «حسنًا»، ثم أنهى المكالمة.

- وجدوا سيارة الإسعاف في مرأب تحت الأرض في مطار ممفيس.

هز رأسه:

- لا أخبار جيدة. كان الطاقم في الخلف، كلاهما ميت.

خلع كروفورد نظارته، وبحث عن منديله لتلميعها.

- ستارلِنج، السميثسونيان اتصل ببوروز يسأل عنك. هذا الرجل بيلتشر. إنهم قريبون جدًّا من الانتهاء من الحشرة. أريدك أن تكتبي نموذج ٣٠٢ على ذلك وتوقعيه للملف الدائم. لقد عثرتِ على الحشرة وتابعت العمل بها وأريد أن يقول السجل ذلك. هل أنت قادرة على ذلك؟

كانت ستارلِنج متعبة أكثر من أي وقت مضى. قالت:

- بالتأكيد.

- اتركي سيارتك في المرأب، وسيوصلكِ جِف إلى كوانتِكو عندما تنتهين.

على الدرَج، أدارت وجهها نحو النوافذ المضاءة ذات الستائر حيث كانت الممرضة تراقب، ثم عادت لتنظر إلى كروفورد.

- أفكر فيكما أنتما الاثنان يا سيد كروفورد.

قال:

- شكرًا لكِ يا ستارلِنج.

٤٠

قال الحارس:

- ضابطة ستارلِنج، قال الدكتور بيلتشر إنه سيلتقي بك في حديقة حيوان الحشرات. سأصطحبكِ إلى هناك.

للوصول إلى حديقة حيوان الحشرات من الجانب المطل على شارع كونستِتيوشن أفينيو من المتحف، يجب أن تأخذ المصعد إلى مستوى واحد فوق الفيل المحشو الضخم، وتعبر طابقًا واسعًا مخصصًا لدراسة الإنسان.

كانت طبقات الجماجم في البداية، مرتفعة وممتدة، تمثل الانفجار السكاني منذ زمن المسيح.

تحركت ستارلِنج والحارس في منظر قاتم مليء بأشكال توضح أصل الإنسان وتنوعه. كانت هنا وسائل إيضاح للوشوم الطقسية، والأقدام المقيدة، وتعديل الأسنان، والجراحة البيروفية، والتحنيط.

سألها الحارس وهو يسلط مصباحه إلى صندوق:

- هل سبق لكِ أن رأيت فيلهلم فون إلينبوجن؟

قالت ستارلِنج من دون إبطاء وتيرة سيرها:

- لا أعتقد أنني فعلت ذلك.

- يجب أن تأتي في وقت ما عندما تكون الأنوار مضاءة وتلقي نظرة عليه. دفنوه في فيلادلفيا في القرن الثامن عشر؟ تحوَّل مباشرة إلى صابون عندما اصطدمت به المياه الجوفية.

حديقة حيوان الحشرات قاعة كبيرة، معتمة الآن وصاخبة بأصوات الصرير والطنين. تملؤها الأقفاص وصناديق الحشرات الحية. يحب الأطفال حديقة الحيوان خصوصًا، ويتجولون فيها طوال اليوم. في الليل، كانت الحشرات مشغولة بعد أن تُركت وشأنها. أُضيء عدد قليل من الصناديق باللون الأحمر، وتوهجت علامات مخرج الحريق بشدة في القاعة المعتمة.

نادى الحارس من الباب:

- دكتور بيلتشر؟

قال بيلتشر، ممسكًا مصباحًا يدويًّا صغيرًا كمنارة:

- هنا.

- هل ستصطحب هذه السيدة إلى الخارج؟

- نعم، شكرًا لك أيها الضابط.

أخرجت ستارلِنج مصباحها الصغير من حقيبتها، ووجدت المفتاح على وضع التشغيل بالفعل، البطاريات فارغة. ذكَّرها وميض الغضب الذي شعرت به أنها كانت متعبة وعليها أن تتحمل.

- مرحبًا ي ضابطة ستارلِنج.

- دكتور بيلتشر.

- ما رأيك في «بروفيسور بيلتشر»؟

- هل أنت بروفيسور؟

- لا، لكنني لست دكتورًا أيضًا. ما أنا عليه أنني سعيد لرؤيتك. هل تريدين إلقاء نظرة على بعض الحشرات؟

- بالتأكيد أين الدكتور رودِن؟

- لقد حقق أغلب التقدم خلال الليلتين الماضيتين مع ترتيب الشعيرات، وأخيرًا ضطر إلى الانهيار. هل رأيتِ الحشرة قبل أن نبدأ العمل عليها؟

- لا.

- لقد كانت مجرد هريسة، حقًّا.

- لكنك فهمتها، لقد اكتشفت ما هي.
- نعم. الآن فحسب.
توقف عند قفص شبكي.
- أولًا دعيني أُرِكِ فراشة مثل تلك التي أحضرتِها يوم الاثنين. هذه ليست عُثتك نفسها بالضبط، لكنها من العائلة نفسها، عُثة بوميَّة.
وجد شعاع مصباحه الفراشة الزرقاء المتألقة الكبيرة جالسة على فرع صغير، جناحاها مطويان. نفث بيلتشر هواءً تجاهها، وظهر على الفور وجه البومة الشرس عندما نشرت العُثة الجانبين السفليين من جناحيها نحوهما، بقعتا العين على الجناحين تحملقان بغضب مثل آخر مشهد يراه جرذ على الإطلاق.
- هذه كاليجو بيلتراو، وهي شائعة إلى حدٍّ ما. لكن مع عينة كلاوس هذه، أنتِ تتحدثين عن بعض العُث الثقيل. تعالي.
في نهاية القاعة صندوق وُضع متراجعًا في كوَّة أمامها سياج. كان الصندوق بعيدًا عن متناول الأطفال ومغطى بقطعة قماش. همهم بجانبه جهاز صغير لترطيب الهواء.
- نحتفظ بها خلف الزجاج لحماية أصابع الناس، فيمكنها القتال. إنها تحب الرطوبة أيضًا، الزجاج يحافظ على الرطوبة بالداخل.
رفع بيلتشر القفص بعناية من مقابضه ونقله إلى مقدمة الكوَّة. رفع الغطاء وفتح ضوءًا صغيرًا فوق القفص.
قال:
- هذه عُثة رأس الموت. هذا الذي تجلس عليه باذنجان، نأمل أن تستلقي.
كانت العُثة رائعة ورؤيتها مخيفة، جناحاها الكبيران ذوا اللون البني والأسود يشبهان عباءة، وعلى ظهرها العريض الزغب، أداة التوقيع المميزة التي أثارت الرعب لدى الرجال كلما صادفوها فجأة في حدائقهم السعيدة. الجمجمة المقببة، وهي عبارة عن جمجمة ووجه في الوقت نفسه، تراقب من عينيها الداكنتين، وعظام الوجنتين، والقوس الوجني المحدد على نحو رائع بجانب العينين.

قال بيلتشر:

- أكيرونتيا ستيكس، سُميت على اسم نهرين في الجحيم. رجلك، يُسقط الجثث في نهر في كل مرة، هل قرأت ذلك؟

قالت ستارلِنج:

- نعم. هل هي نادرة؟

- في هذا الجزء من العالم نعم. لا يوجد أي شيء منها في الطبيعة على الإطلاق. مكتبة سُر مَن قرأ

- من أين هي؟

مالت ستارلِنج بوجهها بالقرب من السقف الشبكي للعلبة. حركت أنفاسها الزغب على ظهر العُثة. قفزت إلى الخلف عندما أصدرت الحشرة صريرًا وخفقت بجناحيها بشدة. بوسعها أن تشعر بالنسيم الضئيل الذي أحدثته الحشرة.

- ماليزيا. هناك نوع أوروبي أيضًا يُسمَّى أتروبوس، لكن هذا النوع الذي في فم كلاوس من ماليزيا.

- لذا رباها شخص ما.

أومأ بيلتشر برأسه. قال عندما لم تنظر إليه:

- نعم. كان لا بد من شحنها من ماليزيا وهي بيضة أو على الأرجح في مرحلة الخادرة. لم يتمكن أحد من حملها على وضع بيضها في الأسر. لقد تزاوجت، لكن لا بيض. الجزء الصعب هو العثور على يرقانة الحشرة في الغابة. بعد ذلك، ليس من الصعب تربيتها.

- قلت إنها تستطيع القتال.

- الخرطوم حاد وقوي، وسوف تدفعه بقوة في إصبعك إذا عبثتِ معها. إنه سلاح غير عادي والكحول لا يؤثر عليه في العينات المحفوظة. ساعدنا ذلك في تضييق المجال حتى نتمكن من التعرُّف عليها بسرعة.

بدا بيلتشر محرجًا فجأة، كما لو أنه كان يتفاخر. سارع ليقول:

- إنها خشنة الطبع أيضًا. تدخل بالقوة إلى خلايا النحل وعسل بوجارت.

ذات مرة كنا نجمعها في مدينة صباح، بجزيرة بورنيو، وقد ظهرت إلى النور خلف نُزُل الشباب. كان سماعها غريبًا، سنكون...

– من أين أتت هذه؟

– تبادل مع الحكومة الماليزية. لا أعرف ماذا قايضنا. كان الأمر مضحكًا، كنا هناك في الظلام، ننتظر مع دلو السيانيد هذا، حين...

– ما نوع التصريح الجمركي الذي جاء مع هذه الحشرة؟ هل لديك سجلات لذلك؟ هل يجب تخليصها من ماليزيا؟ مَن الذي يتولى ذلك؟

– أنتِ متعجلة. انظري، لقد كتبت كل الأشياء التي لدينا والأماكن التي توضع فيها الإعلانات إذا كنتِ تريدين القيام بهذا النوع من الأشياء. تعالي، سأصطحبكِ إلى الخارج.

عبرا الطابق الواسع في صمت. في ضوء المصعد، استطاعت ستارلِنج أن ترى أن بيلتشر كانت متعبًا مثلها. قالت:

– ظللت ساهرًا مع هذا الأمر. أحسنت في فعل ذلك. لم أقصد أن أكون متجافية من قبل، أنا فقط...

قال:

– آمل أن ينالوا منه. آمل أن تنتهي من هذا قريبًا. دوَّنتُ بعض المواد الكيميائية التي قد يشتريها إذا كان يحتفظ بعينات رخوة... ضابطة ستارلِنج، أود أن أتعرَّف عليكِ.

– ربما يجب أن أتصل بك عندما أستطيع ذلك.

قال بيلتشر:

– يجب عليك بالتأكيد، قطعًا، أود ذلك.

أُغلق المصعد واختفى بيلتشر وستارلِنج. كان الطابق المخصص للإنسان ساكنًا ولم يتحرك أي شكل بشري، لا الموشوم، ولا المحنط، والأقدام المربوطة لم تتزحزح.

توهجت أضواء النار باللون الأحمر في حديقة حيوان الحشرات، وانعكست

في عشرة آلاف عين نشطة من الشعبة القديمة. يصدر جهاز ترطيب الهواء أصوات همهمة وهسهسة. تحت الغطاء، في القفص الأسود، تسلقت فراشة رأس الموت نبتة الباذنجان. انتقلت عبر الأرض، جناحاها متدليان كرداء، ووجدت قطعة من قرص العسل في طبقها. ممسكة قرص العسل في ساقيها الأماميتين القويتين، فكت خرطومها الحاد وغطسته خلال غطاء الشمع لخلية العسل. الآن جلست تمتص بهدوء بينما حولها في الظلام استؤنفت أصوات الصرير والطنين، ومعها عمليات الإعداد والقتل بالغة الصغر.

٤١

كاثرين بيكر مارتن بالأسفل في الظلام البغيض. احتشد الظلام خلف جفنيها، وفي ثوانٍ متقطعة من النوم، حلمت أن الظلام حلَّ فيها. حلَّ الظلام ماكرًا، صاعدًا خلال أنفها وداخل أذنيها، تقدمت أصابع ندية من الظلام إلى كل فتحات جسدها. وضعت يدها على فمها وأنفها، وضعت يدها الأخرى على مهبلها، قبضت ردفَيها بإحكام، أدارت إحدى أذنيها إلى الفراش وضحَّت بالأذن الأخرى لاختراق الظلام. جاء مع الظلام صوت، واستيقظت منتفضة. صوت مشغول مألوف، ماكينة خياطة. متغيرة السرعة. بطيئة، الآن سريعة.

بالأعلى في القبو كانت الأنوار مضاءة، بوسعها أن ترى قرصًا واهنًا من اللون الأصفر عاليًا فوقها حيث انتصبت الفتحة الصغيرة في غطاء البئر مفتوحة. نبحت الكلبة البودل عدة مرات، وكان الصوت الغريب يتحدث إليها، مكتومًا.

خياطة. كانت الخياطة خطأً للغاية هنا. الخياطة تنتمي إلى الضوء. ومضت غرفة الخياطة المشمسة من طفولة كاثرين بترحيب كبير في ذهنها... مدبرة المنزل، عزيزتي بي لاف، عند الماكينة... تضرب الستارة المنتفخة قطتها الصغيرة.

نسف الصوت كل شيء، وهو يزعق في الكلبة.

- بريشيس، ضعي ذلك جانبًا. ستصيبين نفسكِ بدبوس وبعد ذلك أين سنكون؟ لقد أوشكت على الانتهاء. نعم، يا حبيبة القلب. ستحصلين على قطعة جلد بقر من تشو-وي عندما ننتـــهي، ستحصلين على تشو-وي دودي دودي دو.

لم تعرف كاثرين منذ متى كانت أسيرة. عرفت أنها قد أُجبرت على الاغتسال مرتين، في المرة الأخيرة وقفت في الضوء، تريده أن يرى جسدها، غير متأكدة مما إذا كان ينظر إلى أسفل من وراء الضوء الساطع. كانت كاثرين بيكر مارتن وهي عارية جذابة على نحو لافت للنظر، فتاة ونصف من جميع الاتجاهات، وكانت تعرف ذلك. أرادت أن يراه. أرادت الخروج من الحفرة. القرب الكافي للمضاجعة قربٌ كافٍ للقتال، قالت ذلك لنفسها بصمت مرارًا وتكرارًا في أثناء اغتسالها. كانت تحصل على قدر قليل جدًّا من الطعام، وعرفت أن من الأفضل لها أن تفعل ذلك وهي تتمتع بقوتها. عرفت أنها ستقاتله. عرفت أن بإمكانها أن تقاتل. هل سيكون من الأفضل أن تضاجعه أولًا، تضاجعه عددًا من المرات قدر استطاعته وترهقه تمامًا؟ كانت تعلم أنها إذا استطاعت وضع ساقيها حول رقبته، فيمكنها إرساله إلى يسوع في غضون ثانية ونصف الثانية. هل أتحمل فعل ذلك؟ تأكد أنني أستطيع أيها اللعين. الخصيتان والعينان، الخصيتان والعينان، الخصيتان والعينان. لكن لم يكن هناك صوت من الأعلى عندما انتهت من الاغتسال وارتدت البدلة النظيفة. لم يكن هناك أي رد على عروضها إذ تمايلت دلو الاستحمام على خيطها الهش وحلت محلها دلو المرحاض.

انتظرت الآن، بعد ساعات، مستمعة إلى ماكينة الخياطة. لم تنادِه. في الوقت المحدد، ربما بعد ألف نفَس، سمعته وهو يصعد السلالم، ويتحدث إلى الكلبة، ويقول شيئًا ما، «الإفطار عندما أعود». ترك نور القبو مضاءً. فعل ذلك أحيانًا.

أظافر اليدين والقدمين على أرضية المطبخ بالأعلى. الكلبة تئن. اعتقدت أن آسرها كان يغادر. أحيانًا كان يذهب بعيدًا فترة طويلة.

مرت الأنفاس. تجولت الكلبة الصغيرة في المطبخ بالأعلى، وهي تعوي، تخشخش شيئًا ما على الأرض، تدق شيئًا على الأرض، ربما وعاؤها. تخمش، تخمش بالأعلى. وتنبح مرة أخرى، أصوات نباح قصيرة حادة، هذه المرة ليست

الأصوات بالوضوح الذي اتسمت به عندما كانت الكلبة فوقها في المطبخ. لأن الكلبة الصغيرة لم تكن في المطبخ. كانت قد فتحت الباب بأنفها، وصارت بالأسفل في القبو تطارد الفئران، كما فعلت من قبل كلما خرج.

في الظلام، تحسست كاثرين مارتن تحت فِراشها. وجدت قطعة من عظم الدجاج وتشمَّمتها. كان من الصعب ألا تأكل قطع اللحم الصغيرة والغضروف الذي عليها. وضعتها في فمها لتدفئتها. وقفت الآن، متأرجحة قليلًا في الظلام الذي يسبب التشوش. لا شيء معها في الحفرة سوى حشيَّتها الرقيقة، البدلة التي كانت ترتديها، دلو المرحاض البلاستيكية وخيطها القطني الواهي الذي يمتد إلى أعلى باتجاه الضوء الأصفر الشاحب.

لقد فكرت في الأمر في كل فاصل زمني استطاعت فيه التفكير. تمددت كاثرين إلى أقصى ما تستطيع وقبضت على الخيط. من الأفضل الجذب بسرعة وشدة أم السحب؟ لقد فكرت في الأمر من خلال آلاف الأنفاس. من الأفضل أن تسحب بثبات.

تمدد الخيط القطني أكثر مما توقعت. حصلت على مسكة جديدة عالية قدر استطاعتها وسحبت، وأرجحت ذراعها من جانب إلى آخر، على أمل أن يتهرَّأ الخيط حيث يمر فوق الشفة الخشبية للفتحة فوقها. أرجحت الخيط ليتهرَّأ حتى تألمت كتفها. سحبت، الخيط يتمدد، الآن لا يتمدد، لا مزيد من التمدد. أرجوك انفصل عاليًا. صوت فرقعة، وسقط، لفائف منه على وجهها.

جلست القرفصاء على الأرض، الخيط ملقى على رأسها وكتفها، لا ينبعث من الحفرة بالأعلى ما يكفي من النور لرؤية الخيط المتراكم عليها. لم تعرف مقدار ما لديها. يجب ألا يتشابك. مددت الخيط بحذر على الأرض في أنشوطات غير معقودة، بقياسها على ساعدها. عدت أربعة عشر ساعدًا. لقد انفصل الخيط عند حافة البئر.

ربطت عظمة الدجاجة التي تحفها نسائر اللحم الممزقة بإحكام في الخيط حيث تعلق بمقبض الدلو.

الآن الجزء الأصعب.

اعملي بحذر. كانت في حالة عقلية مجهدة. كان الأمر أشبه بالاعتناء بنفسك في قارب صغير في طقس سيئ.

ربطت الطرف المنفصل من الخيط بمعصمها، وشدت العقدة بأسنانها.

وقفت غير ملامسة للخيط قدر الإمكان. أمسكت الدلو من المقبض، أرجحتها في دائرة كبيرة وألقتها باستقامة إلى أعلى عند قرص الضوء الخافت فوقها. أخطأت الدلو البلاستيكية الفرجة المفتوحة، وضربت الجانب السفلي من الغطاء وسقطت عائدة، وضربتها في وجهها وكتفها. نبحت الكلبة الصغيرة بصوت أعلى.

أخذت الوقت الكافي لفرد الخيط والرمي مرة ثانية، ثم ثالثة. في الرمية الثالثة، أصابت الدلو إصبعها المكسورة عندما سقطت، وكان عليها أن تتكئ على الجدار المنحدر إلى الداخل وتتنفس حتى يزول الغثيان. الرمية الرابعة خبطتها بعنف بالأسفل، لكن الخامسة لم تفعل. كانت بالخارج. كانت الدلو في مكان ما على الغطاء الخشبي للبئر بجانب الباب السحري المفتوح. كم تبعد عن الحفرة؟ اثبتي. بلطفٍ سحبَت. نفضت الخيط لتسمع صوت قعقعة مقبض الدلو على الخشب فوقها.

نبحت الكلبة الصغيرة بصوت أعلى.

لا يجب عليها أن تسحب الدلو على حافة الحفرة، لكن يجب أن تسحبها قريبًا منها. سحبـــتها قريـــبًا.

الكلبة الصغيرة بين المرايا وتماثيل عرض الأزياء في غرفة مجاورة في القبو. تتشمم بين الخيوط والقطع أسفل ماكينة الخياطة. تستكشف بأنفها حول الخزانة المزخرفة الضخمة السوداء. تبحث في آخر القبو حيث تأتي الأصوات. تندفع نحو القسم الكئيب لتنبح ثم تتراجع مرة أخرى.

الآن صوت يتردد بخفوت خلال القبو.

- بريييششيييس.

نبحت الكلبة الصغيرة وقفزت في مكانها. ارتجف جسدها الصغير الدهني مع النباح.

الآن صوت تقبيل رطب.

نظرت الكلبة إلى طابق المطبخ بالأعلى، لكن لم يكن هذا مصدر الصوت.

صوت صفعات مثل صوت الاستدعاء للأكل.

- تعالي بريشيس. تعالي يا حبيبتي.

على أطراف أصابعها، أذناها منتصبتان إلى أعلى، دخلت الكلبة في الظلام. صوت يحاكي التهام الطعام بصخب.

- تعالي يا حلوة، هيَّا يا بريشيس.

بوسع كلبة البودل شم رائحة عظمة الدجاجة المربوطة بمقبض الدلو. خدشت جانب البئر وأنَّت.

صوت الصفعات.

قفزت الكلبة الصغيرة على الغطاء الخشبي للبئر. كانت الرائحة هنا، بين الدلو والحفرة. نبحت الكلبة الصغيرة تجاه الدلو، مصدرة أنينًا مترددًا. ترتعش عظمة الدجاجة بخفة شديدة.

جثمت الكلبة وأنفها بين قائمتيها الأماميتين، مؤخرتها في الهواء، وهي تهتز بشراسة. نبحت مرتين وانقضت على عظمة الدجاجة، تمسكها بأسنانها. بدا أن الدلو تحاول إبعاد الكلبة الصغيرة عن الدجاجة. دمدمت كلبة البودل في الدلو وتمسكت بالمقبض، مباعدة بين قائمتيها، وأسنانها متشبثة بقوة على العظمة. فجأة صدمت الدلو كلبة البودل، على قدميها، دفعتها، كافحت للنهوض، ارتطمت مرة أخرى، كافحت مع الدلو، تدلت قدم خلفية وردف في الحفرة، وخربشت مخالبها بشكل محموم على الخشب، تنزلق الدلو، وتتأرجح في الحفرة مع عجيزة الكلبة وتراجعت الكلبة الصغيرة لتتحرر، تنزلق الدلو على الحافة وتغوص، تهرب الدلو من الحفرة بعظمة الدجاجة. تنبح كلبة البودل بغضب نحو الأسفل في الحفرة، يرن النباح في البئر. ثم تتوقف عن النباح وتميل رأسها بصوت لا يمكن لسواها

سماعه. اندفعت مبتعدة عن أعلى البئر وصعدت الدرج واثبة بينما صُفق الباب في مكان ما بالطابق العلوي.

انتشرت دموع كاثرين بيكر مارتن ساخنة على خديها وسقطت، وهي تجذب الجزء الأمامي من البدلة، تغرق خلال ثدييها، وتعتقد أنها ستموت بالتأكيد.

٤٢

وقف كروفورد وحيدًا في وسط مكتبه، يداه محشورتان بعمق في جيبيه. وقف هناك من ١٢:٣٠ صباحًا إلى ١٢:٣٣، مطالبًا بفكرة. ثم كتب رسالة عبر الهاتف إلى إدارة المركبات في كاليفورنيا يطلب تتبعًا لسيارة مجهزة للسكن قال الدكتور لِكتر إن راسبايل اشتراها في كاليفورنيا، السيارة التي استخدمها راسبايل في علاقته العاطفية مع كلاوس. طلب كروفورد من إدارة المركبات التحقق من تذاكر المرور الصادرة لأي سائق بخلاف بِنجامِن راسبايل.

ثم جلس على الأريكة ومعه لوح مشبكي، وعمل على صياغة إعلان شخصي مثير لعرضه في الصحف الكبرى:

> زهرة دسمة شغوف تتمتع بجمال الربَّات، ٢١، عارضة، تبحث عن رجل يقدر الكيف والكم. عارضة لليد ومستحضرات التجميل، رأيتني في إعلانات المجلات، الآن أود أن أراك. أرسل الصور في الرسالة الأولى.

فكر كروفورد للحظة، وشطب «تتمتع بجمال الربَّات»، وكتب مكانها «تتمتع بقوام شهواني».

سقط رأسه إذ غفا. صنعت الشاشة الخضراء بطرفية جهاز الكمبيوتر مربعات صغيرة في عدستَي نظارته.

الحركة على الشاشة الآن، الخطوط تزحف إلى أعلى، تتحرك على عدستَي كروفورد. في نومه هز رأسه كما لو أن الصورة دغدغته.

كانت الرسالة:

استعاد ممفيس بوكس عنصرين في أثناء تفتيش خلية لِكتر.

(١) مفتاح أصفاد مرتجل مصنوع من أنبوبة قلم حبر. شقَّان مصنوعان بالاحتكاك. طُلب من بالتيمور فحص زنزانة المستشفى للعثور على آثار التصنيع، بتفويضٍ من كوبلي، العميل الخاص المسؤول.

(٢) ورقة من مفكرة تركها الهارب طافية في المرحاض. الأصل في طريقه إلى قسم الوثائق/ المختبر. فيما يلي تصوير للكتابة. أُرسل التصوير إلى لانجلي، لعناية: بِنسون، التشفير.

عندما ظهر الرسم، صاعدًا كشيء يختلس النظر فوق الحافة السفلية للشاشة، هذا ما كان عليه:

$C_{33}H_{36}I$ L   T O_6 N_4

لم توقظ الصافرة المزدوجة الناعمة لطرفية الكمبيوتر كروفورد، لكن الهاتف أيقظه بعد ثلاث دقائق. كان جيري بوروز على الخط الساخن لمركز معلومات الجريمة الوطني.

- هل ترى شاشتك يا جاك؟

قال كروفورد:

- لحظة واحدة.

نعم، حسنًا.

- لقد فهمه المختبر بالفعل يا جاك. الرسم الذي تركه لِكتر في المرحاض. الأرقام بين الأحرف في اسم تشيلتون، إنها كيمياء حيوية - $C_{33}H_{36}N_4O_6$ - إنها صيغة صبغة في المرارة البشرية تُسمَّى بيليروبين. يقول المختبر إنها صبغة عامل التلوين الرئيسي في الخراء.

- وقاحة عظيمة.

- لقد كنت محقًّا بشأن لِكتر يا جاك. لقد كان يخدعهم فقط. مؤسف للغاية بالنسبة إلى السيناتور مارتن. يقول المختبر إن مادة البيليروبين هي لون شعر تشيلتون بالضبط تقريبًا. فكاهة المصحة، كما يُسمُّونها. هل رأيت تشيلتون في أخبار الساعة السادسة؟

- لا.

- رأت مارلين سوتر ذلك في الطابق العلوي. كان تشيلتون يتحامق عن «البحث عن بيلي روبين». ثم ذهب لتناول العشاء مع مراسل تلفزيوني. هذا هو المكان الذي كان فيه عندما ذهب لِكتر للتنزه. يا له من أحمق مثالي.

قال كروفورد:

- قال لِكتر لستارلِنج: «ضعي في حسبانك» أن تشيلتون لم يكن حاصلًا على شهادة في الطب.

- نعم، لقد رأيت ذلك في الملخص. أعتقد أن تشيلتون حاول مضاجعة ستارلِنج، وأذلَّته. قد يكون غبيًّا لكنه ليس أعمى. كيف حال الطفلة؟

- بخير، على ما أعتقد. منهَكة.

- هل تعتقد أن لِكتر كان يخدعها أيضًا؟

- ربما. سنظل نتابع الأمر، على الرغم من ذلك. لا أعرف ما تفعله العيادات، ما زلت أفكر في أنني كان يجب أن أسعى للحصول على السجلات في

المحكمة. أكره الاعتماد عليهم. منتصف الصباح، إذا لم نسمع أي شيء، فسنسلك طريق المحكمة.

- قل يا جاك... لديك بعض الأشخاص خارج هذا الأمر يعرفون كيف يبدو لِكتر، أليس كذلك؟

- بلى.

- ألا تعلم أنه يضحك في مكان ما.

قال كروبورد:

- ربما ليس لوقت طويل.

٤٣

وقف الدكتور هانيبال لِكتر في مكتب التسجيل في فندق ماركوس الأنيق في سانت لويس. ارتدى قبعة بنية ومعطفًا واقيًا من المطر، أزراره مقفلة إلى الرقبة. غطت ضمادة جراحية أنيقة أنفه ووجنتيه.

وقَّع على السجل باسم «لويد وايمان»، وهو توقيع كان يتدرب عليه في سيارة وايمان.

قال الكاتب:

- كيف ستدفع يا سيد وايمان؟

- أمريكان إكسبريس.

سلم الدكتور لِكتر الرجل بطاقة ائتمان لويد وايمان.

انسابت موسيقى البيانو الناعمة من صالون الفندق. بوسع الدكتور لِكتر رؤية شخصين تغطي ضمادتين أنفيهما عند نضد الحانة. عبَر زوجان في منتصف العمر إلى المصاعد، وهما يدندنان نغمة من موسيقى كول بورتر. كانت المرأة تضع رقعة من الشاش على عينها.

انتهى الموظف من تسجيل بطاقة الائتمان:

- كما تعرف يا سيد وايمان، يحق لك استخدام مرأب المستشفى.

قال الدكتور لِكتر:

- نعم، شكرًا لك.

كان قد أوقف بالفعل سيارة وايمان في المرأب، وبها وايمان في صندوق السيارة.

حصل حمَّال الفندق الذي حمل حقائب وايمان إلى الجناح الفندقي الصغير على إكرامية من فئة خمسة دولارات من وايمان.

طلب الدكتور لِكتر شرابًا وشطيرة، واسترخى بالاستحمام مطوَّلًا.

بدا الجناح هائلًا للدكتور لِكتر بعد احتجازه الطويل. استمتع بالذهاب والإياب في جناحه الفندقي والمشي فيه غدوًّا ورواحًا.

يمكنه أن يرى من نوافذه عبر الشارع جناح مايرون وسادي فلايشر بمستشفى مدينة سانت لويس، التي تضم أحد المراكز الأولى في العالم لجراحة الجمجمة والوجه.

كان وجه الدكتور لِكتر معروفًا جدًّا، فلم يتمكن من الاستفادة من جراحي التجميل هنا، ولكنه كان المكان الوحيد في العالم حيث يمكن أن يتجول بضمادة على وجهه من دون إثارة الاهتمام.

لقد أقام هنا مرة من قبل، منذ سنوات، عندما كان يجري بحثًا نفسيًّا في مكتبة روبرت ج. بروكمان التذكارية الرائعة.

متشوق إلى الحصول على نافذة، عدة نوافذ. وقف عند نوافذه في الظلام، يشاهد أضواء السيارات تتحرك عبر جسر ماك آرثر، ويتذوق شرابه. لقد كان متعَبًا بسرور من رحلة استغرقت خمس ساعات بالسيارة من ممفيس.

كانت الإثارة الحقيقية الوحيدة في الأمسية في المرأب تحت الأرض في مطار ممفيس الدولي. لم يكن التنظيف باستخدام الفوط القطنية والكحول والماء المقطر في الجزء الخلفي من سيارة الإسعاف المتوقفة مريحًا على الإطلاق. بمجرد أن ارتدى الزي الأبيض لمُرافق الإسعاف، كان الأمر مجرد مسألة اصطياد مسافر واحد في ممر مهجور في المرأب الكبير المخصص لوقوف السيارات فترات طويلة. انحنى الرجل مضطرًّا داخل صندوق سيارته من أجل حقيبته، ولم يرَ الدكتور لِكتر قادمًا من خلفه.

تساءل الدكتور لِكتر عما إذا كانت الشرطة تعتقد أنه كان أحمق بما يكفي للطيران من المطار.

كانت المشكلة الوحيدة في الطريق إلى سانت لويس العثور على الأضواء ومفاتيح تخفيف الإضاءة والمساحات في السيارة الأجنبية، إذ لم يكن الدكتور لِكتر على دراية بمفاتيح التحكم في الذراع المجاورة لعجلة القيادة.

غدًا سيتسوق لشراء الأشياء التي يحتاج إليها، مثل مبيض الشعر، ومستلزمات الحلاقة، ومصباح يحاكي إضاءة الشمس لتسمير البشرة، وكانت هناك أشياء أخرى، وصفات طبية، سيحتاج إلى الحصول عليها لإجراء بعض التغييرات الفورية في مظهره. عندما يكون مظهره ملائمًا، سيمضي في طريقه.

لا داعي للاستعجال.

٤٤

كانت أرديليا ماب في وضعها المعتاد، متكئة في السرير ومعها كتاب، تستمع إلى محطة الأخبار في الراديو. أغلقته عندما دخلت كلاريس ستارلِنج. بعد النظر إلى وجه ستارلِنج المجهَد، من حسن الحظ أنها لم تسأل عن أي شيء سوى:

- هل تريدين قليلًا من الشاي؟

عندما تدرس ماب، تشرب مشروبًا كانت تخمره من أوراق متفرقة مختلطة أرسلتها لها جدتها، والذي أسمته «شاي الأشخاص الأذكياء».

من بين ألمع شخصين عرفتهما ستارلِنج، كان أحدهما أيضًا أشد شخص عرفته ثباتًا والآخر كان الأشد إثارة للرعب. أملت ستارلِنج أن يمنحها ذلك شيئًا من التوازن بين معارفها.

قالت ماب:

- كنتِ محظوظة لأنك فوَّتِ اليوم. تلك اللعينة كيم وون أنهكتنا تمامًا. أنا لا أكذب. أعتقد أنه يجب أن تكون لديهم في كوريا جاذبية أرضية أكبر مما لدينا. ثم سيأتون إلى هنا ويصبحون خفافًا، أتفهمين، يحصلون على وظائف لتدريس التربية البدنية لأنها ليست عملًا بالنسبة إليهم... مرَّ جون بريجهام.

- متى؟

- الليلة، منذ فترة وجيزة. أراد أن يعرف ما إذا كنتِ قد عدت بعد. لقد جعل شعره أملس. تحرك مثل مبتدئ في البهو. تحدثنا قليلًا. قال إذا تخلفتِ

وكان علينا أن نضغط أنفسنا للدراسة بدلًا من إطلاق النار خلال حصة الرماية في اليومين المقبلين، فسيفتح الميدان في نهاية هذا الأسبوع ويدعنا نعوِّض الحصة. قلت إنني سأخبره إذا احتجنا إلى ذلك. إنه رجل لطيف.

- نعم إنه كذلك.

- هل تعلمين أنه يريد منك إطلاق النار على إدارة مكافحة المخدرات والجمارك في المباراة المشتركة بين الفروع؟

- لا.

- ليست مباراة النساء. المباراة المفتوحة. السؤال التالي: هل تعرفين موضوع التعديل الرابع ليوم الجمعة؟

- كثير منه، نعم.

- حسنًا، ما قضية تشيميل ضد كاليفورنيا؟

- قواعد التفتيش في المدارس الثانوية.

- ماذا عن قواعد تفتيش المدارس؟

- لا أعرف.

- إنه مفهوم «تفتيش ما في متناول اليد مباشرة». ما هو شنِكلوث؟

- يا للجحيم، لا أعرف.

- قضية شنِكلوث ضد بوستامونتي.

- هل هو توقع قدر معقول من الخصوصية؟

- عارٌ عليكِ. توقع الخصوصية هو مبدأ كاتز. شنِكلوث هو الموافقة على التفتيش. بوسعي أن أرى أننا يجب أن نضغط أنفسنا بين الكتب يا فتاتي. لديَّ الملاحظات.

- ليس الليلة.

- نعم. لكن غدًا ستستيقظين وعقلك خصيب ومفتقر إلى المعرفة، وبعد ذلك سنبدأ في زراعة الغلة ليوم الجمعة. ستارلِنج، قال بريجهام - ليس من المفترض أن يخبرنا بذلك، لذا فقد وعدتُ - قال إنكِ ستتغلبين على

جلسة الاستماع. إنه يعتقد أن ابن العاهرة كريندلر لن يتذكرك بعد يومين من الآن. درجاتك جيدة، ستهزمين هذا الأمر بسهولة.

تأملت ماب وجه ستارلِنج المتعب:

- لقد فعلتِ أفضل ما يمكن لأي شخص فعله من أجل تلك الروح المسكينة يا ستارلِنج. لقد عرضتِ رقبتك للخطر من أجلها وتعرضت للإهانة من أجلها وحركت الأمور. أنت نفسك تستحقين فرصة. لماذا لا تذهبين للنوم الآن وتتركين كل ذلك؟ أتهيأ أنا نفسي لإغلاق هذا الآن.

- أرديليا. شكرًا.

وبعد أن انطفأت الأنوار.

- ستارلِنج؟

- نعم؟

- مَن برأيك أجمل بريجهام أم بوبي لو المثير؟

- هذا صعب.

- بريجهام لديه وشم على كتفه، بوسعي رؤيته خلال قميصه. ماذا يقول وشمه؟

- لن تكون لديَّ أي فكرة.

- هل ستخبرينني بمجرد معرفة ذلك؟

- على الأرجح لا.

- لقد أخبرتكِ عن لباس هوت بوبي الداخلي بنقشة ثعبان بايثون.

- لقد رأيتِه فحسب خلال النافذة عندما كان يرفع الأثقال.

- هل أخبرتكِ جرايسي بذلك؟ فم تلك الفتاة سوف...

كانت ستارلِنج قد راحت في النوم.

٤٥

قبل الساعة الثالثة صباحًا بقليل، استيقظ كروفورد، الغافي بجانب زوجته. كانت هناك مشكلة في تنفس بيلَّا وقد تحركت على سريرها. جلس وأخذ يدها.

- بيلَّا؟

أخذت نفسًا عميقًا وتركته يخرج. كانت عيناها مفتوحتين لأول مرة منذ أيام. وضع كروفورد وجهه بالقرب من وجهها، لكنه لم يعتقد أنها تستطيع رؤيته.

قال تحسبًا إذا استطاعت سماعه:

- بيلَّا، أحبك يا طفلتي.

لامس الخوف جدران صدره، وهو يحوم بداخله مثل خفاش في منزل. ثم وضع قبضته عليه.

أراد أن يحضر لها شيئًا، أي شيء، لكنه لم يُرِدها أن تشعر بأنه ترك يدها.

وضع أذنه على صدرها. سمع دقات خافتة ورفرفة ثم توقف قلبها. لم يكن هناك شيء لسماعه، لم يكن هناك سوى جيَشان بارد غريب. لم يكن يعرف ما إذا كان الصوت في صدرها أم في أذنيه فقط.

قال كروفورد:

- ليباركك الرب وليحفظك معه... ومع أهلك.

كلمات أراد أن تكون حقيقية.

ضمها إليه على السرير، جلس مستندًا إلى لوح الرأس، وأمسكها على صدره بينما مات دماغها. دفع ذقنه الوشاح عن بقايا شعرها. لم يبكِ. لقد انتهى من كل ذلك.

غيَّر كروفورد ثيابها وألبسها ثوبها المفضل، أفضل ثوب نومٍ لديها وجلس فترة بجانب السرير المرتفع، ممسكًا يدها على خده. كانت يدًا مربعة وذكية، تميزت بعلامات ممارسة البستنة طوال العمر، وتميزت الآن بالإبر الوريدية.

حين تأتي من الحديقة، تكون رائحة يديها مثل الزعتر.

(«فكري في الأمر مثل بياض البيض على أصابعك»، هكذا نصحت الفتيات في المدرسة بيلَّا عن الجنس. مزحت هي وكروفورد بشأن الأمر في الفراش، منذ سنوات، بعد سنوات، العام الماضي. لا تفكر في ذلك، فكر في الأمور الجيدة، الأمور النقية. كانت هذه هي الأشياء النقية. كانت ترتدي قبعة مستديرة وقفازين أبيضين وصاعدة في المصعد في المرة الأولى التي صفر فيها ترتيبًا دراميًّا لأغنية «بيجن ذا بيجن». في الغرفة داعبته بأن جيوبه مكتظة كولد صغير).

حاول كروفورد الذهاب إلى الغرفة المجاورة، ما زال بإمكانه الالتفات إذا أراد ذلك ورؤيتها خلال الباب المفتوح، هادئة يغمرها الضوء الدافئ من المصباح المجاور للسرير. كان ينتظر أن يصبح جسدها شيئًا طقسيًّا متباعدًا عنه، منفصلًا عن الشخص الذي كان يمسكه على السرير، ومنفصلًا عن رفيق الحياة الذي يحمله الآن في ذهنه. هكذا تمكن من الاتصال بهم ليأتوا من أجلها.

تتدلى يداه الخاليتان إلى جانبيه وراحتاه إلى الأمام، وقف عند النافذة ناظرًا إلى الشرق الخاوي. لم يتطلع إلى الفجر. كان الشرق هو الاتجاه المواجه للنافذة فحسب.

٤٦

- جاهزة يا بريشيس؟

كان جايم جَمب متكئًا على لوح الرأس بسريره ومرتاحًا للغاية، تكورت الكلبة الصغيرة دافئة على بطنه.

لقد غسل السيد جَمب للتو شعره ولف رأسه بمنشفة. بحث بين الأغطية، ووجد جهاز التحكم عن بُعد لجهاز الفيديو، وضغط زر التشغيل. لقد ألَّف برنامجه من شريطَي فيديو نُسخا على شريط واحد. شاهده كل يوم عندما كان يُجري استعدادات حيوية، وكان دائمًا يشاهده مباشرة قبل أن يحصد إهابًا.

كان الشريط الأول من فيلم مشوش من موفيتون نيوز، نشرة إخبارية بالأبيض والأسود من عام ١٩٤٨. كان ربع نهائي مسابقة ملكة جمال ساكرامنتو، وهو حدث تمهيدي على الطريق الطويل إلى مسابقة ملكة جمال أمريكا في أتلانتيك سيتي.

كانت هذه منافسة ملابس السباحة، وحملت جميع الفتيات الزهور، وهن قادمات في صف على الدرَج، وصعدن إلى المسرح.

مرت كلبة السيد جَمب بهذه التجربة عدة مرات، وأغمضت عينيها عندما سمعت الموسيقى، وهي تعلم أنها ستتعرض للعصر.

بدت المتسابقات شبيهات للغاية بالحرب العالمية الثانية. ارتدين ملابس السباحة من تصميم روز ماري ريد، وكانت بعض الوجوه جميلة. كانت سيقانهن

جميلة أيضًا، بعضهن، لكن افتقرن إلى قوة العضلات ويبدو أن ركبهن منثنية قليلًا.

اعتصر جَمب الكلبة.

- بريشيس، ها هي ذي آتية، ها هي ذي آتية!

وها قد أتت، تقترب من الدرَج في ملابس سباحتها البيضاء، بابتسامة مشرقة للشاب الذي ساعدها عند الدرَج، ثم مسرعة على كعبيها العاليين بعيدًا، والكاميرا تتبع ظهر فخذيها: ماما. هناك كانت ماما.

لم يكن السيد جَمب مضطرًّا إلى لمس جهاز التحكم عن بُعد، فقد فعل كل شيء عندما أعاد تسجيل هذه النسخة. بالعكس، عادت إلى الوراء، إلى الوراء إلى أسفل الدرَج، وأخذت ابتسامتها من الشاب، وعادت إلى الخلف في الممر، والآن إلى الأمام مرة أخرى، والخلف والأمام، إلى الأمام والخلف.

عندما ابتسمت للشاب، ابتسم جَمب أيضًا.

كانت هناك لقطة أخرى لها في مجموعة، لكنها دائمًا ما تكون غير واضحة في إطار التجميد. من الأفضل تشغيله بسرعة فحسب والحصول على لمحة. كانت ماما مع الفتيات الأخريات، يهنئن الفائزات.

القطعة التالية التي سجلها من قناة تلفزيونية خاصة بالمشتركين من فندق صغير في شيكاغو - كان عليه أن يُهرع ويشتري جهاز فيديو ويقيم ليلة إضافية للحصول عليه. كان هذا هو فيلم الحلقة المتكررة الذي يُشغَّل على قنوات الكابل سيئة السمعة في وقت متأخر من الليل كخلفية للإعلانات الجنسية التي تزحف مطبوعة إلى أعلى الشاشة. تُعَد الحلقات المتكررة من أفلام تافهة، وأفلام شقية بريئة إلى حدٍّ ما من الأربعينيات والخمسينيات، وكرة طائرة في معسكر للعراة والأجزاء الأقل وضوحًا من أفلام الجنس في الثلاثينيات، حيث ارتدى الممثلون الذكور أنوفًا مزيفة وما زالوا بجواربهم. كان الصوت أي موسيقى. في الوقت الحالي، كانت موسيقى «ذا لوك أوف لاف» غير متزامنة إطلاقًا مع الحركة الحيوية.

لم يكن هناك شيء يمكن أن يفعله السيد جَمب حيال الإعلانات التي تزحف على الشاشة. كان عليه فقط أن يتحملها.

ها هو ذا، مسبح في الهواء الطلق بكاليفورنيا، يظهر من أوراق الشجر. أثاث المسبح جيد، كل شيء في الخمسينيات. سباحة عارية، بعض الفتيات رشيقات. قلة منهن ظهرن في عدد من أفلام الدرجة الثانية. بحيوية وتوثب، قفزن من المسبح وركضن، أسرع بكثير من الموسيقى، إلى سلم منزلق مائي، وصعدن إلى أعلى، وصلن، وي ي ي ي! ارتفاع الأثداء في أثناء هبوطهن على المنزلق، ضاحكات، سيقان مستقيمة، رذاذ الماء!

ها هي ذي ماما. ها قد أتت، تتسلق خارجة من المسبح خلف الفتاة ذات الشعر المجعد. كان وجهها مغطى جزئيًّا بإعلان زحف من سندريلا، متجر للجنس، لكن هنا رآها المرء تبتعد، وهناك صعدت السلم لامعة ومبتلة، عامرة الصدر وبضة على نحو رائع، مع ندبة جراحة قيصرية صغيرة وإلى أسفل المنزلق وي ي ي ي! جميلة جدًّا، جميلة، وحتى إذا لم يستطع رؤية وجهها، فقد عرف السيد جَمب في قلبه أنها ماما، صوِّرت في فيلم بعد آخر مرة تمكن من رؤيتها حقًّا في حياته. إلا في عقله، بالطبع.

تحول المشهد إلى إعلان مصور للمساعدة الزوجية وانتهى فجأة.

ضيقت الكلبة عينيها ثانيتين قبل أن يحتضنها السيد جَمب بقوة.

– أوه يا بريشيس. تعالي هنا إلى ماما. ماما ستكون جميلة جدًّا!

يجب أداء كثير من العمل، كثير من العمل، كثير من العمل للاستعداد للغد.

لم يمكن سماع الكائن من المطبخ حتى بأعلى صوته، والشكر للرب، لكن بإمكانه سماعه على الدرَج وهو ينزل إلى القبو. كان يأمل أن يكون الكائن هادئًا ونائمًا. زمجرت الكلبة، التي وضعها تحت ذراعه، ردًّا على أصوات الحفرة.

قال في الفراء على مؤخرة رأسها:

– لقد رُبِّيتِ لتكوني أفضل من ذلك.

حجرة الزنزانة الأرضية من خلال باب على اليسار في أسفل الدرَج. لم يمنحها نظرة، ولم يستمع إلى الكلمات من الحفرة، فبقدر ما كان مهتمًّا، لم تكن تحمل أدنى شبه باللغة الإنجليزية.

استدار السيد جَمب يمينًا إلى غرفة العمل، ووضع كلبة البودل جانبًا وأضاء الأنوار. رفرف عدد قليل من حشرات العُث، وأضاءت على نحو غير ضار على الشبكة السلكية التي تغطي أنوار السقف.

كان السيد جَمب شديد التدقيق في غرفة العمل. كان دائمًا يخلط محاليله الطازجة في الفولاذ المقاوم للصدأ، وليس الألومنيوم قَطُّ.

لقد تعلم أن يفعل كل شيء بشكل جيد في وقت مبكر. وفي أثناء عمله نذر نفسه:

يجب أن تكون منظمًا، يجب أن تكون دقيقًا، يجب أن تكون سريعًا، لأن المشكلات هائلة.

الجلد البشري ثقيل - ست عشرة إلى ثماني عشرة بالمائة من وزن الجسم - وزلِق. يصعب التعامل مع إهاب كامل ويسهل إسقاطه وهو ما زال مبتلًّا. الوقت مهم أيضًا. يبدأ الجلد في الانكماش فور حصاده، وعلى الأخص من اليافعين، الذين يكون جلدهم الأصعب في الابتداء به.

أضف إلى ذلك حقيقة أن الجلد ليس مرنًا تمامًا، حتى في الشباب. إذا مدَّدته، فلن يستعيد نسبه الأصلية أبدًا. درِّز شيئًا أملس تمامًا، ثم شده أيضًا بقوة فوق وسادة الخياط المنتفخة، فينتفخ ويتجعد. الجلوس إلى ماكينة الخياطة والبكاء حتى تخرج عيناك لن يزيلا تجعدًا واحدًا. ثم هناك خطوط التشقق، ومن الأفضل أن تعرف مكانها. لا يتمدد الجلد بالمقدار نفسه في جميع الاتجاهات قبل أن تتشوه حزم الكولاجين وتتمزق الألياف، شد في الاتجاه الخطأ، وستحصل على علامة تمدد.

ببساطة، من المستحيل العمل مع المادة المتجددة. ضاع كثير من التجريب

في هذا، إلى جانب قدر كبير من حسرة القلب، قبل أن يفهمها جَمب على نحو صحيح.

في النهاية وجد أن الطرق القديمة كانت الأفضل. كانت إجراءاته كالآتي: أولًا نقع أغراضه في أحواض السمك، في مستخلصات نباتية طورها الأمريكيون الأصليون، عبارة عن مواد طبيعية بالكامل لا تحتوي على أملاح معدنية على الإطلاق. ثم استخدم الطريقة التي أنتجت جلد الغزال الناعم كالزبدة الذي لا مثيل له من دباغة الدماغ الكلاسيكية في العالم الجديد. يعتقد الأمريكيون الأصليون أن كل حيوان لديه من دهون الدماغ وإنزيماته ما يكفي لدباغة إهابه. كان السيد جَمب يعلم أن هذا لم يكن صحيحًا، وقد توقف عن تجربته منذ فترة طويلة، حتى مع أكبر الحيوانات الرئيسية دماغًا. كانت لديه ثلاجة مليئة بأدمغة البقر الآن، كي لا تنفد منه أبدًا.

يمكنه إدارة مشكلات معالجة المواد، جعلته الممارسة أقرب إلى الكمال.

ظلت المشكلات الهيكلية الصعبة قائمة، لكنه كان مؤهلًا على نحو خاص لحلها أيضًا.

فُتحت غرفة العمل على ممر في القبو يؤدي إلى حمَّام غير مستعمل، حيث خزن السيد جَمب البكرة الرافعة وساعة الإيقاف الخاصة به، ثم يؤدي إلى الاستوديو والخزانة السوداء بعده.

فتح باب الاستوديو الخاص به أمام الأضواء الساطعة، الأضواء الكاشفة والأنابيب المتوهجة، المصححة للألوان حسب ضوء النهار، والتي ثُبتت على عوارض السقف. وُضعت التماثيل العارضة على أرضية مرتفعة من خشب البلوط المعتَّق بالتبييض. كانت جميعها مغطاة جزئيًّا، بعضها بالجلد، وبعضها بنماذج للملابس الجلدية من قماش الموسلين. تضاعفت ثمانية تماثيل عارضة في جدارين تغطيهما المرايا، مرآة معلقة جيدة أيضًا، ليست بلاطات. تحتوي طاولة زينة على مستحضرات تجميل، وعدد من نماذج

الشعر المستعار، وشعر مستعار. كان هذا من أشد الاستوديوهات إشراقًا، كله من خشب البلوط الأبيض والفاتح.

ارتدت التماثيل العارضة أعمالًا تجارية قيد التنفيذ، أغلبها تقليد دراماتيكي من أرماني، من جلد كابريتا الأسود الناعم، وكلها طيَّات ملفوفة وأكتاف مدببة ولوحات صدرية.

امتلأ الجدار الثالث بمنضدة عمل كبيرة، واثنتين من ماكينات الخياطة التجارية، واثنين من القوالب على شكل جذع الإنسان التي يستخدمها خياطو الملابس، وقالب خيَّاط مصبوب من جذع جَمب نفسه.

على الجدار الرابع، كانت خزانة عتيقة سوداء ضخمة مطلية بالورنيش الصيني مهيمنة على هذه الغرفة المشرقة، ارتفعت تقريبًا إلى السقف الذي يبلغ ارتفاعه ثماني أقدام. كانت قديمة وبهتت التصاميم التي عليها. بقيت بعض الحراشف الذهبية حيث كان التنين، ما زالت عينه البيضاء صافية ومحدِّقة، وهنا كان اللسان الأحمر لتنين آخر تلاشى جسده. بقي الورنيش تحتها سليمًا، على الرغم من أنه كان مطقطقًا.

الخزانة، هائلة وعميقة، لا علاقة لها بالعمل التجاري. ضمت بداخلها أشكالًا ومعلقات الأشياء الخاصة، وكانت أبوابها مغلقة.

لفت الكلبة الصغيرة حول وعاء الماء الخاص بها في الزاوية، واستلقت بين قدمَي تمثال عارض، وعيناها على السيد جَمب.

كان يعمل على سترة جلدية. عليه الانتهاء منها، اعتزم إبعاد كل شيء عن الطريق، لكنه كان في نوبة حُمَّى إبداعية الآن وملابس القياس المصنوعة من قماش الموسلين لم ترضِه بعد.

تقدم السيد جَمب في الخياطة إلى حد يتجاوز بكثير ما علمته إياه إدارة الإصلاحيات بكاليفورنيا في صباه، لكن هذا كان تحديًا حقيقيًّا. حتى العمل بجلد كابريتا الرقيق لا يؤهلك لعمل جيد حقًّا.

كانت لديه هنا قطعتان من ملابس القياس من قماش الموسلين، مثل المعاطف

البيضاء التي تصل إلى الخصر، إحداهما بحجمه تمامًا، والأخرى صنعها من قياسات أخذها بينما كانت كاثرين بيكر مارتن لا تزال فاقدة الوعي. عندما وضع الأصغر حجمًا على قالب الخياط الخاص به، كانت المشكلات واضحة. كانت فتاة ضخمة، ومتناسقة على نحو رائع، لكنها لم تكن ضخمة مثل السيد جَمب، ولم تكن عريضة جدًّا عبر الظهر.

كانت فكرته المثالية رداء من دون وصلات. لم يكن هذا ممكنًا. كان مصممًا، مع ذلك، على أن يكون الجزء الأمامي من الصدرية من دون وصلات على الإطلاق وخاليًا من العيوب. هذا يعني أنه يجب إجراء جميع تصحيحات القوام على الظهر. صعب للغاية. لقد تخلص بالفعل من قطعة قياس من الموسلين وبدأ من جديد. بالتمدد الحكيم، يمكنه تدبر الأمر بطيَّتَين تحت الإبط، ليست من الطيَّات الفرنسية، لكن من الطيَّات المثلثة الرأسية الداخلية، رؤوسها متجهة إلى أسفل. اثنتان من طيَّات الخصر أيضًا في الظهر، بالضبط إلى داخل كليتيه. كان معتادًا العمل بقدر ضئيل من الخياطات فحسب.

تجاوزت اعتباراته الجوانب المرئية إلى الجوانب الملموسة، لم تكن إمكانية احتضان شخص جذاب مستحيلة.

رش السيد جَمب بودرة التلك برفق على يديه، واحتضن قالب الخياط الذي يمثل جسده في عناق طبيعي ومريح.

قال مرحًا للهواء الخالي حيث يجب أن يكون الرأس: «أعطِني قبلة».

قال للكلبة الصغيرة عندما رفعت أذنيها:

- ليس أنتِ أيتها السخيفة.

مسَّد جَمب ظهر النموذج عند الامتداد الطبيعي لذراعيه. ثم سار إلى خلفه ليرى آثار البودرة. لا أحد يريد أن يشعر بخياطة. في الاحتضان، تمسد اليدان فوق منتصف الظهر. أيضًا، كما فكر، نحن معتادون على الخط المركزي للعمود الفقري. إنه ليس صادمًا مثل عدم التناسق في أجسامنا. خياطة الكتف بالتأكيد ليست خيارًا

مطروحًا، إذن. كان الجواب طيَّة مركزية في الأعلى، رأسها أعلى بقليل من مركز لوحَي الكتفين. يمكنه استخدام الخياطة نفسها لتثبيت الرباط القوي المدمج في البطانة لتوفير الدعم. ألواح ليكرا أسفل المردَّات على كلا الجانبين، يجب أن يتذكر وضع ليكرا وغالق فيلكرو أسفل المرَدِّ الموجود على اليمين. فكر في تلك الثياب الرائعة من تصميم تشارلز جيمس، حيث تداخلت الخياطات لتكون مسطحة تمامًا.

سيُغطي الطية الخلفية بشعره، أو بالأحرى بالشعر الذي سيحصل عليه قريبًا.

خلع السيد جَمب الموسلين من على قالب الخياط، وبدأ العمل.

كانت ماكينة الخياطة قديمة ومصنوعة بإتقان، وهي ماكينة مزخرفة بدواسة حُوِّلت إلى دواسة كهربائية ربما منذ أربعين عامًا. على ذراع الآلة رُسمت لفافة من أوراق الذهب «أنا لا أتعب، أنا أخدم». ظلت دوَّاسة القدم عاملة، وبدأ جَمب تشغيل الماكينة بها لكل سلسلة من الغرز. من أجل الخياطة الدقيقة، فضَّل العمل حافي القدمين، حيث يهز الدوَّاسة برفق بقدمه اللحمية، ممسكًا حافتها الأمامية بأصابع قدمه المصبوغة لمنع التجاوزات في الخياطة. لفترة من الوقت، لم تكن هناك إلا أصوات الماكينة، وشخير الكلبة الصغيرة، وهسيس أنابيب البخار في القبو الدافئ.

عندما انتهى من إدخال الطيَّات في رداء الموسلين، جربه أمام المرايا. راقبت الكلبة الصغيرة من الركن، ورأسها مائل.

احتاج إلى إرخائه قليلًا تحت فتحتَي الذراعين. ما زال هناك عدد قليل من المشكلات المتبقية مع الواجهات والواجهات الداخلية. فيما عدا ذلك كان جميلًا جدًّا. كان مرنًا، مطواعًا، حيويًّا. استطاع أن يرى نفسه وهو يصعد سلم منزلق مائي بأسرع ما يحلو لك.

لعب السيد جَمب بالأضواء والشعر المستعار الخاص به للحصول على بعض التأثيرات الدراماتيكية، وجرب عقدًا ضيقًا رائعًا من الأصداف على خط الياقة. سيكون الأمر مذهلًا عندما يرتدي ثوبًا بطوق مفتوح أو بيجاما فضفاضة على صدره الجديد.

كان من المغري الاستمرار في ذلك الآن، أن يبدأ في الانشغال حقًّا، لكن عينيه كانتا متعَبتين. لقد أراد أن تكون يداه ثابتتين تمامًا أيضًا، ولم يكن مستعدًّا للضوضاء. بصبر التقط القُطب وفرد القطع. نمط مثالي للقص عليه.

قال للكلبة الصغيرة وهو يُخرِج دماغ البقر ليذوب تجميده:

- غدًا يا عزيزتي. سنفعل ذلك أول شيء غدًاااااااااا. ماما ستكون جميلة جدًّا!

٤٧

نامت ستارلِنج بالكاد لمدة خمس ساعات واستيقظت في جوف الليل، أيقظها خوف من حلم. عضت ركن الملاءة وضغطت براحتيها على أذنيها، في انتظار معرفة ما إذا كانت مستيقظة حقًّا وبعيدة عن الحلم. صمت ولا حملان تصرخ. عندما عرفت أنها مستيقظة تباطأ قلبها، لكن قدميها لم تبقيا ساكنتين تحت الأغطية. في غضون لحظة كان عقلها سيسرع، عرفت ذلك.

شعرت بالارتياح عندما غمرتها موجة من الغضب الساخن بدلًا من الخوف. قالت:

- المخبول.

وأخرجت قدمًا في الهواء.

طوال اليوم الطويل، عندما قاطعها تشيلتون، وأهانتها السيناتور مارتن، وتخلى عنها كريندلر ووبخها، وسخر منها الدكتور لِكتر وأصابها بالغثيان بسبب هروبه الدموي، ونحَّاها جاك كروفورد عن المهمة، كان أسوأ ما وخزها: أن تُدعى لصة.

كانت السيناتور مارتن أُمًّا واقعة تحت إكراه شديد، وقد سئمت من رجال الشرطة وهم يخمشون أشياء ابنتها. لم تكن تقصد ذلك.

ومع ذلك، علق الاتهام في أعماق ستارلِنج مثل إبرة ساخنة.

عندما كانت طفلة صغيرة، تعلمت ستارلِنج أن اللصوصية هي الفعل الأرخص والأشد احتقارًا بأقل من مستوى الاغتصاب والقتل من أجل المال. كانت بعض أنواع القتل غير العمد أفضل من السرقة.

عندما كانت طفلة في المؤسسات حيث قليل من المكافآت وكثير من الجياع، تعلمت أن تكره اللص.

مستلقية في الظلام، واجهت سببًا آخر يجعل اتهام السيناتور مارتن يزعجها إلى هذا الحد.

عرفت ستارلِنج ما سيقوله الدكتور لِكتر الخبيث، وكان ذلك صحيحًا: لقد كانت خائفة من وجود شيء مبتذل رأته السيناتور مارتن فيها، شيء رخيص، شيء ما من سمات اللصة تفاعلت السيناتور مارتن معه. عاهرة جامعة فاندربيلت تلك.

كان الدكتور لِكتر سيستمتع بالإشارة إلى أن الاستياء الطبقي، ذلك الغضب المدفون الذي يأتي مع حليب الأم، كان عاملًا مهمًّا أيضًا. لم تكن ستارلِنج أقل تميزًا في أي شيء عن أي شخص من أشباه مارتن في التعليم، والذكاء، والقيادة، وبالتأكيد المظهر الجسدي، لكن الحقد الطبقي ما زال موجودًا وكانت تعرف ذلك.

كانت ستارلِنج عضوًا منعزلًا في قبيلة شرسة ليس لها نسب رسمي سوى قائمة الشرف وسجل العقوبات. مطرودون في إسكتلندا، جُوِّعوا للخروج من أيرلندا، كان كثير منهم يميلون إلى المهن الخطرة. استُنزف كثير من الأشخاص من عائلة ستارلِنج عمومًا بهذه الطريقة، لقد اصطدموا بقيعان حفر ضيقة أو انزلقوا عن الألواح الخارجة عن أسطح السفن برصاصة عند أقدامهم، أو أُمروا بالافتخار مع «نداءات النفير» المشروخة في البرد عندما أراد الجميع العودة إلى الديار. قد يتذكر الضباط قليلًا منهم بالدموع في ليالي العشاء الجماعي للكتيبة، بالطريقة التي يتذكر بها رجل ثمل كلب صيد جيدًا. أسماء باهتة في إنجيل.

لم يكن أيٌّ منهم شديد الذكاء، على حد علم ستارلِنج، باستثناء عمة كبيرة كتبت في مذكراتها على نحو رائع حتى أصيبت بـ«حُمَّى دماغية».

لكنهم لم يسرقوا، على الرغم من ذلك.

كانت المدرسة هي الشيء المهم في أمريكا، ألا تعرف ذلك، وقد أدركت عائلة ستارلِنج ذلك. أحد أعمام ستارلِنج أمر بنحت الشهادة الجامعية لأصغر أبنائه على شاهد قبره.

لقد عاشت ستارلِنج بفعل المدارس، كان سلاحها الامتحان التنافسي، طوال السنوات التي لم يكن فيها مكان آخر تذهب إليه.

عرفت أن بوسعها أن تنسحب من هذا. بوسعها أن تكون ما كانت عليه دائمًا، منذ أن تعلمت كيف يفلح الأمر: يمكن أن تصبح بالقرب من الترتيب الأول في فصلها، تنال الاستحسان، تُدرج، تُختار، ولا تُستبعد.

تعلقت المسألة بالعمل الجاد والحذر. درجاتها ستكون جيدة. لم تستطع الكورية قتلها في التربية البدنية. سيُنقش اسمها على اللوحة الكبيرة في البهو، «لوحة الممكن»، للأداء الاستثنائي في الميدان.

في غضون أربعة أسابيع ستكون عميلة خاصة لمكتب التحقيقات الفدرالي.

هل كان عليها أن تحذر من كريندلر اللعين لما تبقى من حياتها؟

في حضور السيناتور أراد أن يغسل يديه منها. كلما فكرت ستارلِنج في الموقف، لدغها. لم يكن متأكدًا أنه سيجد دليلًا في المغلَّف. كان ذلك صادمًا. تخيلت كريندلر الآن في ذهنها، ورأته يرتدي أحذية أكسفورد الخاصة بالقوات البحرية في قدميه مثل رئيس البلدية، رئيس والدها، قادمًا لأخذ ساعة الحارس.

الأسوأ من ذلك، بدا جاك كروفورد في ذهنها متضائلًا. كان الرجل تحت ضغط أكثر مما يجب أن يتحمله أي شخص. لقد أرسلها لتفقُّد سيارة راسبايل من دون أي دعم أو دليل على السلطة. حسنًا، لقد طلبت الذهاب تحت هذه الشروط، كانت المتاعب مجرد مصادفة. لكن يجب على كروفورد أن يعرف أن المتاعب ستقع عندما رأتها السيناتور مارتن في ممفيس. كانت المتاعب ستقع حتى لو لم تجد الصور اللعينة.

تستلقي كاثرين بيكر مارتن في الظلمة نفسها التي احتجزتها الآن. لقد نسيتها ستارلِنج للحظة بينما كانت تفكر في مصلحتها الخاصة.

عاقبت صور الأيام القليلة الماضية ستارلِنج على الزلة، سطعت عليها بلون مفاجئ، لون طاغٍ، لون صادم، اللون الذي يقفز من اللون الأسود عندما يضرب البرق في الليل.

كانت كيمبرلي هي التي تطاردها الآن. كيمبرلي السمينة الميتة التي ثقبت أذنيها

في محاولة لتبدو جميلة، وادخرت المال كي تزيل شعر ساقيها بالشمع. كيمبرلي بشعرها المختفي. كيمبرلي أختها. لم تعتقد ستارلِنج أن كاثرين بيكر مارتن كان لديها متسع من الوقت لكيمبرلي. الآن كانتا أختين تحت الجلد. كيمبرلي راقدة في دار جنازات تغص بقوات الولاية رعاة البقر.

لم تعد ستارلِنج قادرة على النظر إلى الأمر أكثر من ذلك. حاولت أن تدير وجهها بعيدًا مثلما يفعل السبَّاح كي يتنفس.

كان جميع ضحايا بافالو بيل من النساء، كان هوسه النساء، عاش لمطاردة النساء. لم تكن هناك امرأة واحدة تطارده بدوام كامل. لم تنظر محققة واحدة في كل جريمة من جرائمه.

تساءلت ستارلِنج عما إذا كانت لدى كروفورد الجرأة للاستعانة بها بوصفها تقَنيَّة إذا وجب عليه أن يذهب لإلقاء نظرة على كاثرين مارتن. كما توقع كروفورد، بيل سوف «يفعل شأنه بها غدًا». يفعل شأنه بها. يفعل شأنه بها. يفعل شأنه بها.

- اللعنة على هذا.

قالتها ستارلِنج بصوت عالٍ، ووضعت قدميها على الأرض.

- أنتِ هناك تفسدين شخصًا مغفلًا، أليس كذلك يا ستارلِنج؟

قالت أرديليا ماب:

- جعلتِه يتسلل إلى هنا بينما كنتُ نائمة وأنت الآن تعطينه التعليمات، لا تعتقدي أنني لا أسمعكِ.

- آسفة يا أرديليا، لم...

- يجب أن تكوني أكثر تحديدًا مع «هو» من ذلك يا ستارلِنج. لا يمكنك فقط قول ما قلتِه. إفساد المغفلين يشبه الصحافة تمامًا، عليكِ أن تخبريهم ماذا، متى، أين، كيف. أعتقد أن لماذا تشرح نفسها بنفسها وأنتِ تمضين قُدمًا.

- هل لديك أي غسيل؟

- اعتقدت أنك قلت هل لديَّ أي غسيل.

- نعم، أعتقد أنني سأشغل حمولة غسيل. ماذا لديكِ؟

- فقط تلك الكنزات خلف الباب.

- حسنًا. أغلقي عينيكِ، سأضيء النور ثانية واحدة فقط.

لم تكن مذكرات التعديل الرابع للدستور من أجل الدراسة لامتحانها القادم هي ما كوَّمتْه فوق سلة الملابس وسحبته عبر الردهة إلى غرفة الغسيل.

أخذت ملف بافالو بيل، وهو عبارة عن كومة بسُمك أربع بوصات من الجحيم والألم في غلاف أصفر برتقالي كُتب عليه بحبر بلون الدم. كانت معها نسخة مطبوعة من الخط الساخن لتقريرها عن عُثة رأس الموت.

كان عليها أن تعيد الملف غدًا، وإذا أرادت أن تكون هذه النسخة كاملة، فكان عليها إدخال تقريرها عاجلًا أو آجلًا. في غرفة الغسيل الدافئة، في صوت الغسالة المريح، خلعت الأربطة المطاطية التي كانت تثبت الملف. فردت الأوراق على حافة الغلاف القابلة للطي، وحاولت إدخال الملحق من دون رؤية أيٍّ من الصور، من دون التفكير في الصور التي قد تُضاف قريبًا. كانت الخريطة في الأعلى، كان ذلك جيدًا. لكن كان هناك خط يد على الخريطة.

مر نص الدكتور لِكتر الأنيق عبر منطقة البحيرات العظمى، وقال:

كلاريس، هل يبدو لك هذا التشتت العشوائي للمواقع مبالغًا فيه؟ ألا يبدو عشوائيًّا على نحو يائس؟ عشوائيًّا بما يتجاوز كل ملاءمة ممكنة؟ ألا يوحي إليكِ بتفاصيل منمقة لكاذب سيئ؟

شكرًا جزيلًا لكِ،

هانيبال لِكتر

ملاحظة: لا تتكلفي عناء التصفح، ليس هناك أي شيء آخر.

استغرق الأمر عشرين دقيقة من تقليب الصفحات للتأكد من عدم وجود أي شيء آخر.

اتصلت ستارلِنج بالخط الساخن من الهاتف العمومي في الردهة وقرأت الرسالة إلى بوروز. تساءلت متى ينام بوروز.

قال بوروز:

- يجب أن أخبرك يا ستارلِنج، سوق معلومات لِكتر متدهورة للغاية. هل اتصل بك جاك بخصوص بيلي روبين؟

- لا.

استندت إلى الحائط، عيناها مغمضتان بينما كان يصف نكتة الدكتور لِكتر.

قال أخيرًا:

- لا أعرف. جاك يقول إنهم سيواصلون مع عيادات تغيير الجنس، لكن ما مدى صعوبة ذلك؟ إذا نظرتِ إلى المعلومات في الكمبيوتر، الطريقة التي صُممت بها إدخالات الحقول، فيمكنك رؤية أن جميع معلومات لِكتر، الخاصة بك وبالأشياء من ممفيس، لها بادئات خاصة. يمكن حذف جميع أشياء بالتيمور أو جميع أشياء ممفيس أو كليهما من الاعتبار بزر واحد. أعتقد أن وزارة العدل تريد الضغط على الزر لمحو الكل. حصلت على مذكرة هنا تشير إلى أن الحشرة في حلق كلاوس كانت، دعينا نرَ، «من توافه الأمور».

قالت ستارلِنج:

- سترفع هذا للسيد كروفورد، على الرغم من ذلك.

- بالتأكيد، سأضعه على شاشته، لكننا لا نتصل به الآن. لا يجب عليك ذلك أيضًا. ماتت بيلّا منذ وقت قصير.

قالت ستارلِنج:

- أوه.

- اسمعي، على الجانب المشرق، ألقى رجالنا في بالتيمور نظرة على زنزانة

لِكتر في المصحة. المعاوِن، بارني، ساعدهم. حصلوا على برادات نحاسيَّة من رأس مسمار لولبي في سرير لِكتر حيث صنع مفتاح الأصفاد. اصمدي يا فتاة. ستخرجين منها بسمعةٍ عطِرة.

- شكرًا لك يا سيد بوروز. تصبح على خير.

ستخرجين منها بسمعةٍ عطِرة. تضع فيكس فابوراب تحت فتحتَي أنفها. سيشرق ضوء النهار في اليوم الأخير من حياة كاثرين مارتن.

ما الذي قد يعنيه الدكتور لِكتر؟

لم تكن هناك معرفة بما يعرفه الدكتور لِكتر. عندما أعطته الملف أول مرة، توقعت منه أن يستمتع بالصور، ويستخدم الملف كمسندٍ بينما يخبرها بما يعرفه بالفعل عن بافالو بيل.

ربما كان يكذب عليها دائمًا، تمامًا كما كذب على السيناتور مارتن. ربما لم يكن يعرف أو يفهم أي شيء عن بافالو بيل.

إنه يرى بوضوح شديد، اللعين بالتأكيد يرى من خلالي. من الصعب قبول فكرة أن شخصًا ما يمكن أن يفهمك من دون أن يتمنى لك التوفيق. في عمر ستارلِنج لم يحدث لها ذلك كثيرًا.

عشوائي على نحو يائس. هكذا قال الدكتور لِكتر.

لقد حدقت ستارلِنج وكروفورد والآخرون إلى الخريطة بنقاطها التي تشير إلى عمليات الاختطاف ومواقع العثور على الجثث. لقد بدت لستارلِنج مثل كوكبة سوداء مع تاريخ بجانب كل نجمة، وعرفت أن العلوم السلوكية حاولت ذات مرة فرض علامات الأبراج على الخريطة من دون نتيجة.

إذا كان الدكتور لِكتر يقرأ من أجل الترفيه، فلماذا يعبث بالخريطة؟ كانت بإمكانها رؤيته يقلب صفحات التقرير، ساخرًا من الأسلوب النثري لبعض المسهمين فيه.

لم يكن هناك نمط في عمليات الاختطاف ومواقع العثور على الجثث، ولم تكن هناك علاقات ملائمة، ولا تنسيق في الوقت المناسب مع أي تجمعات

تجارية معروفة، أو أي موجة من عمليات السطو أو سرقة الملابس أو غيرها من الجرائم ذات التوجه الهوسي.

مرة أخرى في غرفة الغسيل، مع دوران المجفف، مشت ستارلِنج بأصابعها على الخريطة. هنا اختطاف، هناك إلقاء الجثة. هنا الاختطاف الثاني، هناك إلقاء الجثة. هنا الثالث، و... لكن هل هذه التواريخ إلى الوراء أم لا، اكتُشفت الجثة الثانية أولًا.

سُجلت هذه الحقيقة، من دون تمييزها، بالحبر الملطخ بجانب الموقع على الخريطة. عُثر على جثة ثاني امرأة مخطوفة أولًا، طافية في نهر واباش في وسط مدينة لافاييت بولاية إنديانا، مباشرة أسفل الطريق السريع ٦٥.

أُخذت أول امرأة شابة مبلَّغ عن فقدانها من بلدة بِلفِدير، بولاية أوهايو، بالقرب من مدينة كولومبوس، وعُثر عليها بعد ذلك بكثير في نهر بلاكووتر في ولاية ميسوري، خارج مدينة لون جاك. رُبطت الجثة إلى ثقل. لم تُثقَّل الجثث الأخرى.

غرقت جثة الضحية الأولى في المياه في منطقة نائية. أُلقيت الجثة الثانية في نهر في اتجاه معاكس للتيار من مدينة، حيث كان الاكتشاف السريع مؤكدًا.

لماذا؟

الجثة الذي بدأ بها كانت مخفية جيدًا، والثانية، لم تكن كذلك.

لماذا؟

ماذا تعني عبارة «عشوائي على نحو يائس»؟

الأول، أولًا. ماذا قال الدكتور لِكتر عن «أولًا»؟ ماذا يعني أي شيء قاله الدكتور لِكتر؟

نظرت ستارلِنج إلى الملاحظات التي كتبتها على متن الطائرة من ممفيس.

قال الدكتور لِكتر إن هناك ما يكفي في الملف لتحديد مكان القاتل. قال «البساطة». ماذا عن «أولًا»، أين كان الأول؟ هنا - كانت «المبادئ الأولى» مهمة. بدت عبارة «المبادئ الأولى» مثل هراء طنان حين قالها.

ماذا يفعل يا كلاريس؟ ما الشيء الأول والأساسي الذي يفعله؟ ما الحاجة التي يلبيها بالقتل؟ يشتهي. كيف نبدأ بالاشتهاء؟ نبدأ باشتهاء ما نراه كل يوم.

كان من الأسهل التفكير في تصريحات الدكتور لِكتر عندما لم تكن تشعر بعينيه على جلدها. كان الأمر أسهل هنا في قلب كوانتِكو الآمن.

إذا بدأنا نشتهي باشتهاء ما نراه كل يوم، فهل فاجأ بافالو بيل نفسه عندما قتل الضحية الأولى؟ هل فعل ذلك بشخص قريب منه؟ ألهذا أخفى الجثة الأولى جيدًا، والثانية على نحو سيئ؟ هل اختطف الضحية الثانية بعيدًا عن المنزل وألقى بها، حيث ستُوجد بسرعة لأنه أراد أن يثبت مبكرًا الاعتقاد بأن مواقع الاختطاف كانت عشوائية؟

عندما فكرت ستارلِنج في الضحايا، خطرت كيمبرلي إيمبرِج أولًا في ذهنها لأنها رأت كيمبرلي ميتة، وبصورة ما، أخذت دور كيمبرلي.

هنا كانت الضحية الأولى. فريدريكا بيميل، اثنان وعشرون عامًا، بِلفِدير، أوهايو. كانت هناك صورتان. في صورتها في الكتاب السنوي بدت ضخمة وواضحة، بشعر كثيف جميل وبشرة حسنة. في الصورة الثانية، التي التُقطت في مشرحة مدينة كانساس سيتي، بدت كأنها شيء غير بشري.

هاتفت ستارلِنج بوروز مرة أخرى. كان صوته يبدو أجش قليلًا الآن، لكنه استمع.

- إذن ماذا تقولين يا ستارلِنج؟

- ربما كان يعيش في بِلفِدير، بولاية أوهايو، حيث عاشت الضحية الأولى. ربما كان يراها كل يوم، وقد قتلها على نحو عفوي نوعًا ما. ربما قصد فقط... منحها مشروب سفن أب والتحدث عن جوقة المنشدين. لذا أدى عملًا جيدًا في إخفاء الجثة، ثم أمسك ضحية أخرى بعيدًا عن المنزل. لم يخفِها جيدًا، لذا سيُعثر عليها أولًا وسيُوجه الانتباه بعيدًا عنه. أنت تعرف قدر الانتباه الذي يحصل عليه إبلاغ عن شخص مفقود، لا يحصل على أي شيء حتى يُعثر على الجثة.

- ستارلِنج، العودة أفضل حيث يكون الأثر حديثًا، يتذكر الناس على نحو أفضل، شهود...

- هذا ما أقوله. إنه يعرف ذلك.

- على سبيل المثال، لن تكوني قادرة على العطس اليوم من دون رش شرطي بالرذاذ في مسقط رأس آخر ضحية - كيمبرلي إيمبرِج من ديترويت. كثير من الاهتمام بكيمبرلي إيمبرِج فجأة منذ اختفاء مارتن الصغيرة. وفجأة أصبحوا يعملون كالجحيم للخروج من الأمر. لم تسمعيني أقول ذلك قَطُّ.

- هل سترفع الأمر للسيد كروفورد، بشأن المدينة الأولى؟

- بالتأكيد. يا للجحيم، سأرفعه على الخط الساخن للجميع. أنا لا أقول إنه تفكير سيئ يا ستارلِنج، لكن البلدة قُتلت بحثًا بمجرد أن المرأة - ما اسمها، بيميل، أليس كذلك؟ - بمجرد التعرُّف على هوية بيميل. عمل مكتب كولومبوس على بِلفِدير، وكذلك عمل على كثير من السكان المحليين. لديكِ كل شيء هناك. لن تثيري اهتمامًا كبيرًا ببِلفِدير أو أي نظرية أخرى للدكتور لِكتر هذا الصباح.

- كل ما قاله...

- ستارلِنج، نحن نرسل هدية إلى اليونيسف من أجل بيلًّا. تريدين المشاركة، سأضع اسمك على البطاقة.

- بالتأكيد، شكرًا يا سيد بوروز.

أخرجت ستارلِنج الملابس من المجفف. منحها الغسيل الدافئ شعورًا جيدًا ورائحة طيبة. عانقت الغسيل الدافئ بالقرب من صدرها.

والدتها ومعها ملاءات بحمل ذراعها.

اليوم آخر يوم في حياة كاثرين.

الغراب ذو اللونين الأسود والأبيض سرق من العربة. لم تستطع أن تكون بالخارج لتفزعه بعيدًا وفي الغرفة أيضًا.

اليوم آخر يوم في حياة كاثرين.

استخدم والدها إشارة ذراع بدلًا من الإشارات الوامضة عندما انعطف بشاحنته في ممر السيارات. وهي تلعب في الفناء، فكرت أنه بذراعه الكبيرة يبين للشاحنة أين يجب أن تنعطف، يوجهها بمهابة للانعطاف.

عندما قررت ستارلِنج ما ستفعله، طفرت منها دمعات قليلة. وضعت وجهها في الغسيل الدافئ.

٤٨

خرج كروفورد من دار الجنازات، ونظر إلى أول الشارع وآخره بحثًا عن جِف ومعه السيارة. بدلًا من ذلك، رأى كلاريس ستارلِنج تنتظر تحت السقيفة، مرتدية بدلة داكنة، وتبدو حقيقية في الضوء.

قالت:

- أرسلني.

كان كروفورد قد أخرج للتو نعش زوجته وحمل في كيس ورقي حذاءً لها كان قد أحضره عن طريق الخطأ. تمالك نفسه.

قالت ستارلِنج:

- سامحني. لم أكن لآتي الآن لو أن هناك وقتًا آخر. أرسلني.

حشر كروفورد يديه في جيبيه، أمال رقبته في ياقته حتى انتفخت. كانت عيناه براقتين، ربما خطرتان.

- أرسلكِ إلى أين؟

- لقد أرسلتني لأشعر بكاثرين مارتن، دعني أذهب إلى الأخريات. كل ما تبقى لدينا هو معرفة كيف يصطاد. كيف يجدهن، كيف يختارهن. أنا جيدة مثل أي شخص آخر لديك في مهام الشرطي، أفضل في بعض الأشياء. جميع الضحايا من النساء وليست هناك أي امرأة تعمل في هذا. يمكنني السير في غرفة امرأة وأعرف عنها ثلاثة أضعاف ما يمكن أن يعرفه رجل، وأنت تعلم أن هذه حقيقة. أرسلني.

- هل أنتِ مستعدة لقبول إعادة التدريب؟
- نعم.
- ستة أشهر من حياتك، على الأرجح.

لم تقل أي شيء.

طعن كروفورد العشب بإصبع قدمه. نظر إليها، إلى بُعد البراري في عينيها. كانت باسلة، مثل بيلًّا.

- بمَن ستبدئين؟
- الأولى. فريدريكا بيميل، بِلفِدير، أوهايو.
- ليست كيمبرلي إيمبرِج، التي رأيتها.
- لم يبدأ بها.

هل أذكر لِكتر؟ لا. سيرى ذلك على الخط الساخن.

- إيمبرِج ستكون الخيار العاطفي، أليس كذلك يا ستارلِنج؟ السفر عن طريق رد النفقات. هل لديك أي نقود؟

لن تفتح البنوك أبوابها قبل ساعة.

- بقي لديَّ بعض المال في بطاقة الفيزا.

بحث كروفورد في جيوبه. أعطاها ثلاثمائة دولار نقدًا وشيكًا شخصيًّا.

- اذهبي يا ستارلِنج. فقط للضحية الأولى. أرسلي إلى الخط الساخن. اتصلي بي.

رفعت يدها إليه. لم تلمس وجهه أو يده، لم يبدُ أنه يوجد مكان للمس، فاستدارت وركضت إلى السيارة البِنتو.

ربت كروفورد على جيوبه وهي تقود مبتعدة. كان قد أعطاها آخر سنت معه. قال: «الطفلة تحتاج إلى حذاء جديد. طفلتي لا تحتاج إلى أي حذاء». كان يبكي في منتصف الرصيف، دموع غزيرة على وجهه، رئيس قسم في مكتب التحقيقات الفدرالي، سخيف الآن.

رأى جِف من السيارة وجنتيه تلمعان وتراجع في زقاق حيث لم يستطع

كروفورد رؤيته. نزل جِف من السيارة. أشعل سيجارة ودخن بشراسة. هدية منه لكروفورد سوف يتأخر حتى يجف دمع كروفورد، ويشعر بالحنق ويوبخه بقسوة.

٤٩

في صباح اليوم الرابع، كان السيد جَمب جاهزًا لحصاد الإهاب.

عاد من التسوق ومعه آخر ما يحتاج إليه من أشياء، كان من الصعب منعه من نزول درَج القبو. في الاستوديو أفرغ أكياس التسوق الخاصة به، أشرطة جاهزة مقصوصة بميل لتنظيف الخياطات، وألواح من الليكرا القابلة للتمدد لوضعها تحت المردَّات، علبة ملح خشن. لم ينسَ شيئًا.

في غرفة العمل، وضع سكاكينه على منشفة نظيفة بجانب الأحواض الطويلة. كانت السكاكين أربعًا: سكين سلخ مدعومة الظهر، سكين دقيقة ذات رأس مدبب تتبع تمامًا منحنى السبابة في أماكن قريبة، ومشرط للعمل الأقرب، وسكين بندقية من حقبة الحرب العالمية الأولى. الحافة الملفوفة لسكين البندقية أفضل أداة لإزالة اللحم من الإهاب من دون تمزيقه.

بالإضافة إلى ذلك، كان لديه منشار تشريح سترايكر، الذي نادرًا ما استخدمه وندم على شرائه.

الآن دهن بالشحم رأس حامل شعر مستعار، ووضع الملح الخشن فوق الشحم، ووضع الحامل في وعاء تقطير ضحل. بمرح قرص الأنف في وجه حامل الشعر المستعار برفق، وأرسل إليه قُبلة في الهواء.

كان من الصعب أن يتصرف بطريقة مسؤولة، أراد الطيران في أنحاء الغرفة مثل الكوميدي داني كاي. ضحك ونفخ عُثة من وجهه بنفخة هواء خفيفة.

حان الوقت لبدء مضخات حوض السمك في خزانات محلوله الطازج.

أوه، هل كانت هناك شرنقة لطيفة مدفونة في الدُّبال في القفص؟ نقر بإصبعه. نعم كانت هناك.

المسدس الآن.

حيَّرت مشكلة قتل هذا الشخص السيد جَمب أيامًا. كان شنقها مرفوضًا لأنه لا يريد التبقع الصدري، وإلى جانب ذلك، لم يستطع المخاطرة بأن تمزق عقدة الأنشوطة ما خلف أذنها.

تعلم السيد جَمب من كل جهوده السابقة، وأحيانًا بشكل مؤلم. كان مصممًا على تجنب بعض الكوابيس التي مر بها من قبل. مبدأ أساسي واحد: بصرف النظر عن مدى الضعف من الجوع أو الإغماء من الخوف، قاتلنَك دائمًا عندما رأين التجهيزات.

لقد اصطاد في الماضي الشابات من القبو المظلم باستخدام نظارته للرؤية الليلية التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء والضوء، وكان من الرائع فعل ذلك، مشاهدتهن يتحسسن طريقهن، رؤيتهن يحاولن الانسحاق في الأركان. كان يحب اصطيادهن بالمسدس. كان يحب استخدام المسدس. كنَّ دائمًا مشوشات، يفقدن توازنهن، يصطدمن بالأشياء. كان بإمكانه أن يقف في ظلام دامس مرتديًا نظارته، منتظرًا حتى يُنزِلن أيديهن عن وجوههن، ويطلق النار عليهن في الرأس. أو في الساقين أولًا، أسفل الركبة حتى يتمكنَّ من الزحف.

كان ذلك طفوليًّا وهدرًا. كنَّ عديمات الفائدة بعد ذلك، وقد كفَّ عن فعل ذلك تمامًا.

في مشروعه الحالي، كان قد عرض الاستحمام في الطابق العلوي للثلاث الأوليات، قبل أن يرفسهن على الدرَج وحبل المشنقة حول أعناقهن، لا مشكلة. لكن الرابعة كانت كارثة. وجب عليه استخدام المسدس في الحمَّام واستغرق التنظيف ساعة. لقد فكر في الفتاة، مبتلة، جلدها خشن مقشعر لفرط الرعب، وكيف ارتجفت عندما جذب مطرقة المسدس. كان يحب أن يفعل ذلك، كلِك، كلِك، انفجار كبير واحد ولا جلبة أكثر من ذلك.

أحب مسدسه، ولا بد أن يحبه بالفعل، لأنه كان قطعة جميلة للغاية، من الفولاذ المقاوم للصدأ طراز «كولت بايثون» بماسورة ست بوصات. تُضبط جميع حركات مسدس بايثون في متجر كولت المخصص، وكان من الممتع أن تلمس مسدسه. لقد جذب مطرقة المسدس الآن واعتصرها، وأمسك المطرقة بإبهامه. لقَّم مسدس بايثون بالذخيرة ووضعه على طاولة العمل.

أراد السيد جَمب بشدة أن يقدم لهذا الكائن الشامبو، لأنه أراد مشاهدته وهو يمشط الشعر. يمكنه أن يتعلم الكثير من أجل زينته حول كيفية انسدال الشعر على الرأس. لكن شعر هذا الكائن كان طويلًا وربما قويًا. كان هذا نادرًا جدًّا فليس عليه أن يخاطر بإهدار كل شيء بفعل جروح ناجمة عن طلقات نارية.

لا، كان سيحصل على البكرة الرافعة من الحمَّام، يقدم لها حمَّامًا، وعندما تضع نفسها بأمان في حمالة الرافعة، كان سيرفعها إلى منتصف المسافة إلى أعلى عمود الزنزانة الأرضية، ويطلق عليها عدة مرات في جزء منخفض من العمود الفقري. عندما تفقد الوعي بإمكانه فعل الباقي بالكلوروفورم.

هذا كل شيء. سيصعد الآن إلى الطابق العلوي ويتجرد من ملابسه. سيوقظ بريشيس ويشاهد الفيديو الخاص به معها ثم يذهب إلى العمل، عاريًا في قبو دافئ، عاريًا مثل يوم ولادته.

شعر بالدوار تقريبًا وهو يصعد الدرَج. نزع ملابسه بسرعة وارتدى رداءه. أدخل شريط الفيديو الخاص به في جهاز الفيديو.

- بريشيس، تعالي يا بريشيس. يوم مشغول، مشغول. تعالي يا حبيبة القلب.

كان عليه أن يحبسها هنا في غرفة النوم في الطابق العلوي، بينما ينتهي من الجزء الصاخب في القبو. كرهت الضوضاء وانزعجت على نحو رهيب. لإبقائها مشغولة، كان قد أحضر لها علبة كاملة من جلد بقر تشوويز في أثناء تسوقه.

- بريشيس.

عندما لم تأتِ، نادى في الردهة:

- بريشيس!

ثم في المطبخ، وفي القبو:

- بريشيس!

عندما نادى على باب غرفة الزنزانة الأرضية، حصل على إجابة.

قالت كاثرين مارتن:

- إنها هنا يا ابن العاهرة.

شعر السيد جَمب بالغثيان الشديد من غمرة الخوف على بريشيس. ثم وتَّره الغضب من جديد، وقبضتاه على جانبَي رأسه، ضغط جبهته على إطار الباب وحاول أن يتمالك نفسه. أفلت منه صوت واحد بين تهوُّع وتأوُّه، وأجابت الكلبة الصغيرة بنباح حاد.

ذهب إلى غرفة العمل وحصل على مسدسه.

كان الخيط الذي يربط دلو المرحاض مقطوعًا. ما زال غير متأكد كيف فعلت ذلك. في المرة الأخيرة التي قُطع فيها الخيط افترض أنها قطعته في محاولة عبثية للتسلق. لقد حاولت ضحاياه تسلقه من قبل، فعلن كل شيء أحمق يمكن تخيله.

انحنى على الفتحة، مسيطرًا على صوته بحرص:

- بريشيس، هل أنتِ بخير؟ أجيبيني.

قرصت كاثرين مؤخرة الكلبة الممتلئة. نبحت بحدة وانتقمت منها بعضة على ذراعها.

قالت كاثرين:

- ما رأيك في ذلك؟

بدا من غير الطبيعي للسيد جَمب التحدث إلى كاثرين بهذه الطريقة، لكنه تغلب على نفوره.

- سأنزل سلة. ستضعها فيها.

- ستنزل هاتفًا وإلا سيتعين عليَّ كسر رقبتها. لا أريد أن أوذيك، لا أريد أن أوذي هذه الكلبة الصغيرة. فقط أعطني الهاتف.

رفع السيد جَمب المسدس. رأت كاثرين فوهته تمتد عبر الضوء. جلست

القرفصاء وهي تحمل الكلبة فوقها وحركتها بينها وبين السلاح. سمعته وهو يجذب مطرقة المسدس.

- أطلِق النار أيها الداعر، من الأفضل أن تقتلني بسرعة أو سأكسر رقبتها اللعينة. أقسم بالرب.

وضعت الكلبة تحت ذراعها، ووضعت يدها حول خطمها، ورفعت رأسها.

- تراجع يا ابن العاهرة.

أنَّت الكلبة الصغيرة. انسحب السلاح.

أبعدت كاثرين الشعر عن جبهتها المبللة بيدها الحرة. قالت:

- لم أقصد إهانتك. فقط أنزل إليَّ هاتفًا. أريد هاتفًا مباشرًا. يمكنك أن تذهب بعيدًا، أنا لا أهتم بك، لم أرَكَ قَطُّ. سأعتني جيدًا ببريشيس.

- لا.

- سأعمل على أن تمتلك كل شيء. فكر في رفاهيتها، ليس في نفسك فقط. أطلق النار هنا، ستكون صماء مهما حدث. كل ما أريده هو هاتف مباشر. احصل على تمديد طويل، احصل على خمسة أو ستة واشبكها معًا - فهي تأتي مع الوصلات في نهاياتها - وأنزلها إلى أسفل هنا. كنت سأشحن لك الكلبة في أي مكان. عائلتي لديها كلاب. أمي تحب الكلاب. بوسعك الهرب، لا يهمني ما تفعله.

- لن تحصل على مزيد من الماء، لقد حصلت على آخر ماء لك.

- لن تحصل هي أيضًا على أي ماء، ولن أعطيها شيئًا من زجاجة الماء الخاصة بي. أنا آسفة لإخبارك، أعتقد أن ساقها مكسورة.

كانت هذه كذبة، الكلبة الصغيرة، مع الدلو المتصلة بطعم، قد سقطتا على كاثرين، وكانت كاثرين هي التي أصيبت بخدش في خدها من مخالب الكلبة المخربشة. لم تستطع وضعها جانبًا أو كان سيرى أنها لا تعرج. كذبت كاثرين:

- إنها تتألم. ساقها ملتوية تمامًا وهي تحاول أن تلعقها. هذا فقط يجعلني أشعر بالغثيان. يجب أن آخذها إلى طبيب بيطري.

تأوُّه السيد جَمب من الغضب والألم جعل الكلبة الصغيرة تبكي. قال السيد جَمب:

- تعتقد أنها\تتألم. أنت لا تعرف ما الألم. أصِبها بأذى وسأحرقك.

جلست كاثرين مارتن عندما سمعته وهو يقفز على الدرَج، مرتجفة بانتفاضات فظيعة في ذراعيها وساقيها. لم تستطع حمل الكلبة، ولم تستطع حمل مائها، ولم تستطع حمل أي شيء.

عندما تسلقت الكلبة الصغيرة إلى حجرها، عانقتها، ممتنة للدفء.

٥٠

طفت ريشات على الماء الغليظ البني، ريشات ملتفة هبت من الأعشاش الخشبية، محمولة على أنفاس الهواء التي أرعشت بشرة النهر.

وُصفت المنازل في شارع فِل، شارع فريدريكا بيميل، على لافتات وكلاء العقارات البالية بسبب التعرض للطقس، بأنها مطلة على الماء لأن ساحاتها الخلفية تنتهي عند مستنقع، مياه راكدة من نهر ليكينج في بِلفِدير، أوهايو، وهي بلدة كانت في الماضي مركزًا صناعيًّا مزدهرًا يبلغ عدد سكانها ١١٢ ألف نسمة، شرق مدينة كولومبوس.

كان حيًّا متهالكًا من منازل كبيرة قديمة. اشترى أزواج شباب عددًا قليلًا منها بسعر رخيص وجُدِّدت بطلاء مينا من إنتاج سيرس بيست، مما جعل بقية المنازل تبدو أسوأ. لم يُجدد منزل بيميل.

وقفت كلاريس ستارلِنج للحظة في الفناء الخلفي لمنزل فريدريكا وهي تنظر إلى الريشات على الماء، يداها في أعماق جيبَي معطفها الخشن. كان هناك بعض الثلج المكسو بالعفن في عيدان البوص، أزرق تحت السماء الزرقاء في هذا اليوم الشتوي المعتدل.

بإمكان ستارلِنج أن تسمع والد فريدريكا وهو يدق في مدينة من أعشاش الحمام الخشبية، ترتفع أقفاص الحمام الشبيهة بمدينة أورفيتو من حافة المياه وتصل إلى المنزل تقريبًا. لم ترَ السيد بيميل بعد. قال الجيران إنه كان هناك. كانت وجوههم جامدة عندما قالوا ذلك.

كانت ستارلِنج تواجه بعض المتاعب مع نفسها. في تلك اللحظة من الليل عندما عرفت أن عليها ترك الأكاديمية لمطاردة بافالو بيل، توقفت كثير من الضوضاء الدخيلة. شعرت بصمت جديد خالص في مركز عقلها، وهدوء هناك. في مكان مختلف، بالأسفل أمامها، شعرت في لحظات خاطفة بأنها متغيبة عن المدرسة وغبية.

مضايقات الصباح البسيطة لم تؤثر فيها، رائحة صالة الألعاب الرياضية الكريهة المنبعثة من الطائرة المتوجهة إلى كولومبوس، وليس الارتباك وعدم الكفاءة في عداد السيارات المستأجرة. صرخت في موظف مكتب السيارات لتجعله يتحرك، لكنها لم تشعر بأي شيء.

لقد دفعت ستارلِنج ثمنًا باهظًا لهذا الوقت، وعزمت على استغلاله على أفضل وجه تعتقده. يمكن أن ينتهي وقتها في أي لحظة، إذا فُرضت سلطة ما على كروفورد وسحبوا أوراق اعتمادها.

يجب أن تسرع، لكن التفكير في السبب، التفكير مطوَّلًا في محنة كاثرين في هذا اليوم الأخير، سيكون إضاعة لليوم كله. التفكير بها في الوقت الفعلي، وهي تخضع للتجهيز في هذه اللحظة كما خضعت كيمبرلي إيمبرِج وفريدريكا بيميل، سيربك كل الأفكار الأخرى.

سكن النسيم، والماء ساكن مثل الموت. بالقرب من قدميها ريشة ملتفة تدور على التوتر السطحي. اصمدي يا كاثرين.

أمسكت ستارلِنج شفتها بين أسنانها. إذا أطلق عليها النار، فكانت تأمل أن يؤدي عملًا كفئًا في ذلك.

علِّمنا أن نهتم وألا نهتم.

علِّمنا أن نكون ثابتين.

استدارت إلى كومة الأعشاش الخشبية المائلة، وتتبعت مسار الألواح الموضوعة بينها على الوحل، باتجاه صوت الطَّرْق. مئات من طيور الحمام من جميع الأحجام والألوان، الطويلة ذات الركبتين المتلاصقتين، والحمام الطابي

ذي الصدور البارزة. أعين مشرقة، ورؤوس تهتز مع سيرها، وتنشر الطيور أجنحتها في الشمس الباهتة، وتُصدِر أصواتًا لطيفة في أثناء مرورها.

كان والد فريدريكا، جوستاف بيميل، رجلًا طويل القامة، مفلطحًا وعريض الوركين، وكانت عيناه ذواتَي حواف حمراء باللون الأزرق المائي. اعتمر قبعة محبوكة شدها حتى حاجبيه. كان يبني عشًّا خشبيًّا آخر على حصان نشر الخشب أمام سقيفة عمله. شمت ستارلِنج رائحة الفودكا في أنفاسه وهو يحدق إلى هويتها. قال:

- لا أعرف شيئًا جديدًا لأخبرك به. عاد رجال الشرطة إلى هنا الليلة قبل الماضية. راجعوا إفادتي معي مرة أخرى. قرأوها عليَّ مرة أخرى. «هل هذا صحيح؟ هل هذا صحيح؟» أخبرته، قلت نعم بحق الجحيم، إذا لم يكن هذا صحيحًا لما أخبرتك به في المقام الأول.

- أحاول أن أكوِّن فكرة عن المكان، أكوِّن فكرة عن المكان الذي ربما رأى الخاطف فيه فريدريكا يا سيد بيميل. حيث ربما يكون قد رصدها وقرر أخذها بعيدًا.

- ذهبت إلى كولومبوس في الحافلة للبحث عن وظيفة في هذا المتجر هناك. قالت الشرطة إنها وصلت إلى المقابلة على ما يرام. لم تعد إلى المنزل قَطُّ. لا نعرف إلى أين ذهبت في ذلك اليوم. حصلت الشرطة على قسائم بطاقتها ماستر تشارج، لكن لم يكن هناك شيء لذلك اليوم. أنتِ تعرفين كل ذلك، أليس كذلك؟

- بخصوص بطاقة الائتمان، بلى يا سيدي، أعرف. سيد بيميل، هل لديك أشياء فريدريكا، هل هي هنا؟

- غرفتها في الجزء العلوي من المنزل.

- هل يمكنني أن أراها؟

استغرق الأمر منه لحظة ليقرر مكان وضع مطرقته. قال:

- حسنًا، رافقيني.

٥١

طُلي مكتب جاك كروفورد في مقر مكتب التحقيقات الفدرالي بواشنطن بلون رمادي قاتم، لكنه حظي بنوافذ كبيرة.

وقف كروفورد عند هذه النوافذ ولوحه المشبكي معرض للضوء، وهو يحدق إلى قائمة طابعة نقطية مشوَّشة ملعونة كان قد قال لهم أن يتخلصوا منها.

لقد أتى إلى هنا من دار الجنازات وعمل طوال الصباح، لحث النرويجيين بحدة للإسراع بسجلاتهم للأسنان بشأن البحَّار المفقود المُسمَّى «كلاوس»، وتنبيه سلسلة القيادات في سان دييجو، للتحقق من معارف بِنجامِن راسبايل في المعهد الموسيقي حيث كان يدرِّس، وتحفيز الجمارك، التي كان يفترض أن تتحقق من مخالفات الاستيراد المتعلقة بالحشرات الحية.

في غضون خمس دقائق من وصول كروفورد، حشر جون جولبي، مساعد مدير مكتب التحقيقات الفدرالي، رئيس فريق العمل الجديد بين الأقسام، رأسه في باب المكتب للحظة ليقول:

– جاك، نحن جميعًا نفكر فيك. الجميع يقدر قدومك. هل حُدد موعد قداس الجنازة بعد؟

– السهر على الجثمان مساء الغد. القداس يوم السبت، الساعة الحادية عشرة.

أومأ جولبي برأسه.

– هناك عمل تذكاري لليونيسف يا جاك، صندوق، تريده أن يُكتب فيليس أم بيلَّا، سنكتبه بالطريقة التي تريدها.

- بيلَّا يا جون. لنجعلها بيلّا.

- هل يمكنني فعل أي شيء من أجلك يا جاك؟

هز كروفورد رأسه.

- أنا أعمل فحسب. سأعمل الآن.

قال جولبي:

- حسنًا.

انتظر الفاصل الزمني المناسب.

- طلب فريدريك تشيلتون الحجز الوقائي الفدرالي.

- رائع. جون، هل يتكلم شخص ما في بالتيمور مع إيفريت ياو، محامي راسبايل؟ لقد ذكرتُه لك. ربما يعرف شيئًا عن أصدقاء راسبايل.

- نعم، إنهم يعملون على الأمر هذا الصباح. لقد أرسلت للتو مذكرتي إلى بوروز. وضع المدير لِكتر على قائمة أشد المطلوبين. جاك، إذا احتجت إلى أي شيء...

رفع جولبي حاجبيه ويده وتراجع بعيدًا عن مجال الرؤية.

إذا احتجت إلى أي شيء.

التفت كروفورد إلى النوافذ. تمتع بمنظر جميل من مكتبه. كان هناك مبنى مكتب البريد القديم الرائع حيث أدى جزءًا من تدريبه. إلى اليسار كان المقر القديم لمكتب التحقيقات الفدرالي. عند التخرج، تقدم من خلال مكتب ج. إدجار هوفر مع الآخرين. وقف هوفر على صندوق صغير وصافحهم بالدور. كانت تلك هي المرة الوحيدة التي التقى فيها كروفورد الرجلَ. في اليوم التالي تزوج بيلّا.

لقد التقيا في ليفورنو بإيطاليا. كان في الجيش، وهي من موظفي الناتو، وكانت تُدعى «فيليس» آنذاك. سارا على مراسي القوارب ونادى نوتيٌّ «بيلّا» عبر المياه المتلألئة، وصارت دائمًا بيلَّا بالنسبة إليه بعد ذلك. كانت فيليس فقط عندما اختلفا.

ماتت بيلًا. يجب أن يغير ذلك المنظر من هذه النوافذ. لم يكن صحيحًا أن المنظر ظل كما هو. كان عليها أن تموت قبلي. يا يسوع، يا طفلتي. كنت أعلم أن الأمر واقع ولكنه موجع.

ماذا يقولون عن التقاعد القسري في سن الخامسة والخمسين؟ تقع في حب المكتب، لكنه لا يقع في حبك. لقد رأى الأمر بنفسه.

شكرًا للرب، لقد أنقذته بيلًا من ذلك. كان يأمل أنها في مكان ما اليوم وأنها مرتاحة أخيرًا. كان يأمل أنها ترى ما في قلبه.

طن الهاتف بصوت اتصال داخلي:

- سيد كروفورد، الدكتور دانِيلسون من...

- حسنًا.

صوت دقة.

- جاك كروفورد، الدكتور.

- هل هذا الخط آمن يا سيد كروفورد؟

- نعم. من هذا الطرف.

- أنت لا تسجل، أليس كذلك؟

- نعم يا دكتور دانِيلسون. أخبرني بما يدور في ذهنك.

- أريد أن أوضح أن هذا لا علاقة له بأي شخص كان مريضًا في مركز جونز هوبكنز من قبل.

- مفهوم.

- إذا حدث أي شيء، أريدك أن توضح للجمهور أنه ليس متحولًا جنسيًّا، ولا علاقة له بهذه المؤسسة.

- لا بأس. لك هذا. بالتأكيد.

هيًّا، أيها الوغد الخانق. كان كروفورد ليقول أي شيء.

- لقد دفع الدكتور بورفيس وأسقطه.

- مَن يا دكتور دانِيلسون؟

- لقد تقدم إلى البرنامج قبل ثلاث سنوات بصفته جون جرانت من هاريسبرج بولاية بنسلفانيا.

- أوصاف؟

- ذكر أبيض، كان في الحادية والثلاثين من عمره. طوله ست أقدام وبوصة واحدة، وزنه مائة وتسعون باوند. جاء ليخضع للفحص وأدى عملًا جيدًا جدًّا على مقياس ذكاء وِكسلر - ذكي عادي - لكن الاختبار النفسي والمقابلات كانت قصة أخرى. في الواقع، كان أداؤه في اختبار رسم منزل-شجرة-شخص، واختبار الإدراك الموضوعي، متطابقًا تمامًا مع الورقة التي أعطيتني إياها. تركتني أعتقد أن آلان بلوم ألَّف تلك النظرية الصغيرة، لكنه كان هانيبال لِكتر، أليس كذلك؟

- أكمل بشأن جرانت يا دكتور.

- كان مجلس الإدارة سيرفضه على أي حال، لكن بحلول الوقت الذي التقينا فيه لمناقشة الأمر، أصبحت المسألة موضع نقاش لأن عمليات التحقق من الخلفية أوقعت به.

- أوقعت به كيف؟

- نتحقق على نحو روتيني من الشرطة في مسقط رأس مقدم الطلب. وكانت شرطة هاريسبرج تلاحقه في اعتداءين على رجلين مثليَّين. آخرهما كاد يموت. لقد أعطانا عنوانًا تبين أنه مأوى بالإيجار يقيم فيه من وقت إلى آخر. وأخذت الشرطة بصماته هناك وإيصال غاز ببطاقة ائتمان عليها رقم رخصة قيادته. لم يكن اسمه جون جرانت قَطُّ، لقد أخبرنا بذلك فحسب. بعد نحو أسبوع انتظر خارج المبنى هنا، ودفع الدكتور بورفيس وأسقطه، لمجرد الحقد.

- ماذا كان اسمه يا دكتور دانِلسون؟

- أُفضِّل تهجئته لك، إنه ج-ا-ي-م جَ-م-ب.

٥٢

ارتفع منزل فريدريكا بيميل بطول ثلاثة طوابق، وكان كالحًا، مغطى بألواح تكسية من الأسفلت ملطخة بالصدأ حيث سالت الميازيب. تحمَّل نبات القيقب الذي ينبت تلقائيًّا في الميازيب في الشتاء على نحو جيد. كانت النوافذ على الجانب الشمالي مغطاة بورق بلاستيكي.

في صالة جلوس صغيرة، دافئة للغاية بفعل المدفأة، جلست امرأة في منتصف العمر على بساط، تلعب مع طفل صغير.

قال لها بيميل في أثناء مرورهما في الغرفة:

- زوجتي، لقد تزوجنا في عيد الميلاد.

قالت ستارلِنج:

- مرحبًا.

ابتسمت المرأة على نحو مبهم في اتجاهها.

البرد في الردهة مرة أخرى، وفي كل مكان صناديق مكدسة بارتفاع الخصر تملأ الغرف، ممرات فيما بينها، وعلب كرتونية مليئة بظلال المصابيح وأغطية التعليب، وسلال للنزهات، وأعداد قديمة من مجلتَي ريدرز دايجست وناشونال جيوغرافيك، ومضارب تنس قديمة سميكة، وبياضات أسرَّة، وصندوق من ألواح تصويب السهام، وأغطية مقاعد سيارة مصنوعة من الألياف في خمسينيات القرن الماضي عابقة برائحة بول فأر كثيفة.

قال السيد بيميل:

- سننتقل قريبًا جدًّا.

ابيضَّ لون الأشياء القريبة من النوافذ بفعل الشمس، تكدست الصناديق لسنوات وانتفخت مع العمر. البسط العشوائية البالية عارية في الممرات عبر الغرف.

رقَّطت أشعة الشمس سياج الدرَج بينما صعدت ستارلِنج خلف والد فريدريكا. كانت رائحة ملابسه آسنة في الهواء البارد. رأت ضوء الشمس قادمًا من السقف المتدلي أعلى بئر السلم. الصناديق الكرتونية المكدسة على بسطة الدرج مغطاة بالبلاستيك.

كانت غرفة فريدريكا صغيرة، تحت الأفاريز في الطابق الثالث.

- هل تريدين مني شيئًا أكثر من ذلك؟

- فيما بعد، أود التحدث إليك يا سيد بيميل. ماذا عن والدة فريدريكا؟

قال الملف «متوفاة» ولم يذكر متى.

- ماذا تقصدين، ماذا عنها؟ ماتت عندما كانت فريدريكا في الثانية عشرة.

- فهمت.

- هل اعتقدتِ أن التي كانت في الطابق السفلي والدة فريدريكا؟ بعد أن أخبرتك بأننا تزوجنا للتو منذ عيد الميلاد؟ هل هذا ما اعتقدتِه؟ أعتقد أن القانون اعتاد التعامل مع فئة مختلفة من الناس يا آنستي. إنها لم تعرف فريدريكا قَطُّ.

- سيد بيميل، هل الغرفة كما هي إلى حدٍّ كبير حين تركتها فريدريكا؟

تحرك الغضب في مكان آخر في أعماقه.

قال بهدوء:

- نعم. لقد تركناها وشأنها. لا أحد يستطيع ارتداء أغراضها. وصلي المدفأة بالكهرباء إذا أردتِها. تذكري فصلها قبل أن تنزلي.

لم يكن يريد أن يرى الغرفة. تركها عند بسطة السلم. وقفت ستارلِنج للحظة ويدها على مقبض الباب البارد. كانت بحاجة إلى تنظيم أفكارها قليلًا، قبل أن يمتلئ رأسها بأغراض فريدريكا.

حسنًا، الفرضية أن بافالو بيل فعل ما فعل بفريدريكا أو لًا، ثقَّل جثتها وأخفاها جيدًا، في نهر بعيد عن المنزل. أخفاها أفضل من الأخريات - كانت الوحيدة المربوطة بثقل - لأنه أراد العثور على الأحدث أو لًا. أراد أن ترسخ فكرة الاختيار العشوائي للضحايا من بلدات متناثرة على نطاق واسع قبل العثور على فريدريكا من بلدة بِلفِدير. كان من المهم صرف الانتباه عن بِلفِدير. لأنه يعيش هنا، أو ربما في مدينة كولومبوس.

بدأ مع فريدريكا لأنه اشتهى إهابها. نحن لا نبدأ باشتهاء الأشياء المتخيَّلة. الاشتهاء خطيئة حرفية، نبدأ باشتهاء ما هو ملموس، ونبدأ بما نراه كل يوم. رأى فريدريكا في مجرى حياته اليومية. رآها في مجرى حياتها اليومية.

ماذا كان مجرى حياة فريدريكا اليومية؟ حسنًا...

دفعت ستارلِنج الباب لفتحه. ها هي ذي، الغرفة الساكنة التي تفوح منها رائحة العفونة في الطقس البارد. على الحائط، قُلب تقويم العام الماضي إلى شهر أبريل إلى الأبد. كانت فريدريكا قد ماتت منذ عشرة أشهر.

كان طعام القطط صلبًا وأسود، في صحن في الزاوية.

وقفت ستارلِنج، وهي مصممة ديكور مخضرمة لعرض الأغراض المستعملة للبيع في الفناء، في وسط الغرفة واستدارت ببطء. لقد أدَّت فريدريكا عملًا جيدًا بما هو متاح لها. ستائر من القماش القطني المطبوع بالزهور. بالحكم من الحواف المبرومة، لقد أعادت تدوير بعض أغطية الكراسي لصنع الستائر.

لوحة إعلانات مع وشاح مثبت عليها. طُبعت *BHS BAND* على الوشاح بنثار لامع. كان على الحائط ملصق للفنانة مادونا، وآخر لديبورا هاري وبلوندي. على رف فوق المكتب، بإمكان ستارلِنج رؤية لفة من ورق الحائط اللامع ذاتي اللصق الذي استخدمته فريدريكا لتغطية جدرانها. فكرت ستارلِنج أن هذا لم يكن عملًا رائعًا في استخدام الورق، لكنه أفضل من محاولتها الأولى.

في منزل عادي، كانت غرفة فريدريكا ستُعد مبهجة للغاية. في هذا المنزل الكئيب كانت صاخبة. تردد في أرجائها صدى اليأس.

لم تعرض فريدريكا صورًا لها في الغرفة. وجدت ستارلِنج واحدة في كتاب المدرسة السنوي على رفوف المكتبة الصغيرة. نادي الغناء الجماعي، نادي الاقتصاد المنزلي، الخياطة، الفرقة، نادي منظمة «4-H» لتطوير الشباب.

ربما كان الحمام مشروعها للمشاركة في منظمة «4-H».

يحمل كتاب مدرسة فريدريكا السنوي بعض التوقيعات. «إلى صاحبة رائعة»، و«فتاة رائعة»، و«رفيقتي في الكيمياء»، و«أتذكرين بيع المخبوزات؟!».

هل تستطيع فريدريكا إحضار أصدقائها إلى هنا بالأعلى؟ هل كان لديها صديق مقرب بما يكفي لتصعد به تلك السلالم تحت القطرات المتساقطة؟ كانت بجانب الباب مظلة.

انظري إلى هذه الصورة لفريدريكا، ها هي ذي في صف الفرقة الأمامي. فريدريكا عريضة وسمينة، لكن ملابسها تناسبها أكثر من غيرها. إنها ضخمة ولديها بشرة جميلة. تجتمع ملامحها المتباينة لتكوين وجه لطيف، لكنها ليست جذابة المظهر وفقًا للمعايير التقليدية.

لم تكن كيمبرلي إيمبرِج ما يمكن وصفها بالخلابة أيضًا، ليس بالنسبة إلى الانشداه الأبله من طالب مدرسة ثانوية، ولا بالنسبة إلى بعض الفتية الآخرين.

مع ذلك، ستكون كاثرين مارتن جذابة لأي شخص، امرأة شابة ضخمة وحسنة المظهر ستضطر إلى محاربة السمنة عندما تصبح في الثلاثين من عمرها.

تذكري، إنه لا ينظر إلى النساء كما ينظر إليهن رجل. الجاذبية التقليدية لا تُحسب. يجب أن تكون ناعمة وممتلئة.

تساءلت ستارلِنج عما إذا كان يعتقد أن النساء «جلود»، كما يُسمِّيهن بعض معتلِّي العقل «فروجًا».

أصبحت واعية بيدها التي تتبع خط الإهداءات أسفل صورة الكتاب السنوي، أصبحت واعية بجسدها بأكمله، بالمساحة التي تملأها، بقوامها ووجهها، تأثيرهما، القوة التي يتمتعان بها، ثدييها فوق الكتاب، بطنها الصلب عليه، وساقيها تحته. ما الذي ينطبق من خبرتها؟

رأت ستارلِنج نفسها في المرآة الطويلة على الجدار الأخير، وكانت سعيدة باختلافها عن فريدريكا. لكنها عرفت أن الاختلاف كان مصفوفة في تفكيرها. ما الذي قد يمنعها من الرؤية؟

كيف أرادت فريدريكا أن تبدو؟ ما الذي كانت جائعة من أجله، وأين سعت للحصول عليه؟ ماذا حاولت أن تفعل حيال نفسها؟

فيما يلي بعض خطط النظام الغذائي، حمية عصير الفاكهة، وحمية الأرز، والخطة الغذائية المخبولة التي تمنعك من أن تأكل وتشرب في الجلسة نفسها.

مجموعات النظام الغذائي المنظمة، هل راقبها بافالو بيل للعثور على فتيات أحجامهن ضخمة؟ من الصعب التحقق. عرفت ستارلِنج من الملف أن اثنتين من الضحايا كانتا تنتميان إلى مجموعات النظام الغذائي، وأن سجلات العضوية قد قورِنت. أُرسِل عميل من مكتب مدينة كانساس سيتي، ومكتب فات بويز التقليدي التابع لمكتب التحقيقات الفدرالي، وبعض أفراد الشرطة الذين يعانون زيادة الوزن للتمرن في سلِندريلا ووِدايت سنتر والانضمام إلى وايت ووتشر وغيرها من طوائف النظام الغذائي في بلدات الضحايا. لم تكن تعرف ما إذا انتمت كاثرين مارتن إلى مجموعة نظام غذائي. كان المال ليمثل مشكلة لفريدريكا في اتباع نظام غذائي منظم.

امتلكت فريدريكا عددًا من إصدارات مجلة بيج بيو تيفل جير ل، مجلة للنساء كبيرات الحجم. نُصحت هنا بـ«المجيء إلى مدينة نيويورك، حيث يمكنك مقابلة الوافدين الجدد من أجزاء من العالم، حيث يُعَد حجمك من الأصول الثمينة». بالطبع. بدلًا من ذلك، «يمكنكِ السفر إلى إيطاليا أو ألمانيا، حيث لن تكوني بمفردك بعد اليوم الأول». بالتأكيد. إليكِ ما تفعلينه إذا كانت أصابع قدميكِ تبرز من طرف حذائك. يا يسوع! كل ما تحتاج إليه فريدريكا هو مقابلة بافالو بيل، الذي اعتبر حجمها «من الأصول الثمينة».

كيف تدبرت فريدريكا أمرها؟ كان لديها بعض مستحضرات التجميل، كثير من مستحضرات العناية بالبشرة. أحسنتِ، استخدمي هذا الأصل. وجدت ستارلِنج نفسها تتجذر من أجل فريدريكا كما لو أن للأمر جدوى بعد الآن.

كان لديها بعض المجوهرات التافهة في علبة سيجار ماركة البومة البيضاء. هنا دبوس دائري مملوء بالذهب كان على الأرجح ملكًا لوالدتها الراحلة. لقد حاولت قطع أصابع بعض القفازات القديمة من الدانتيل المنسوج آليًّا، لارتدائها على طريقة مادونا، لكن النسيج نسل منها.

كان لديها شيء من الموسيقى، جهاز تسجيل ديكا لأسطوانة واحدة من الخمسينيات مع سكين جيب متصلة بذراع النغمة بأشرطة مطاطية لإكسابه ثقلًا. سجلات من مبيعات الفِناء. ثيمات الحب من عزف زامفير، سيد الفلوت.

عندما سحبت الخيط لإضاءة الخزانة، فوجئت ستارلِنج بخزانة ملابس فريدريكا. كانت لديها ملابس جميلة، ليست كثيرة للغاية، لكن وفيرة بالنسبة إلى المدرسة، بما يكفي للتوافق مع مكتب رسمي إلى حدٍّ ما أو حتى في وظيفة أنيقة للبيع بالتجزئة. نظرة سريعة داخل هذه الملابس، ورأت ستارلِنج السبب. صنعت فريدريكا ملابسها بنفسها، وصنعتها جيدًا، وكانت الخياطات منظفة بالسرفلة، والواجهات مركَّبة بعناية. وُضعت أكوام الباترونات على رف في الجزء الخلفي من الخزانة. كان معظمها من إنتاج سمبليسيتي، لكن كانت هناك عدة باترونات من مجلة فُوج بدا أنها صعبة.

ربما ارتدت أفضل ما لديها في مقابلة العمل. ماذا كانت ترتدي؟ تصفحت ستارلِنج ملفها. هنا: شوهدت آخر مرة ترتدي زيًّا أخضر. بحقك أيها الضابط، ما «الزي الأخضر» بحق الجحيم؟

عانت فريدريكا نقطة ضعف خزانة الملابس الملائمة للميزانية البسيطة – لم يكن لديها ما يكفي من الأحذية – وفي وزنها كانت قاسية على الأحذية التي كانت لديها. أُنهكت أحذيتها عديمة الكعب لتأخذ شكلًا بيضاويًّا. وضعت معطر أودور إيترس في صنادلها. كانت الحلقات الصغيرة متمددة في حذاء الجري.

ربما تمرنت فريدريكا قليلًا، كان لديها بعض السراويل الرياضية الضخمة. كانت من صنع جونو.

امتلكت كاثرين مارتن أيضًا بعض سراويل الحجم السمين من صنع جونو.

تراجعت ستارلِنج من الخزانة. جلست على طرف السرير، ذراعاها مطويتان، وحدقت إلى الخزانة المضيئة.

كانت جونو علامة تجارية شائعة، تُباع في كثير من الأماكن التي تتعامل مع المقاسات الكبيرة، لكنها أثارت مسألة الملابس. كل بلدة أيًّا كان حجمها لديها على الأقل متجر واحد متخصص في الملابس للأشخاص السِّمان.

هل راقب بافالو بيل متاجر السِّمان، اختار زبونة وتبعها؟

هل دخل متاجر المقاسات الكبيرة مرتديًا ملابس امرأة ونظر حوله؟ يحصل كل متجر للمقاسات الكبيرة في مدينة ما على عملاء من المخنثين وملكات ارتداء ملابس الجنس الآخر.

أُخضعت فكرة محاولة بافالو بيل العبور جنسيًّا إلى التحقيق مؤخرًا، منذ قدم الدكتور لِكتر نظريته لستارلِنج. ماذا عن ملابسه؟

لا بد أن جميع الضحايا قد تسوقن في متاجر الأشخاص السِّمان، لربما ارتدت كاثرين مارتن مقاس اثني عشر، لكن الأخريات لم يتمكنَّ من ذلك، ولا بد أن كاثرين قد تسوقت في متجر للمقاسات الكبيرة لشراء كنزات جونو الضخمة.

بوسع كاثرين مارتن أن ترتدي مقاس اثني عشر. كانت أصغر الضحايا حجمًا. كانت فريدريكا، الضحية الأولى، الأكبر حجمًا. كيف تمكن بافالو بيل من تقليص الحجم باختيار كاثرين مارتن؟ كانت كاثرين ممتلئة الجسم، لكنها لم تكن ضخمة الحجم. هل فقد هو نفسه وزنًا؟ ربما انضم إلى مجموعة حمية مؤخرًا؟ وقعت كيمبرلي إيمبرِج نوعًا ما في الوسط، ضخمة، لكن مع انحناءة خصر جيدة...

تجنبت ستارلِنج على وجه التحديد التفكير في كيمبرلي إيمبرِج، ولكن الآن غمرتها الذكرى ثانية واحدة. رأت ستارلِنج كيمبرلي على اللوح في بوتر. لم يهتم بافالو بيل بساقيها المعالجتين بالشمع، وأظافرها المتلألئة بعناية: نظر إلى صدر كيمبرلي المسطح، ولم يكن جيدًا بما يكفي، وأخذ مسدسه وفجر نجمة البحر في صدرها.

انفتح باب الغرفة بضع بوصات. شعرت ستارلِنج بالحركة في أعماقها قبل أن تعرف ما هي. جاءت قطة، قطة كبيرة ذات فراء مبرقع بعين ذهبية والأخرى زرقاء. قفزت على السرير وتمسحت بها. تبحث عن فريدريكا.

الشعور بالوحدة. تحاول الفتيات الوحيدات كبيرات الحجم إرضاء شخص ما. قضت الشرطة على نوادي القلوب الوحيدة في وقت مبكر. هل لدى بافالو بيل طريقة أخرى لاستغلال الشعور بالوحدة؟ لا شيء يجعلنا أكثر ضعفًا من الوحدة إلا الجشع.

ربما سمحت الوحدة لبافالو بيل بافتتاح نشاطه بفريدريكا، لكن ليس مع كاثرين. لم تكن كاثرين وحيدة.

كانت كيمبرلي وحيدة. لا تبدئي هذا! كيمبرلي، مطيعة ومترهلة، تجاوزت التيبُّس الرمي، تُقلَّب على منضدة الحانوتي حتى تتمكن ستارلِنج من أخذ بصمات أصابعها. توقفي عن ذلك، لا أستطيع التوقف عن ذلك. إذن. كيمبرلي وحيدة، حريصة على الإرضاء، هل تقلَّبت كيمبرلي طواعية من أجل شخص ما، فقط لتشعر بقلبه ينبض على ظهرها؟ تساءلت عما إذا كانت كيمبرلي قد شعرت بشعيرات شارب تكشط بين لوحَي كتفيها.

محدقة إلى الخزانة المضيئة، تذكرت ستارلِنج ظهر كيمبرلي الممتلئ، والرقع المثلثة من الجلد مفقودة من كتفيها.

محدقة إلى الخزانة المضيئة، رأت ستارلِنج المثلثات على كتفَي كيمبرلي محددة بالشرطات الزرقاء لباترون خياطة الملابس. تلاشت الفكرة بعيدًا ودارت وعادت مرة أخرى، جاءت قريبة لها بما يكفي لتستوعبها هذه المرة وفعلت ذلك وقلبها ينبض بشراسة من الفرح: **إنها طيَّات مثلثة، لقد أخذ تلك المثلثات ليصنع الطيَّات الداخلية كي يتمكن بها من إنتاج خصر. الداعر يستطيع الخياطة. دُرِّب بافالو بيل على الخياطة بجدية، إنه لا يختار الملابس الجاهزة للارتداء فحسب.**

ماذا قال الدكتور لِكتر؟ «إنه يصنع لنفسه بدلة فتاة مكونة من فتيات حقيقيات».

ماذا قال لي؟ «هل تمارسين الخياطة يا كلاريس؟» اللعنة أنا أمارس الخياطة.

أعادت ستارلِنج رأسها إلى الوراء، وأغمضت عينيها ثانية واحدة. حل المشكلات يسكننا. إنها متعة وحشية ونحن نولد بها.

لقد رأت هاتفًا في صالة الجلوس. بدأت الهبوط إلى الطابق السفلي لاستخدامه، لكن صوت السيدة بيميل الخشن كان يناديها بالفعل، يدعوها إلى الهاتف.

٥٣

أعطت السيدة بيميل الهاتف إلى ستارلِنج والتقطت الطفل المنزعج. لم تغادر صالة الجلوس.

- كلاريس ستارلِنج.
- جيري بوروز، ستارلِنج...
- جيد، جيري، اسمع، أعتقد أن بافالو بيل يمكنه الخياطة. لقد قص المثلثات - لحظة فقط - سيدة بيميل، هل يمكنني أن أطلب منك اصطحاب الطفل إلى المطبخ؟ أحتاج إلى التحدث هنا. شكرًا لكِ... جيري، يمكنه الخياطة.
- ستارلِنج...
- أخذ تلك المثلثات من كيمبرلي إيمبرِج ليصنع طيَّات داخلية مثلثة، طيَّات الخياطة الداخلية، هل تعرف ما أقوله؟ إنه ماهر، إنه لا يصنع فقط أردية رجل الكهف. يمكن لقسم التعرُّف على الهوية البحث بين المجرمين المعروفين عن الخياطين وصانعي الأشرعة والستائر ومنجِّدي الأثاث... أجرِ مسحًا على حقل العلامات المميزة بحثًا عن الشق المميز للخياط في أسنانه...
- حسنًا، حسنًا، حسنًا، سأرفع سطرًا على الخط الساخن الآن إلى قسم التعرُّف على الهوية. استمعي الآن... ربما أضطر إلى الابتعاد عن الهاتف هنا. أراد جاك أن أطلعك على ذلك. حصلنا على اسم ومكان لا يبدو سيئًا. فريق

إنقاذ الرهائن محمول جوًّا من مطار أندروز. يطلعهم جاك على المعلومات بجهاز تشويش إذاعي.

- إلى أين؟

- مدينة كالومِت سيتي، على أطراف شيكاغو. اسم الهدف جِايم، مثل «name» بحرف جيه، اسم العائلة جَمب، المعروف أيضًا باسم جون جرانت، ذكر أبيض، في الرابعة والثلاثين، وزنه مائة وتسعون باوند، بني الشعر أزرق العينين. حصل جاك على إشارة صوتية من مركز جونز هوبكنز. الموضوع الخاص بكِ - ملفك الشخصي عن كيف سيكون مختلفًا عن شخص متحول جنسيًّا - لقد جذب الانتباه في مركز جونز هوبكنز. تقدم رجل بطلب لتغيير الجنس قبل ثلاث سنوات. دفع الطبيب بخشونة بعد رفضه. كان لدى مركز هوبكنز اسم جرانت المستعار وعنوان غير دائم في هاريسبرج، بنسلفانيا. حصل رجال الشرطة على إيصال غاز مع رقم بطاقة خاصة به وذهبنا من هناك. لعب دورًا كبيرًا في كاليفورنيا عندما كان حدثًا، لقد قتل جَدَّيه عندما كان في الثانية عشرة من عمره، وقضى ست سنوات في مصحة مدينة توليد للطب النفسي. سمحت الولاية له بالخروج قبل ستة عشر عامًا عندما أغلقوا المصحة. لقد اختفى فترة طويلة. إنه يهاجم المثليِّين. تورط مرتين في هاريسبرج وتلاشى مرة أخرى.

- شيكاغو، قلت. كيف تعرف شيكاغو؟

- الجمارك. كان لديهم بعض الأوراق عن الاسم المستعار جون جرانت. أوقفت الجمارك حقيبة سفر في مطار لوس أنجلوس قبل عامين شُحنت من سورينام مع «خوادر» حية... هل تنطقونها هكذا؟ حشرات على أي حال، عُث، بداخلها. كان المرسل إليه جون جرانت، الذي كان يتعهد شركة في كالومِت سيتي تُسمَّى - انتبهي لهذا - تُسمَّى «سيد إهاب» للمنتجات الجلدية. ربما تتناسب الخياطة مع ذلك، سأسلم موضوع الخياطة إلى

شيكاغو وكالومِت سيتي. لا يوجد عنوان منزل حتى الآن لجرانت، أو جَمب. الشركة مغلقة، لكننا قريبون.

- هل توجد أي صور؟

- فقط صور الأحداث من إدارة شرطة ساكرامنتو حتى الآن. ليست لها فائدة كبيرة، كان في الثانية عشرة من عمره. بدا مثل شخصية بيفر كليفر التلفزيونية. غرفة الاتصالات ترسلها بالفاكس على أي حال.

- أيمكنني الذهاب؟

- لا. جاك قال إنك ستطلبين ذلك. لديهم امرأتان من شيكاغو وممرضة لتولي مسؤولية مارتن إذا حصلوا عليها. لن تصلي في الوقت المناسب على أي حال يا ستارلِنج.

- ماذا لو كان متحصنًا؟ قد يستغرق الأمر...

- لن تكون هناك أي مواجهة. حين يجدونه، ينقضُّون عليه، سمح كروفورد بدخول متفجر. مشكلات خاصة مع هذا الرجل يا ستارلِنج، لقد كان في وضع احتجاز رهائن من قبل. جرائم الأحداث التي ارتكبها، نالوا منه في موقع متحصن في ساكرامنتو وقد أخذ جدته رهينة - كان قد قتل جده بالفعل - وكان الأمر مروِّعًا، دعيني أخبرك. سار بها خارجًا أمام رجال الشرطة، كان لديهم هذا الواعظ يتكلم معه. إنه طفل، لم يطلق أحدهم النار. كان وراءها وطعن كليتيها. لا جدوى من العناية الطبية. في الثانية عشرة، فعل هذا. لذا هذه المرة لا مفاوضات ولا تحذير. ربما ماتت مارتن بالفعل، لكن لنفترض أننا محظوظون. لنفترض أن ذهنه مشغول بالكثير، هذا أمر، والأمر الآخر أنه لم يتمكن من قتلها حتى الآن. إذا رآنا قادمين، فسيقتلها مباشرة في وجوهنا بدافع الحقد. لن يكلفه ذلك شيئًا، أليس كذلك؟ لذا سيجدونه و- بوم! - سيسقط الباب.

كانت الغرفة حارة للغاية وتفوح برائحة الأمونيا من بول الطفل.

ما زال بوروز يتكلم:

- نبحث عن كلا الاسمين في قوائم اشتراكات مجلة علم الحشرات، طائفة صانعي السكاكين، المجرمين المعروفين، والأعمال، لا أحد يتراجع حتى ينتهي الأمر. أنت تعملين مع معارف بيميل، أليس كذلك؟

- بلى.

- وزارة العدل تقول إنها قضية صعبة إذا لم نلحق به متلبسًا. نحن بحاجة إليه مع مارتن أو بشيء قابل للتعرُّف عليه، شيء له علاقة بالأسنان أو الأصابع، بصراحة. لا داعي للقول، إذا ألقى مارتن بالفعل، فنحن بحاجة إلى شهود لنضعه مع ضحية ما قبل الحكم بناءً على الأدلة. يمكننا استخدام ما تحصلين عليه من بيميل بصرف النظر... ستارلِنج، أتمنى من الرب أن يكون هذا قد حدث أمس لأسباب أكثر من طفلة مارتن. لقد أوقفوا تدريبكِ في كوانتِكو؟

- أعتقد ذلك. لقد أدخلوا شخصًا آخر كان ينتظر إعادة التدريب، هذا ما أخبروني به.

- إذا نلنا منه في شيكاغو، فقد قدمت كثيرًا من الإسهامات هنا. إنهم متشددون في كوانتِكو كما يفترض أن يكونوا، لكن عليهم أن يروا ذلك. انتظري لحظة.

استطاعت ستارلِنج سماع زعيق بوروز، بعيدًا عن الهاتف. ثم عاد مرة أخرى.

- لا شيء، يمكنهم الانتشار في مدينة كالومِت سيتي في نطاق من أربعين إلى خمسة وخمسين ميلًا، اعتمادًا على سرعة الرياح واتجاهاتها. فُوِّض فريق التدخل السريع في شيكاغو في حال وجدوه في وقت أقرب. توصلت هيئة الطاقة والإنارة في كالومِت سيتي إلى أربعة عناوين محتملة. ستارلِنج، انتبهي لأي شيء يمكنهم استخدامه هناك لتضييق مجال البحث. إذا رأيتِ أي شيء عن شيكاغو أو كالومِت سيتي، فارجعي إليَّ بسرعة.

- حسنًا.

- الآن استمعي، هذا ويجب أن أذهب. إذا حدث ذلك، إذا حصلنا عليه في مدينة كالومِت سيتي، فستقفين في الصف في كوانتِكو في الساعة ٠٨٠٠ غدًا وحذاؤك المدرسي الأسود يلمع. سيمثل جاك أمام المجلس معكِ. وكذلك القائد بريجهام. لن يضر أن نطلب.

- جيري، شيء آخر: كان لدى فريدريكا بيميل بعض السراويل الرياضية من إنتاج جونو، إنها علامة تجارية لملابس السِّمان. كان لدى كاثرين مارتن بعضها أيضًا، إذا كان الأمر يستحق. ربما يراقب متاجر السِّمان للعثور على الضحايا ضخام الحجم. يمكننا أن نسأل ممفيس، وأكرون، والأماكن الأخرى.

- فهمت. ابقي مبتسمة.

خرجت ستارلِنج في الفناء الممتلئ بالخردة في بِلفِدير، أوهايو، على بعد ٣٨٠ ميلًا من الأحداث في شيكاغو. أشعرها الهواء البارد على وجهها بتحسن. ألقت لكمة صغيرة في الهواء، مشجعة بشدة فريق إنقاذ الرهائن. في الوقت نفسه، شعرت بقليل من الارتعاش في ذقنها ووجنتيها. ما كان هذا الجحيم؟ ما الذي كانت ستفعله بحق الجحيم لو وجدت شيئًا؟ كانت قد استدعت سلاح الفرسان، ومكتب كليفلاند الميداني، وفريق التدخل السريع بكولومبوس، وإدارة شرطة بِلفِدير أيضًا.

إنقاذ الشابة، إنقاذ ابنة السيناتور مارتن اللعينة وأولئك اللاتي قد يأتين بعدها... حقًّا، كان هذا هو المهم. إذا فعلوا ذلك، كان الجميع على حق.

إذا لم يصلوا في الوقت المناسب، إذا وجدوا شيئًا فظيعًا، أرجوك يا إلهي أن ينالوا من بافا... من جايم جَمب أو السيد إهاب أو أي شيء يريدون تسمية ذلك الشيء اللعين به.

مع ذلك، أن أكون بهذا القرب، أن تكون لي يد في حل القضية، أن تتكون لديَّ فكرة جيدة متأخرة يومًا واحدًا ثم ينتهي بي الأمر بعيدًا عن الاعتقال، ومطرودة من المدرسة، كل هذا كان ملطخًا بالفشل. تشككت ستارلِنج بشعور بالذنب منذ فترة طويلة، أن حظ أفراد عائلة ستارلِنج كان سيئًا منذ مئات عديدة من الأعوام حتى

الآن، إذ كان كل أفراد عائلة ستارلِنج يتجولون في الأنحاء ساخطين ومرتبكين منذ أزمنة غابرة. إنك إذا تمكنتَ من العثور على مسارات أول فرد في عائلة ستارلِنج، فستقودك في دائرة. كان هذا تفكيرًا كلاسيكيًّا لشخص فاشل، ولتحل عليها اللعنة إذا كانت ستستمتع به.

إذا قبضوا عليه بسبب الوصف الذي حصلت عليه من الدكتور لِكتر، فعلى ذلك أن يساعدها في وزارة العدل. على ستارلِنج أن تفكر في ذلك قليلًا، كانت آمالها المهنية ترتعش مثل وهم الأطراف المبتورة.

مهما حدث، فالتفكير بشأن باترون الخياطة بدا جيدًا مثل أي شيء آخر. كانت هناك أشياء للاحتفاظ بها في هذه التجربة. لقد وجدت الشجاعة في ذكرى والدتها وكذلك ذكرى والدها. لقد كسبت ثقة كروفورد وحافظت عليها. كانت هذه أشياء يجب الاحتفاظ بها في علبة سيجار البومة البيضاء الخاصة بها.

مهمتها، واجبها، التفكير في فريدريكا وكيف يمكن أن يكون جَمب قد نال منها. يتطلب الادعاء الجنائي لمحاكمة بافالو بيل جميع الحقائق.

فكري في فريدريكا، عالقة هنا طوال حياتها وهي شابة. أين ستبحث عن المخرج؟ هل تردد صدى توقها مع بافالو بيل؟ هل جمعهما هذا معًا؟ فكرة فظيعة، أنه ربما فهمها من خلال تجربته الخاصة، وتعاطف معها، ومع ذلك سلخ جلدها بنفسه.

وقفت ستارلِنج على حافة الماء.

كل مكان تقريبًا لديه لحظة من النهار، وزاوية للضوء وشدته، حين يبدو في أفضل حالاته. عندما تكون عالقًا في مكان ما، تتعلم ذلك الوقت وتتطلع إليه. ربما كان هذا، منتصف فترة ما بعد الظهر، الوقت المناسب لنهر ليكينج خلف شارع فِل. هل كان هذا وقت حلم الفتاة بيميل؟ رفعت الشمس الباهتة بخارًا كافيًا من الماء لطمس الثلاجات والمواقد القديمة الملقاة في الدغل على الجانب البعيد من المياه الراكدة. الرياح الشمالية الشرقية، عكس الضوء، دفعت نبات عشب البرك الطويل نحو الشمس.

أدت قطعة من الأنابيب البلاستيكية البيضاء من سقيفة السيد بيميل إلى النهر. أصدرت صوت قرقرة وخرج اندفاع قصير من الماء المدمَّم، مما أدى إلى تلطيخ الثلج القديم. خرج بيميل إلى الشمس. كان الجزء الأمامي من سرواله مبقعًا بالدم، وكان يحمل بعض الكتل الوردية والرمادية في كيس طعام بلاستيكي.

قال عندما رأى ستارلِنج تنظر:

- صغار حمام... هل أكلتِ صغار الحمام من قبل؟

- لا.

قالتها ستارلِنج ملتفتة إلى الماء:

- لقد أكلت اليمام.

- لا داعي للقلق بشأن تحمل أكل هذه.

- سيد بيميل، هل كانت فريدريكا تعرف أي شخص من مدينة كالومِت سيتي أو منطقة شيكاغو؟

هز كتفيه وهز رأسه.

- هل سبق لها أن ذهبت إلى شيكاغو، على حد علمك؟

- ماذا تقصدين، على حد علمي؟ أتعتقدين أن ابنتي تذهب إلى شيكاغو وأنا لا أعرف ذلك؟ لم تذهب إلى كولومبوس من دون أن أعرف ذلك.

- هل عرفَت أي رجال يمارسون الخياطة، خياطين أو صانعي أشرعة؟

- كانت تخيط للجميع. يمكنها الخياطة مثل والدتها. أنا لا أعرف أي رجل. كانت تخيط للمتاجر، للسيدات، لا أعرف مَن.

- مَن كانت صديقتها المفضلة يا سيد بيميل؟ مع مَن كانت تتسكع؟

لم أقصد أن أقول «تتسكع». جيد، لم تُصِبه الكلمة، إنه ساخط فحسب.

- لم تكن تتسكع مثل مَن لا فائدة منهم. كان لديها دائمًا بعض الأعمال. لم يجعلها الرب جميلة، جعلها مشغولة.

- مَن كانت صديقتها المفضلة؟

- ستايسي هوبكا، على ما أعتقد، منذ أن كانتا صغيرتين. اعتادت والدة فريدريكا أن تقول إن ستايسي كانت تتجول مع فريدريكا لمجرد أن يكون لديها شخص ما ينتظرها، لا أعرف.

- هل تعرف أين يمكنني الاتصال بها؟

- عملت ستايسي في التأمين، وأعتقد أنها لا تزال تفعل ذلك. وكالة فرانكلين للتأمين.

سارت ستارلِنج إلى سيارتها عبر الفناء المليء بالحفر، ورأسها إلى أسفل، ويداها في جيبيها. راقبتها قطة فريدريكا من النافذة العالية.

٥٤

تحصل بيانات اعتماد مكتب التحقيقات الفدرالي على استجابة سريعة كلما ذهبت إلى أبعد في الغرب. بطاقة تعريف ستارلِنج، التي قد ترفع حاجبًا واحدًا لموظف مرموق يشعر بالضجر في واشنطن، حظيت بالاهتمام الكامل من رئيس ستايسي هوبكا في وكالة فرانكلين للتأمين في بِلفِدير، أوهايو. لقد حل محل ستايسي هوبكا في الاستقبال والرد على الهواتف بنفسه، وعرض على ستارلِنج خصوصية مقصورته لإجراء المقابلة.

كان لدى ستايسي هوبكا وجه مستدير وناعم، ووقفت بطول خمس أقدام وأربع بوصات وهي ترتدي الكعب. صففت شعرها على شكل أجنحة متجمدة، واستخدمت حركة المغنية شير بونو لإزاحتها عن وجهها. نظرت إلى ستارلِنج من أعلى إلى أسفل عندما لم تكن تواجهها.

- ستايسي، هل يمكنني مناداتك ستايسي؟
- بالتأكيد.
- أود أن تخبريني يا ستايسي، كيف تعتقدين أن هذا قد حدث لفريدريكا بيميل، المكان الذي ربما اكتشف هذا الرجل فريدريكا فيه.
- لقد أفزعني ذلك. أن يُنزع جلدك، هل هذا تحت تأثير عقار هلوسة؟ هل رأيتِها؟ قالوا إنها مثل الخرق، مثل شخص ما ترك الهواء يخرج من...
- ستايسي، هل ذكرَت يومًا أي شخص من شيكاغو أو مدينة كالومِت سيتي؟

مدينة كالومِت سيتي. كانت الساعة فوق رأس ستايسي هوبكا تقلق ستارلِنج.

إذا وصل فريق إنقاذ الرهائن في أربعين دقيقة، فهم على بُعد خمس دقائق فقط من الهبوط بالطائرة. هل لديهم عنوان محدد؟ اهتمي بعملك.

قالت ستايسي:

- شيكاغو؟ لا، لقد مشينا في شيكاغو مرة في موكب عيد الشكر.

- متى؟

- الصف الثامن، سيكون هذا متى؟... منذ تسع سنوات. ذهبت الفرقة فحسب إلى هناك وعادت في الحافلة.

- ماذا عن الربيع الماضي عندما اختفت لأول مرة؟

- أنا فقط لا أعرف.

- هل تذكرين أين كنتِ عندما عرفتِ ذلك لأول مرة؟ ومتى وصلت إليكِ الأخبار؟ ما الذي اعتقدتِه حين ذاك؟

- في تلك الليلة الأولى لاختفائها، ذهبت أنا وسكِب إلى العرض ثم ذهبنا إلى حانة مستر تود لتناول مشروب ودخلت بام وهم، بام مالافيسي، وقالوا إن فريدريكا اختفت، وقال سكِب إن هوديني لا يمكنه جعل فريدريكا تختفي. وبعد ذلك عليه أن يخبر الجميع مَن هوديني، إنه دائمًا ما يتباهى بمدى معرفته، ونوعًا ما تجاهلنا الأمر فحسب. اعتقدتُ أنها كانت غاضبة من والدها فحسب. هل رأيتِ منزلها؟ أليس ذلك هو الأسوأ؟ أعني، أينما كانت، أعلم أنها شعرت بالحرج أنكِ رأيت ذلك. ألن تهربي لو أنكِ مكانها؟

- هل اعتقدتِ أنها ربما هربت مع شخص ما، هل فكر أحد في ذهنك، حتى لو كان ذلك خطأً؟

- قال سكِب إنها ربما وجدت لها مطاردًا مترعًا باللحم. لكن لا، لم يكن لديها أي شخص مثل هذا قَطُّ. كان لديها صديق واحد، لكن هذا مثل التاريخ القديم. كان في الفرقة في الصف العاشر، أقول «صديقها» لكنهما تحدثا وضحكا مثل فتاتين وأديا الواجبات المدرسية. كان مخنثًا كبيرًا،

وكان يرتدي إحدى قبعات الصيادين اليونانيين الصغار! اعتقد سكِب أنه كان، كما تعلمين. شاذًّا. قُتل هو وأخته في حطام سيارة، ولم تحصل على أي شخص آخر.

- ماذا اعتقدتِ عندما لم تعد؟

- لقد اعتقدت بام أنه ربما كان بعض المونيِّين من الكنيسة التوحيدية قد اجتذبوها، لم أعرف، كنت أشعر بالخوف في كل مرة أفكر في الأمر. لن أخرج بعد الآن في الليل من دون سكِب، قلت له، قلت آه - آه يا صديقي، عندما تغرب الشمس، نحن نخرج.

- هل سمعتِها من قبل تذكر أي شخص اسمه جايم جَمب؟ أو جون جرانت؟

- امممممم... لا.

- هل تعتقدين أن لديها صديقًا لا تعرفينه؟ هل كانت هناك فجوات في الوقت، أيام لم تريها فيها؟

- لا. لو كان لديها رجل، لعرفت، صدقيني. لم يكن لديها رجل.

- هل تعتقدين أن من الممكن، دعينا نقُل، أن من الممكن أن يكون لها صديق ولم تقل شيئًا عن ذلك؟

- لماذا عساها ألا تقول؟

- خائفة من أن تكون محل سخرية، ربما؟

- سخرية منًّا؟ ماذا تقولين، بسبب المرة الأخرى؟ الطفل المخنث في المدرسة الثانوية؟

احمرَّ وجه ستايسي.

- لا، لم نكن لنؤذيها بأي حال من الأحوال. لقد ذكرتُ ذلك معًا فحسب. لم تفعل... كان الجميع، لطفاء معها بعد وفاته.

- هل عملتِ مع فريدريكا يا ستايسي؟

- أنا وهي وبام مالافيسي وجاروندا أسكيو، عملنا جميعًا في مركز المقايضة الصيفي في المدرسة الثانوية. بعد ذلك ذهبت أنا وبام إلى ريتشاردز لنرى

ما يمكننا أن نرتديه، إنها ملابس جميلة حقًّا، ووظفوني ثم بام، لذا قالت بام لفريدريكا، تعالي إنهم بحاجة إلى فتاة أخرى وجاءت، لكن السيدة بوردين – مديرة البيع؟ – قالت، «حسنًا، فريدريكا، نحتاج إلى شخص، كما تعرفين، يمكن للناس أن يجدوا صلة معه، شخص يأتون ويقولون إنني أريد أن أبدو مثلها، ويمكنك أن تقدمي لهم النصيحة حول كيف سيبدو شكلهم في هذا وأمور مثل ذلك. وإذا تمالكتِ نفسك وفقدتِ وزنك، فأنا أريدك أن تعودي إلى هنا وتقابليني»، كما قالت: «لكن في الوقت الحالي، إذا كنتِ تريدين تولي بعض التعديلات التي نجريها على الملابس، فسأجربكِ في ذلك، سأبلغ السيدة ليبمان». تحدثت السيدة بوردين بهذا الصوت الجميل، ولكن تبين أنها عاهرة حقًّا، لكنني لم أكن أعرف ذلك جيدًا في البداية.

– إذن، أجرت فريدريكا تعديلات الملابس في متجر ريتشاردز الذي كنتِ تعملين فيه؟

– لقد آذى ذلك مشاعرها، بالتأكيد. السيدة ليبمان العجوز أجرت تعديلات للجميع. كان لديها العمل وكان لديها أكثر مما يمكنها أن تفعل، وعملت فريدريكا معها. لقد أجرت التعديلات بالنيابة عن السيدة ليبمان العجوز. السيدة ليبمان خاطت للجميع، وصنعت الفساتين. بعد تقاعد السيدة ليبمان، لم يرغب ابنها أو أيًّا كان في القيام بذلك، وحصلت فريدريكا على كل شيء وواصلت الخياطة للجميع. هذا كل ما فعلته. كانت تقابلني أنا وبام، نذهب إلى منزل بام على الغداء ونشاهد «ذا يونج أند ذا رستلس»، وتحضر شيئًا وتعمل في حجرها طوال الوقت.

– هل عملت فريدريكا في المتجر، لأخذ القياسات؟ هل قابلت العملاء أو العاملين بتجارة الجملة؟

– أحيانًا، ليس كثيرًا. لم أعمل كل يوم.

– هل عملت السيدة بوردين كل يوم، هل ستعرف؟

- نعم، على ما أعتقد.
- هل ذكرت فريدريكا الخياطة لشركة تُدعى السيد إهاب في شيكاغو أو مدينة كالومِت سيتي، ربما تبطين المنتجات الجلدية؟
- لا أعرف، ربما عرفت السيدة ليبمان.
- هل سبق لكِ أن رأيت ماركة السيد إهاب؟ هل عرضها متجر ريتشاردز من قبل، أو أحد المتاجر الصغيرة؟
- لا.
- هل تعرفين أين السيدة ليبمان؟ أود التكلم معها.
- لقد ماتت. ذهبت إلى فلوريدا للتقاعد وتُوفيت هناك، كما قالت فريدريكا. لم أعرفها قَطُّ، أنا وسكِب أوصلنا فريدريكا إلى هناك أحيانًا عندما كانت لديها كمية من الملابس لتحملها. يمكنكِ التحدث مع عائلتها أو شيء من هذا القبيل. سأكتب عنوانها لك.

كان هذا مضجرًا إلى أقصى حد، في حين أن ما أرادته ستارلِنج الأخبار من مدينة كالومِت سيتي. انقضت أربعون دقيقة. لا بد أن فريق إنقاذ الرهائن على الأرض. تحوَّلت حتى لا تضطر إلى النظر إلى الساعة، وواصلت الضغط:

- ستايسي، من أين اشترت فريدريكا الملابس، من أين حصلت على ملابس تمارين جونو الضخمة، الكنزات وسراويل التمرين؟
- لقد صنعت كل شيء تقريبًا. أتوقع أنها اشترت سراويل التمرين من متجر ريتشاردز، كما تعرفين، عندما بدأ الجميع في ارتدائها واسعة جدًّا، لذا كيف أصبحت تأتي ضيقة للغاية هكذا؟ عرضتها كثير من الأماكن بعد ذلك. حصلَت على خصم في ريتشاردز لأنها خاطت لهم.
- هل سبق لها التسوق في متجر المقاسات الكبيرة؟
- ذهبنا إلى كل مكان للبحث، تعرفين كيف هي الحال. كنا نذهب إلى متجر بيرسوناليتي بلَس وتبحث عن أفكار، كما تعرفين، باترونات لإرضاء الأحجام الكبيرة.

- هل أتى أي شخص من قبل وضايقكما في متجر المقاسات الكبيرة، أو هل شعرت فريدريكا بأن أحدًا ما كان يراقبها؟

نظرت ستايسي إلى السقف لثانية وهزت رأسها.

- ستايسي، هل أتى مرتدو ملابس الجنس الآخر إلى متجر ريتشاردز، أو رجال يشترون فساتين بمقاسات كبيرة، هل واجهتِ ذلك من قبل؟

- لا، رأيت أنا وسكِب بعضهم في حانة بكولومبوس ذات مرة.

- هل كانت فريدريكا معك؟

- بالتأكيد لا، لقد ذهبنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

- هل تدونين أماكن القياسات الكبيرة التي ذهبتِ إليها مع فريدريكا، هل تعتقدين أن بإمكانك تذكرها جميعًا؟

- هنا فقط، أم هنا وكولومبوس؟

- هنا وكولومبوس. وريتشاردز أيضًا، أريد التحدث إلى السيدة بوردين.

- حسنًا. هل هو عمل جيد للغاية، كونك عميلة في مكتب التحقيقات الفدرالي؟

- أعتقد أنه كذلك.

- يمكنكِ السفر وأشياء من هذا القبيل؟ أعني أماكن أفضل من هذه.

- في بعض الأحيان تفعلين هذا.

- يجب أن تبدي جيدة كل يوم، أليس كذلك؟

- حسنًا، بلى. عليك أن تحاولي أن تبدي كأنك عملية.

- كيف تصلين إلى ذلك، كونك عميلة في مكتب التحقيقات الفدرالي؟

- عليك أن تذهبي إلى الكلية أولًا يا ستايسي.

- من الصعب دفع ثمن هذا.

- نعم، إنه كذلك. أحيانًا هناك منح وزمالات تساعد، على الرغم من ذلك. هل تودين أن أرسل إليك بعض الأشياء؟

- نعم، كنت أفكر فحسب، كانت فريدريكا سعيدة جدًّا من أجلي عندما

حصلت على هذه الوظيفة. لقد استمتعَت حقًّا بشيء ما - لم تكن لديها وظيفة مكتبية حقيقية... اعتقدَت أن هذا سيؤدي إلى مكان ما. كانت هذه الملفات من الورق المقوى وباري مانيلو على مكبرات الصوت طوال اليوم... اعتقدَت أنها كانت شيئًا مهمًّا. ما الذي عرفته، الغبية الكبيرة.

تحجرت الدموع في عينَي ستايسي هوبكا. فتحتهما على اتساعهما وأمسكت رأسها إلى الخلف لتتجنب الاضطرار إلى إعادة رسم عينيها.

- ماذا عن قائمتي الآن؟

- من الأفضل أن أفعل ذلك على مكتبي، فقد حصلت على معالج الكلمات الخاص بي، وأحتاج إلى دفتري لأرقام الهاتف وأشياء أخرى.

خرجت ورأسها إلى الخلف مهتدية بالسقف.

كان الهاتف هو ما عذَّب ستارلِنج. بمجرد خروج ستايسي هوبكا من المقصورة، هاتفت ستارلِنج مكتب تجميع واشنطن للحصول على الأخبار.

٥٥

في تلك اللحظة، فوق الطرف الجنوبي لبحيرة مِتشيجان، جاءت طائرة خاصة برجال الأعمال تسع أربعة وعشرين شخصًا بعلامات مدنية قادمة من أقصى ارتفاع، وبدأت في الانحدار للهبوط في المنحنى الطويل وصولًا إلى مدينة كالومِت سيتي، بولاية إلينوي.

شعر الاثنا عشر رجلًا من فريق إنقاذ الرهائن بالرفع في بطونهم. تثاءب عدد قليل بإسهاب عرضًا بفعل التوتر في أول الممر وآخره.

خلع قائد الفريق جويل راندال، في مقدمة مقصورة الركاب، سماعة الرأس ونظر إلى ملاحظاته قبل أن ينهض للكلام. كان يعتقد أن لديه أفضل فرق التدخل السريع تدريبًا في العالم، وربما كان على حق. لم يتعرض كثير منهم لإطلاق النار قَطُّ، لكن بقدر ما يمكن أن تخبرنا المحاكاة والاختبارات، كان هذا الفريق الأفضل على الإطلاق.

قضى راندال كثيرًا من الوقت في ممرات الطائرات، وحافظ على توازنه بسهولة في الهبوط الوعر.

- أيها السادة، وسيلة نقلنا البري إهداء من إدارة مكافحة المخدرات تحت التخفي. لديهم شاحنة بائع زهور وعربة سباكة. لذا فيرنون، إيدي، ارتديا ملابسكما المدنية وخذا أجهزة الاتصال طويلة المدى. إذا دخلنا خلف القنابل الصاعقة، تذكرا أنكما لا تضعان حماية ضد الوهج على وجهيكما.

تمتم فيرنون لإيدي:

- تأكد من تغطية ردفيك.

غمغم إيدي:

- هل قال لا تكشفا مؤخرتيكما؟ اعتقدتُ أنه قال لا تكشفا أعضاءكما.

اضطر فيرنون وإيدي، اللذان سيبادران بالاقتراب من الباب، إلى ارتداء درعين باليستيتين رقيقتين تحت الملابس المدنية. يمكن للباقين ارتداء دروع صلبة، منيعة ضد نيران البندقية.

قال راندال:

- بوبي، تأكد من وضع أحد هواتفك المحمولة في كل شاحنة للسائق، حتى لا نتورط في التحدث إلى هؤلاء الرجال من إدارة مكافحة المخدرات.

تستخدم إدارة مكافحة المخدرات أجهزة اللاسلكي «موجات الراديو عالية التردد بشكل فائق» في المداهمات، بينما يستخدم مكتب التحقيقات الفدرالي «موجات الراديو عالية التردد للغاية». كانت هناك مشكلات في الماضي.

كانوا مجهزين لمعظم الاحتمالات، ليلًا أو نهارًا: للجدران لديهم معدات الهبوط الأساسية، للاستماع لديهم سماعات وولف إير وميكروفونات فانسليك فارنون. للرؤية لديهم أجهزة للرؤية الليلية. بدت الأسلحة ذات المناظير الليلية مثل آلات الفرقة الموسيقية في صناديقها المنتفخة.

كان من المفترض أن تكون هذه عملية هجومية دقيقة، وانعكس ذلك في الأسلحة، فلم يكن هناك شيء يطلق من رتاج مفتوح.

ارتدى الفريق على الأكتاف صدارات معداتهم متعددة الجيوب عندما نزلت جنيحات الطائرة.

حصل راندال على أخبار من كالومِت سيتي عبر سماعة رأسه. غطى الميكروفون وتحدث إلى الفريق مرة أخرى.

- يا رفاق، لقد خفضوا العناوين إلى عنوانين. سنأخذ أفضل عنوان، وفريق شيكاغو للتدخل السريع في العنوان الآخر.

كان الميدان مطار بلدية لانسنج، الأقرب إلى كالومِت سيتي على الجانب

الجنوبي الشرقي من شيكاغو. أُخليت الطائرة على الفور. أوقفها الطيار مع تصاعد رائحة الفرامل إلى جانب مركبتين متوقفتين في نهاية الميدان الأبعد من صالة الوصول. كانت هناك تحيات سريعة بجانب شاحنة بائع الزهور. سلم قائد إدارة مكافحة المخدرات راندال ما يشبه باقة زهور طويلة. كانت عبارة عن مطرقة ثقيلة لتحطيم الأبواب تزن اثني عشر باوند، ورأسها ملفوف بورق ملون مثل إناء الزهور، وأوراق الشجر مربوطة بالمقبض.

قال:

- قد ترغب في تسليم هذه. مرحبًا بكم في شيكاغو.

٥٦

مضى السيد جَمب قُدمًا في الأمر في وقت متأخر من بعد الظهيرة.

بدموع خطرة متحجرة في عينيه، شاهد الفيديو الخاص به مرة بعد مرة بعد مرة. على الشاشة الصغيرة، صعدت ماما المنزلق المائي ونزلت وي ي ي ي إلى المسبح. نزلت وي ي ي ي إلى المسبح. ضببت الدموع رؤية جَمب كما لو كان في المسبح بنفسه.

في وسطه، قرقرت زجاجة ماء ساخن، حيث قرقر بطن الكلبة الصغيرة عندما كانت مستلقية عليه.

لم يستطع التحمل أكثر من ذلك، فما كان لديه في القبو يحتجز بريشيس سجينة، ويهددها. كانت بريشيس تتألم، عرف أنها تتألم. لم يكن متأكدًا من قدرته على قتل الكائن قبل أن يصيب بريشيس بجروح قاتلة، لكن كان عليه أن يحاول. الآن.

يخلع ثيابه ويلبس الرداء، فقد كان دائمًا ينهي الحصاد عاريًا ومدمَّمًا كطفل حديث الولادة.

من خزانة أدويته الضخمة، أخذ المرهم الذي استخدمه على بريشيس عندما خدشها القط. أخرج بعض الضمادات وأعواد القطن و«طوقًا إليزابيثيًّا» من البلاستيك أعطاه إياه الطبيب البيطري لمنعها من إزعاج مكان مؤلم بأسنانها. كانت لديه خافضات لسان في القبو ليستخدمها جبائر على ساقها الصغيرة المكسورة وأنبوب ستِنج-إيز لتسكين الألم إذا خدشها الكائن الغبي قبل أن يموت.

طلقة رأس حذرة، وبهذا كان فقط قد ضحى بالشعر. كانت بريشيس بالنسبة إليه أكثر قيمة من الشعر. كان الشعر تضحية، تقدمة من أجل سلامتها.

بهدوء أسفل الدرج الآن، إلى المطبخ. خلع نعليه ونزل على درج القبو المظلم. ابقَ على مقربة من الحائط لمنع الدرج من الصرير.

لم يشعل الضوء. أسفل الدرج، أخذ يمينًا إلى غرفة العمل، متحركًا عن طريق اللمس في الظلام المألوف، وشعر بأن الأرضية تتغير تحت قدميه.

لامس كمه القفص وسمع صوت زقزقة غاضبة من عُثة حاضنة. هنا كانت الخزانة. وجد منظار الأشعة تحت الحمراء ووضعه على رأسه. الآن توهج العالم باللون الأخضر. وقف للحظة وسط هدير الخزانات المريح، في هسهسة أنابيب البخار الدافئة. سيد الظلام، ملكة الظلام.

تركت حشرات العُث المتطايرة في الهواء آثارًا خضراء من ضوء طيفي عبر منظاره، وأنفاسًا خافتة عبر وجهه، بينما أجنحتها الناعمة تمسح الظلام.

فحص مسدس البايثون. كان ملقَّمًا برصاصات خاصة عيار ٣٨ ذات حواف مقطوعة للإطلاق من مسافة قريبة بسرعة منخفضة. كانت تصطدم بالجمجمة وتتوسع للقتل الفوري. إذا كان الكائن واقفًا عند إطلاق النار، إذا أطلق على الجزء العلوي من الرأس، فسيقل احتمال اختراق الرصاصة للفك السفلي وتمزيق الصدر عن خروجها من ذخيرة مسدس ماجنوم.

كان هادئًا، هادئًا، تسلل، ركبتاه مثنيتان، أصابع قدمين مطلية تتشبث بالألواح الخشبية القديمة. صامتًا على الأرضية الرملية لغرفة الزنزانة تحت الأرض. هادئًا لكن ليس شديد البطء. لم يكن يريد أن يسمح الوقت بوصول رائحته إلى الكلبة الصغيرة في قاع البئر.

كان الجزء العلوي من الزنزانة الأرضية يتلألأ باللون الأخضر، والحجارة والملاط مميزين، حبيبات الغطاء الخشبي حادة في رؤيته. أمسك المنظار وانحنى. كانا هناك. كان الكائن على جانبه مثل جمبري عملاق. ربما كان نائمًا. كانت بريشيس متكورة على جسده، بالتأكيد نائمة، أرجوك ليست ميتة.

كان الرأس مكشوفًا. طلقة في العنق مغرية، فهي الشعر. مخاطرة كبيرة.

انحنى السيد جَمب على الحفرة، تطلعت عينا منظاره البارزتان إلى أسفل. يتمتع مسدس بايثون بفوهة لها إحساس جيد وثقيل، يمكن توجيهها على نحو رائع. يجب أن تحمله في نطاق شعاع الأشعة تحت الحمراء. رتب المنظار على جانب رأسه، تمامًا حيث الشعر ندي على الصدغ.

الضوضاء أو الرائحة، لم يعرف قَطُّ، لكن بريشيس تنهض وهي تنبح، تقفز باستقامة إلى أعلى في الظلام، تنثني كاثرين بيكر مارتن حول الكلبة الصغيرة وتسحب الحشية فوقهما. مجرد كتل تتحرك تحت الحشية، لم يستطع معرفة مَن منهما الكلبة ومَن كاثرين. بعد النظر إلى أسفل بالأشعة تحت الحمراء، كان إدراكه للعمق معطوبًا. لم يستطع معرفة أي كتلة كانت كاثرين.

لكنه قد رأى بريشيس تقفز. عرف أن ساقها بخير، وفي الحال عرف شيئًا آخر: كاثرين بيكر مارتن لن تؤذي الكلبة، أكثر مما يمكن له أن يفعل. أوه، ارتياح حلو. بسبب شعورهما المشترك، يمكنه إطلاق النار على ساقيها اللعينتين وعندما تمسك ساقيها، يفجر رأسها اللعين. لا داعي للحذر.

أشعل الأنوار، كل الأنوار الملعونة في القبو، وأحضر الضوء الكاشف من المخزن. كان يتحكم في نفسه، ويفكر جيدًا، في طريقه خلال غرفة العمل، تذكر أن يجري قليلًا من الماء في الأحواض حتى لا يتخثر أي شيء في أنابيب الصرف.

وبينما أسرع متجاوزًا الدرَج، مستعدًّا للبدء، حاملًا الضوء الكاشف، رن جرس الباب.

أصدر جرس الباب صوت صرير، صوت كشط، يجب عليه أن يتوقف ويفكر فيما كان هذا الصوت. لم يسمع به منذ سنوات، لم يعرف حتى ما إذا كان يعمل. مثبتًا في مسار الدرَج ليمكن سماعه في الطابقين العلوي والسفلي، وهو يرن الآن، عبارة عن حلمة معدنية سوداء مغطاة بالغبار. عندما نظر إليه، رن مرة أخرى، واستمر في الرنين، والغبار يتطاير منه. كان شخص عند الباب الأمامي، يضغط على الزر القديم الذي يحمل لافتة مشرف عام.

سيذهبون بعيدًا.

جهز الضوء الكاشف.

لم يذهبوا بعيدًا.

في أسفل البئر، قال الكائن شيئًا لم ينتبه له. كان الجرس يرن، يصدر صريرًا، كانوا يتكؤون على الزر.

من الأفضل الصعود وإلقاء نظرة خاطفة على الباب الأمامي. مسدس بايثون ذو الماسورة الطويلة لن يتناسب مع جيب ردائه. وضعه على طاولة العمل.

كان في منتصف الطريق إلى أعلى الدرَج عندما توقف الجرس عن الرنين. انتظر بضع لحظات في منتصف الطريق إلى أعلى. صمت. قرر أن ينظر على أي حال. بينما كان يمر في المطبخ جعلته طرقة ثقيلة على الباب الخلفي يقفز. في غرفة المؤن بالقرب من الباب الخلفي كانت هناك بندقية مضخة. عرف أنها ملقَّمة بالذخيرة.

بإغلاق الباب على درَج القبو، لن يسمع أحد صوت الكائن يصرخ هناك، حتى بأعلى صوته، كان متأكدًا من ذلك.

دقٌّ مرة أخرى. فتح الباب لمسافة شق تحدده السلسلة.

قالت كلاريس ستارلِنج:

- لقد جربت الباب الأمامي لكن لم يأتِ أحد. أنا أبحث عن عائلة السيدة ليبمان، هل يمكنك مساعدتي؟

قال جَمب:

- إنهم لا يعيشون هنا.

وأغلق الباب.

كان قد بدأ صعود الدرج مرة أخرى عندما استؤنفت الدقات، بصوت أعلى هذه المرة.

فتح الباب على السلسلة.

أمسكت الشابة بطاقة هوية بالقرب من الشق. كُتب عليها مكتب التحقيقات الفدرالي.

- أرجو المعذرة، لكن أريد التحدث معك. أريد أن أجد عائلة السيدة ليبمان. أعرف أنها عاشت هنا. أريدك أن تساعدني، رجاءً.

- ماتت السيدة ليبمان منذ زمن طويل. لم يكن لديها أي أقارب أعرفهم.

- ماذا عن محامٍ أو محاسب؟ شخص لديه سجلاتها التجارية؟ هل عرفت السيدة ليبمان؟

- مدة وجيزة فحسب. ما المشكلة؟

- أنا أحقق في وفاة فريدريكا بيميل. مَن أنت، من فضلك؟

- جاك جوردون.

- هل عرفت فريدريكا بيميل عندما كانت تعمل لدى السيدة ليبمان؟

- لا. هل كانت شخصًا رائعًا وبدينًا؟ ربما رأيتها، لست متأكدًا. لم أقصد أن أكون وقحًا، كنت نائمًا... كان للسيدة ليبمان محامٍ، ربما لديَّ بطاقته في مكان ما، سأرى ما إذا كان بإمكاني العثور عليها. هل تمانعين في الدخول؟ أنا أتجمد وقطتي ستمرق من هنا في لحظة. ستكون في الخارج مثل الطلقة قبل أن أتمكن من اللحاق بها.

ذهب إلى مكتب ذي غطاء علوي منزلق في الزاوية البعيدة من المطبخ، ورفع الجزء العلوي وبحث في عدد من الأرفف العميقة. دخلت ستارلِنج من الباب وأخرجت دفتر ملاحظاتها من حقيبتها. قال وهو يفتش المكتب:

- هذا العمل الرهيب. أنا أرتجف في كل مرة أفكر فيها. هل هم قريبون من الإمساك بشخص ما، على حد اعتقادك؟

- ليس بعد، لكننا نعمل. سيد جوردون، هل استحوذت على هذا المكان بعد وفاة السيدة ليبمان؟

- نعم.

انحنى جَمب على المكتب، وظهره إلى ستارلِنج. فتح أحد الأدراج وأخذ ينقب فيه.

- هل تركَت أي سجلات هنا؟ سجلات الأعمال؟

- لا، لا شيء على الإطلاق. هل لدى مكتب التحقيقات الفدرالي أي أفكار؟

يبدو أن الشرطة هنا لا تعرف أي شيء. هل لديهم وصف أم بصمات؟

من ثنايا الجزء الخلفي من رداء السيد جَمب زحفت عثة رأس الموت. توقفت في منتصف ظهره، تقريبًا عند مكان قلبه، وضبطت جناحيها.

أسقطت ستارلِنج دفتر ملاحظاتها في الحقيبة.

السيد جَمب. شكرًا للرب أن معطفي مفتوح. تكلمي عن الخروج من هنا، اذهبي إلى هاتف. لا، إنه يعرف أنني من مكتب التحقيقات الفدرالي، إذا تركته يبتعد عن عينيَ فسيقتلها. يطعن كليتيها. يجدونه، ينقضون عليه. هاتفه. لا أراه. ليس هنا، اطلبي هاتفه. احصلي على اتصال، ثم ألقي عليه شيئًا. اجعليه يرقد ووجهه إلى أسفل، انتظري رجال الشرطة. هذا كل شيء، افعليها. إنه يلتفت.

قال:

- هذا هو الرقم. كانت لديه بطاقة عمل.

آخذها؟ لا.

- جيد، شكرًا لك. سيد جوردون، هل لديك هاتف يمكنني استخدامه؟

عندما وضع البطاقة على الطاولة، طارت العُثة. جاءت من ورائه. تجاوزت رأسه وأضاءت بينهما، على خزانة فوق الحوض.

نظر إلى العُثة. عندما لم تنظر إليها، عندما لم تغادر عيناها وجهه قَطُّ، عرف.

التقت أعينهما وعرفا بعضهما.

أمال السيد جَمب رأسه قليلًا إلى الجانب. ابتسم.

- لديَّ هاتف لاسلكي في المخزن، سأحضره لكِ.

لا! افعليها. مدت يدها للحصول على السلاح، حركة واحدة سلسة قامت بها أربعة آلاف مرة وكانت صحيحة حيث من المفترض أن تكون، قبضة جيدة بيدين، عالمها هو المنظر الأمامي ووسط صدره.

- اثبت مكانك.

ضغط شفتيه.

- الآن. ببطء. ارفع يديك.

حركيه للخارج، حافظي على الطاولة بيننا. اجعليه يمشي إلى الباب الأمامي. وجهه إلى أسفل في وسط الشارع وارفعي الشارة.

- سيد جُب... سيد جَمب، أنت رهن الاعتقال. أريد منك أن تمشي ببطء إلى الخارج.

بدلًا من ذلك، خرج من الغرفة. لو أنه قد مد يده إلى جيبه، مد يده إلى ما خلفه، لو أنها رأت سلاحًا، كان بإمكانها إطلاق النار. خرج فحسب من الغرفة.

سمعته وهو ينزل سلم القبو سريعًا، تدور حول الطاولة وإلى الباب عند أعلى بئر السلم. لقد اختفى، الدرَج مضاء على نحو ساطع وخالٍ. فخ. أن تكون هدفًا سهلًا على الدرَج.

من القبو صدرت صرخة حادة يمكنها قص ورقة رقيقة.

لم يعجبها الدرَج، لم يعجبها الدرَج، كلاريس ستارلِنج مسرعة حيث ستهب الأمر نفسها أو لا.

صرخت كاثرين مارتن مرة أخرى، إنه يقتلها وذهبت ستارلِنج إليهما بالأسفل على أي حال، إحدى يديها على الدرابزين، ذراع السلاح تحت خط رؤيتها مباشرة، والأرضية أدناه محيطة بالسلاح، وذراع السلاح تتأرجح مع رأسها وهي تحاول تغطية البابين المواجهين المفتوحين في أسفل الدرَج.

اشتعلت الأضواء في القبو، ولم تستطع المرور من أحد البابين من دون أن تدير ظهرها إلى الباب الآخر، افعليها بسرعة إذن، إلى اليسار باتجاه الصراخ. إلى غرفة الزنزانة تحت الأرض ذات الأرضية الرملية، تأكدت من خلو إطار الباب بسرعة، عيناها أوسع مما كانتا عليه في أي وقت مضى. كان المكان الوحيد للاختباء خلف البئر، تنزلق جانبيًّا حول الحائط، كلتا يديها على السلاح، ذراعاها مستقيمتان، قليل من الضغط على الزناد، واصلت حول البئر ولا أحد خلفها.

تتصاعد صرخة صغيرة من البئر مثل دخان رقيق. نباح الآن، كلبة. اقتربت من البئر، وعيناها على الباب، وصلت إلى الحافة، نظرت من فوق الحافة. رأت الفتاة، نظرت إلى أعلى مرة أخرى، إلى أسفل مرة أخرى، قالت ما تدربت على قوله، تهدئة الرهينة:

- مكتب التحقيقات الفدرالي، أنتِ بأمان.

- أمان لعين، لديه سلاح. أخرجيني من هنا. **أخرجيني من هنا.**

- كاثرين، ستكونين بخير. اخرسي. هل تعرفين أين هو؟

- **أخرجيني من هنا. لا أكترث لمكان ذلك اللعين، أخرجيني من هنا.**

- سأخرجك. اهدئي. ساعديني. اهدئي حتى أسمع. حاولي إخراس هذه الكلبة.

احتمت خلف البئر، غطت الباب، وخفق قلبها ونفخت أنفاسها الغبار عن الحجر. لم تستطع ترك كاثرين مارتن للحصول على المساعدة وهي لا تعرف مكان جَمب. تحركت إلى الباب واحتمت خلف الإطار. كانت تستطيع أن ترى عبر نهاية الدرج وداخل جزء من غرفة العمل خلفه.

إما أن تعثر على جَمب، وإما أن تتأكد من هروبه، وإما أن تصطحب كاثرين معها، كانت تلك هي الخيارات الوحيدة.

نظرة سريعة فوق كتفها، في أنحاء غرفة الزنزانة تحت الأرض.

- كاثرين. كاثرين. هل يوجد سلم؟

- لا أعرف، لقد أفقتُ هنا. لقد أنزل الدلو على خيوط.

ثُبتت رافعة يدوية صغيرة على عارضة الحائط. لم يكن هناك حبل على أسطوانة الرافعة.

- كاثرين، يجب أن أجد شيئًا أُخرجك به. هل تستطيعين المشي؟

- نعم، لا تتركيني.

- لا بد لي من مغادرة الغرفة دقيقة فقط.

- أيتها العاهرة اللعينة، لا تتركيني هنا، والدتي ستمزق دماغك اللعين...

- كاثرين اخرسي. أريدك أن تهدئي حتى أسمع. كي تنقذي نفسك اهدئي، هل تفهمين؟

ثم، بصوت أعلى:

- الضباط الآخرون سيكونون هنا في أي لحظة، الآن اخرسي. لن نتركك هناك. لا بد أن لديه حبلًا. أين كان؟ اذهبي لتري.

تحركت ستارلِنج عبر بئر السلم باندفاع واحد، إلى باب غرفة العمل، الباب أسوأ مكان، بسرعة، ذهابًا وإيابًا على طول الجدار القريب حتى رأت كل الغرفة، أشكال مألوفة تسبح في الخزانات الزجاجية، إنها متيقظة جدًّا إلى درجة أنها لا تجفل. بسرعة عبر الغرفة، مرورًا بالخزانات، والأحواض، بعد القفص، تطير بضع حشرات العُث الكبيرة. تجاهلتها.

بالاقتراب من الممر بعد ذلك، يتوهج الضوء. اشتغلت الثلاجة خلفها، ودارت وهي تربض أرضًا، رافعة المطرقة عن إطار مسدس الماجنوم، خففت الضغط. إلى الممر. لم تتعلم إلقاء نظرة خاطفة. الرأس والمسدس دفعة واحدة، لكن منخفضة. الممر خالٍ. الاستوديو متوهج بالضوء في نهايته. سريعًا على طول الممر، تقامر بتجاوز الباب المغلق، إلى باب الاستوديو. الغرفة كلها من خشب البلوط الأبيض والفاتح. مرت من الجحيم لتمر من المدخل. تأكد أن كل تمثال عارض أزياء هو تمثال عارض أزياء، كل انعكاس هو تمثال عارض أزياء. الحركة الوحيدة في المرايا هي حركتكِ.

كان صوان الملابس الكبير مفتوحًا وخاليًا. الباب البعيد مفتوح على الظلام، القبو وراءه. لا حبل ولا سلم في أي مكان. لا توجد أضواء خارج الاستوديو. أغلقت الباب المؤدي إلى الجزء المظلم من القبو، ودفعت كرسيًّا تحت المقبض، وضغطت عليه بماكينة خياطة. إذا استطاعت أن تتأكد أنه لم يكن في هذا الجزء من القبو، فستخاطر بالصعود إلى الطابق العلوي للحظة للعثور على هاتف.

بالعودة إلى الممر، كانت ستمر بباب واحد. كوني على الجانب المقابل

للمفصلات. افتحيه إلى النهاية في حركة واحدة. صُفق الباب بقوة إلى الخلف، لا أحد خلفه. حمَّام قديم. بداخله، حبل، خطافات، حمَّالة. تأخذ كاثرين أم تذهب إلى الهاتف؟ في قاع البئر لن تُصاب كاثرين بطلق ناري بالخطأ. لكن إذا قُتِلت ستارلِنج، فكاثرين ميتة أيضًا. ستأخذ كاثرين معها إلى الهاتف.

لم ترغب ستارلِنج في البقاء في الحمَّام فترة طويلة. يمكنه أن يأتي إلى الباب ويهاجمها بخرطوم مياه. بحثت في كلا الاتجاهين وانغمست في الداخل بحثًا عن الحبل. كان هناك حوض استحمام كبير في المكان.

كان حوض الاستحمام ممتلئًا تقريبًا بالجص الأحمر الأرجواني الصلب. برزت يد ومعصم إلى أعلى من الجص، اغمق لون اليد وذوت، الأظافر مطلية باللون الوردي. أحاطت ساعة أنيقة بالمعصم. كانت ستارلِنج ترى كل شيء في وقت واحد؛ الحبل، الحوض، اليد، الساعة.

كان زحف الحشرات بالغة الصغر من اليد الأخرى آخر شيء رأته قبل انطفاء الأنوار.

دق قلبها بقوة كافية ليهز صدرها وذراعيها. أصابها الظلام بالدوار، بحاجة إلى لمس شيء، حافة حوض الاستحمام. اخرجي من الحمَّام. إذا استطاع العثور على الباب، فيمكنه غمر هذه الغرفة بخرطوم المياه، لا شيء للاختباء خلفه. أوه بحق يسوع العزيز اخرجي. انخفضي واخرجي في الردهة. كل الأنوار مطفأة؟ كل الأنوار. لا بد أنه فعلها في صندوق الكهرباء، سحب الرافعة، أين سيكون؟ أين سيكون صندوق الكهرباء؟ بالقرب من الدرَج. في أحيان كثيرة يكون بالقرب من الدرَج. إذا كان الأمر كذلك، فسيأتي من هذا الطريق. لكنه بيني وبين كاثرين.

كانت كاثرين مارتن تنوح مرة أخرى.

أنتظر هنا؟ أنتظر إلى الأبد؟ ربما ذهب. لا يستطيع التأكد أن الدعم ليس قادمًا. نعم يستطيع. لكن قريبًا سيفتقدونني. الليلة. الدرَج في اتجاه الصرخات. جدي حلًّا الآن.

تحركت بهدوء، كتفها بالكاد تلامس الحائط، تلامسه بخفة شديدة تحسبًا لأي صوت، إحدى يديها ممدودة إلى الأمام، السلاح عند مستوى الخصر، قريبًا منها في الردهة المحصورة. خرجت إلى غرفة العمل الآن. تشعر بالمساحة تتفتح. غرفة مفتوحة. رابضة في الغرفة المفتوحة، الذراعان ممدودتان، كلتا اليدين على السلاح. تعرفين بالضبط مكان السلاح، إنه تحت مستوى العين بالضبط. توقفي، أنصتي. يلتف الرأس والجسم والذراعان معًا مثل برج. توقفي، أنصتي.

في السواد المطلق هسيس أنابيب البخار، رشح الماء.

ثقيلة في فتحتَي أنفها رائحةُ الماعز.

نواح كاثرين.

على الحائط وقف السيد جَمب بمنظاره الليلي. لا خطر من اصطدامها به، فبينهما طاولة معدات. شغَّل ضوء الأشعة تحت الحمراء عليها من أعلاها إلى أسفلها. كانت نحيلة جدًّا بحيث لم تكن ذات فائدة كبيرة له. تذكَّر شعرها مع ذلك، من المطبخ، وكان مجيدًا، وسيستغرق ذلك دقيقة واحدة فقط. يمكن أن يسلخه على الفور. يضعه على نفسه. يمكنه أن يتكئ على البئر وهو يرتديه ويقول لذلك الكائن «مفاجأة!».

كان من الممتع مشاهدتها وهي تحاول التسلل. وركها على الأحواض الآن، وهي تتسلل نحو الصرخات وسلاحها مُشهر. سيكون من الممتع أن يطاردها فترة طويلة، فلم يسبق له أن اصطاد مسلحًا من قبل. كان سيستمتع بالأمر تمامًا. لا وقت لذلك. يا للأسف.

ستكون اللقطة في الوجه جيدة وسهلة على بُعد ثماني أقدام. الآن.

جذب مطرقة مسدس بايثون وهو يرفعه إلى الأعلى بصوت سنِك سنِك وتضبب الشكل، متوهجًا، متوهجًا باللون الأخضر في نطاق رؤيته وترنح السلاح في يده وضربته الأرض بشدة في ظهره وكان نوره مضاءً ورأى السقف. ستارلِنج على الأرض، أعماها الوميض، رنين في أذنيها، صمم من تفجر السلاحين. عملت في الظلام بينما لم يستطع أيٌّ منهما السمع، ألقِي الفوارغ، اقلبي المسدس،

تحسَّسي لتري أن الفوارغ جميعها خرجت، أدخلي ملقِّم الذخيرة السريع، تحسَّسيه، اقلبيه إلى أسفل، لفيه، أسقطيه، أغلقي الأسطوانة. لقد أطلقت أربعًا، طلقتين وطلقتين. لقد أطلق مرة واحدة. وجدَت الخرطوشتين الجيدتين اللتين ألقتهما. أين تضعهما؟ في جراب ملقِّم الذخيرة السريع. رقدت بلا حراك. أتتحرك قبل أن يستطيع السمع؟

صوت جذب مطرقة المسدس لا مثيل له. لقد أطلقت النار على الصوت، لم ترَ شيئًا إلا ومضات فوهتَي السلاحين. كانت تأمل أن يطلق النار الآن في الاتجاه الخطأ، ليمنحها وميض الفوهة كي تطلق النار عليه. كان سمعها بعود، ما زال الرنين في أذنيها، لكن بوسعها أن تسمع.

ماذا كان هذا الصوت؟ صفير؟ مثل غلاية الشاي، لكنه متقطع. ماذا كان؟ مثل التنفس. هل هذا أنا؟ لا. نفخت أنفاسها دافئة على الأرض، عادت إلى وجهها. احذري، لا تثيري الغبار، لا تعطسي. إنه تنفُّس. إنه جرح ماصٌّ ناتج عن ثقب في الصدر. أصيب في صدره. لقد علموها كيف تغلق أحد هذه الجروح، أن تضع شيئًا ما فوقه، معطفًا واقيًا من المطر، كيسًا بلاستيكيًّا، شيئًا غير منفِّذ للهواء، ربْطه بإحكام. إنعاش الرئة. ستضربه على صدره، بعد ذلك. ما الذي يجب فعله؟ انتظري. دعيه يتصلب وينزف. انتظري.

شعرت ستارلِنج بلسعة في خدها. لم تلمسه، إذا كان ينزف فهي لا تريد أن تكون يداها زلقتين.

جاء الأنين من البئر مرة أخرى، كاثرين تتكلم، تبكي. كان على ستارلِنج أن تنتظر. لم تستطع الرد على كاثرين. لم تستطع قول أي شيء أو التحرك.

اشتغل ضوء السيد جَمب الخفي على السقف. حاول تحريكه ولم يستطع، أكثر مما يستطيع تحريك رأسه. التقطت عُثة لونا الماليزية الكبيرة التي كانت تمر قريبًا من أسفل السقف الأشعة تحت الحمراء، ونزلت ودارت حول الضوء وأنارت عليه. كانت الظلال النابضة لجناحيها، الهائلة على السقف، مرئية فقط للسيد جَمب.

فوق صوت الامتصاص في الظلام، سمعت ستارلِنج صوت السيد جَمب المروع، وهو يختنق:

- ما... شعور... أن تكون... رائع... الجمال؟

ثم صوت آخر. قرقرة، حشرجة وتوقف الصفير.

عرفت ستارلِنج هذا الصوت أيضًا. لقد سمعته مرة من قبل في المستشفى عندما تُوفي والدها.

تحسست حافة الطاولة ووقفت على قدميها. تحسست طريقها، متجهة نحو الأصوات الصادرة عن كاثرين، ووجدت بئر الدرَج وصعدت الدرَج في الظلام.

يبدو أن الأمر استغرق وقتًا طويلًا. كانت هناك شمعة في درج المطبخ. وجدت بها صندوق الكهرباء بجانب الدرَج، قفزت عندما أضاءت الأنوار. للوصول إلى صندوق الكهرباء وإطفاء الأنوار، لا بد أنه قد ترك القبو من طريق آخر ونزل مرة أخرى خلفها.

كان على ستارلِنج التأكد أنه مات. انتظرت حتى اعتادت عيناها جيدًا على الضوء قبل أن تعود إلى غرفة العمل، ثم كانت حذرة. تمكنت من رؤية قدميه وساقيه العاريتين تبرزان من أسفل منضدة العمل. أبقت عينيها على اليد بجانب السلاح حتى ركلته بعيدًا. كانت عيناه مفتوحتين. كان ميتًا، برصاصة في الجانب الأيمن من صدره، ودماء ثخينة تحته. لقد ارتدى بعض أغراضه من الصوان ولم تستطع النظر إليه طويلًا. ذهبت إلى الحوض، ووضعت مسدس ماجنوم على لوح الصرف وأجرت الماء البارد على معصمها، ومسحت وجهها بيدها المبتلة. لا دماء. ضربت العُث على الشبكة حول الأضواء. كان عليها أن تخطو حول الجثة لاستعادة مسدس البايثون.

قالت عند البئر:

- كاثرين، لقد مات. لا يمكنه إيذاؤك. سأصعد إلى الطابق العلوي وأتصل...

- لا! أخرجيني. أخرجيني. أخرجيني.

- انظري هنا. إنه ميت. هذا سلاحه. أتذكرين ذلك؟ سأتصل بالشرطة وإدارة

الإطفاء. أخشى أن أرفعك إلى الخارج بنفسي، قد تسقطين. بمجرد أن أتصل بهم سأعود إلى الأسفل وأنتظر معكِ. حسنًا؟ حسنًا. حاولي أن تخرسي هذا الكلب. حسنًا؟ حسنًا.

وصلت طواقم التلفزيون المحلي بعد وصول سيارات الإطفاء مباشرة وقبل شرطة بِلفِدير. قائد الإطفاء، غاضبًا من وهج الأضواء، دفع طواقم التلفزيون إلى أعلى الدرج وخارج القبو بينما جهز إطارًا من الأنابيب لرفع كاثرين مارتن، غير واثق بخطاف السيد جَمب في عارضة السقف. نزل رجل إطفاء إلى البئر ووضعها في كرسي الإنقاذ. خرجت كاثرين وهي تحمل الكلبة، أبقت الكلبة في سيارة الإسعاف.

كان دخول الكلاب إلى المستشفى ممنوعًا ولم يسمحوا للكلبة بالدخول. وأُمر رجل إطفاء بوضعها في مأوى للحيوانات، أخذها معه إلى المنزل بدلًا من ذلك.

٥٧

كان خمسون شخصًا تقريبًا في المطار الوطني في واشنطن، لمقابلة الرحلة التي تقلع ليلًا وتصل صباحًا من كولومبوس بولاية أوهايو. كان معظمهم يقابلون أقاربهم وبدا عليهم النعاس والغضب بما يكفي، وذيول قمصانهم بارزة أسفل ستراتهم.

من بين الحشد، أتيحت الفرصة لأرديليا ماب لإلقاء نظرة على ستارلِنج في أثناء نزولها من الطائرة. كانت ستارلِنج شاحبة، هالات داكنة تحت عينيها. كانت بعض حبيبات البارود السوداء على خدها. رصدت ستارلِنج ماب وتعانقتا.

قالت ماب:

- مرحبًا يا صاحبتي. هل تريدين فحص أي شيء؟

هزت ستارلِنج رأسها.

- جِف بالخارج في الشاحنة المغلقة. دعينا نذهب إلى المنزل.

كان جاك كروفورد بالخارج أيضًا، سيارته متوقفة خلف الشاحنة في ممر الليموزين. استقبل أقارب بيلًا ليلًا.

بادر بالقول:

- أنا... أنتِ تعرفين ما فعلتِ. لقد حققتِ نجاحًا باهرًا يا فتاة.

لمس خدها:

- ما هذا؟

- بارود محترق. قال الطبيب إنه سيخرج بمفرده في غضون يومين، فهذا أفضل من التنقيب عنه.

ضمها كروفورد إليه وأمسكها بقوة للحظة، فقط للحظة، ثم أبعدها عنه وقبَّلها على جبهتها. قال:

- أنتِ تعرفين ما فعلتِ.

قالها مرة أخرى.

- اذهبي إلى المنزل. اذهبي للنوم. نامي جيدًا. سأتكلم معكِ غدًا.

كانت شاحنة المراقبة الجديدة مريحة ومصممة للمراقبة الطويلة. استقلت ستارلِنج وماب الكراسي الكبيرة في الخلف. من دون جاك كروفورد في الشاحنة، قاد جِف بخشونة أشد قليلًا.

لقد قضوا وقتًا طيبًا باتجاه كوانتِكو.

ركبت ستارلِنج وعيناها مغمضتان. بعد بضعة أميال، حركت ماب ركبتها. فتحت ماب اثنتين من زجاجات الكولا القصيرة. ناولت ستارلِنج كولا وأخرجت نصف مكيال من ويسكي جاك دانيالز من حقيبتها.

أخذت كلٌّ منهما جرعة كبيرة من الكولا وصبت فيها جرعة من الخليط اللاذع. ثم حشرتا إبهاميهما في عنقَي الزجاجتين وهزتاهما وأطلقتا الرغوة في فاهيهما.

قالت ستارلِنج:

- آههه.

قال جِف:

- لا تُريقا ذلك هنا.

قالت ماب:

- لا تقلق يا جِف.

ثم قالت بهدوء لستارلِنج:

- كان يجب أن ترى رجلي جِف ينتظرني خارج متجر الخمور. بدا كالمصاب بإمساك حاد.

عندما رأت ماب أن الويسكي يبدأ في العمل قليلًا، عندما غاصت ستارلِنج قليلًا في كرسيها، قالت ماب:

- كيف حالك يا ستارلِنج؟
- أرديليا، لتحل عليَّ اللعنة إذا كنت أعرف.
- ليس عليك العودة، أليس كذلك؟
- ربما ليوم واحد في الأسبوع المقبل، لا آمل ألا يحدث ذلك. جاء المدعي العام الأمريكي من كولومبوس للتحدث إلى رجال شرطة بِلفِدير. لقد قدمت إفادات كثيرة ومطولة للغاية.

قالت ماب:

- أمران جيدان. السيناتور مارتن كانت على الهاتف طوال المساء من مستشفى بيثيسدا - تعرفين أنهم أخذوا كاثرين إلى بيثيسدا؟ حسنًا، إنها بخير. لم يعبث بها بأي طريقة جسدية. الضرر العاطفي، لا يعرفون، عليهم أن يراقبوا. لا تقلقي بشأن المدرسة. اتصل كلٌّ من كروفورد وبريجهام. أُلغيت جلسة الاستماع. طلب كريندلر إعادة مذكرته. هؤلاء الناس لديهم قلوب زلِقة مثل كريم بي بي، ستارلِنج، لن يتراخوا معكِ. ليس عليك أن تخضعي لاختبار البحث والمصادرة الساعة ٠٨٠٠ غدًا، لكنك ستخضعين له يوم الاثنين، واختبار التربية البدنية بعد ذلك مباشرة. سنضغط أنفسنا في الدراسة خلال عطلة نهاية الأسبوع.

أنهتا نصف المكيال شمال كوانتِكو، وألقتا الدليل في برميل في حديقة على جانب الطريق.

- ذلك الرجل بيلتشر، الدكتور بيلتشر في السميثسونيان، اتصل ثلاث مرات. جعلني أعده بأن أخبرك بأنه اتصل.
- إنه لا يحمل شهادة الدكتوراه.
- هل تعتقدين أنكِ قد تفعلين شيئًا بشأنه؟
- ربما. لا أعرف حتى الآن.
- يبدو أنه مرِح جدًّا. أوشكتُ أن أقرر أن اتصاف الرجل بالمرح هو أفضل شيء في الرجال، أنا أتحدث عن الأمر بصرف النظر عن المال وقدرتك الأساسية على الإدارة.

- نعم، والسلوكيات الحميدة أيضًا، لا يمكنك استبعاد ذلك.

- صحيح. أعطيني ابن عاهرة مع بعض السلوكيات الحميدة في كل مرة.

ذهبت ستارلِنج مثل الزومبي من الحمَّام إلى السرير.

أبقت ماب ضوء القراءة فترة من الوقت، حتى صار تنفس ستارلِنج منتظمًا. تفززت ستارلِنج في نومها، اختلجت عضلة في خدها، ومرة واحدة فُتحت عيناها على اتساعهما.

استيقظت ماب في وقت ما قبل ضوء النهار، شعرت بأن الغرفة خالية. أشعلت ماب الضوء الخاص بها. لم تكن ستارلِنج في سريرها. لم يكن كلٌّ من كيسَي الغسيل موجودًا، لذا عرفت ماب أين تبحث.

وجدت ستارلِنج في غرفة الغسيل الدافئة، غافية على إيقاع رُمب-رُمب البطيء للغسالة برائحة التبييض والصابون ومنعم الأقمشة. كانت خلفية دراسة ستارلِنج علم النفس - أما ماب فكانت القانون - ومع ذلك كانت ماب هي التي عرفت أن إيقاع الغسالة كان مثل نبضات قلب عظيمة، وأن اندفاع مياهها هو ما يسمعه الجنين الذي لم يولد بعد، آخر ذكرياتنا عن السلام.

٥٨

استيقظ جاك كروفورد مبكرًا على الأريكة في مكتبه وسمع شخير أصهاره في منزله. في لحظة الفراغ التي سبقت ثقل اليوم عليه، لم يتذكر موت بيلَّا، لكن تذكر آخر شيء قالته له، وعيناها صافيتان وهادئتان:

- ما الذي يحدث في الفِناء؟

أخذ مغرفة الحبوب الخاصة ببيلَّا وخرج في رداء الحمَّام وأطعم الطيور كما وعد. ترك ملاحظة لأصهاره النائمين، وخرج من المنزل قبل شروق الشمس. كان كروفورد على وفاق دائمًا مع أقارب بيلَّا، بشكل أو بآخر، وقد ساعد ذلك على وجود ضوضاء في المنزل، لكنه كان سعيدًا بالفرار إلى كوانتِكو.

كان يقرأ التلكس الذي وصل ليلًا ويشاهد الأخبار المبكرة في مكتبه عندما ضغطت ستارلِنج أنفها على زجاج الباب. ألقى بعض التقارير من على الكرسي من أجلها وشاهدا الأخبار معًا من دون أن يقولا شيئًا. ها هو ذا.

الجزء الخارجي من مبنى جَمب القديم في بِلفِدير بواجهة متجر خالية ونوافذ مكسوة بالصابون ومغطاة ببوابات ثقيلة. بالكاد تعرفت ستارلِنج عليه.

أطلق عليه قارئ الأخبار «زنزانة الرعب».

صور قاسية، متدافعة للبئر والطابق السفلي، كاميرات التقاط الصور الثابتة مرفوعة أمام كاميرا التلفزيون، رجال الإطفاء الغاضبون يلوحون للمصورين بالتراجع. جُنَّت حشرات العُث من أضواء التلفزيون، محلقة نحو الأضواء، وعُثة على الأرض على ظهرها، جناحاها يضربان إلى أسفل حتى ارتعاشة أخيرة.

ترفض كاثرين مارتن استخدام نقالة وتمشي إلى الإسعاف ومعطف شرطي مضموم حول جسدها، والكلبة تخرج وجهها بين طيّات ياقة المعطف.

منظر جانبي لستارلِنج تمشي بسرعة إلى سيارة ورأسها إلى أسفل ويداها في جيبَي معطفها.

خضع الفيلم للتحرير لاستبعاد بعض الأشياء المروعة. في أقاصي القبو، يمكن للكاميرات أن تُظهر فقط العتبات المنخفضة والمرشوشة بالجير للغرف التي تحتوي على تجميعات جَمب الفنية. بلغ عدد الجثث في ذلك الجزء من القبو ستًّا حتى الآن.

سمع كروفورد ستارلِنج وهي تطرد الهواء من أنفها مرتين.

ذهبت الأخبار إلى فاصل إعلانات تجارية.

- صباح الخير يا ستارلِنج.

قالت:

- مرحبًا.

كما لو كانت في وقت لاحق من اليوم.

- أرسل إليَّ المدعي العام في كولومبوس إفادتك بالفاكس ليلًا. سيتعين عليك التوقيع على بعض النسخ له... إذن فقد انتقلتِ من منزل فريدريكا بيميل إلى ستايسي هوبكا، ثم إلى المرأة بوردين في المتجر الذي عملت بيميل في الخياطة له، أزياء ريتشاردز، والسيدة بوردين أعطتكِ عنوان السيدة ليبمان القديم، ذلك المبنى هناك.

أومأت ستارلِنج:

- وُجِدت ستايسي هوبكا في المكان عدة مرات كي تُقِل فريدريكا، لكن صديقها كان يقود سيارته وكانت اتجاهاتها مبهمة. كان العنوان لدى السيدة بوردين.

- السيدة بوردين لم تذكر رجلًا في منزل السيدة ليبمان؟

- لا.

كانت الأخبار التلفزيونية تحتوي على فيلم من مستشفى القوات البحرية بمدينة بيثيسدا.

وجه السيناتور روث مارتن مؤطر في نافذة سيارة ليموزين.

- كاثرين كانت واعية الليلة الماضية، نعم، إنها نائمة، إنها تحت تأثير مسكن الآن. نحن نحصي النعم التي حظينا بها. لا، كما قلت من قبل، إنها تعاني صدمة، لكنها واعية. مجرد كدمات وإصبعها مكسورة. كما أنها مصابة بالجفاف. شكرًا لك.

وخزت سائقها في ظهره:

- شكرًا لك. لا، لقد ذكرت الكلبة لي الليلة الماضية، لا أعرف ماذا سنفعل حيال ذلك، لدينا كلبان بالفعل.

اختُتم التقرير الإخباري باقتباس شيء لا يكاد يُذكر من اختصاصي التوتر النفسي الذي سيتكلم مع كاثرين مارتن في وقت لاحق من اليوم لتقييم الضرر العاطفي.

أغلق كروفورد التلفزيون.

- ستارلِنج، كيف تتعاملين مع ما حدث؟

- بنوع من الخدر... أنت أيضًا؟

أومأ كروفورد برأسه، وانتقل بسرعة إلى الموضوع.

- كانت السيناتور مارتن على الهاتف ليلًا. إنها تريد أن تأتي لرؤيتك. كاثرين تريد ذلك أيضًا، بمجرد أن تتمكن من السفر.

- أنا دائمًا موجودة.

- كريندلر أيضًا، يريد أن يأتي إلى هنا. لقد طلب إعادة مذكرته.

- بالتفكير في الأمر، أنا لست دائمًا موجودة.

- إليكِ بعض النصائح المجانية. استفيدي من السيناتور مارتن. دعيها تخبرك بمدى امتنانها، دعيها تسلمك شهادات التميز. افعلي ذلك قريبًا. الامتنان أجله قصير. ستحتاجين إليها في أحد هذه الأيام، بالطريقة التي تتصرفين بها.

- هذا ما تقوله أرديليا.
- رفيقتك في الغرفة، ماب؟ قال لي المشرف إن ماب ستضغطك للدراسة لامتحانات التعويض يوم الاثنين. لقد نجحت للتو في الحصول على نقطة ونصف النقطة متفوقة على منافسها اللدود، سترينجفِلو، كما أخبرني.
- من أجل الطالب المتفوق الذي يلقي خطاب الختام في التخرج؟
- إنه شديد، مع ذلك، سترينجفِلو يقول إنها لا تستطيع أن تعوقه.
- من الأفضل أن يحضر غداءه.

في الفوضى على مكتب كروفورد كانت الدجاجة الورقية التي طواها الدكتور لِكتر. عمل كروفورد على الذيل لأعلى ولأسفل. نقرت الدجاجة.

قال:

- وصل لِكتر إلى المرتبة البلاتينية، إنه على رأس قائمة المطلوبين للجميع. مع ذلك، يمكنه أن يبقى في الخارج فترة من الوقت. بعيدًا عن القاعدة، تحتاجين إلى الحفاظ على بعض العادات الجيدة.

أومأت برأسها.

قال كروفورد:

- إنه مشغول الآن، لكن عندما لا يكون مشغولًا، سوف يسلي نفسه. يجب أن نكون واضحين في هذا الأمر: تعرفين أنه قد يفعل ذلك بكِ، تمامًا كما قد يفعله مع أي شخص آخر.
- لا أعتقد أنه سيهاجمني أبدًا، فهذه وقاحة بالنسبة إليه، ولن يتمكن من طرح أي أسئلة بهذه الطريقة. بالتأكيد سيفعل ذلك بمجرد أن أشعره بالملل.
- الحفاظ على العادات الجيدة هو كل ما أقوله. عندما تخرجين من القاعدة، ضعي تنبيهًا على بطاقتكِ الثلاثية، لا استفسارات هاتفية عن مكانك من دون تعريف هوية مؤكد. أريد أن أضع تنبيه تتبع على هاتفك، إذا لم تمانعي ذلك. سيتمتع بالخصوصية ما لم تضغطي على الزر.
- لا أتوقع منه أن يلاحقني يا سيد كروفورد.

- لكنكِ سمعتِ ما قلتُه.

- أجل. سمعت.

- خذي هذه الإفادات وراجعيها. أضيفي إليها إذا كنت تريدين ذلك. سنشهد على توقيعك هنا عندما تكونين جاهزة. ستارلِنج، أنا فخور بك. وكذلك بريجهام، وكذلك المدير.

بدا كلامه متخشبًا، ليس كما أراده أن يبدو.

ذهب إلى باب مكتبه. كانت تبتعد عنه، في الردهة المقفرة. تمكن من الثناء عليها من قمة الجبل الجليدي لحزنه:

- ستارلِنج، والدكِ يراكِ.

٥٩

ظل جايم جَمب في الأخبار لأسابيع بعد إنزاله في حفرته الأخيرة.

جمَّع الصحفيون تاريخه، بدءًا من سجلات مقاطعة ساكرامنتو:

كانت أمه حاملًا فيه منذ شهر عندما فشلت في المشاركة في مسابقة ملكة جمال ساكرامنتو في عام ١٩٤٨. يبدو أن اسم «جايم» في شهادة ميلاده كان خطأً كتابيًّا لم يتكلف أحد عناء تصحيحه.

عندما فشلت حياتها المهنية في التمثيل، توجهت والدته إلى الإدمان على الكحول، كان عمر جَمب عامين عندما وضعته مقاطعة لوس أنجلوس في منزل للرعاية.

أوضحت مجلتان علميتان على الأقل أن هذه الطفولة التعيسة كانت السبب في قتل النساء في قبو منزله من أجل جلودهن. لم تظهر كلمتا مجنون وشرير في أيٍّ من المقالتين.

كشف مقياس مقارِن أن فيلم مسابقة الجمال الذي شاهده جايم جَمب وهو بالغ كان لقطات حقيقية لوالدته، لكن المرأة في فيلم المسبح لم تكن والدته.

استرد الجدَّان جَمب من دار رعاية غير مُرضية عندما كان في العاشرة من عمره، وقتلهما بعد ذلك بعامين.

علَّمت إعادة التأهيل المهني في مدينة توليِر جَمب أن يكون خياطًا خلال سنوات عمله في مستشفى الأمراض النفسية. أظهر كفاءة محددة للعمل.

سجِل توظيف جَمب معطل وغير مكتمل. وجد المراسلون مطعمين على الأقل

حيث كان يعمل خارج السجلات الرسمية، وعمل على نحو متقطع في مجال الملابس. لم يثبت أنه قتل خلال هذه الفترة، لكن بِنجامِن راسبايل قال إنه قتل.

كان يعمل في متجر التُّحف حيث صُنعت حلي الفراشات عندما التقى راسبايل، وعاش على نفقة الموسيقي بعض الوقت. في ذلك الوقت أصبح جَمب مهووسًا بالعُث والفراشات والتغييرات التي تمر بها.

بعد أن تركه راسبايل، قتل جَمب عشيق راسبايل التالي، كلاوس، بقطع رأسه وسلخ جلده جزئيًّا.

في وقت لاحق نزل على راسبايل في الشرق. راسبايل، الذي يحمسه الأولاد الأشقياء، قدمه إلى الدكتور لِكتر.

أُثبت ذلك في الأسبوع الذي تلا وفاة جَمب عندما استولى مكتب التحقيقات الفدرالي على أشرطة جلسات علاج راسبايل مع الدكتور لِكتر من أقرب أقرباء راسبايل.

قبل سنوات، عندما أُعلن أن الدكتور لِكتر مجنون، سُلِّمت أشرطة جلسات العلاج إلى أسر الضحايا لتدميرها. لكن أقارب راسبايل المتنازعين احتفظوا بالأشرطة، على أمل استخدامها لمهاجمة وصية راسبايل. لقد فقدوا الاهتمام بالاستماع إلى الأشرطة الأولى، التي ليست إلا ذكريات راسبايل المملة عن الحياة المدرسية. بعد التغطية الإخبارية لجايم جَمب، استمعت عائلة راسبايل إلى البقية. عندما اتصل الأقارب بالمحامي إيفريت ياو وهددوا باستخدام الأشرطة في هجوم متجدد على وصية راسبايل، اتصل ياو بكلاريس ستارلِنج.

تشمل الأشرطة الجلسة الأخيرة، عندما قتل لِكتر راسبايل. الأهم من ذلك، أنها تكشف قدر ما قاله راسبايل للِكتر عن جايم جَمب.

أخبر راسبايل الدكتور لِكتر أن جَمب كان مهووسًا بالعُث، وأنه نزع جلود أشخاص في الماضي، وأنه قتل كلاوس، وأن لديه وظيفة في شركة السيد إهاب للمنتجات الجلدية في كالومِت سيتي، لكنه كان يأخذ المال من سيدة عجوز في بلفِدير، أوهايو، كانت قد صنعت بطائن لشركة السيد إهاب.

قال كروفورد لستارلِنج وهما يستمعان معًا إلى الشريط:

- عندما قرأ لِكتر أن الضحية الأولى كانت من بِلفِدير وأن جلدها قد انتُزِع، عرف مَن كان يفعل ذلك، لكان قد أعطاك جَمب وبدا كأنه عبقري لو أن تشيلتون بقي خارج الأمر.

قالت ستارلِنج:

- لقد ألمح إليَّ من خلال الكتابة في الملف أن المواقع عشوائية جدًّا. وفي ممفيس سألني إذا كنت أمارس الخياطة. ماذا أراد أن يحدث؟

قال كروفورد:

- أراد أن يسلي نفسه. لقد كان يسلي نفسه فترة طويلة جدًّا.

لم يُعثر على شريط لجايم جَمب قَطُّ، وترسخت أنشطته في السنوات التي أعقبت وفاة راسبايل شيئًا فشيئًا من خلال المراسلات التجارية، وإيصالات الغاز، والمقابلات مع أصحاب المتاجر الصغيرة.

عندما تُوفيت السيدة ليبمان في رحلة إلى فلوريدا مع جَمب، آل إليه كل شيء، المبنى القديم مع أماكن المعيشة وواجهة المتجر الخالية والقبو الشاسع، ومبلغ مريح من المال. توقف عن العمل لدى شركة السيد إهاب، لكنه احتفظ بشقة في كالومِت سيتي فترة من الوقت، واستخدم عنوان العمل لتلقي الطرود باسم جون جرانت. حافظ على عملاء مفضلين، واستمر في السفر إلى المتاجر الصغيرة في جميع أنحاء البلاد، كما فعل لشركة السيد إهاب، حيث يأخذ القياسات للملابس المخصصة التي صنعها في بِلفِدير. استخدم رحلاته للبحث عن الضحايا وإلقائهن عندما يُستنفدن، حيث تطوف الشاحنة البنية المغلقة لساعات على الطرق بين الولايات، والملابس الجلدية المنتهية تتأرجح على الشماعات في الخلف فوق حافظة الجثث المطاطية على الأرض.

تمتع بحرية القبو الرائعة. مساحة للعمل واللعب. في البداية، كانت الألعاب فحسب، مثل مطاردة الشابات خلال الجُحر الأسود، صنع تجميعات فنية مسلية في غرف نائية وسدها بإحكام، وفتح الأبواب مرة أخرى فقط لإلقاء القليل من الجير.

بدأت فريدريكا بيميل في مساعدة السيدة ليبمان في العام الأخير من حياة السيدة العجوز. كانت فريدريكا تأخذ الملابس التي تحتاج إلى الخياطة لدى السيدة ليبمان عندما التقت جايم جَمب. لم تكن فريدريكا بيميل أول شابة يقتلها، لكنها كانت أول امرأة يقتلها من أجل جلدها.

عُثر على رسائل فريدريكا بيميل إلى جَمب بين أغراضه.

استطاعت ستارلِنج قراءة الرسائل بصعوبة، بسبب ما فيها من الأمل، وبسبب ما فيها من الاحتياج المروِّع، وبسبب تعبيرات التحبب إلى جَمب التي كانت ضمنية في ردودها: «صديقي السري العزيز في صدري، أحبك! لم أعتقد قَطُّ أنني سأقولها، والأفضل على الإطلاق أن أقولها ردًّا على مثلها».

متى كشف عن نفسه؟ هل اكتشفت القبو؟ كيف بدا وجهها عندما تغير، كم من الوقت أبقاها على قيد الحياة؟

الأسوأ من ذلك، أن فريدريكا وجَمب كانا صديقين حقًّا حتى النهاية، إذ كتبت إليه رسالة من الحفرة.

غيرت صحف الإثارة الشعبية لقب جَمب إلى السيد إهاب، مثيرٌ للغثيان لأنهم لم يفكروا في الاسم بأنفسهم، افتراضيًّا بدأوا القصة من جديد.

بأمان في قلب كوانتِكو، لم تضطر ستارلِنج إلى التعامل مع الصحافة، لكن الصحافة الشعبية تعاملت معها.

اشترت صحيفة ناشونال تاتلر من الدكتور فريدريك تشيلتون شرائط مقابلة ستارلِنج مع الدكتور هانيبال لِكتر. توسعت تاتلر في محادثاتهما من أجل سلسلة «عروس دراكولا» وألمحت إلى أن ستارلِنج قدمت مكاشفات جنسية صريحة إلى لِكتر في مقابل الحصول على معلومات، مما أدى إلى أن تتقدم مجلة أحاديث مخملية: مجلة الجنس عبر الهاتف بعرضٍ إلى ستارلِنج.

أعدت مجلة بيبول مقالًا قصيرًا وسارًّا عن ستارلِنج، باستخدام صور الكتاب السنوي من جامعة فرجينيا ومن دار الأيتام اللوثرية في بوزمان. أفضل صورة كانت للفرس، هانا، في سنواتها الأخيرة وهي تجر عربة مليئة بالأطفال.

قصت ستارلِنج صورة هانا ووضعتها في محفظتها.
كانت الشيء الوحيد الذي أنقذته.
كانت تتعافى.

٦٠

كانت أرديليا معلمة خاصة رائعة - يمكنها اكتشاف سؤال امتحان في محاضرة أبعد من أن يرى نمر مرقط فريسة عرجاء - لكنها لم تكن عداءة ماهرة. أخبرت ستارلِنج بأن السبب في ذلك هو أنها كانت مثقلة بالحقائق.

كانت قد تخلفت عن ستارلِنج على درب الركض، ولحقت بها عند طائرة «دي سي ٦» القديمة التي يستخدمها مكتب التحقيقات الفدرالي لمحاكاة الاختطاف. كان صباح الأحد. لقد عكفتا على الكتب لمدة يومين، وأشعرتهما الشمس الباهتة بتحسن.

قالت ماب، متكئة على جهاز هبوط الطائرة:

- إذن ماذا قال بيلتشر على الهاتف؟

- هو وأخته لديهما هذا المكان في تشيسابيك.

- نعم، ثم؟

- أخته هناك مع أطفالها وكلابها وربما زوجها.

- لذا؟

- إنهم في أحد طرفَي المنزل. إنه مبنى متهالك قديم كبير على المياه ورثاه عن جدتهما.

- ادخلي في الموضوع.

- بيلتش لديه الطرف الآخر من المنزل. في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة، يريدنا أن نذهب. كثير من الغرف، كما يقول، «كثير من الغرف بالقدر الذي

قد يحتاج إليه أي شخص»، أعتقد أن هذه هي الطريقة التي صاغ بها الأمر. قال إن أخته ستتصل بي وتدعوني.

- تمزحين. لم أعرف أن الناس ما زالوا يفعلون ذلك.
- لقد صمم هذا السيناريو اللطيف، لا مصادر إزعاج، التجمع والمشي على الشاطئ، تعالي وسنجلس حول النار، الكلاب تقفز في كل مكان بمخالبها الكبيرة الممتلئة بالرمال.
- مثاليٌّ، امممم، مخالب كبيرة ممتلئة بالرمال، انطلقي.
- الأمر كثير نوعًا ما، مع الأخذ في الحسبان أننا لم يسبق أن خرجنا في أي موعد. إنه يدعي أنه من الأفضل النوم بصحبة اثنين أو ثلاثة كلاب كبيرة عندما يصبح الجو باردًا حقًّا. يقول إن لديهم ما يكفي من الكلاب كي يكون لكل شخص زوجان منها.
- بيلتشر يجهزك لخدعة بدلة الكلاب القديمة، انتبهتِ لذلك، أليس كذلك؟
- يدعي أنه طبَّاخ ماهر. تقول أخته إنه كذلك.
- أوه، لقد اتصلَت بالفعل.
- نعم.
- كيف بدَت؟
- حسنًا. بدت كأنها كانت في الطرف الآخر من المنزل.
- ماذا قلتِ لها؟
- قلت، «نعم، شكرًا جزيلًا لك»، هذا ما قلتُه.

قالت ماب:

- جيد. هذا جيد جدًّا. تناولي بعض السرطانات. أمسكي بيلتشر وقبِّليه بجرأة، أطلقي لنفسك العنان.

٦١

على السجادة الوثيرة في ممر فندق ماركوس، دفع نادل خدمة الغرف عربة.

عند باب الجناح رقم ٩١، توقف ودق الباب برفق بمفصل إصبع مكسوة بقفاز. أمال رأسه وطرق مرة أخرى كي يُسمع فوق الموسيقى المنبعثة من الداخل -باخ، ابتكار من جزأين وثلاثة أجزاء، عزف جلين جولد على البيانو.

- تفضل.

كان الرجل المحترم الذي وضع الضمادة على أنفه يلبس رداءً، ويكتب على المكتب.

- ضعه بجانب النوافذ. هل يمكنني رؤية النبيذ؟

أحضر النادل زجاجة النبيذ. أمسكها الرجل المحترم تحت ضوء مصباح مكتبه، ولمس رقبتها بخده.

قال:

- افتحها، لكن اتركها بعيدًا عن الثلج.

وكتب إكرامية سخية عبر الجزء السفلي من الفاتورة.

- لن أتذوقه الآن.

لم يكن يريد من النادل أن يعطيه نبيذًا ليتذوقه، فقد وجد أن رائحة حزام ساعة الرجل مستهجَنة.

كان الدكتور لِكتر متمتعًا بحس دعابة ممتاز. لقد مر أسبوعه على نحو جيد.

كان مظهره يتحول إلى ما يريد، وبمجرد إزالة بعض تشوهات الألوان الضئيلة، يمكنه خلع الضمادات والتقاط صور جواز السفر.

كان يؤدي العمل الفعلي بنفسه، حقنٌ صغيرة من السيليكون في أنفه. لم يكن جل السيليكون وصفة طبية، ولكن الحقن تحت الجلد والنوفوكائين كانا كذلك. لقد التف حول هذه الصعوبة بجذب وصفة طبية خلسة من نضد صيدلية مزدحمة بالقرب من المستشفى. مسح خط الطبيب الشرعي المشابه لنبش الدجاج بسائل تصحيح الأخطاء الطباعية ونسخ نموذج الوصفة الطبية الفارغ على آلة تصوير. كانت أول وصفة كتبها نسخة من الوصفة التي سرقها، وأعادها إلى الصيدلية، فلم يُفقد شيء.

لم يكن تأثير بالوكا في ملامحه الدقيقة مُرضيًا، كان يعرف أن السيليكون سيتحرك إذا لم يكن حريصًا، لكن المهمة ستؤدي الغرض حتى يصل إلى ريو.

عندما بدأت هواياته تستغرقه - قبل وقت طويل من اعتقاله لأول مرة - كان الدكتور لِكتر قد اتخذ تدابير احتياطية للفترة التي قد يكون فيها هاربًا. وضع في جدار كوخ لقضاء العطلات على ضفاف نهر سسكويهانا مالًا وأوراقًا تعريفية لهوية أخرى، بما في ذلك جواز السفر والأدوات التجميلية المساعدة التي كان يضعها في صور جواز السفر. كان جواز السفر قد انتهى الآن، لكن يمكن تجديده بسرعة كبيرة.

مفضلًا أن يُقتاد خلال الجمارك مع شارة جولة سياحية كبيرة على صدره، اشترك بالفعل في جولة تبدو فظيعة تُسمَّى «روعة أمريكا الجنوبية» التي ستوصله إلى ريو.

وذكَّر نفسه بكتابة شيك على الراحل لويد وايمان لفاتورة الفندق والحصول على مهلة الأيام الخمسة الإضافية بينما كان الشيك يأخذ مجراه عبر البنك، بدلًا من إرسال رسوم بطاقة أمريكان إكسبريس إلى الكمبيوتر.

هذا المساء كان يتابع مراسلاته التي كان عليه إرسالها من خلال خدمة إعادة إرسال في لندن.

أولًا، أرسل إلى بارني إكرامية سخية ورسالة شكر على مجاملاته العديدة في المصحة.

بعد ذلك، أسقط ملاحظة إلى الدكتور فريدريك تشيلتون في الحجز الوقائي الفدرالي، يشير فيها إلى أنه سيزور الدكتور تشيلتون في المستقبل القريب. كتب أنه بعد هذه الزيارة، سيكون من المنطقي أن يكتب المستشفى بالوشم تعليمات التغذية على جبين تشيلتون لتوفير المعاملات الورقية.

أخيرًا، سكب لنفسه كأسًا من نبيذ باتار-مونراشيه الممتاز، ووجه خطابه إلى كلاريس ستارلِنج:

حسنًا، كلاريس، هل توقفت الحملان عن الصراخ؟

أنتِ مدينة لي بمعلومة، كما تعلمين، وهذا ما أريده.

إعلان في الطبعة الوطنية من صحيفة تايمز وفي إنترناشونال هيرالد تريبيون في الأول من أي شهر سيكون جيدًا. من الأفضل وضعه في صحيفة تشاينا مايل أيضًا.

لن أتفاجأ إذا كانت الإجابة بنعم ولا. ستتوقف الحملان في الوقت الراهن. لكن، كلاريس، أنتِ تحكمين على نفسك بكل رحمة مقاييس الزنازين المظلمة في قلعة ثريف، عليكِ أن تجني ذلك عن جدارة مرارًا وتكرارًا، الصمت المبارك. لأن المحنة هي التي تحفزك، رؤية المحنة، والمحنة لن تنتهي أبدًا.

ليست لديَّ أي خطط للاتصال بكِ يا كلاريس، العالم أكثر إثارة للاهتمام وأنتِ فيه. تأكدي من رد اللباقة نفسها إليَّ.

لمس الدكتور لِكتر شفتيه بقلمه. نظر إلى سماء الليل وابتسم.

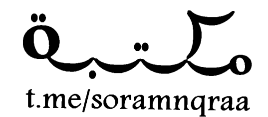
لديَّ نوافذ.

كوكبة الجوزاء فوق الأفق الآن، وقربها كوكب المشتري، أكثر إشراقًا مما سيكون عليه مرة أخرى قبل عام ٢٠٠٠. (ليست لديَّ أي نية لإخبارك بالوقت ومدى ارتفاعه) لكنني أتوقع أن تتمكني من رؤيته أيضًا. بعض نجومنا متشابهة.

كلاريس.

هانيبال لِكتر

بعيدًا إلى الشرق، على شاطئ تشيسابيك، انتصبت كوكبة الجوزاء عاليًا في الليل الصافي، فوق منزل قديم كبير، وغرفة حيث تُشعل النار ليلًا، ويومض ضوؤها برفق مع الريح فوق المداخن. يوجد على سرير كبير العديد من الألحفة وعلى الألحفة وتحتها عدة كلاب كبيرة. الارتفاعات الإضافية أسفل الأغطية قد تكون أو لا تكون نوبل بيلتشر، من المستحيل تحديد ذلك في الضوء المحيط. لكن الوجه على الوسادة، الوردي في ضوء النار، هو بالتأكيد وجه كلاريس ستارلِنج، وهي تنام بعمق، بلطف، في صمت الحملان.



في مذكرة تعزية لجاك كروفورد، يقتبس الدكتور لِكتر من قصيدة «الحُمَّى» (The Fever) من دون تكلف عناء نسب القول إلى جون دُن.

تبدِّل ذاكرة كلاريس ستارلِنج سطورًا من قصيدة «أربعاء الرماد» لـ«ت. س. إليوت» كي تلائمها.

ت. هـ.

المؤلف

توماس هاريس روائي وكاتب سيناريو أمريكي، بدأ مسيرته الكتابية في تغطية الجريمة بالولايات المتحدة والمكسيك، وكان مراسلًا ومحررًا لوكالة «أسوشيتد برس» في مدينة نيويورك. صدرت روايته الأولى «الأحد الأسود» عام ١٩٧٥، ثم «التنين الأحمر» عام ١٩٨١، و«صمت الحملان» عام ١٩٨٨، و«هانيبال» عام ١٩٩٩، و«نهضة هانيبال» عام ٢٠٠٦، وقد نجحت كل رواياته نجاحًا كبيرًا، وتحوَّل بعضها إلى أفلام سينمائية ناجحة.

المترجمة

سها السباعي مترجمة مصرية، حصلت على درجة الليسانس في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة. من ترجماتها: «رحلة هاملت العربية: أمير شكسبير وشبح عبد الناصر» تأليف مارجريت ليتفين، و«قراءات في أعمال نوال السعداوي» تحرير إرنست إيمنيونو وモورين إيك. صدرت لها لدى دار الكرمة ترجمات: رواية «حرائق صغيرة في كل مكان» لسيليست إنج، و«الاعتذار» لإيف إنسلر، ورواية «اترك العالم خلفك» لرمان عَلم، و«أبناء بالغون لوالدين غير ناضجين عاطفيًّا: التعافي من والدين متباعدين أو رافضين أو منغلقين على ذاتيهما» للدكتورة ليندزي س. جيبسون.

«رواية ممتعة إلى أقصى درجة. حبكة جميلة، مكتوبة ببراعة. روايات الإثارة لا تأتي أفضل من هذا» — **كلايف باركر**

«نموذج مثالي لكيفية كتابة رواية تشويق. تحفة فنية من التوتر المطلق الذي ينطلق بسلاسة نحو ذروته... هاريس - بكل بساطة - أفضل روائي تشويق يكتب اليوم» — **الواشنطن بوست**

«قصة نفسية مثيرة منسوجة ببراعة» — **الأسوشيتد برس**

«رائعة» — **النيويورك تايمز**

«ذات وتيرة سريعة... مثيرة للغاية» — **شيكاغو تريبيون**



قاتل متسلسل، معروف فقط باسم مستعار غريب (بافالو بيل)، يطارد نساء معينات. لديه هدف، ولكن لا أحد يستطيع فهمه، لأن الجثث تُكتشف في حالات مختلفة. كلاريس متدربة شابة في أكاديمية مكتب التحقيقات الفدرالي، تُفاجأ باستدعاء من مديرها. مهمتها إجراء مقابلة مع الدكتور هانيبال لِكتر، الطبيب النفسي اللامع والقاتل المروع، المحبوس الآن تحت المراقبة الدقيقة في مستشفى للمجرمين المجانين. هل تستطيع خبرة لِكتر مع القتلة أن تساعده في تعقب بافالو بيل والقبض عليه؟

تضطرب كلاريس عندما تجد نفسها في علاقة غريبة ومكثفة مع لِكتر شديد الملاحظة. أدلته المبهمة - عن بافالو بيل وعنها - تطلق كلاريس في بحث سيجده القارئ مذهلًا ومروعًا ومقنعًا تمامًا.

تحوَّلت هذه الرواية الأكثر مبيعًا والفائزة بعدة جوائز مهمة إلى فيلم سينمائي شهير فاز بجائزة الأوسكار من بطولة جودي فوستر وأنتوني هوبكنز.



